

مَسَالِكُ الْإِسْخَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرِّيْ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَجَلِيَّةِ

مُؤَلِّفٌ

السَّيِّدُ الْمَوْلَانَةُ الْحُجَّةُ فَتْرَةُ الْأَمَةِ الْمَوْلَانَةُ

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بَاوَرُ الْحُجَّةِ الْمَوْلَانَةُ

”فَتْوَايَا الْمَوْلَانَةِ“

١٣٧٠ - ١٤١١ هـ

طَبْعَةُ جَدِيدَةُ هَيْكَلَةِ وَمُصَدِّقَةُ

بِإِشْرَافِ لَجْنَةِ مَوْلَانَةِ الْعِلْمِ

طَارُ أَحْيَاءِ الْقُرَآنِ الْعَرَبِيِّ

34
الفن
والعن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْلَدُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرَرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ

تَأْلِيفُ
الْعَلَمِ الْعَلَامَةِ الْمُجْتَمِعَةِ فَخْرِ الْأُمَّةِ الْمَوْلَى
الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بَاقِرٍ الْحَجَلِيِّ
« قَدْ سَرَّاهُ »



الجزء الرابع والثلاثون

حقوق الطبع محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م



الفهرس

الباب الحادي والثلاثون :

سائر ماجرى من الفتن من غارات أصحاب معاوية على
أعمال أمير المؤمنين عليه السّلام وتثاقل أصحابه عن نصرته

وفرار بعضهم إلى معاوية ٧

الباب الثاني والثلاثون :

علّة عدم تغيير أمير المؤمنين عليه السّلام بعض البدع في زمانه ١٦٧

الباب الثالث والثلاثون :

نوادر ماوقع في أيام خلافته عليه السّلام وجوامع خطبه ونوادرها . . . ١٨٣

الباب الرابع والثلاثون :

الصحابة الذين كانوا على الحق ولم يفارقوا عليّاً عليه السّلام،

وذكر بعض المخالفين والمنافقين ٢٧١

الباب الخامس والثلاثون :

باب النوادير ٣٢٧

الباب السادس والثلاثون :

ذكر ماروي عنه عليه السّلام من الأشعار ٣٩٥

[الباب الحادي والثلاثون]

باب

سائر ما جرى من الفتن من غارات أصحاب معاوية على أعماله عليه السلام وتثاقل أصحابه عن نصره وفرار بعضهم عنه إلى

معاوية وشكايته عليه السلام عنهم وبعض النوادر

٩٠١- قال عبد الحميد بن أبي الحديد: إنَّ قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان، يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا عليّ عليه السلام على ما في أنفسهم، وعامل عليّ عليه السلام على صنعاء يومئذٍ عبيد الله بن العباس، وعامله على الجند سعيد بن نمران. فلما اختلف الناس على عليّ بالعراق، وقتل محمد بن أبي بكر بمصر، وكثرت غارات أهل الشام، تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، ومنعوا الصّدقات، وأظهروا الخلاف. فكتب عبيد الله وسعيد ذلك إلى أمير المؤمنين، فلما وصل كتابها ساء عليّاً عليه السلام وأغضبه وكتب إليهما:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن العباس وسعيد بن

٩٠١- رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٢٧٩.

ط الحديثه ببيروت، وفي ط الحديثه بمصر: ج ٢، ص ١.

نمران: سلام الله عليكما، فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنه أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة، وتعظمان من شأنها صغيراً، وتكثران من عددها قليلاً، وقد علمت أن [نخب. خ] افندتكما، وصغر أنفسكما، وتَبَّأَ رأيكما، وسوء تدبيركما، هو الذي أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسداً، وتجراً عليكما من كان عن لقائكما جباناً، فإذا قدم رسولي عليكما، فامضيا إلى القوم حتى تقرأ عليهم كتابي إليهم، وتدعوهم إلى حظهم وتقوى ربهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وإن حاربوا أستعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

فكتب عليه السلام إليهم:

من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء:

أما بعد: فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا يعقب له حكم، ولا يرد له قضاء، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين. [أما بعد: فقد. خ] بلغني تحزُّبُكم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم، بعد الطاعة وإعطاء البيعة والألفة، فسألت أهل الدين الخالص، والورع الصادق، واللبّ الراجح، عن بدء مخرجكم، وما نويتم به وما أمحشكم له^(١)، فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عذراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً، ولا حجة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتفرقوا وأنصرفوا إلى رحالكم أعف عنكم، واتقوا الله وأرجعوا إلى الطاعة، وأصفح عن جاهلكم، وأحفظ عن قاصيكم، وأقوم فيكم بالقسط، وأعمل فيكم بحكم الكتاب. فإن لم تفعلوا، فاستعدوا لقدم جيش جمّ الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغى وعصى فتطحنوا كطحن الرّحى فمن أحسن فلنفسه،

(١) كذا في أصلي، وفي طبع بيروت من شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من ج ١، ص ٢٨٠ لابن أبي الحديد: «عن بدء تحرككم...».

ومن أساء فعليها ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. وإلا فلا يحمد حامد إلا ربه، ولا يلم لائم إلا نفسه، والسلام عليكم ورحمة الله.

ووجه الكتاب مع رجل من همدان؛ فقدم عليهم الكتاب فلم يجيبوه إلى خير^(١)، فرجع فأخبره عليه السلام.

وكتبت تلك العصابة إلى معاوية يخبرونه بها جرى، وبطاعتهم [له]. فلما قدم كتابهم، دعا معاوية بسر بن أرطاة العامري - ويقال: ابن أبي أرطاة - وكان قاسي القلب، فظاً، سفاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، وأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي، إلا بسطت عليهم لسانك، حتى يروا أنهم لا نجاء لهم وأنك محيط بهم، ثم أكف عنهم، وأدعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا.

وفي رواية أخرى، بعث بسراً في ثلاثة آلاف وقال: سر حتى تمر بالمدينة، فأطرد الناس، وأخف من مزرت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم، فاكف عنهم. ثم سر حتى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس عنك فيها بين مكة والمدينة، واجعلها شردات، حتى تأتي صنعاء والجند، فإن لنا بهما شيعة، وقد جاءني كتابهم.

(١) وبعده في شرح المختار: (٢٥) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٢٨١ ما نصّه:

فقال لهم [ألهمداني]: إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف، فلم يمنعه إلا انتظار جوابكم. فقالوا: نحن سامعون مطيعون؛ إن عزل عنا هذين الرجلين: عبيد الله وسعيداً.

فسار بسر حتى أتى المدينة، وصعد المنبر وهذّدهم وأوعدهم، وبعد الشفاعة أخذ منهم البيعة لمعاوية، وجعل عليها أبا هريرة، وأحرق دوراً كثيرة.

وخرج إلى مكة، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس عامل علي عليه السلام عليها، ودخلها بسر فشتّم أهل مكة وأنّبهم، ثم خرج عنها واستعمل عليها شيبة بن عثمان، وأخذ فيها سليمان وداد أبي عبيد الله بن العباس فذبحها، وقتل فيما بين مكة والمدينة رجالاً وأخذ أموالاً.

ثم خرج من مكة وكان يسير ويفسد في البلاد، حتى أتى صنعاء، وهرب منها عبيد الله وسعيد، فدخلها وقتل فيها ناساً كثيراً، وكان هكذا يفسد في البلاد.

فندب علي عليه السلام أصحابه لبعث سرّية في أثر بسر فتناقلوا، وأجابه جارية بن قدامة، فبعثه في ألفين، فشخص إلى البصرة، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم يمن، وسأل عن بسر فقيل: أخذ على بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم.

وبلغ بسرّاً مسير جارية فانحدر إلى اليمامة، وأغذّ جارية السّير، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها، ولا أهل حصن، ولا يعرج على شيء؛ إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد، فيأمر أصحابه بمواساته. أو يسقط بغير رجل، أو تحقّى دابّته، فيأمر أصحابه بأن يعقبوه، حتى انتهى إلى أرض اليمن، فهربت شيعة عثمان، حتى لحقوا بالجلال، وأتبعهم شيعة علي عليه السلام، وتداعت عليهم من كلّ جانب، وأصابوا منهم.

ومر [جارية] نحو بسر، وبسر يفرّ من جهة إلى جهة، حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلّها. فلما فعل ذلك به، أقام جارية بحرس نحواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه.

ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية، لسوء

سيرته وفضائله وظلمه وغشمه. وأصاب بنو تميم ثقلاً من ثقله في بلادهم.

فلما رجع بسر إلى معاوية قال: أحمد الله يا أمير المؤمنين، أني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهباً وجائياً، لم ينكب رجل منهم نكبة. فقال معاوية: الله فعل ذلك لا أنت. وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك، ثلاثين ألفاً، وحرّق قوماً بالنار.

قال: ودعا عليّ عليه السلام على بسر فقال: اللهم إن بسرّاً باع دينه بالدنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر، آثر عنده من طاعتك، اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك، ولا ساعة من النهار. اللهم ألعن بسرّاً وعمراً ومعاوية، وليحلّ عليهم غضبك، ولتنزل بهم نقمتك، وليصّبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين.

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيراً، حتى وسوس وذهب عقله. وكان يهذي بالسيف ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به. لا يزال يردد ذلك حتى اتّخذ له سيفاً من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة، فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات.

بيان:

[قال ابن الأثير] في [مادة «نخب من»] النهاية: فيه «بئس العون على الدين قلب نخيب، وبطن رغيب».

النخيب: الجبان الذي لا فؤاد له.

وقيل: الفاسد العقل.

قوله عليه السلام: «لا يعقب له حكم» تضمين لقوله تعالى: ﴿لا معقب لحكمه﴾.

وقال البيضاوي: أي لا رادّ له. وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال.

ومنه قيل لصاحب الحقّ: معقّب؛ لأنّه يقفو غريمه للاقتضاء. انتهى.

وأحسّست الرجل: أغضبته.

قوله عليه السلام «وأحفظ عن قاصيكم»؛ أي أذبّ وأدفع عن حريم من بعدّ وغاب.

قال في القاموس: المحافظة: الذّب عن المحارم. والحفيظة: الحميّة والغضب. وقال: قصي عنه: بعدّ، فهو قصيّ وقاص.

«والشّردات» لم يذكر في اللغة هذا الجمع والشرد: التفريق. وفي بعض النسخ: «سروات» [وهو] جمع سراة. [وهو] الطريق، أي وسطه. كناية عن جعلها خراباً خالية عن أهلها. وقال في القاموس: الجند بالتحريك: بلد باليمن. وقال: أرمّلوا، أي: نفد زادهم. وقال: الحفا: رقّة القدم. والخفّ والحافر. حفي يحفى حفّاً فهو حف وحاف. وقال: أعقب زيد عمراً: ركباً بالنوبة. وقال: تداعى العدو: أقبل.

أقول: وذكر الثّقفي في كتاب الغارات مفصّل القصص التي أوردناها محمّلة^(١).

وروي عن الوليد بن هشام، قال: خرج بسر من مكّة، وأسّعمل عليها شيبه بن عثمان، ثم مضى يريد اليمن، فلمّا جاوز مكّة رجع قُثم بن العباس إلى مكّة فغلب عليها.

وكان بسر إذا قرب من منزل، تقدّم رجل من أصحابه حتّى يأتي أهل الماء فيسلّم فيقول: ما تقولون في هذا المقتول بالأمس عثمان؟ فإن قالوا: قتل

(١) رواها الثّقفي رحمه الله في الحديث: (٢٤٠) وما بعده من تلخيص كتاب الغارات: ج ١، ص ٥٨٠.

مظلوماً. لم يعرض لهم. وإن قالوا كان مستوجباً للقتل. قال: ضعوا السلاح فيهم. فلم يزل على ذلك حتّى دخل صنعاء. فهرب منه عبيد الله بن العباس، وكان والياً لعليّ عليه السّلام عليها، وأستخلف عمر بن أراكة فأخذه بسر، فضرب عنقه. وأخذ أبني عبيد الله فذبحهما على درج صنعاء، وذبح في آثارهما مائة شيخ من أبناء فارس. وذلك؛ إنّ الغلامين كانا في منزل أمّ النعمان بنت بزرج، امرأة من الأبناء.

وبإسناده عن الكلبي ولوط بن يحيى، أنّ ابن قيس قدم على عليّ عليه السّلام فأخبره بخروج بسر، فندب [عليّ عليه السّلام] الناس فتتأقّلوا عنه، فقال:

أتريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفيافي والجبال؟ ذهب والله منكم أولوا النُهْي والفضل، الذين كانوا يُدعون فيجيئون، ويُؤمرون فيطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم، فلا أطلب بنصركم ما أختلف الجديدان.

فقام جارية بن قدامة فقال: أنا أكفيكمهم يا أمير المؤمنين، فقال [له أمير المؤمنين عليه السّلام] أنت لعمرى لميمون النقية، حسن النية، صالح العشيرة. وندب معه ألفين، وقال بعضهم: ألفاً وأمره أن يأتي بالبصرة ويضمّ إليه مثلهم.

فشخص جارية، وخرج معه [عليّ عليه السّلام] يشيّعه، فلمّا ودّعه قال:

أتق الله الذي إليه تصير، ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً، ولا تغصبن مالاً ولا ولداً ولا دابةً، وإن حفيت وترجلت، وصلّ الصّلاة لوقتها.

فقدم جارية البصرة، وضمّ إليه مثل الذي معه، ثم أخذ طريق الحجاز حتّى قدم اليمن. ولم يغصب أحداً، ولم يقتل أحداً إلّا قوماً ارتدّوا باليمن، فقتلهم وحرّقهم، وسأل عن طريق بسر، فقالوا: أخذ على بلاد بني تميم، فقال: أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم. فانصرف جارية فأقام بحرس.

قال إبراهيم: ومن حديث الكوفيين عن نمير بن وعلة عن أبي الودّاء قال: قدم زرارة بن قيس فخبّر عليّاً عليه السلام بالقدمة التي خرج فيها بسر، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، أيّها الناس! إنّ أوّل فرقتكم، وبدء نقصكم، ذهاب أولي النهى وأهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدّقون، ويقولون فيعدلون، ويدعون فيجيبون، وأنا والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهاراً وفي الليل والنهار، والغدو والآصال، فما يزيدكم دعائي إلّا فراراً وإدباراً. أما تنفّعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة؟! وإني لعالم بها يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أصلحكم بفساد نفسي، ولكن أمهلوني قليلاً، فكأنّكم والله بامرئ قد جاءكم، يحرمكم ويعذبكم، فيعذّبه الله كما يعذبكم.

إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك الدين، أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجلب، وأدعوكم وأنتم الأفاضلون الأخيار، وتدافعون، بما هذا بفعل المتقين^(١).

إن بسر بن أبي أرطاة وجّه إلى الحجاز، وما بسر لعنه الله؟! لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردّه عن سننه، فإنّما خرج في ستمائة أو يزيدون.

قال: فأسكت القوم مليّاً لا ينطقون.

فقال: ما لكم مخرسون لا تكلمون؟.

فذكر عن الحارث بن حصيرة، عن مسافر بن عفيف، قال: قام أبو بردة ابن عوف الأردني، فقال: إن سرت يا أمير المؤمنين، سرنا معك!! فقال: اللهم مالكم

(١) وقريباً منه جداً رواه أيضاً البلاذري في الحديث (٤٩٨) من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٤٥٨ ط ١. ورواه أيضاً الشيخ المفيد رحمه الله، في الفصل (٤٠) مما اختار من كلام أمير المؤمنين في كتاب الإرشاد، ص ١٤٥، ط النجف.

ما سدّتم لمقال الرشد [أ] في مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟! إنّنا يخرج في مثل هذا، رجلٌ مَن ترضون من فرسانكم وشجعانكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق الناس، ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى في فلوات وشغف الجبال، هذا والله الرأي السوء. والله لولا رجائي الشهادة عند لقاءهم، لو قد حم لي لقاءهم، لَقَرَّبْتُ رَكابي، ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوبٌ وشمال، فوالله إنّ فراقكم لراحة للنفس والبدن^(١).

فقام إليه جارية بن قدامة السعدي رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين، لا أعدمنا الله نفسك، ولا أرانا فراقك، أنا لهؤلاء القوم، فسرّحني إليهم.

قال: فتجهّز فإنّك ما علمت ميمون النقيبة.

وقام إليه وهب بن مسعود الخثعمي فقال: أنا أنتدب إليهم يا أمير المؤمنين، قال: فانتدب بارك الله فيك.

فنزّل [عليه السلام عن المنبر] ودعا جارية فأمره أن يسير إلى البصرة. فخرج منها في ألفين، وندب مع الخثعمي من الكوفة ألفين [و] قال لها: أخرجي في طلب بسر حتى تلحقاه، [و] أينما لحقتهما فناجزاه، فإذا التقيتهما، فجارية على الناس. فخرجنا في طلب بسر، وألتقيا بأرض الحجاز، فذهبا في طلب بسر.

وعن الحارث بن حصيرة، عن عبدالرحمن بن عبيد قال: لما بلغ عليّاً عليه السلام دخول بسر الحجاز، وقتله أبني عبيدالله بن العبّاس، وقتل عبدالله بن عبدالممدان ومالك بن عبدالله، بعثني بكتاب في إثر جارية بن قدامة، قبل أن يبلغه أنّ بسراً ظهر على صنعاء وأخرج عبيدالله منها وابن نمران، فخرجت بالكتاب حتى لحقت بجارية ففضّه فإذا فيه:

(١) ورواه الشريف الرضي رحمه الله، مع زيادة جيّدة في المختار (١١٩) من نهج البلاغة.

أما بعد، فإني بعثتك في وجهك الذي وجهت له، وقد أوصيتك بتقوى الله، وتقوى ربنا جماع كل خير، ورأس كل أمر، وتركت أن أسمي لك الأشياء بأعيانها، وإني أفسرها حتى تعرفها، سر على بركة الله، حتى تلقى عدوك، ولا تَحْتَقِرْ من خلق الله أحداً، ولا تسخرن بغيراً ولا حماراً، وإن ترجلت وحبست، ولا تستأثرن على أهل المياه بمياههم، ولا تشربن من مياههم إلا بطيب أنفسهم، ولا تسي مسلماً ولا مسلمة، ولا تظلم معاهداً ولا معاهدة، وصل الصلاة لوقتها، واذكر الله بالليل والنهار، واحملوا راجلكم، وتأسوا على ذات أيديكم وأغذ السير حتى تلحق بعدوك فتجليهم عن بلاد اليمن وتردهم صاغرين إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(١).

وعن فضيل بن خديج قال: كان وائل بن حجر عند علي عليه السلام بالكوفة، وكان يرى رأي عثمان، فاستأذن علياً عليه السلام ليذهب إلى بلاده، ثم يرجع إليه عن قريب، فخرج إلى بلاد قومه: وكان عظيم الشأن فيهم، وكان الناس بها أحزاباً، فشيعة ترى رأي عثمان، وأخرى ترى رأي علي عليه السلام. فكان وائل هناك، حتى دخل بسر صنعاء، فكتب إليه:

أما بعد، فإن شيعة عثمان ببلادنا شطر أهلها، فاقدم علينا فإنه ليس بحضرموت رجل يردك عنها: فأقبل إليها بسر بمن معه حتى دخلها، فزعم أن وائلاً استقبل بسراً، فأعطاه عشرة آلاف، وأنه كلمه في حضرموت. فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أن أقتل ربع حضرموت. قال: إن كنت تريد ذلك فاقتل عبد الله بن ثوبة؛ لرجل فهم، كان من المقاوله العظام. وكان له عدواً، في رأيه مخالفاً. فجاءه بسر حتى أحاط بحصنه، وكان بناءً معجباً لم ير في ذلك الزمان

(١) وقریباً منه جداً رواه اليعقوبي في أواخر سيرة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخه: ج ٢، ص ١٧٥، وفي ط ج ٢، ص ١٨٧. وفيه: «ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة...».

وفي الغارات: ولا تسب.

مثله، فدعاه إليه فنزل، وكان للقتل آمناً، فلما نزل، قال: أضربوا عنقه. قال له: أتريد قتلي؟ قال: نعم. قال فدعني أتوضأ وأصلي ركعتين. قال: افعل ما أحببت. فاغتسل وتوضأ، ولبس ثياباً بيضاء، وصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إنك عالم بأمرى. فقدم فضرب عنقه وأخذ ماله.

وبلغ علياً عليه السلام، مظاهرة وائل بن حجر شيعة عثمان، على شيعته، ومكاتبته بسراً، فحبس ولديه عنده.

وعن عبدالرحمن بن عبيد، أن جارية أغذ السير في طلب بسر، ما يلتفت إلى مدينة مر بها، ولا أهل حصن، حتى انتهى إلى بلاد اليمن، فهربت شيعة عثمان فلحقوا بالجمال، وأتبعه عند ذلك شيعة علي وتداعت عليهم من كل جانب وأصابوا منهم.

وخرج جارية في أثر القوم، وترك المدائن أن يدخلها، ومضى نحو بسر. فمضى بسر من حضرموت حين بلغه أن الجيش [قد] أقبل وأخذ طريقاً على الجوف، وترك الطريق الذي أقبل منه. وبلغ ذلك جارية فاتبعه حتى أخرجه من اليمن كلها، وواقعه في أرض الحجاز، فلما فعل ذلك به، أقام بحرس نجواً من شهر، حتى استراح وأراح أصحابه، وسأل عن بسر ف قيل إنه بمكة فسار نحوه.

ووثب الناس ببسر حين انصرف؛ لسوء سيرته، واجتنبه الناس بمياه الطريق، وفرّ الناس عنه لغشمه وظلمه.

وأقبل جارية حتى دخل مكة، وخرج بسر منها يمضي قبل اليمامة، فقام جارية على منبر مكة، وقال:

بايعتم معاوية؟ قالوا: أكرهنا. قال: أخاف أن يكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا: آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ قوموا فبايعوا. قالوا: لمن نبايع ربك الله، وقد هلك أمير المؤمنين عليه السلام، ولا ندري ما صنع الناس بعد؟ قال: وما عسى

أَنْ يَصْنَعُوا، إِلَّا أَنْ يَبَايَعُوا لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَوْمُوا فَبَايَعُوا. ثُمَّ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ شِيعَةُ عَلِيٍّ فَبَايَعُوا.

وخرج منها ودخل المدينة، وقد أصطلحوا على أَبِي هُرَيْرَةَ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَجِيءُ جَارِيَةٍ، تَوَارَى أَبُو هُرَيْرَةَ.

فجاء جارية وصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، وذكر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فصلَّى عليه، ثم قال:

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ وَلِدَ وَيَوْمَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ، وَيَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا، كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، عَاشَ بِقَدَرٍ، وَمَاتَ بِأَجَلٍ. فَلَا يَهْنَأُ الشَّامِتُونَ، هَلْكَ سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَفْضَلِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَبْنِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. أَمَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْ أَعْلَمَ الشَّامِتُ مِنْكُمْ، لَتَقَرَّبَتْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسَفْكَ دَمِهِ، وَتَعْجِيلِهِ إِلَى النَّارِ، قَوْمُوا فَبَايَعُوا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ. فَقَامَ النَّاسُ فَبَايَعُوا. وَأَقَامَ يَوْمَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا مِنْهَا مُنْصَرَفًا إِلَى الْكُوفَةِ، وَغَدَا أَبُو هُرَيْرَةَ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَرَجَعَ بَسْرَ فَأَخَذَ عَلَى طَرِيقِ السَّامَةِ حَتَّى أَتَى الشَّامَ.

قال: وأقبل جارية، حتى دخل على الحسن بن علي عليه السلام، فضرب على يده فبايعه وعزاه. وقال: ما يجلسك؟ سر يرحمك الله إلى غدوك قبل أن يسار إليك.

فقال: لو كان الناس كلهم مثلك، سرت بهم.

وعن القاسم بن الوليد، أَنَّ عبيد الله بن العباس، وسعيد بن نمران، قدما على علي عليه السلام، وكان عبيد الله عامله على صنعاء، وسعيد عامله على الجند، خرجا هاربين من بصر، وأصاب [بُسْر] ابني عبيد الله، لم يدركا الحنث، فقتلها.

قال: وكان أمير المؤمنين يجلس كلَّ يوم في موضع من المسجد الأعظم، يسبِّح به بعد الغداة إلى طلوع الشمس، فلما طلعت، نهض إلى المنبر، فضرب

بإصبعيه على راحته وهو يقول: ما هي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها [ثم أنشد]:
لعمر أبيك الخير يا عمرو أنني على وضر من ذا الإناء قليل
ومن حديث بعضهم: إنّه قال: إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك،
فقبّحك الله.

ثم قال: أيّها الناس! ألا إنّ بسراً قد أطلع اليمن وهذا عبيد الله بن
العباس، وسعيد بن نمران، قدما عليّ هارين، ولا أرى هؤلاء إلاّ ظاهرين
عليكم؛ لاجتماعهم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم، وطاعتهم لإمامهم،
ومعصيتكم لإمامكم، وأداءهم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم إيّاي، ولّيت فلاناً
فخان وغدر، واحتمل فيء المسلمين إلى مكّة، وولّيت فلاناً فخان وغدر، وفعل
مثلهما، فصرت لا أؤمنكم على علاقة سوط.

وإن ندبتكم إلى السيّر إلى عدوكم في الصّيف، قلتّم أمهلنا ينسلخ الحرّ
عنا، وإن ندبتكم في الشتاء، قلتّم أمهلنا ينسلخ القرّ عنا.

اللّهم إنّني قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم من هو
خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شرّ لهم مني. اللّهم أمث قلوبهم ميث الملح في
الماء^(١)

وعن عبد الله بن الحارث بن سليمان عن أبيه قال: قال عليّ عليه
السلام:

لا أرى هؤلاء القوم إلاّ ظاهرين عليكم بتفرّقكم عن حقّكم، واجتماعهم
على باطلهم، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعيّة، ويقسم بالسويّة، فاسمعوا له
وأطيعوا؛ فإنّ الناس لا يصلحهم إلاّ إمام برّ أو فاجر. فإن كان برّاً فللراعي
والرعيّة، وإن كان فاجراً عبدالمؤمن ربّه فيها، وعمل فيها الفاجر إلى أجله.

(١) وقريباً منه جداً، رواه الشريف الرضي رحمه الله في المختار: (٢٤) من كتاب نهج البلاغة.

[ألا] وإنكم ستعرضون بعدي على سبّي والبراءة منّي، فمن سبني فهو في حلّ من سبّي، ولا يتبرأ مني، فإنّ ديني الإسلام^(١).

وعن أبي عبد الرحمن السّلمي، أنّ الناس تلاقوا وتلاوموا، ومشت الشيعة بعضها إلى بعض، ولقي أشراف الناس بعضهم بعضاً، فدخلوا على عليّ عليه السلام، فقالوا: يا أمير المؤمنين، اختر منّا رجلاً، ثم أبعث معه إلى هذا الرجل جنداً، حتى يكفيك أمره، ومرنا بأمرك فيما سوى ذلك، فإنّك لن ترى منّا شيئاً تكرهه ما صحبتنا. قال: فإنّي قد بعثت رجلاً إلى هذا الرجل، لا يرجع أبداً حتى يقتل أحدهما صاحبه، أو ينفيه، ولكن أستقيموا لي فيما أمركم به، وأدعوكم إليه من غزو الشام وأهله.

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، واللّه لو أمرتنا بالسير إلى قسطنطينية، رومية، مشاة، حفاة، على غير عطاء ولا قوة، ما خالفتك أنا ولا رجل من قومي. قال: فصدقتم جزاكم الله خيراً.

ثم قام زياد بن حفصة، ووعلة بن مخدوع [و] قالوا: نحن شيعتك يا أمير المؤمنين، التي لا تعصيك، ولا تخالفك. فقال: أجل أنتم كذلك. فتجهّزوا إلى غزو الشام.

فقال الناس : سمعاً وطاعةً.

فدعا [أمير المؤمنين] معقل بن قيس الرياحي، وسرّحه في حشر الناس من السواد الى الكوفة، [فخرج معقل لافأأ أمره عليه السلام، وأمثل ما أمره

(١) وقريباً منه رواه البلاذري، مسنداً في الحديث: (٧٧) من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج١، ص ٢١٩، وفي ط١، ج ٢ ص ١١٩.

ورواه أيضاً السيّد الرضّي رحمه الله في المختار: (٥٥) من كتاب نهج البلاغة. وللحديث مصادر أخر يجدها الباحث في المختار: (٣٦٥) وما بعده من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٩٥ وما يليها.

به، ثم كرّ راجعاً إلى الكوفة، ولم يصل إليها] حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام^(١).

قال: وروى أنه اجتمع ذات يوم بسر وعبيد الله بن العباس عند معاوية، فقال ابن عباس لمعاوية: أنت أمرت هذا القاطع البعيد الرحم، القليل الرّحم بقتل أبني؟ فقال معاوية: ما أمرته ولا هويت. فغضب بسر، ورمى بسيفه وقال: قلدتني هذا السّيف، وقلت أخبط به الناس، حتى إذا بلغت من ذلك، قلت: ما هويت، ولا أمرت. فقال معاوية: خذ سيفك، إنك لعاجز حين تلقي سيفك بين يدي رجل من بني عبد مناف، [و] قد قتلت أبنيه. فقال ابن عباس: أراني كنت قاتله بهما؟ فقال ابن لعبيد الله: ما كنّا نقتل بهما إلّا يزيد وعبدالله أبني معاوية، فضحك معاوية وقال: ماذنب يزيد وعبدالله؟

بيان :

قال الجوهري: النقيبة: النفس. يقال: فلان ميمون النقيبة، إذا كان مبارك النفس. [و] قال ابن السّكيت: إذا كان ميمون الأمر، ينجح فيما حاول ويظفر. وقال ثعلب: إذا كان ميمون المشورة. انتهى.

وراع الثعلب روعاً: ذهب يُمَنَّةً ويسرّةً في سرعة وخديعة.

وسخره تسخيراً: كلّفه عملاً بلا أجره وكذلك تسخره.

والإغذاذ في السير: الإسراع.

وتداعت الحيطان للخراب، أي: تهدمت.

٩٠٢ - وقال ابن أبي الحديد: كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي

(١) الحديث رواه البلاذري بسياق أجود مما هنا في الحديث: (٥١٠) من ترجمة أمير المؤمنين عليه

السلام من أنساب الأشراف: ج ١، ص ٤٣٤، وفي ط ١: ج ٢ ص ٤٧٧.

٩٠٢ - رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٩) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٥٨، ط الحديث:

عليه السلام، حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به:

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من عقيل بن أبي طالب: سلام الله عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو:

أما بعد، فإن الله جارك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه، وعلى كلّ حال. إني خرجت إلى مكة معتمراً، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم. فقلت: إلى أين يا أبناء الشائنين، أبعادية تلحقون؟ عداوة الله منكم قديماً، غير مستنكر، تريدون بها إطفاء نور الله، وتبديل أمره. فأسمعي القوم، وأسمعتهم.

فلما قدمت مكة، سمعت أهلها يتحدثون: أن الضحّاك بن قيس، أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء، ثم أنكفأ راجعاً سالماً. فَأُفٍّ لِحَيَاةِ^(١) في دهر جرأ عليك الضحّاك، وما الضحّاك؟! ففَعَّ بِقِرْقَرٍ، وقد توهّمت حيث بلغني ذلك، أن شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا ابن أمي برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا متّ، فوالله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً، وأقسم بالأعزّ الأجلّ، أن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة، لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

بيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج ٢، ص ١١٨.

وهذا هو الحديث (١٥٧) من كتاب الغارات ص ٤٢٨.

وللكتاب وجوابه مصادر كثيرة، يجد الطالب كثيراً منها في ذيل المختار: (١٥٩) من باب

الكتاب من نهج السعادة: ج ٥، ص ٣٠٦ ط ١.

(١) هذا الصواب المذكور في غير واحد من المصادر.

وكان في أصل المصنف كما فسّره: «فإن الحياة في دهر...».

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى عقيل بن أبي طالب، سلام عليك،
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو:

أما بعد، كلاًنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد. قد
وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدّي، تذكر فيه أنك لقيت عبد الله
أبن [سعد بن] أبي سرح، مقبلاً من «قديد» في نحو من أربعين فارساً من أبناء
الطلقاء، متوجهين إلى جهة الغرب، وإن أين أبي سرح، طال ما كاد الله
ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله وبغاهها عوجاً، فدع ابن أبي سرح، ودع عنك
قريشاً وخلّهم وتركاضهم في الضلال وتجوّاهم في الشقاق.

ألا وإنّ العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم، اجتمعا على
حرب النبيّ صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه، وجحدوا
فضله وبادئوه العداوة، ونصّبوا له الحرب، وجهدوا عليه كلّ الجهد، وجروا إليه
جيش الأحزاب. اللهم فاجز قريشاً عني الجوازي؛ فقد قطعت رحمي، وتظاهرت
عليّ، ودفعتني عن حقّي، وسلّبتني سلطان ابن أمّي، وسلّمت ذلك إلى من ليس
مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتني في الإسلام، إلّا أن يدّعي مدّع ما لا
أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه، والحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ وأذلّ من
أن يلمّ بها، أو يدنو منها، ولكنّه قد كان أقبل في جريدة خيل، فأخذ على
الساواة، حتى مر بواقصة وشراف والقطقطانة، فما والى ذلك الصّقع^(١)، فوجّهت
إليه جنداً كثيراً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً، فأتبعوه، فلحقوه ببعض
الطريق، وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوش القتال
قليلاً كلا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفية، وولّى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة

(١) لعلّ هذا هو الصواب، وفي أصلي: «إلى الصّقع».

عشر رجلاً، بعدما أخذ منه بالمخنق، فلأياً بلأبي ما نجا.

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه: فإن رأيي جهاد المحلّين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس معي عزّة، ولا تفرّقهم عني وحشة؛ لأنّي محق، والله مع المحقّ. والله ما أكره الموت على الحقّ، وما الخير كلّ إلا بعد الموت، لمن كان محقّاً.

وأما ما عرضت به مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبنّ ابن أمّك - وإن أسلمه الناس - متخشعاً، ولا متضرّعاً، إنّه لكما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب
٩٠٣ - أقول : روى السيّد رضي الله عنه في النهج، بعض هذا

الكتاب هكذا:

فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك، شمر هارباً، ونكص نادماً. فلحقوه ببعض الطريق، وقد طُفّلت الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا، فما كان إلا كموقف ساعة، حتّى نجا جريضاً، بعدما أخذ منه بالمخنق، ولم يبق منه غير الرّمق، فلأياً بلأبي ما نجا.

فَدَعَ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجَوَّاهُمْ فِي الشَّقَاقِ، وَجَمَّاهُمْ فِي التَّبِيهِ، فَأَتَيْتُهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كَأَجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلِي. فَجَزَتِ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي فَقَدْ قَطَعُوا رَحْمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي.

وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال، فإن رأيي قتال المحلّين حتّى

الْقَى اللَّهَ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرِّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرَّعًا مُتَخَشِّعًا، وَلَا مُقْرَأً لِلضَّيْمِ وَاهِنًا، وَلَا سَلِسَ الزَّمَامَ لِلْقَائِدِ وَلَا وَطِئَ الظَّهْرَ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَعِدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ.

بيان :

قوله: «فقع بقرقر» لعله خبر «إِنَّ»^(١). وقوله «وما الضحاك» معترضة.

وقال الجوهري: الفَقْعُ: ضرب من الكماة. وكذلك الفقع بالكسر. ويشبهه به الرجل الذليل فيقال: هُوَ فَقَعٌ قَرَقَرٌ؛ لأنَّ الدَّوَابَّ تنجله بأرجلها. قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر.

حَدَّثُونِي بَنِي الشَّقِيقَةِ مَا يَمْنَعُ فَقْعًا بِقَرَقَرٍ أَنْ يَزُولَا
وقال: القرقر: القاع الأملس. والفواق بالفتح والضم: ما بين الحلبتين من الوقت. والتركاض والتجوال بفتح التاء فيهما: مبالغتان في الركض والجولان. والركض: تحريك الرجل، وركضت الفرس برجلي: حشته ليعدو، ثم كثر حتى قيل: ركض الفرس إذا عدا. والواو فيهما يشبه أن يكون بمعنى مع، ويحتمل العاطفة.

وأستعار لفظ الجماح، باعتبار كثرة خلافتهم للحق، وحركاتهم في تيه الجهل، والخروج عن طريق العدل، من قولهم: جمع الفرس إذا اعتزَّ راكبه وغلبه. ويحتمل أن يكون من جمع، بمعنى أسرع كما ذكره الجوهري.

وقوله عليه السلام: «فجزت قريشاً عني الجوازي»، الجوازي: جمع جازية، أي: جزت قريشاً عني بها صنعت كلَّ خصلة من نكبة، أو شدة، أو

(١) بناءً على ما كان في أصل المصنّف أعلى الله مقامه، والظاهر أنه من سهو الكاتب أو الراوي والصواب الموافق لمصادر وثيقة: «فأفّ لحياة...».

مصيبة، أي: جعل الله هذه الدّواهي كلّها، جزاء قريش بما صنعت.

وقال ابن أبي الحديد: «سلطان ابن أمّي»: يعني به الخلافة، وابن أمّه، هو رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّها أبنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم، أمّ عبد الله وأبي طالب، ولم يقل سلطان ابن أبي، لأنّ غير أبي طالب من الأعمام، تشركه في النسبة إلى عبد المطلب.

وقال الراوندي: يعني نفسه؛ لأنه ابن أمّ نفسه، ولا يخفى ما فيه.

وقيل: لأنّ فاطمة بنت أسد كانت تربيّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين كفله أبو طالب، فهي كالأمّ له.

ويحتمل أن يكون المراد «سلطان أخي»: مجازاً ومبالغة في تأكّد الأخوة التي جرت بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله، وإشارة إلى حديث المنزلة، وقوله تعالى حكايةً عن هارون: ﴿يَا أَبْنَأُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾ وقد مرّ بعض ما يؤيدّ هذا الوجه.

واقصة: موضع بطريق الكوفة، واسم مواضع أخرى. وشراف كقطام: موضع وماء لبني أسد أو جبل عال. وكغراب: ماء. والقطايط والقطقط والقطقطانة بضمّهما موضع الأصرة بالكوفة، كانت سجن النعمان بن المنذر.

[قوله عليه السلام: «فما والى ذلك» أي: قاربه. ويقال: أمعن الفرس، أي: تباعد في عدّوه. وقال الجوهري: تطفيل الشّمس: ميلها للغروب. والطفل بالتحريك: بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب. والإياب: الرجوع، أي: الرجوع إلى ما كانت عليه في الليلة التي قبلها. وقال الجوهري: آبت الشمس لغة في غابت. وتفسير الراوندي بالزوال بعيد.

وقال الجوهري: المناوشة: في القتال، وذلك إذا تدانى الفريقان. والتناوش: التناول.

قوله عليه السلام: «شيئاً كلا ولا»: قال ابن أبي الحديد: أي: شيئاً قليلاً كلا شيء. وموضع «كلا ولا». نصب؛ لأنّه صفة «شيئاً»، وهي كلمة يقال لما يستقصر جداً. والمعروف عند أهل اللغة «كلا وذا»، قال ابن هاني المغربي: وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا وذا وفي شعر الكميت:

كلا وكذا [تغميضة ثم هجتم] لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا]
وقد رويت في نهج البلاغة كذلك، إلّا أن في أكثر النسخ «كلا ولا»، ومن الناس من يروها «كلا ولات»، وهي حرف أجري مجرى «ليس»، ولا يجيء إلّا مع حين، إلّا أن يحذف في شعر. ومن الرواة من يروها «كلا ولأي». ولأي. فعل معناه: أبطأ.

وقال ابن ميثم: قوله عليه السلام «كلا ولا»، تشبيه بالقليل السريع الفناء، وذلك لأنّ «لا ولا» لفظان قصيران قليلان في المسموع، وأستشهد بقول ابن هاني.

أقول: ويحتمل أن يكون المعنى شيئاً كلا شيء، وليس بلا شيء، أو يكون العطف للتأكيد. والموقف هنا مصدر.

والمشرفية بالفتح: سيوف نسبت إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب.

وفي النهاية: الجرّضُ بالتحريك: أن تبلغ الروح الحلق. والإنسان جريض. وفي الصّحاح: الجرّضُ بالتحريك: الرّيق يغصّ به، يقال: جرض بريقه: ابتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد. والجريض: الغصّة. ومات فلان جريضاً أي مغموماً.

وقال: خنقه وأخنقه وخنّقه، وموضعه من العنق، مُخَنَّق. يقال: بلغ منه المخنّق، وأخذت بمخنّقه وخنّاقه أي: حلّقه.

وقال ابن ميثم: «لأياً» مصدر، والعامل محذوف. وما مصدرية في موضع الفاعل، والتقدير: فلأى لأياً نجاؤه، أي: عسر وأبطأ. وقوله: «بلأى» أي: مقروناً بلأى، أي: شدة بعد شدة.

وقال الكيدري: «ما» زائدة. وتقدير الكلام فنجا لأياً، أي: صاحب لأى، أي: في حال كونه صاحب جهد ومشقة متلبسة بمثلها، أي: نجا في حال تضاعف الشدائد.

وقال الراوندي: نصب «لأياً» على الظرف. وتفيد ما الزائدة في الكلام إبهاماً، أي: بعد شدة وإبطاء ونجا.

قوله عليه السلام: «قتال المحلّين» أي: البغاة. قال الجوهري: أحلّ، أي: خرج إلى الحلّ، أو من ميثاق كان عليه، ومنه قول زهير:

[جَعَلْنَا الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ] وكم بالقنّان من محلّ ومحرم وقال: أسلمه، أي: خذله.

قوله عليه السلام: «ولا مقرأً للضّيم» أي: راضياً بالظلم، صابراً عليه. والسلس: السهل، اللين المنقاد. «ولا وطئ الظهر» أي: متهاياً للركوب. ومقتعد البعير: راكبه. والصليب: الشديد.

٩٠٤- أقول: روى ابن أبي الحديد من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي، كما رأيته في أصل كتابه، روى بإسناده عن جندب الأزدي، عن أبيه قال: أوّل غارة كانت بالعراق، 'ة الضّحّاك بن قيس، بعد الحكمين، وقبل قتال النهروان؛ وذلك أنّ معاوية لمّا بلغه أنّ عليّاً عليه السلام بعد واقعة

٩٠٤- رواه إبراهيم الثقفي رحمه الله في الحديث: (١٥٢) وما بعده من كتاب الغارات: ج ١، ص ٤١٦ وما يليها من ط ١.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٢٩) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٥٤، الطبعة الحديثة ببירות.

الحكمين، تحمّل إليه مقبلاً هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى كور الشام، فصاح بها [فيها «خ ل»] أن عليّاً قد سار إليكم. وكتب إليهم نسخة واحدة، فقرئت على الناس؛ أمّا بعد، فإنّا كنّا كتبنا بيننا وبين عليّ كتاباً، وشرطنا فيه شروطاً، وحكمنا رجلين يحكمان علينا وعليه بحكم الكتاب، لا يعدوانه، وجعلنا عهد الله وميثاقه على من نكث العهد، ولم يمض الحكم، وإنّ حكمي الذي كنت حكّمته أثبتني، وإنّ حكمه خلعه، وقد أقبل إليكم ظالماً، «ومن نكث فإنما ينكث على نفسه» تجهّزوا للحرب، بأحسن الجهاز، وأعدّوا آلة القتال، وأقبلوا خفافاً وثقالاً وكسلاً ونشاطاً، يسرنا الله وإياكم لصالح الأعمال.

فاجتمع إليه ناس من كلّ كورة، وأرادوا المسير إلى صفّين، فاستشارهم فاختلّفوا في ذلك، فمكثوا يجيلون الرأي يومين أو ثلاثة، حتى قدمت عليهم عيونهم، أن عليّاً عليه السلام أختلف عليه أصحابه، ففارقته منه فرقة أنكرت أمر الحكومة، وأنّه قد رجع عنكم إليهم، فكبر الناس سروراً لانصرافه عنهم، وما ألقى من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاوية معسكراً في مكانه، حتّى جاء الخبر أن عليّاً عليه السلام، قد قتل أولئك الخوارج، وأنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل إليه بالناس، وأنهم استنظروه ودافعوه، فسرّ بذلك هو ومن قبله من الناس.

وعن عبدالرحمن بن مسعدة قال: جاءنا كتاب عمارة بن عقبة بن أبي معيط من الكوفة، ونحن معسكرون مع معاوية نتخوّف أن يفرغ عليّ من خارجته، ثم يقبل إلينا، وكان في كتابه: أمّا بعد فإنّ عليّاً خرج عليه عليه أصحابه ونسّاكهم، فخرج إليهم فقتلهم، وقد فسد عليه جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة وتفرّقوا أشدّ الفرقة، فأحببت إعلامك. والسّلام.

قال فقراه [معاوية] على أخيه وعلى أبي الأعور، ثم نظر إلى أخيه الوليد بن عقبة وقال: لقد رضي أخوك أن يكون لنا عيناً. قال: فضحك الوليد وقال:

إِنَّ فِي ذَلِكَ أَيْضاً لَنَفْعاً.

فعند ذلك دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما أستطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ، فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فاغر عليهما، وإذا أصبحت في بلدة، فأمس في أخرى، ولا تقيمنّ لخيّل بلغك عنها أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضحّاك لنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب، حتّى مرّ بالعلبيّة فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عُمَيْس بن مسعود الذهلي - وهو أبن أخي عبد الله بن مسعود - فقتله في طريق الحاجّ، عند القطقطانة، وقتل معه ناساً من أصحابه.

فصعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر وقال:

يا أهل الكوفة! اخرجوا إلى [العبد] الصالح عمرو بن عُمَيْس وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال:

والله لوددت أنّ لي بكلّ مائة منكم رجلاً منهم، وبحكم أخرجوا معي، ثم فرّوا عنيّ ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربّي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومعاناتكم ومقاساتكم ومداراتكم، مثل ما تدارى البكار العمدة، والثياب المتّهترة، كلّما خيطة من جانب، تهتكت على صاحبها من جانب آخر.

ثم نزل، فخرج يمشي حتّى بلغ الغريّين، ثم دعا حجر بن عدي الكندي فعقد له رايةً على أربعة آلاف، فخرج حجر حتّى مرّ بالسماوة وهي

أرض كلب، فلقي بها امرأ القيس بن عدي بن أوس الكلبي، وهم أصهار الحسين بن عليّ عليه السّلام، فكانوا أدلاءه في الطريق، وعلى المياه، فلم يزل مغدّاً في اثر الضحّاك، حتّى لقيه بناحية تدمر فواقعه؛ فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلاً، وحجز الليل بينهم، فمضى الضحّاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً، فكتب عقيل هذا الكتاب إليه عليه السّلام في إثر هذه الواقعة.

٩٠٥ - وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ذكر صاحب كتاب الغارات، أن النعمان بن بشير قدم هو وأبو هريرة على عليّ عليه السّلام من عند معاوية، بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية، ليقيدهم بعثمان. وإنما أراد أن يشهدا له عليه أهل الشام بذلك، وأن يظهر عذره، فلمّا أتياه عليه السّلام، وأدبا الرسالة، قال عليه السّلام للنعمان: حدّثني عنك أنت أهدى من قومك سبيلاً؟ يعني الانصار. قال: لا. قال: فكلّ قومك قد اتّبعتني، إلّا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة، فتكون أنت من الشّذاذ؟ فقال النعمان: أصلحك الله، إنّما جئت لأكون معك، وقد طمعت أن يجري الله تعالى بينكما صلحاً، فإذا كان غير ذلك رأيك، فإني ملازمك.

فأقام النعمان، ولحق أبو هريرة بالشام. وفر النعمان بعد اشهر منه عليه السّلام إلى الشام، فأخذه في الطريق مالك بن كعب الأرحبي، وكان عامل عليّ عليه السّلام بعين التمر، فتصرّع وأستشفع [له قرظة عند مالك بن كعب] حتى خلّى سبيله، وقدم على معاوية وخبر بما لقي ولم يزل معه.

فلما غزى الضحّاك بن قيس أرض العراق، بعث معاوية النعمان مع

٩٠٥-رواه إبراهيم النقفي رحمه الله في الحديث: (١٦٣) من كتاب الغارات ص ٤٤٥ ط ١.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٣٩) من كتاب نهج البلاغة: ج ١، ص ٤٨٤،

ط المدينة بيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج ٢، ص ٣٠٣

ألفي رجل وأوصاه أن يتجنّب المدن والجماعات، وأن لا يغير على مسلحة، وأن يعجل الرجوع، فأقبل النعمان حتّى دنا من عين التمر وبها مالك، ومع مالك ألف رجل، وقد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلّا مائة أو نحوها، فكتب مالك إلى عليّ عليه السلام، فصعد عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة! المنسر من مناسر أهل الشام، إذا أظّل عليكم انجحرتم في بيوتكم وأغلقتم أبوابكم، أنجاز الضّبة في جحرها، والضع في وجارها، الدليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أف لكم، لقد لقيت منكم ترحاً!! ويحكم يوماً أناجيكم، ويوماً أناديكم، فلا أحرار عند النداء^(١)، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله منيت بكم، صم لا تسمعون، بكم لا تعقلون، عمي لا تبصرون!! فالحمد لله رب العالمين، ويحكم أخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيك، فإنّ النّعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير، فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً.

ثم نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم، فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً. واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة أو دونها فقام عليه السلام فقال:

إلا إني منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبأ لكم، ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمّشكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام!!

(١) هذا هو الصواب الموافق لغير واحد من المصادر، وفي ط الكمباني من البحار: «فلا أجب عند النداء...».

دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتهم جرجرة الجمل الأسر، وتناقلتم تناقل النضو الأدبر، ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب كأنّها يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

ثم نزل فدخل منزله.

فقام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين عليه السلام. [ثم دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين] إنّ معي من طي ألف رجل لا يعصوني، فإن شئت أن أسير بهم سرت. قال: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن أخرج إلى النخيلة وعسكر بهم. فخرج [عدي] فعسكر وفرض عليّ عليه السلام لكلّ رجل منهم سبعمائة. فاجتمع إليه ألف فارس، عدا طيّاً أصحاب عدي. وورد عليه عليه السلام الخبر بهزيمة النعمان ونصرة مالك.

وروى عبد الله بن جوزة الأزدي قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان، وهو في ألفين وما نحن إلّا مائة؛ فقال لنا: قاتلوهم في القرية واجعلوا الجدر في ظهوركم، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واعلموا أن الله تعالى ينصر العشرة على المائة، والمائة على الألف، والقليل على الكثير. ثم قال: إنّ أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين قرظة بن كعب، ومخنف بن سليم، فاركض إليهما فأعلمهما حالنا، وقل لهما فليصرانا.

فمررت بقرظة فاستصرخته، فقال: إنّنا أنا صاحب خراج، وليس عندي من أغيبه به!! فمضيت إلى مخنف، فسّرح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً، وقاتل مالك وأصحابه، النعمان وأصحابه إلى العصر، فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم، واستقبلوا الموت، فلو أبطأنا منهم هلكوا، فما هو إلّا أن رأنا أهل الشام وقد أقبلنا عليهم، أخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون، ورأنا مالك وأصحابه، فشدّوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا

منهم رجالاً ثلاثة، فظنّ القوم أنّ لنا مدداً، وحال الليل بيننا وبينهم، فانصرفوا إلى أرضهم.

وكتب مالك إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّه نزل بنا النعمان بن بشير في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، وكان عظم أصحابي متفرّقين، وكنا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجالاً مصلتين، فقاتلناهم حتى المساء، واستصرخنا مخنف بن سليم، فبعث إلينا رجالاً من شيعة أمير المؤمنين وولده، فنعم الفتى، ونعم الأنصار كانوا، فحملنا على عدونا وشددنا عليهم، فأنزل الله علينا نصره، وهزم عدوه، وأعزّ جنده، والحمد لله رب العالمين، والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

وعن أبي الطّفيل قال، قال: عليّ عليه السلام: يا أهل الكوفة دخلت إليكم وليس لي سوط إلاّ الدرة، فرفعتموني إلى السوط، ثم رفعتموني إلى الحجارة، أو قال: الحديد، ألبسكم الله شيعاً، وأذاق بعضكم بأس بعض، فمن فاز بكم فقد فاز بالقدح الأخب.

وعن أبي صالح الحنفي قال: رأيت عليّاً عليه السلام يخطب، وقد وضع المصحف على رأسه، حتّى رأيت الورق يتقعقع على رأسه قال، فقال: اللهم قد منعوني ما فيه، فأعطني ما فيه، اللهم قد أبغضتهم وأبغضوني، ومللتهم وملّوني وحملوني على غير خلقي وطبيعتي وأخلاق لم تكن تعرف لي. اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني. اللهم أمث قلوبهم ميث الملح في الماء.

وعن سعد بن إبراهيم عن ابن أبي رافع قال: رأيت عليّاً عليه السلام قد ازدحموا عليه حتّى أدموا رجله، فقال: اللهم قد كرهتهم وكرهوني، فأرحني منهم، وأرحهم مني.

وروى محمد بن فرات الجرمي، عن زيد بن عليّ عليه السلام قال:

قال علي عليه السلام في هذه الخطبة:

أيها الناس! إنِّي دعوتكم إلى الحق فتوليتُم عني وضربتكم بالدرة فأعيتتموني. أما إنَّه سيليكُم بعدي ولاة لا يرضون منكم بذلك حتى يعذبونكم بالسياط والحديد، فأما أنا فلا أعذبكم بهما، إنَّه من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحلّ بين أظهركم، فيأخذ العمّال وعمّال العمّال رجل يقال له: يوسف بن عمر، ويقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت فانصروه، فانه داع إلى الحق.

قال: فكان الناس يتحدّثون أنّ ذلك الرجل هو زيد [عليه السلام]^(١) بيان :

أحشسته: أي أغضبته. والمستصرخ: المستنصر. والمتغوّث: القائل: واغوثاه. والثار: الدّم والطلب به، وقاتل حميمك. ذكره الفيروزآبادي.

والجرجرة: صوت يردّده البعير في جنجرته، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب. والسّرر: داء يأخذ البعير في سرّته، يقال منه: حمل أسرّ. والنضو: البعير المهزول. والأدبر: الذي به دبر وهي القروح في ظهره. والجنيد: تصغير الجند.

وقال السيّد الرضّي رضي الله عنه: «متذائب»: أي مضطرب، من قولهم: تذايبت الريح أي: اضطرب هبوبها، ومنه سمّي الذئب لاضطراب مشيه.

أقول : أورد السيّد في النهج قوله عليه السلام: «ألا إني منيت - إلى قوله - وهم ينظرون»^(٢)

(١) رواه الثّقفي رحمه الله في الحديث (١٦٥) من كتاب الغارات ص ٤٥٨، ورواه عنه ابن أبي الحديد في آخر المختار: (٣٩) من نهج البلاغة.

(٢) رواه السيّد الرضّي رحمه الله في المختار: (٣٩) من نهج البلاغة وأوله: «مُنيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت...».

٩٠٦ - وقال ابن أبي الحديد نقلاً من كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمد التقفي - ووجدته في أصل كتابه أيضاً - روى بإسناده عن عمرو بن محسن: أن معاوية لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر، بعث عبد الله بن عامر الحضرمي إلى أهل البصرة ليدعوهم إلى نفسه، وإلى الطلب بدم عثمان، فلما أتاهم وقرأ عليهم كتاب معاوية آختلفوا، فبعضهم ردّوا، وأكثرهم قبلوا وأطاعوا. وكان الأمير يومئذٍ بالبصرة، زياد بن عبيد، قد استخلفه عبد الله بن العباس، وذهب إلى عليّ عليه السلام يعزيه عن محمد بن أبي بكر، فلما رأى زياد إقبال الناس على ابن الحضرمي، استجار من الأزد ونزل فيهم، وكتب إلى ابن عباس وأخبره بما جرى؛ فرفع ابن عباس ذلك إلى عليّ عليه السلام، وشاع في الناس بالكوفة ما كان من ذلك، واختلف أصحابه عليه السلام فيمن يبعثه إليهم حمية فقال عليه السلام:

تناهوا أيها الناس، وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباعي والتهادي، ولتجتمع كلمتكم، وألزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الاخلاص التي هي قوام الدين، وحجة الله على الكافرين، وأذكروا إذ كنتم قليلاً مشركين متباغضين متفرقين فألف بينكم بالإسلام، فكثرتم واجتمعتم وتحاببتهم، فلا تفرقوا بعد إذ اجتمعتم، ولا تباغضوا بعد إذ تحاببتهم، وإذا رأيتم الناس وبينهم النائرة وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهمهم ووجوههم بسيوفكم، حتى يفرغوا إلى الله وكتابه وسنة نبيه، فأما تلك الحمية فإنها من خطوات الشياطين فانتهاوا عنها لا أباً لكم تفلحوا وتنجحوا.

٩٠٦ - القصة رواها التقفي رحمه الله في الحديث: (١٤٤) وتواليه من كتاب الغارات: ج ٢، ص ٣٧٣.

ورواها عنه ابن أبي الحديد في شرحه على المختار: (٥٥) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٦٢ ط الحديث بيروت، وفي ط مصر: ج ٤، ص ٤٥.

وما رواه المصنف عنها هاهنا هو تلخيص ما فيها وليس نصّ القصة.

ثم قال ابن أبي الحديد: وروى الواقدي أنّ عليّاً عليه السلام استنفر بني تميم أياً ما، لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي، ويردّ عادية بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد فخطبهم وقال:

ليس من العجب أن ينصرني الأزد ويخذلني مضر. وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، وخلاف تميم البصرة عليّ، وأن استنجد بطائفة منهم ما يشخص إليّ أحد منها فيدعوهم إلى الرشاد، فإن أجابت وإلاّ فالمنابذة والحرب. فكأنّي أخاطب صماً بكماً لا يفقهون حواراً، ولا يجيبون نداءً، كلّ ذلك جُبناً عن البأس وحباً للحياة.

[و] لقد كنّا^(١) مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدو.

ولقد كان الرجل منا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدوّنا ومرة لعدوّنا منا. فلمّا رأى الله صدقنا، أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه، ومتبوّئاً أوطانه. ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضر للايمان عود. وأيم الله لتحتلبنها دماً، ولتتبعنّها ندماً.

قال: فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي، فقال: أنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب، فأتكفل لك بقتل ابن الحضرميّ، أو إخراجه عن البصرة.

فأمره بالتهيؤ للشخص، فشخص حتى قدم البصرة.

رجعنا إلى رواية الثقفى، قال إبراهيم: فلمّا قدمها دخل على زياد وهو

(١) من قوله عليه السلام: «ولقد كنّا - إلى قوله - ولتتبعنّها ندماً» رواه السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (٥٥) من كتاب نهج البلاغة.

بالأهواز مقيم، فرحّب به وأجلسه إلى جانبه، فأخبره بما قال له عليّ عليه السلام، وإنّه ليكلّمه إذ جاءه كتاب من عليّ فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين، عليّ إلى زياد بن عبيد: سلام عليك، أما بعد، فإنّي قد بعثت أعين بن ضبيعة ليفرّق قومه عن ابن الحضرميّ، فأرقب ما يكون منه، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظنّ به، وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش، فهو ما نحّب، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانهذ بمن أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم، فإن ظفرت فهو ما ظننت، وإلاّ فطاوهم وماطلهم، فكأنّ كتاب المسلمين قد أظلت عليك، فقتل الله الظالمين المفسدين، ونصر المؤمنين المحقّين والسلام^(١).

فلما قرأه زياد، أقرأه أعين بن ضبيعة فقال له: إنّي لأرجو أن تكفي هذا الأمر إن شاء الله.

ثم خرج من عنده فأتى رحله، فجمع إليه رجالاً من قومه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا قوم على ماذا تقتلون أنفسكم، وتهريقون دماءكم على الباطل مع السّفهاء والأشرار؟ وإنّي والله ما جئكم حتّى عبأت إليكم الجنود، فإن تنيّبوا إلى الحقّ نقبل منكم، ونكفّ عنكم، وإن أبيتم فهو والله أستيصالكم وبواركم.

فقالوا: بل نسمع ونطيع فقال: انهضوا اليوم على بركة الله، فنهض بهم على جماعة ابن الحضرمي، فخرجوا إليه فصافّوه، وواقفهم عامّة يومه يناشدهم الله ويقول: يا قوم لا تنكثوا بيعتكم، ولا تخالفوا إمامكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم وخلافكم. فكفّوا عنه، وهم في ذلك يشتمونه.

(١) قريباً منه رواه السيّد الرضويّ رفع الله مقامه في المختار: (٤) من الباب الثاني من نهج البلاغة.

فانصرف عنهم وهو منهم منتصف فلما آوى إلى رحله، تبعه عشرة نفر يظنّ الناس أنّهم خوارج، فضربوه بأسيا فهم وهو على فراشه، لا يظنّ أن الذي كان يكون، فخرج يشتدّ عرياناً فلحقوه في الطريق فقتلوه.

فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام ما وقع. وكتب: إنّي أرى أن تبعث إليهم جارية بن قدامة، فإنّه نافذ البصيرة، ومطاع العشيرة، شديد على عدوّ أمير المؤمنين عليه السلام، فلما قرأ عليه السلام الكتاب، دعا جارية فقال: يا ابن قدامة تمنع الأزد عن عاملي وبيت مالي وتشاقني مضر وتنابذني، وبنا أبتدأها الله بالكرامة، وعرفها الهدى، وتدعو إلى المعشر الذين حادوا الله ورسوله وأرادوا إطفاء نور الله سبحانه حتى علت كلمته عليهم وأهلك الكافرين.

فروى إبراهيم بإسناده عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جارية من الكوفة في خمسين رجلاً من بني تميم، وما كان فيهم يمانى غيري، وكنت شديد التشيع، فقلت لجارية: إن شئت كنت معك، وإن شئت ملت إلى قومي. فقال: بل سر معي، فوالله لوددت أن الطير والبهائم تنصرني عليهم فضلاً عن الإنس.

فلما دخلنا البصرة، بدء بزياد فرحّب به وأجلسه إلى جانبه، وناجاه ساعة وسأله ثم خرج فقام في الأزد فقال: جزاكم الله من حيّ خيراً، ثم قرأ عليهم وعلى غيرهم كتاب أمير المؤمنين فإذا فيه:

من عبد الله أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم، أمّا بعد، فإنّ الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البيّنة، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة، ولكنّه يقبل التوبة، ويستديم الأناة، ويرضى بالإلانة، ليكون أعظم للحجة، وأبلغ في المعةزة.

وقد كان من شقاق جلكم أيها الناس، ما استحققتم أن تعاقبوا عليه، فغفوت عن مجرمكم، ورفع السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم، وأخذت

بيعتكم، فإن تفوا ببيعتي وتقبلوا نصيحتي وتستقيموا على طاعتي، أعمل فيكم بالكتاب وقصد الحق، وأقيم فيكم سبيل الهدى؛ فوالله ما أعلم أن والياً بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني، ولا أعمل. أقول قولي هذا صادقاً غير ذام لمن مضى، ولا منتقصاً لأعمالهم.

وإن خطت بكم الأهواء المردية، وسفه الرأي الجائر إلى مناذرتي تريدون خلافي، فهذا أنا ذا قَرَبْتُ جِيادِي، ورحلت ركايتي. وأيم الله لئن أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ، لَأَوْقَعَنَّ بَكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمَ الْجَمَلِ عِنْدَهَا إِلَّا كَلْعَقَةٌ لَاعِقُ، وَإِنِّي لَظَانٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا.

وقد قَدِّمْتُ هَذَا الْكِتَابَ حِجَّةً عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ كِتَابًا إِنْ أَنْتُمْ أَسْتَعِشَّسْتُمْ نَصِيحَتِي، وَنَابَذْتُمْ رَسُولِي، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الشَّائِخُ نَحْوَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قُرِئَ الْكِتَابُ عَلَى النَّاسِ، قَامَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْهَانَ فَقَالَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَنَحْنُ لِمَنْ حَارَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَرْبَ، وَلَنْ سَالِمَ سَلَمٍ. إِنْ كَفَيْتَ يَا جَارِيَةَ قَوْمَكَ بِقَوْمِكَ فَذَاكَ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نَنْصُرَكَ نَصْرَنَاكَ.

وَقَامَ وَجْهُ النَّاسِ فَتَكَلَّمُوا بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَلَمْ يَأْذَنْ [جَارِيَةَ] لِأَحَدٍ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ وَمَضَى نَحْوَ بَنِي تَمِيمٍ وَكَلَّمَهُمْ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، وَخَرَجَ مِنْهُمْ أَوْبَاشٌ فَنَافَسُوهُ بَعْدَ أَنْ شَتَمُوهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ وَالْأَزْدِ يَسْتَصْرِخُهُمْ [وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا إِلَيْهِ فَسَارَتِ الْأَزْدُ بِزِيَادٍ].

وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْحَضْرَمِيِّ فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، وَأَقْتَتَلَ شَرِيكَ بْنُ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِي، وَكَانَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَدِيقًا لَجَارِيَةَ [فَقَالَ لَهُ: أَلَا أَقَاتِلُ مَعَكَ عَدُوًّا؟] فَقَالَ: بَلَى. فَقَاتَلَهُمْ. [فَمَا لَبِثَ بَنُو تَمِيمٍ أَنْ هَزَمُوهُمْ وَأَضْطَرُّوهُمْ إِلَى دَارِ سَنْبَلِ السَّعْدِيِّ، فَحَصَرُوا أَبْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِيهَا، وَأَحَاطَ جَارِيَةَ وَزِيَادٌ بِالْأَدَارِ وَقَالَ جَارِيَةَ: عَلِيٌّ بِالنَّارِ. فَقَالَتِ الْأَزْدُ: لَسْنَا مِنَ الْحَرِيقِ فِي شَيْءٍ، وَهُمْ قَوْمُكَ]

وأنت أعلم. فحرّق جارية الدار عليهم، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً أحدهم عبدالرحمن بن عثمان القرشي. وسارت الأزد بزياد حتى أوطأوا قصر الامارة ومعه بيت المال، وقالت له: هل بقي علينا من جوارك شيء. قال: لا. فأنصرفوا عنه.

وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره، وأعانه من الأزد ففضّه واضطرّه إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله بينهما، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه، منهم من أحرق، ومنهم من ألقي عليه جدار، ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه، ومنهم من قتل بالسيف، وسلم منهم نفر ثابوا وتابوا فصفح عنهم وبعداً لمن عصى وغوى، والسّلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فلما وصل الكتاب قرأه عليه السلام على الناس فسرّ بذلك وسرّ أصحابه وأثنى على جارية وعلى الأزد وذمّ البصرة فقال: إنها أول القرى خراباً، إما غرقاً وإما حرقاً، حتى يبقى مسجدها كجوجوة سفينة^(١).

٩٠٧ - نهج: ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد أبتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام: قبّح الله مصقلة، فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد، فما أنطق مادحه حتى أسكته، ولا صدّق واصفه حتى

(١) وهذا الذيل قد تقدّم عن مصادر أخرى.

والحديث رواه الثقيفي رحمه الله تحت الرقم: (١٤٩) وما بعده من كتاب الغارات ج ١، ص

٤٠٢ - ٤١٠ ط ١.

٩٠٧ - رواه السيّد الرضوي رفع الله مقامه في المختار: (٤٤) من كتاب نهج البلاغة.

وللكلام مصادر أخرى يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٢٩٩) من كتاب نهج السعادة:

ج ٢ ص ٤٨٧ ط ١.

بكته، ولو أقام لأخذنا ميسوره وانتظرنا له وفوره.
بيان:

أقول قد مضى هذا الكلام ومضت قصته في أبواب أحوال الخوارج.
وقال الشَّراح: بنو ناجية ينسبون أنفسهم إلى قريش، وقريش تدفعهم عنه
وينسبونهم إلى ناجية، وهي أمهم، وقد عدّوا من المبغضين لعلي عليه السلام.

واختلف^(١) الرواية في سببهم، ففي بعضها أنه لما أنقضى أمر الجمل
دخل أهل البصرة في الطاعة غير بني ناجية، فبعث إليهم علي عليه السلام
رجلاً من الصحابة في خيل ليقاتلهم، فأتاهم وقال لهم: ما لكم عسكرتم وقد
دخل في الطاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا ونبايع، فأمرهم فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فلم نسلم. وخرجنا مع القوم الذين كانوا
خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرهاً فخرجنا معهم فهزموا، فنحن ندخل فيما دخل
الناس فيه، ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم. فقال: أعتزلوا، فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى فأسلمنا ولم يعجبنا الإسلام فرجعنا فنعطيك
الجزية كالنصارى. فقال لهم: توبوا وأرجعوا إلى الإسلام. فأبوا، فقاتل مقاتلهم
وسبى ذرارهم، فقدم بهم على أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي بعضها: أن الأمير من قبل علي عليه السلام كان معقل بن قيس،
ولما أنقضى أمر الحرب لم يقتل من المرتدين من بني ناجية إلا رجلاً واحداً ورجع
الباقون إلى الإسلام، واسترقّ من النصارى منهم الذين ساعدوا في الحرب
وشهروا السيف على جيش الإمام، ثم أقبل بالأسارى حتى مر على مصقلة بن
هيرة الشيباني، وهو عامل لعلي عليه السلام على أردشير خرة، وهم خمسمائة

(١) هكذا في الأصل، والصحيح: وأختلفت.

إنسان، فبكت إليه النساء والصبيان، وتصايح الرجال وسألوا أن يشتريهم ويعتقهم، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم. فأرسل إليه أمير المؤمنين أبا حرّة الحنفي ليأخذ منه المال، فأدّى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي فهرب إلى معاوية. ف قيل له عليه السلام: أردد الأسارى في الرق. فقال: ليس ذلك في القضاء بحق، قد عتقوا إذ أعتقهم الذي أشتراهم، وصار ما لي ديناً عليه.

أقول : فعلى الرواية الأولى كانوا من المرتدين عن الإسلام ولا يجوز سبي ذراريهم عندنا وعند الجمهور أيضاً، إلّا أنّ أبا حنيفة قال بجواز استرقاق المرأة المرتدة إذا لحقت بدار الحرب.

وأيضاً ما فيها من أنّه قدم بالأسارى إلى عليّ عليه السلام، يخالف المشهور من اشتراء مصقلة عن عرض الطريق وقد قال بعض الأصحاب: بجواز سبي البغاة، إلّا أنّ الظاهر أنّه مع إظهار الكفر والارتداد لا يبقى حكم البغي. والصحيح ما في الرواية الثانية من أنّ الأسارى كانت من النصارى.

[قوله:] «وخاس به»: أي: غدر وخاف. وخاس بالوعد: أي: أخلف. «وقبّحه الله»: أي: نحاه عن الخير. والسادة: جمع السيّد ويطلق على الرّب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمّل الأذى من قومه والرئيس والمقدم. قوله عليه السلام: «حتى أسكته» قيل: كلمة «حتى» تحتل أن تكون بمعنى اللّام، أي: أنّه لم ينطق مادحه ليقصد إسكاته بهر به، فإنّ إسكاته لو قصد لا يتصور إلّا بعد إنطاقه، وهو لم يتم فعله الذي يطلب به إنطاق مادحه، فكيف يقصد إسكاته بهر به؟ ويحتمل أن يكون المراد أنّه لسرعة إتباعه الفضيلة بالرديلة، كأنه جمع بين غايتين متنافيتين.

والتبكيك: التقرّيع والتعنيف والتوبيخ واستقبال الرجل بما يكره.

والميسور: ما تيسّر. وقيل هو مصدر على مفعول. وقيل: الغنى والسعة. والوفور بالضم مصدر وفر المال، ككرم ووعد، أي: تمّ وزاد. وفي بعض النسخ:

«موفوره» وهو الشيء التام، أي أنتظرنا حصول الموفور في يده. والغرض دفع عذره في الهرب وهو توهم التشديد عليه.

٩٠٨- نهج: ومن خطبة له عليه السلام:

اللَّهُمَّ أَيُّهَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِزَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النَّكُوصَ عَنْ نَصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ، الْمَغْنَى عَنْ نَصْرِهِ وَالْآخِذَ لَهُ بِذَنْبِهِ.
بيان :

قال ابن ميثم: هذا الفصل من خطبة كان يستنهض عليه السلام بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام، قاله بعد تقاعد أكثرهم عن معاوية.

و «ما» في «أَيُّهَا» زائدة مؤكدة. وفي وصف المقالة بالعادلة توسع. والنكوص: الرجوع قهقري. «فإننا نستشهدك»: أي: نسألك أن تشهد عليه. «ثم أنت بعد» أي بعد تلك الشهادة عليه.

٩٠٩- نهج: من كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد:

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمَمْلُوكُكُمْ فِي مَضَارِّ مَدُودٍ لَتَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ. فَشَدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ، وَأَطَوْا فَضُولَ الْخَوَاصِرِ؛ لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ! مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعِزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَحْمَى الظُّلُمَ لِتَذَاكِيرِ الْهَمِّ.
توضيح

الإستيداء: طلب الأداء. والأمر هو الملك والغلبة، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية.

والمضمار: مدة تضيير الفرس وموضعه. وفسّر بالميدان أيضاً. والمراد مدة التكليف والحياة أو دار الدنيا. والسبق بالفتح كما في النسخ: المصدر. وبالتحريك: ما يتراهن عليه. والضّيم راجع إليه سبحانه كالسّوابق، أو إلى المضمار.

والعقد: جمع العقدة بالضمّ، وهي موضع العقد. قال ابن أبي الحديد: أي: شَمّروا عن ساق الاجتهاد. ويقال لمن يوصى بالجدّ والتّشمير: أشدّد عقدة إزارك. لأنّه إذا شدّها كان أبعد من العثار وأسرع للمشي.

وقوله: «وأطوا فضول الخواصر»: نهى عن كثرة الأكل، لأنّ الكثير الأكل لا يطوي فضول خواصره، والقليل الأكل يأكل في بعضها ويطوي بعضها. إنتهى.

وقيل: من شرع في أمر بجدّ واجتهاد يطوي ما فضل من إزاره، ويلتف بقدميه في خاصرته، ويجعله محكماً فيها. فهذه أيضاً كناية عن الجدّ والاجتهاد. وقال الكيدري: وجدت في نسخة صحيحة «أطروا فضول الخواصر». والطر: الشقّ والقطع، أي: أقطعوا من ثيابكم ما فضل ويزاد على بدنكم. وهو كناية عن المبالغة في التّشمير عن ساق الجد. إنتهى.

والوليمة: طعام العرس أو كلّ طعام صنع لدعوة، والمعنى: إنّ العزيمة الجازمة تنافي الاشتغال بالملاذ، ولا تنال المطالب الجليلة إلّا بركوب المشاقّ.

«وما أنقض النوم لعزائم اليوم»: كثيراً ما يعزم الانسان في النهار على المسير والإرتحال في الليلة المستقبلية لتقريب المنزل، فإذا جاء الليل نام واستراح وشقّ عليه القيام، أي: ففاته ما عزم عليه من السير، أو المراد فوت ما عزم عليه من مهمات الأمور في يومه بنوم الليلة التي قبله.

«والتذاكير»: جمع التذكار بالفتح، وهو الذكر والحفظ للشيء. والمعنى ما

أكثر ما يهّم الإنسان ويعزم على السير بالليل، فإذا أدركته ظلمة الليل، نام ومال إلى الراحة ونسي ما عزم عليه، فانمحي واضمحلّ ما همّه.

٩١٠ - ٩١١ - كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي عن محمد بن إساعيل، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن أبي الودّاك: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما فرغ من حرب الخوارج، قام في الناس بنهران خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد، فإنّ الله قد أحسن بكم وأحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام.

فقاموا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا، وكلّت سيوفنا، ونصّلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، ارجع بنا إلى مصرنا نستعدّ بأحسن عدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عدّتنا عدّة من هلك منا، فإنّه أقوى لنا على عدونا. وكان الذي ولي كلام الناس يومئذٍ الأشعث بن قيس.

وعن إبراهيم بن العباس عن ابن المبارك البجلي [عن بكر بن عيسى] عن الأعمش عن المنهال بن عمرو [عن قيس بن السكن أنه] قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول ونحن بمسكن: يا معشر المهاجرين «أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين» [٢١/ المائدة: ٥] فبكوا [فتلكأوا «خ ل»] وقالوا: البرد شديد. وكان غزاتهم في البرد. فقال: إنّ القوم يجدون البرد كما تجدون. قال: فلم يفعلوا وأبوا، فلمّا رأى ذلك منهم قال: أفّ لكم، إنّها سنة جرت عليكم.

٩١٠- رواه الثقفي رحمه الله في الحديث (٦ - ٢٠) من كتاب الغارات: ج ١.

وكثيراً منها رواه ابن أبي الحديد - نقلاً عن نصر بن مزاحم - في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ١٧٩، وفي ط الحديثة ببيروت: ج ١، ص ٤١٠، وفي ط مصر: ج ٢ ص ١٩٣.

وسمعت أصحابنا عن أبي عوانة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السّكن قال: قال عليّ عليه السلام: «يا قوم أدخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا تردوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين» فاعتلّوا عليه فقال: أف لكم، إنّها سنّة جرت.

وعن إبراهيم بن العباس عن ابن المبارك عن بكر بن عيسى عن عمر ابن عمير الهجري عن طارق بن شهاب: أنّ عليّاً عليه السلام أنصرف من حرب النهروان، حتّى إذا كان في بعض الطّريق نادى في الناس فاجتمعوا، فحمد الله وأثنى عليه ورغبهم في الجهاد ودعاهم إلى المسير إلى الشام من وجهه ذلك، فأبوا وشكوا البرد والجراحات، وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراحات في الناس.

فقال: إنّ عدوّكم يألمون كما تألمون، ويحدّون البرد كما تجدون!! فأعيوه وأبوا، فلمّا رأى كراهيتهم، رجع إلى الكوفة وأقام بها أيّاماً وتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه، فممنهم من أقام يرى رأي الخوارج، وممنهم من أقام شاكّاً في أمرهم.

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير ابن وعلة عن أبي الودّاك قال: لما أكره عليّ الناس على المسير إلى الشام أقبل بهم حتّى نزل النخيلة، وأمر الناس أن ينزلوا معسكرهم، ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتّى يسيروا إلى عدوّهم.

وهذا الاسناد عن أبي الودّاك: أنّ الناس [أ] قاموا بالنخيلة مع عليّ عليه السلام أيّاماً، ثم أخذوا يتسلّلون ويدخلون مصر. فنزل وما معه من الناس إلّا رجال من وجوههم قليل، وترك المعسكر خالياً، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر!! فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة في استنفاره الناس^(١)

(١) قوله (في استنفاره الناس) هو عنوان لما يتلوه في الأصل من الأحاديث.

وعن محمد بن إسماعيل عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير العبسي قال: مرَّ عليّ عليه السلام على الشغار من همدان فاستقبله قوم فقالوا: أقتلت المسلمين بغير جرم، وداهنت في أمر الله، وطلبت الملك، وحكمت الرجال في دين الله؟ لا حكم إلّا لله. فقال عليه السلام: حكم الله في رقابكم، ما يحبس أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، إني ميت أو مقتول، بل قتلاً، ثم جاء حتى دخل القصر.

وعن إبراهيم بن قادم عن شريك عن شعيب بن غرقدة عن المستظل ابن حصين قال، قال عليّ عليه السلام: يا أهل الكوفة، والله لتجدن ولتقاتلن على طاعته، أو ليسوسنكم قوم أنتم أقرب إلى الحقّ منهم فليعذبنكم وليعذبنهم الله.

وعن محمد بن إسماعيل عن يزيد بن معدل^(١) عن ابن وعله عن أبي الودّاك قال: لما تفرّق الناس عن عليّ بالنخيلة ودخل الكوفة، جعل يستفزهم على جهاد أهل الشام حتى بطلت الحرب تلك السنة.

وعن زيد بن وهب أن عليّاً عليه السلام قال للناس وهو أوّل كلام له بعد النهروان وأمور الخوارج التي كانت فقالت:

يا أيّها الناس! أستعدّوا إلى عدوّ في جهادهم القربة من الله، وطلب الوسيلة إليه، حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، وموزعين بالكبر والجور، لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكعون في غمرة الضلال، فأعدّوا لهم ما أستطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على الله وكفى بالله وكيلًا، وكفى بالله نصيراً.

قال: فلم ينفروا ولم ينتشروا، فتركهم أيّاماً حتى أيس من أن يفعلوا،

(١) كذا في أصلي، وفي الغارات: زيد بن معد النمري.

ودعا رؤوسهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يشبطهم، فمنهم المعتل ومنهم المنكر وأقلهم النشيط، فقام فيهم ثانية فقال:

عباد الله! ما لكم إن أمرتكم أن تنفروا أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ثواباً؟ وبالدّل والهوان من العزّ خلفاً؟ وكلّمنا ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، يُرتجّ عليكم [حواري] فتبكون^(١)، فكأنّ قلوبكم مألوسة فأنتم لاتعقلون، وكأنّ أبصاركم كمه فأنتم لاتبصرون، لله أنتم! ما أنتم إلّا اسود الشرى في الدّعة، وشعالب رواغة حين تدعون، ما أنتم بركن يُضال به ولا زوافر عزّ يعتصم إليها.

لعمر الله لبئس حشاش نار الحرب أنتم. إنكم تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون. إنّ أخا الحرب اليقظان، أودى من غفل، ويأتي الدّل من وادع، غلب المتخاذلون والمغلوب مقهور ومسلوب.

أما بعد، فإنّ لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أأمركم.

وأما حقّكم^(٢) عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، والتوفير عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، فإنّ يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره، وترجعوا إلى ما أحبّ تنالوا ما تحبّون وتدرّكوا ما تأملون.

وعن الفضل بن دكين عن أبي عاصم الثقفي عن أبي عون الثقفي قال: جاءت امرأة من بني عميس [عبس «خ»] وعليّ عليه السلام على المنبر فقالت:

(١) كذا في الأصل المطبوع عدا ما وضعناه بين المعقوفين. وفي المختار: (٣٤) من نهج البلاغة:

«يُرتجّ عليكم حواري فتعمّهون». وفي الأصل المطبوع: فتبكون.

(٢) هذا هو الظاهر من السياق، وفي أصلي: «وإنّ حقّكم عليّ...».

يا أمير المؤمنين ثلاث بَلْبَلْنَ القلوب [عليك] قال: وما هنّ؟ قالت: رضاؤك بالقضية، وأخذك بالدينية، وجزعك عند البلية. قال: ويحك إنما أنت امرأة، انطلقى فاجلسى على ذلك. قالت: لا والله ما من جلوس إلا في ظلال السيوف.

وبإسناده عن بكر بن عيسى: أن علياً عليه السلام كان يخطب الناس ويخصّهم على المسير إلى معاوية وأهل الشام، فجعلوا يتفرّقون عنه، ويتشاقلون عليه ويعتّلون بالبرد مرّة وبالحرّ أخرى.

وبإسناده عن [قيس بن] أبي حازم قال: سمعت علياً عليه السلام يقول:

يا معشر المسلمين، يا أبناء المهاجرين! أنفروا إلى أئمة الكفر وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان، أنفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا!!!
فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة، إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً.

قال إبراهيم: وحدّثنا بهذا الكلام من قول أمير المؤمنين عليه السلام غير واحد من العلماء.

وعن إساعيل بن أبان الأزدي عن عمرو بن شمر عن جابر عن رفيع عن فرقد البجلي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ألا ترون يا معاشر أهل الكوفة؟ والله لقد ضربتكم بالدرة التي أعطى بها السفهاء فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسياط التي أقيم بها الحدود فما أراكم ترعون، فما بقي إلا سيفي، وإني لأعلم الذي يقوّمكم بإذن الله، ولكني لا أحبّ أن آتي تلك منكم.

والعجب منكم ومن أهل الشام، إن أميرهم يعصي الله وهم يطيعونه، وإن أميركم يطيع الله وأنتم تعصونه!

إن قلت لكم: أنفروا إلى عدوكم [في أيام الحرّ، قلت هذه حمارة القيظ^(١)]. وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء] قلتكم القرّ يمنعنا. أفترّون عدوكم لا يجدون القرّ كما تجدونه؟ ولكنكم أشبهتم قوماً قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أنفروا في سبيل الله فقال كباروهم: لا تنفروا في الحرّ. فقال الله لنبيّه: ﴿قل نار جهنم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾ [٨١ / التوبة: ٩].

والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صبيت الدنيا بحذافيرها على الكافر ما أحبّني؛ وذلك أنّه قضى فأنقضى على لسان النبي الأمّي: «أنّه لا يبغضك مؤمن ولا يحبك كافر» وقد خاب من حمل ظلماً وافترى^(٢).

يا معاشر أهل الكوفة، والله لتصبرنّ على قتال عدوكم، أو ليسلّطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحق منهم، فليعذبّنكم وليعذبّنهم الله بأيديكم أو بما شاء من عنده. أفمن قتلة بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش؟ فاشهدوا أي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله [يقول]: «موتة على الفراش أشدّ من ضربة ألف سيف أخبرني به جبرائيل» فهذا جبرائيل يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بها تسمعون.

وعن محرز بن هشام عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبيّ قال: كان أشرف أهل الكوفة غاشين لعلّي، وكان هواهم مع معاوية؛ وذلك ان عليّاً عليه السلام كان لا يعطي أحداً من الفياء أكثر من حقّه، وكان معاوية جعل الشرف في العطاء ألفي درهم.

وعن عبدالرحمان بن جندب عن أبيه: أنّ أهل دومة الجندل من كلب لم

(١) ما بين المعقوفين أخذناه من المختار: (٢٧) من نهج البلاغة.

(٢) ورواه أيضاً السيّد الرضّي في المختار: (٤٣) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

وانظر المختار: (٣٧٧) من نهج السعادة: ج ٢.

يكونوا في طاعة علي عليه السلام ولا معاوية، وقالوا: نكون على حالنا حتى يجتمع الناس على إمام. قال: فذكرهم معاوية مرةً فبعث إليهم مسلم بن عقبة فسألهم الصدقة وحاصرهم، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فبعث إلى مالك بن كعب فقال: استعمل علي «عين التمر» رجلاً وأقبل إلي. فولّاه عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي وأقبل إلى علي عليه السلام فسرّحه في ألف فارس، فما شعر مسلم بن عقبة إلا ومالك بن كعب إلى جنبه نازلاً، فتواقفا قليلاً ثم أقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل، حتى إذا كان من الغد صلى مسلم بأصحابه ثم أنصرف، وقام مالك ابن كعب إلى دومة الجندل يدعوهم إلى الصلح عشراً فلم يفعلوا، فرجع إلى علي عليه السلام^(١).

وبإسناده عن أبي الكنود عن سفيان بن عوف الغامدي قال: دعاني معاوية فقال: إني باعثك في جيش كثيف فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فاغر عليهم، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتى تغير على المدائن، ثم أقبل إلي واتق أن تقرب الكوفة، واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن، فكأنك أغرت على الكوفة، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترهب قلوبهم، وتجري كل من كان له فينا هوى منهم، ويرى فراقهم، وتدعو إلينا كل من كان يخاف الدوائر، وخرب كل ما مرت به، واقتل كل من لقيت ممن ليس هو على رأيك، وحرب^(٢) الأموال فإنه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب.

(١) وهذا رواه أيضاً البلاذري في الحديث: (٥٠٥) من ترجمة أمير المؤمنين: أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٤٦٧ ط ١.

ورواه الثقيفي مع التوالي في الحديث: (١٦٧) وتواليه من كتاب الغارات: ج ١، ص ٤٥٩ - ٥١٢ ط ١.

والتوالي رواه ابن أبي الحديد نقلاً عن كتاب الغارات في شرحه على المختار: (٢٧) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٣٥.

(٢) هذا هو الصواب، يقال: «حرب زيد عمراً حرباً» - على زنة نصر -: سلبه ماله وتركه بلا شيء.

قال : فخرجت من عنده وعسكرت، وقام معاوية وندب النّاس إلى ذلك، فما مرّت بي ثلاثة حتّى خرجت في ستّة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات فأسرعت السّير حتّى مررت بهيت، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها وما بها عريب^(١). كأنّها لم تحلل قطّ فوطئتها حتّى مررت بصندوداء، فتنافروا فلم ألق بها أحداً، فمضيت حتّى أفتتح الأنبار وقد أنذروا بي، فخرج إليّ صاحب المسلّحة فوقف لي، فلم أقدم عليه حتّى أخذت غلماناً من أهل القرية فقلت لهم: خبروني كم بالأنبار من أصحاب عليّ؟ قالوا: عدّة رجال المسلّحة خمسمائة، ولكنهم قد تبدّدوا ورجعوا إلى الكوفة ولا ندري الذي يكون فيها قد يكون مائتي رجل. قال: فنزلت فكتبت أصحابي كتاب، ثم أخذت أبعتهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلونهم واللّه ويصبرون لهم ويطاردونهم في الأزقة! فلمّا رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين ثم أتبعتهم الخيل، فلمّا مشى إليهم الرجال وحملت عليهم الخيل فلم يكن إلّا قليلاً حتّى تفرّقوا وقتل صاحبهم في رجال من أصحابه، فأتيناه في نيف وثلاثين رجلاً فحملنا ما كان في الأنبار من أموال أهلها ثم انصرفنا، فواللّه ما غزوت غزوة أسلم ولا أقرّ للعيون ولا أسرّ للنفوس منها، وبلغني واللّه أنّها أفزعت النّاس. فلمّا أتيت معاوية فحدّثته الحديث على وجهه قال: كنت واللّه عند ظني بك. قال: فواللّه ما لبثنا إلّا يسيراً حتّى رأيت رجال أهل العراق يأتون على الإبل هراباً من قبل عليّ عليه السّلام.

وعن جندب بن عفيف قال: واللّه إنّي لفي جند الأنبار مع أشرس بن حسان البكري، إذ صبحنا سفيان في كتاب تلّمع الأبصار منها، فها لونا واللّه، وعلمنا إذ رأيناها أنّه ليس لنا بهم طاقة ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرّقنا، فلم يلقهم نصفنا ولم يكن لنا بهم طاقة. وأيم الله لقد قاتلناهم ثم إنهم

فعمرو حريب. وفي أصلي: «وخرّب الأموال». وفي الغارات: وأحرب.

(١) يقال: ما بالدار مغرب أو عريب أي ما فيها أحد.

والله هزمونا، فنزل صاحبنا وهو يتلو ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ [٢٣ / الأحزاب: ٢٣] ثم قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفساً بالموت فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم فإن قاتلنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار.

ثم نزل في ثلاثين رجلاً قال: فهمت والله بالنزول معه ثم إن نفسي أبت واستقدم هو وأصحابي فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله، فلما قتلوا أقبلنا منهزمين.

وبإسناده عن محمد بن مخنف: أن سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار قدم عليّ من أهلها على عليّ عليه السلام فأخبره الخبر فصعد المنبر فقال: أيها الناس! إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، وهو مغتر لا يظنّ ما كان فاختر ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلا قوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا.

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلموا أو يتكلم متكلّم منهم بخير، فلما رأى صمتهم على ما في أنفسهم، خرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة، [والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من الأشراف] فقالوا: إرجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك. فقال: ما تكفوني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله فرجع وهو واجم كئيب.

ودعا سعيد بن مسلم الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وقال: إتبع هذا الجيش حتى تخرجهم من أرض العراق. فخرج على شاطئ الفرات في طلبه حتى إذا بلغ عانات، سرّح سعيد أمامه هانيء بن الخطّاب الهمداني فأتبع آثارهم حتى بلغ أداني أرض قنسرين وقد فاتوه ثم أنصرف.

قال فلبث عليّ عليه السلام ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم سعيد، فكتب كتاباً وكان في تلك الأيام عليلاً، فلم يطق القيام في الناس بكلّ ما أراد

من القول، فجلس بباب السّدة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فدعا سعيداً مولاه فدفع الكتاب إليه، فأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعيد حيث يسمع عليّ عليه السلام قراءته، وما يردّ عليه الناس، ثم قرأ الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي من المسلمين: سلام عليكم.

أمّا بعد، فالحمد لله ربّ العالمين وسلام على المرسلين، ولا شريك لله الأحد القيوم، وصلوات الله على محمّد والسّلام عليه في العالمين.

أمّا بعد، فإنّي قد عاتبتكم في رشدكم حتّى سئمت، وراجعتوني بالهزء من قولكم حتّى برمت هُزءاً من القول لا يعاد به، وخطلاً لا يعزّ أهله، ولو وجدت بدءاً من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت. وهذا كتابي يقرأ عليكم فردّوا خيراً وأفعلوه، وما أظنّ أن تفعلوا والله المستعان.

أيّها الناس! إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة... إلى آخر ما مرّ وسيأتي بروايات مختلفة.

ثم قال: فقام إليه رجل من الأزد يقال له: حبيب بن عفيف آخذاً بيد ابن أخ [له] يقال له: عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف، فأقبل يمشي حتّى استقبل أمير المؤمنين عليه السلام بباب السّدة، ثم جثا على ركبتيه وقال: يا أمير المؤمنين، ها أنا ذا لا أملك إلّا نفسي وأخي فمرنا بأمرك، فوالله لننفذن له ولو حال دون ذلك شوك الهراس وجرم الغضا حتّى ننفذ أمرك أو نموت دونه! فدعا لهما بخير وقال لهما: أين تبلغان بارك الله عليكما ممّا نريد.

ثم أمر الحارث الأعور فنادى في الناس أين من يشري نفسه لربّه، وبيع ديناهم! بأخترته، أصبحوا غداً بالرحبة إن شاء الله، ولا يحضرنا إلّا صادق النية في

المسير معنا والجهاد لعدونا. فأصبح بالرحبة نحو من ثلثائة، فلما عرضهم قال: لو كانوا ألفاً كان لي فيهم رأي.

قال: وأتاه قوم يعتذرون وتخلّف آخرون، فقال: وجاء المعذّرون وتخلّف المكذّبون.

قال: ومكث عليه السلام أياماً بادياً حزنه، شديد الكآبة، ثم إنّه نادى في الناس فاجتمعوا، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، أيها الناس فوالله لأهل مصركم في الأمصار، أكثر من الأنصار في العرب.

وساق الحديث إلى آخر ما سيأتي برواية ابن الشيخ في مجالسه عن ربيعة بن ناجد [في أواخر هذا الباب].

وعن أبي مسلم قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لولا بقية المسلمين هلكتم^(١).

وعن اسماعيل بن رجاء الزبيدي: أنّ عليّاً عليه السلام خطبهم بعد هذا الكلام فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم المتفرقة أهواؤهم، ما عزّ من دعاكم ولا أستراح من قاساكم. كلامكم يوهن الصمّ الصّلاب، وفعلكم يطعم فيكم عدوكم. إن قلت لكم: سيروا إليهم في الحر. قلت: أمهلنا ينسلخ عنا الحر. وإن قلت لكم: سيروا إليهم في الشتاء. قلت: حتّى ينسلخ عنا البرد. فعل ذي الدّين المطول، من فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب أصبحت لا أصدّق قولكم، ولا أطعم في نصركم، فرّق الله بيني وبينكم أيّ دار بعد داركم تمنعون؟! ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟! أما إنكم ستلقون بعدي أثرةً تتخذها عليكم الضّلال سنة، فقر

(١) رواه في الحديث: (١٧٤) وما بعده من كتاب الغارات: ج ٢، ص ٤٨٥ - ٤٩٢ ط ١.

يدخل في بيوتكم، وسيف قاطع، وتتمنون عند ذلك أنكم رأيتموني وقاتلتم معي وقتلتم دوني وكأن قد.

وعن بكر بن عيسى: أنهم لما أغاروا بالسواد، قام علي عليه السلام فخطب إليهم فقال:

أيها الناس ما هذا؟! فوالله إن كان ليدفع عن القرية بالسبعة نفر من المؤمنين تكون فيها.

وعن ثعلبة بن يزيد الحماني أنه قال: بينما أنا في السوق إذ سمعت منادياً ينادي الصلاة جامعة، فجئت أهرول والناس يهرعون، فدخلت الرحبة فإذا علي عليه السلام على منبر من طين مجصص وهو غضبان، قد بلغه أن ناساً قد أغاروا بالسواد، فسمعته يقول: أما ورب السماء والأرض ثم رب السماء والأرض، إنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله أن الأمة ستغدر بي.

وعن المسيّب بن نجبة الفزاري أنه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: إنّي قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم بطاعتهم إمامهم ومعصيتكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، وبصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وباجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم حتى تطول دولتهم وحتى لا يدعو الله محرماً إلاّ استحلّوه، حتى لا يبقى بيت وبر ولا بيت مدرٍ إلاّ دخله جورهم وظلمهم حتى يقوم الباكيان، باك يبكي لدينه وباك يبكي لدينه، وحتى لا يكون منكم إلاّ نافعاً لهم أو غير ضارّ بهم وحتى يكون نصرة أحدكم منهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه وإذا غاب سيّبه، فإن أتاكم الله بالعافية فاقبلوا وإن أبتلاك فاصبروا فإن العاقبة للمتقين^(١)

(١) وهذا هو الحديث: (١٧٨) من كتاب الغارات: ج ٢، ص ٤٨٩. وقريباً منه جداً رواه الطبراني في الحديث: (٣٦) من ترجمة الإمام الحسين من المعجم الكبير: ج ١/ الورق ١٢٥. ورواه بسنده عنه ابن عساكر في الحديث: (١٨٦) من ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من

وعن يحيى بن صالح عن أصحابه: أنَّ عليّاً عليه السلام ندب الناس عندما أغاروا على نواحي السّواد، فانتدب لذلك شرطة الخميس، فبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ثمَّ وجَّههم فساروا حتّى وردوا تخوم الشام، وكتب عليّ عليه السلام إلى معاوية:

إنَّك زعمت أنَّ الذي دعاك إلى ما فعلت الطُّلب بدم عثمان، فما أبعد قولك من فعلك. ويحك، وما ذنب أهل الذمّة في قتل أبْن عفّان؟! وبأيّ شيء تستحل أخذ فيء المسلمين؟! فانزع ولا تفعل واحذر عاقبة البغي والجور. وإنما مثلي ومثلك كما قال بلعاء لدريد بن الصمة:

مهلاً دريد عن التّسرع إنني	ماضي الجنان بمن تسرّع مُولع
مهلاً دريد عن السّفاهة إنني	ماضٍ على رغم العداة سُمّيدع
مهلاً دريد لا تكن لا قيتني	يوماً دريد فكلّ هذا يصنع
وإذا أهانك معشر أكرمهم	فتكون حيث ترى الهوان وتسمع

فأجابه معاوية: أمّا بعد، فإنّ الله أدخلني في أمر عزلك عنه نائياً عن الحق، فنلت منه أفضل أمني، فأنا الخليفة المجموع عليه ولم تصب مثلي ومثلك، إنّما مثلي ومثلك كما قال بلقاء حين صولح على دم أخيه ثم نكث فعنفه قومه فأنشأ يقول:

ألا آذنتنا من تدلّلها ملس	وقالت: أما بيني وبينك من بلس
وقالت: ألا تسعى فتدرك ما مضى	وما أهلك الحانون والقدهح الضرس ^(١)
أتأمرني سعد وليث وجندع ^(٢)	ولست براض بالدنيئة والوكس

تاريخ دمشق ج ١٣، ص ١٤٦، ط ١.

(١) في الغارات: العانون. وهو جمع عاني: الأسير. والقدهح: التآكل في الشجر والأسنان وغيرها. والضرس: اشتداد الزمان.

(٢) وفي الأصل: وحذح.

يقولون: خذ وكساً^(٣) وصالح عشيرةً فما تأمرني بالهموم إذا أمسي قال جندب بن عبد الله الوائلي: كان علي عليه السلام يقول: أما إنكم ستلقون بعدي ثلاثاً: ذلاً شاملاً، وسيفاً قاتلاً، وأثرةً يتخذها الظالمون عليكم سنةً، فستذكروني عند تلك الحالات فتمنّون لو رأيتموني ونصرتموني وأهرقتم دماءكم دون دمي فلا يبعد الله إلا من ظلم.

وكان جندب بعد ذلك إذا رأى شيئاً مما يكرهه قال: لا يبعد الله إلا من ظلم.

وعن عمرو بن قعين^(١) قال: دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي فقال: إني مسرّ إليك سرّاً فلا تطلعن على سرّي أحداً حتى تخرج من أهل الشام كلها، إني باعثك إلى أهل الله وإلى حرم الله وأهلي وعشيرتي وبيضي التي انفلقت عني، وفيها جلّ من قتل عثمان وسفك دمه، فسِرْ على بركة الله حتى تنزل مكة فإنك الآن تلاقي الناس هناك بالموسم، فادع الناس إلى طاعتنا وأتباعنا فإن أجابوك فاكفف عنهم وأقبل منهم، وإن أدبروا عنك فنادهم وناجزهم ولا تقاثلهم حتى تبلغهم أني قد أمرتك أن تبلغ عني، فإنهم الأصل والعشيرة وإني لاستبقائهم محبّ ولاستيصالهم كاره ثم صلّ بالناس وتولّ أمر الموسم.

فقال له يزيد: إنك وجّهتني إلى قوم الله ومجمع الصالحين، فإن رضيت أن أسير إليهم وأعمل فيهم برأيي وبما أرجو أن يجمعك الله وإياهم به سرت إليهم، وإن كان لا يرضيك عني إلا الغشم وتجريد السيف وإخافة البريء وردّ العذرة فلست بصاحب ما هناك، فاطلب لهذا الأمر غيري.

(١) الوكس: النقصان والخسّة. وفي الغارات: «عقلاً». والعقل الدية. وفيها أيضاً: يأمروني.

(٢) رواه الثقيفي رحمه الله في كتاب الغارات بعنوان: غارة يزيد بن شجرة الرهاوي، وفيه: عن

جابر بن عمرو بن قعين.

فقال له: سر راشداً فقد رضيت برأيك وبسيرتك، وكان رجلاً ناسكاً يتأله وكان عثمانياً وكان ممن شهد مع معاوية صفين.

فخرج [أبن شجرة] من دمشق مسرعاً وقال: اللهم إن كنت قضيت أن يكون بين هذا الجيش الذي وجهت، وبين أهل حرمك الذي وجهت إليه قتال فأكفنيه، فإنني لست أعظم قتال من شرك في قتل عثمان خليفتك المظلوم ولا قتال من خذله ولكني أعظم القتال في حرمك الذي حرمت.

فخرج يسير وقدّم أمامه الحارث بن نمير، فأقبلوا حتى مروا بوادي القرى ثم أخذوا على الجحفة ثم مضوا حتى قدموا مكة في عشر ذي الحجة.

وعن عباس بن [سهل بن] سعد الأنصاري قال: لما سمع قثم بن العباس بدُنُوهم منه قبل أن يفصلوا من الجحفة وكان عاملاً لعلي عليه السلام على مكة، فقام في أهل مكة وذلك في سنة تسع وثلاثين، فحمد الله وأثنى عليه ودعاهم إلى الجهاد وقال:

يبنوا لي ما في أنفسكم ولا تغروني. فسكت القوم ملياً فقال: قد بينتم لي ما في أنفسكم. فذهب لينزل فقام شيبة بن عثمان فقال: رحمك الله أيها الأمير لا يقبح فينا أمرك ونحن على طاعتنا وبيعتنا وأنت أميرنا وأبن عم خليفتنا فإن تدعنا نجيبك فيما أطقنا ونقدر عليه.

فقرّب [قثم] دوابه وحمل متاعه وأراد التنحي من مكة، فأتاه أبو سعيد الخدري وقال: ما أردت؟ قال: قد حدث هذا الأمر الذي بلغك وليس معي جند أمتنع به، فرأيت أن أعتزل عن مكة فإن يأتي جند أقاتل بهم، وإلا كنت قد تنحيت بدمي. قال له: إنني لم أخرج من المدينة حتى قدم علينا حاج أهل العراق وتجّارهم يخبرون أن الناس بالكوفة قد ندبوا إليك مع معقل بن قيس الرياحي. قال: هيهات هيهات يا أبا سعيد إلى ذلك ما يعيش أولادنا. فقال له أبو سعيد: رحمك الله فما عذرك عند ابن عمك، وما عذرك عند العرب انهزمت قبل أن تطعن وتضرب؟! فقال: يا أبا سعيد إنك لا تهزم عدوك ولا تمنع حريمك

بالمواعيد والأمانى إقرأ كتاب صاحبي فقرأه أبو سعيد فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى قثم بن العباس: سلام عليك. أما بعد، فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يخبرني أنّه قد وجّه إلى الموسم ناس من العرب، من العمي القلوب، الصّمّ الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلبسون الحقّ بالباطل، ويطيعون المخلوقين في معصية الخالق، ويجلبون الدنيا بالدين، ويتمنّون على الله جوار الأبرار، وإنّه لا يفوز بالخير إلّا عامله، ولا يجزي بالسيء إلّا فاعله

وقد وجهت إليكم جمعاً من المسلمين ذوي بسالة ونجدة مع الحسيب الصليب الورع التقيّ معقل بن قيس الرّياحي، وقد أمرته باتباعهم وقصّ آثارهم حتى ينفيههم من أرض الحجاز. فقم على ما في يديك مما إليك مقام الصليب الحازم المانع سلطانه الناصح للأمة، ولا يبلغني عنك وهن ولا خور وما تعتذر منه، ووطن نفسك على الصبر في البأساء والضراء، ولا تكوننّ فشلاً ولا طائشاً ولا رعديداً والسلام.

فلما قرأ أبو سعيد الكتاب قال قثم: ما ينفعني من هذا الكتاب وقد سمعت بأن قد سبقت خيلهم خيله؟ وهل يأتي جيشه حتّى ينقضي أمر الموسم كلّهُ؟

فقال له أبو سعيد: إنك إن أجهدت نفسك في مناصحة إمامك خرجت من اللائمة، وقضيت الذي عليك من الحقّ، فإنّ القوم قد قدموا وأنت في الحرم، والحرم حرم الله.

فأقام قثم وجاء يزيد بن شجرة حتّى دخل مكّة، ثم أمر منادياً فنادى في الناس ألا إنّ الناس كلّهم آمنون، إلّا من عرض لنا في عملنا وسُلطاننا وذلك قبل التروية بيوم.

فلما كان ذلك مشت قريش والأنصار ومن شهد الموسم من الصحابة وصلحاء الناس فيها بينها وسألتهما أن يصطلحا، فكلاهما سرّه ذلك الصلح، فأما قثم فإنه لم يثق بأهل مكة ولا رأى أنهم يناصحونه، وأما يزيد فكان رجلاً متنسكاً وكان يكره أن يكون منه في الحرم شرّ.

وعن عمرو بن محصن قال: قام يزيد بن شجرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل الحرم ومن حضره فإني وجهت إليكم لأصلي بكم وأجمع وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقد رأيت والي هذه البلدة كره الصلاة معنا ونحن للصلاة معه كارهون فإن شاء اعتزلنا الصلاة بالناس واعتزلها وتركنا أهل مكة يختارون لأنفسهم من أحبوا حتى يصلي بهم فإن أبي فأنا أبي وآبى والذي لا إله غيره لو شئت لصليت بالناس وأخذته حتى أردته إلى الشام وما معه من يمنعه ولكن والله ما أحب أن أستحل حرمة هذا البلد الحرام.

قال: ثم إن يزيد بن شجرة أتى أبا سعيد الخدري فقال: رحمك الله الق هذا الرجل فقل له لا أب لغيرك اعتزل الصلاة بالناس واعتزلها ودع أهل مكة يختاروا لأنفسهم فوالله لو أشاء لبعثك وإياهم ولكن والله ما يحملني على ما تسمع إلا رضوان الله واحترام الحرم فإن ذلك أقرب للتقوى وخير في العاقبة. قال له أبو سعيد: ما رأيت من أهل المغرب أصوب مقالاً ولا أحسن رأياً منك.

فانطلق أبو سعيد إلى قثم فقال: ألا ترى ما أحسن ما صنع الله لك وذكر له ذلك فاعتزلا الصلاة واختار الناس شعبة بن عثمان فصلى بهم.

فلما قضى الناس حجّهم رجع يزيد إلى الشام، وأقبلت خيل علي عليه السلام فأخبروا بعود أهل الشام، فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى، فظفروا بنفر منهم وأخذوهم أسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا إلى أمير المؤمنين، ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية^(١)

(١) وقصة يزيد بن شجرة ذكرها أيضاً البلاذري - ولكن أوجز مما هنا - في الحديث: (٥٠٢) من

وقال إبراهيم: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الكوفة:

ما أرى هؤلاء القوم - يعني أهل الشام - إلا ظاهرين عليكم. قالوا: تعلم بهذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أرى أمورهم قد غلت، وأرى نيرانكم قد خبت، وأراهم جادّين وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم طائعين وأراكم لي عاصين.

وأيّم الله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي، كأني أنظر إليهم قد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم فيئكم.

وكأني أنظر إليكم يكشّ بعضكم على بعض كشيخ الضباب، لا تمنعون حقّاً ولا تمنعون لله حرمة، وكأني أنظر إليهم يقتلون قرأكم. وكأني بهم يجرمونكم ويحبسونكم ويدنون أهل الشام دونكم، فإذا رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السيف، تندمتم وتحزّنتم على تفريطكم في جهادكم، وتذكرتم ما فيه من الحفظ حين لا ينفعكم التذكار.

وعن عبدالرحمن بن أبي بكر قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت. ثم بكى.

توضيح: في النهاية: فيه «كأن في جوفي شوكة الهراس» هو شجر أو بقل ذو شوكة. وفي القاموس: الهراس كسحاب: شجر شائك ثمره كالنبق. انتهى.

[قوله عليه السلام:] «وكأن قد» هذا من قبيل الإكتفاء أي: وكأن قد وقع هذا الأمر عن قريب. والسّميدع بالفتح: السّيد الموطوء الأكتاف. ذكره الجوهري. وقال: ضرس السهم إذا أعجمته. والوكس: النقص قوله: «إلى ذلك

ما يعيش أولادنا» هذا استبطاء للجيش أي: يأتي المدد بعد أن قتلنا وأولادنا.

٩٣١ - نهج: أما بعد، فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنَّة، فتحه الله

تعالى لخاصَّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنَّته الوثيقة. فمن تركه ألبسه الله لباس الذلِّ، وشمله البلاء، وديث بالصَّغار والقباء، وضرب على قلبه بالإسداد، وأدبل الحقَّ منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النَّصف.

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قطَّ في عُقر دارهم إلاَّ ذلوا. فتواكلتم وتحاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها.

ولقد بلغني أنَّ الرَّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعائها، ما تمتنع منه إلاَّ بالاسترجاع والإسترحام، ثمَّ انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم. فلو أنَّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً.

فيا عجباً عجباً، والله يमित القلب، ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرَّقكم عن حقِّكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغفرون، وتغزؤون ولا تغزون، ويعصى الله فيكم وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرِّ، قلت: هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحرِّ. وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت: هذه صبارة القرِّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد. كلَّ هذا فرار من الحرِّ والقرِّ، فإذا كنتم من الحرِّ والبرد تفرّون، فأنتم والله من

السّيف أفرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال،
لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة. واللّه جرّت ندماً وأعقت ذمّاً.

قاتلكم اللّه، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتوني
نغب التّهام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتّى قالت قريش:
إنّ أبني طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب.

للّه أبوهم، وهل أحد منهم أشدّها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟! ولقد
نهضت فيها وما بلغت العشرين، فها أنا ذا قد ذرّفت على السّتين، ولكنّه لا رأي
لن لا يطاع.

٩٣٢ - كا: أحمد بن محمّد بن سعيد عن جعفر بن عبد اللّه العلوي
وأحمد بن محمد الكوفي عن عليّ بن العبّاس عن إسماعيل بن إسحاق، جميعاً
عن فرج بن قرّة عن مسعدة بن صدقة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن
السلمي عنه عليه السلام مثله.

بيان :

قال ابن ميثم وغيره: هذه الخطبة مشهورة، ذكرها أبو العبّاس المبرد
وغيره^(١)، والسّبب المشهور لها، أنّه ورد عليه علع من الأنبار فأخبره أن سفيان
بن عوف الغامدي قد ورد في خيل معاوية إلى الأنبار، وقتل عامله حسن بن
حسن البكري، فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال:

إنّ أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار فاندبوا إليهم حتّى تلاقوهم،

٩٣٢- رواه ثقة الإسلام الكليني رفع اللّه مقامه في الحديث (٦) من الباب (١) من كتاب الجهاد
في الكافي ج ٥ ص ٤.

(١) ذكرها المبرد في أوائل كتاب الكامل ص ١٩، ولها مصادر أخرى، مستندة في المختار: (٣١٢) من
نهج السعادة: ج ٢ ص ٥٤٠.

فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا. ثم سكت رجاء أن يجيئوه بشيء، فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة والناس يمشون خلفه، حتى أحاط به قوم من أشرافهم وقالوا: ترجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك.

فقال: ما تكفوني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى ردّوه إلى منزله.

فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية آلاف في طلب سفيان، فخرج حتى أنتهى إلى أداني أرض قنّسرين ورجع.

وكان عليه السلام في ذلك الوقت عليلاً لا يقوى على القيام في الناس بما يريده من القول، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر، ودعا سعيداً مولاه فدفع إليه كتاباً كتب فيه هذه الخطبة، وأمره أن يقرأه على الناس بحيث يسمع ويسمعونه.

وفي رواية المبرّد أنّه لما انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار وقتل حسان، خرج مغضباً يجرّ رداءه حتى أتى النخيلة ومعه الناس ورقاً رباوة من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم ذكر الخطبة.

ولنرجع إلى الشرح والبيان:

قوله عليه السلام: «باب من أبواب الجنة» روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: للجنة باب يقال له باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم.

وفي الكافي: «لخاصّة أوليائه، وسوّغهم كرامة منه لهم، ونعمة ذخرها، والجهاد لباس التقوى» فقوله عليه السلام: «نعمة» عطف على «باب» أو على «كرامة».

قوله عليه السلام: «وهو لباس التقوى» أي: به يتقى في الدّنيا من غلبة

الأعادي، وفي الآخرة من النار، أو هو يدفع المضارّ عن التقوى ويحرسها، أو عن أهلها بحذف المضاف، وكونه تأويلاً لقوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾ يحتاج إلى تكلف ما. «ودرع الله» أي: درع جعلها الله لحفظ عباده. والمراد: درع الحديد وهي مؤنثة وقد تذكر. و «الحصينة»: الواقية. والجنّة بالضم. كلّ ما وقاك واستترت به. والوثيقة المحكمة.

«فمن تركه» في الكافي: «رغبة عنه» أي: كراهة له بغير علّة.

[قوله عليه السلام: «لباس الذلّ» الإضافة للبيان.

قوله عليه السلام: «وشمله البلاء»: ربما يقرأ بالتاء وهي كساء يغطى به، والفعل أظهر كما هو المضبوط.

قوله عليه السلام: «وديّث بالصغار» أي: ذلّل كما مرّ والصغار: الذلّ والضم. والقماء ممدوداً الذلّ والصغار. ورواه الراوندي مقصوراً وهو غير معروف. وفي الكافي: «القماء».

قوله عليه السلام: «وضرب على قلبه بالإسداد» قال الفيروزآبادي: وضربت عليه بالسّداد: سدّت عليه الطرق، وعميت عليه مذهبها. وفي بعض النسخ «بالإسهاب»، يقال: أسهب الرجل على البناء للمفعول إذا ذهب عقله من أذى يلحقه.

«وأدبل الحقّ منه» أي يغلب الحقّ عليه فيصيبه الوبال لترك الحقّ كقوله [عليه السلام] في الصحيفة [السّجّادية]: «أدلّ لنا ولا تدلّ منا». والإدالة: الغلبة. والباء في قوله بتضييع الجهاد للسّببية.

وقال في [مادة خسف من] النهاية في حديث عليّ عليه السلام: «من ترك الجهاد ألبسه الله الذلّ وسيم الخسف» الخسف: النقصان والهوان وأصله أن تحبس الدّابة على غير علف، ثم استعير موضع الهوان. وسيم: كلف وألزم.

«ومنع النصف» أي: لا يتمكن من الانتصاف والانتقام.

وعقر الشيء: أصله ووسطه. وتواكل القوم: اتكل بعضهم بعضاً وترك الأمر إليه.

وتخاذلوا، أي: خذل بعضهم بعضاً.

[قوله عليه السلام:]

«وشنت» أي: فرقت. قال ابن أبي الحديد: ما كان من ذلك متفرقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة فهو بالشين المعجمة، وما كان إرسالاً غير متفرق فبالسين المهملة.

وكلمة «على» في «ملكت عليكم» تفيد الاستعلاء بالقهر والغلبة، أي: أخذوا الأوطان منكم بالقهر.

«وأخو غامد» هو سفيان بن عوف الغامدي.

«والأنبار» بلد قديم من بلاد العراق.

وحسان: من أصحابه عليه السلام كان والياً عليه.

والمسالح: جمع المسلحة وهي الحدود التي يرتب فيها ذؤو الأسلحة لدفع العدو كالثغر.

والحجل بكسر الحاء وفتحها: الخلخال. والقلب بالضم: السوار المصمت. والرعاث: جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين وفتحها وهي القرط. والرعاث أيضاً: ضرب من الحلي والخرز.

والإسترجاع قول: إنا لله وإنا إليه راجعون وقيل: ترديد الصوت في البكاء. والاسترحام: مناشدة الرحم، أي قول: أنشدك الله والرحم. وقيل: طلب الرحم وهو بعيد.

قوله عليه السلام: «وافرين» أي تأمين، يقال: وفر الشيء أي تمّ. ووفّرت الشيء: أي: أتممته. وفي رواية المبرّد «موفورين» بمعناه. والكلم: الجراحة.

قوله عليه السلام: «فيا عجباً» أصله يا عجبي، أي: احضر هذا أوانك. «وعجباً» منصوب بالمصدرية، أي: أيّها الناس، تعجبوا منهم عجباً. والقسم معترض بين الصفة والموصوف. و«الترح» محرّكة ضدّ الفرح. «وحمارة القيظ» بتشديد الرّاء: شدّة حرّه وربّما خفّفت للضرورة في الشعر. «وصبارة الشتاء» بتشديد الرّاء: شدّة برده.

وفي القاموس: تسبّخ الحرّ: فتر وسكن كسبخ تسبيخاً. والحلوم: جمع الحلم بالكسر وهو الإناءة والعقل.

و«ربات الحجال»: النساء، أي صواحبها أو اللاتي ربين فيها.

وفي بعض النسخ بنصب «الحلوم والعقول» ففي الكلام تقدير، أي: يا ذوي حلوم الأطفال، وذوي عقول النساء. وفي بعضها بضمها أي: حلومكم حلوم الأطفال، وعقولكم عقول النساء.

قوله عليه السلام: «معرفة» يمكن أن يكون فعله محذوفاً، أي: عرفتكم معرفة. «أعقب ذمّاً» أي: ذمي أياكم أو أياها. وفي بعض النسخ «سدماً» وهو بالتحريك الهم أو مع ندم أو غيظ. و«مقاتلة الله» كناية عن اللعن والابعاد. و«القيح»: الصديد بلا دم.

قوله عليه السلام: «وشحنتم» أي ملأتم. و«الغب»: جمع غبة وهي الجرعة. و«التهمام» بفتح التاء: الهمّ. «أنفاساً» أي جرعة جرعة.

قوله عليه السلام: «لله أبوهم» كلمة مدح، ولعلّها استعملت هنا للتعجب. و«المراس» بالكسر: العلاج. والضائير الثلاثة للحرب وهي مؤنثة وقد

تذكر.

قوله عليه السلام: «ذرفت» بتشديد الراء أي: زدت.

[٩٣٣- نهج: و] من خطبة له عليه السلام:

أيها الناس! المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس: كيت و كيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياء.

ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا أستراح قلب من قاساكم. أعاليل بأضاليل دفاع ذي الدين المطول. لا يمنع الظيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجدّ.

أي دار بعد داركم تمنعون! ومع أي إمام بعدي تقاتلون! المغرور والله من غررقوه ومن فاز بكم [فقد] فاز [- والله -]. بالسهم الأخبب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت - والله - لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم.

ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبّكم؟ القوم رجال أمثالكم. أقولاً بغير علم؟ وغفلةً من غير ورع؟ وطمعاً في غير حق!

٩٣٤ - شأ: [و] من كلامه عليه السلام في استبطاء من قعد عن

نصرته:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم [وساق الخطبة الشريفة] إلى قوله وفعلكم

٩٣٣- رواه السيّد الرضّي رفع الله مقامه في المختار: (٢٩) من كتاب نهج البلاغة.

٩٣٤- رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الفصل (٤١) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٤٦.

يُطمع فيكم عدوكم المرتاب».

[ثم ساقها] إلى قوله: «سألتُموني التأخير دفاع ذي الدين».

[ثم ساق الكلام] إلى قوله: «أطمع في نصرتكم فرّق الله بيني وبينكم، وأبدلي بكم من هو خير لي منكم».

والله لوددت أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم، صرف الدينار بالدرهم.

بيان :

قال الشّراح لما سمع معاوية اختلاف النّاس على عليّ عليه السلام، وتفرّقهم عنه، وقتله من قتل من الخوارج، بعث الضّحّاك بن قيس في أربعة آلاف وأوعز إليه بالنّهب والغارة، فأقبل [الضّحّاك] يقتل وينهب حتّى مرّ بالثّعلبية وأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، وقتل عمرو بن عُميس بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وقتل معه ناساً من أصحابه، فلمّا بلغ ذلك عليّاً عليه السلام، استصرخ أصحابه واستشارهم إلى لقاء العدو، فتلكّأوا ورأى منهم فشلاً، فخطبهم بهذه الخطبة.

والوهي: الضّعف. وهي الحجر والسّقاء - كوقي -: أي: أنشقّ. وأوهاه: شقّه. والصّمّ والصلاب من أوصاف الحجارة. والصّخرة الصّماء التي ليس فيها صدع ولا خرق. و«كيت وكيت» كناية عن القول.

قوله عليه السلام: «حيدي حياء» قال ابن أبي الحديد: هي كلمة يقولها الهارب الفارّ، وهي نظير قولهم: فيحي فياح أي أتسعي.

وقال ابن ميثم: حياء: اسم للغارة، والمعنى: إعدلي عنا أيّتها الحرب.

ويحتمل أن يكون حياء من أسماء الأفعال كنزال فيكون قد أمر بالتّخّي مرتّين بلفظين مختلفين.

أقول: قسم السيّد الرّضي رحمه الله صيغة «فعال» المبنيّ إلى أربعة أقسام، وعدّ منها ما كانت صفةً للمؤنث غير لازمة للنداء، وعدّ من هذا القسم «حياد وفياح» وقال: [معنى] حيدي حياد: أي أرجعي يا راجعة. وجعل حذف حرف النّداء عن «حياد» وأمّثالها دليلاً على أنّها أعلام للأجناس، وحينئذ لا يكون «حياد» اسماً للغارة ولا بمعنى الأمر، وهي وأمّثالها مبنية على الكسر.

والعزة: الغلبة والشدة وفي الإسناد إلى الدّعوة توسّع.

[قوله عليه السلام: «ولا استراح»: أي ما وجد الراحة. و «قاساه»: كابد. والباء في قوله عليه السلام: «بأضاليل» متعلّقة بـ «أعاليل»: أي يتعلّلون بالأضاليل التي لا جدوى لها.

وقال ابن ميثم رحمه الله: «أعاليل واضاليل»: جمع أعالل واضلال، وهما جمع علّة اسم ما يتعلّل به من مرض وغيره. وضلّة: اسم الضلال وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: إذا دعوتكم إلى القتال تعلّلتهم، وهي أعاليل باطلة ضلّة عن سبيل الله.

قوله عليه السلام: «دفاع» قال ابن ميثم: يحتمل أن يكون تشبيهاً لدفاعهم بدفاع ذي الدين المطول، فيكون منصوباً بحذف الجار. ويحتمل أن يكون استعارةً لدفاعهم ليكون مرفوعاً.

و «المطول»: كثير المطال، وهو تطويل الوعد وتسويفه. و «الضيم»: الظلم.

قوله عليه السلام: «أيّ دار بعد داركم» أي: دار الإسلام أوالعراق، أي: إذا أخرجكم العدو عن دياركم ومساكنكم فعن أيّ دار أو في أيّ دار تمنعونهم؟ وفي بعض النسخ: «تتّعون» على التفعّل بحذف إحدى التائين، أي: بأيّ دار تنتفعون.

[قوله عليه السّلام:] «المغرور»: أي: الكامل الغرور. أوليس المغرور إلا من غرّرتوه. والتعبير عن الإبتلاء بهم بالفوز على التّهكّم.

وقال ابن ميثم: و «الأخيب»: أشدّ خيبةً وهي الحرمان. و «السهم الأخيب»: التي لا غنم لها في الميسر، كالثلاثة المسماة بالأوغاد، أو التي فيها غرم، كالثي لم تخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة. ويكون إطلاق الفوز على حصولها مجازاً من باب إطلاق أحد الضدّين على الآخر.

و «الأفوق»: السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه. و «الناصل»: الذي لا نصل فيه. والايعاد والوعيد في الشرّ غالباً كالوعد والعدة في الخير. وعدم الإيعاد إمّا لعدم الطمع في نصرهم، أو لعدم خوف العدو منهم. والبال: الحال والشان.

قوله عليه السّلام: «ما طبّكم»: أي ما علاجكم. وقيل: أي: ما عادتكم. قوله عليه السّلام: «أقولاً بغير علم»: نصب المصادر بالأفعال المقدّرة وقولهم بغير علم [هو] قولهم: «إنّا نفعل بالخصوم كذا وكذا» مع أنّه لم يكن في قلوبهم إرادة الحرب، أو دعواهم بالإيمان والطاعة مع عدم الإطاعة، فكأنّهم لا يدعون بها يقولون.

وفي بعض النسخ: «أقولاً بغير عمل» وهو أظهر. و «غفلة»: أي عمّا يصلحكم. «من غير ورع» يحجزكم عن محارم الله وينبّهكم عن الغفلة.

وفي بعض النسخ: «وعفة من غير ورع، وطمعاً في غير حقّ» [و] لعلّ عليه السّلام كان علم أنّ سبب تسويف بعضهم، [هو] طمعهم في أن يعطيهم زيادةً على ما يستحقّونه كما فعل معاوية والخلفاء قبله.

٩٣٥- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام: أفِّ لكم! لقد سئمت عتابكم. أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذلّ من العزّ خلفاً! إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم؛ كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. يُرتج عليكم حوارى فتعمهون؛ فكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيّس اللبالي، وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر عزّ يفتقر إليكم. ما أنتم إلّا كإبل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب أنتشرت من آخر.

لبئس - لعمر و الله - سعر نار الحرب أنتم! تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون. لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون [لا هون «خ»] غلب والله المتخاذلون.

وأيم الله، إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوغاء، واستحرّ الموت، قد أنفرجتم عن ابن أبي طالب أنفراج الرأس من الجسد.

والله إن امرءً يمكن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه، وهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة يطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

أيّها الناس! إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حقّ.

فأما حقّكم [عليّ] فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا [تعلموا «خ»].

وأما حقّي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم.

بيان :

رُوي أنّه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج،
بالنّهْوان فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد فإنّ الله تعالى قد أحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى
عدوّكم من أهل الشام.

فقالوا له: قد نفدت نبالنّا، وكلّت سيوفنا، ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح
عُدّتنا، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به.

فأجابهم: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا
ترتّدوا على أدباركم فتتقلبوا خاسرين﴾ [٢١/ المائدة: ٥]. فتلكأوا عليه وقالوا:
إنّ البرد شديد. فقال [لهم]: إنّهم يجدون البرد كما تجدون، ثمّ تلا قوله تعالى
﴿قالوا: يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها
فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّنا هاهنا قاعدون﴾ [٢٢/ المائدة: ٥].

فقام ناس منهم وأعتذروا بكثرة الجراح في الأناس، وطلبوا [منه] أن
يرجع بهم إلى الكوفة أيّاماً ثمّ يخرج [بهم].

فرجع بهم غير راضٍ [بما اقترحوا] وأنزلهم النخيلة، وأمرهم أن يلزموا
معسكرهم، ويقولوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا ودخلوا الكوفة حتّى لم يبق معه إلّا
قليل، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب النّاس فقال:

أيّها النّاس! أستعدوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله، ودرك
الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه، موزعين بالجور والظلم لا
يعدلون به، و جُفأة عن الكتاب، نكب عن الدّين، يعمهون في الطّغيان،
ويتسكّعون في غمرة الضّلالة، فأعدّوا لهم ما أستطعنم من قوّة ومن رباط الخيل،

وتوكلوا على الله وكفى بالله كيلاً. فتركهم أياماً ثم خطبهم بهذه الخطبة.^(١)

و «أف» بالضم والتشديد والتنوين: كلمة تضجر وتكره، ولغاتنا أربعون^(٢)، منها: كسر الفاء كما في بعض النسخ.

و [قوله عليه السلام: «عوضاً» و «خلفاً» نصبها على التميز. ودوران أعينهم: إمّا للخوف من العدو، أو للحيرة والتردد بين مخالفته عليه السلام والإقدام على الحرب، وفي كليهما خطر عندهم.

والغمرة: الشدة. وغمرات الموت: سكراته التي يغمر فيها العقل. والسكر - بالفتح - : ضدّ الصحو، والاسم بالضمّ. وسكرة الموت: شدته وغشيته. وفي الكلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم﴾ ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت.﴿

«يرتج عليكم حواري»: أي يغلق عليكم محاورتي ومخاطبتي. والألس: الجنون واختلاط العقل، يقال: ألس فهو مألوس.

[و] «سجيس الليالي»: كلمة يقال للأبد، تقول: لا أفعله سجيس الليالي، أي: أبداً. [و] «ييال بكم»: أي يستند إليكم ويبال بكم إلى العدو، أو الباء بمعنى إلى.

وزوافر الرجل: أنصاره وعشيرته. وزفرت الحمل: حملته. و [لفظة] «زوافر» في أكثر النسخ بالجرّ عطفاً على المجرور. وفي بعضها بالنصب عطفاً على الظرف.

(١) جميع ما ذكره المصنّف هاهنا تقدّم بأسانيد في الحديث: (٧٥٦) وما بعده في ص ٦٧٨ من ط الكمباني.

(٢) وتفصيلها في حرف الفاء من القاموس وتاج العروس.

وهذه الأقوال كلّها ذكرها كمال الدين البحراني في شرحه على المختار: (٣٤) من كتاب نهج البلاغة: ج ٢، ص ٨٠ ط بيروت.

والإبل: أسم للجمع. [و] «ضَلَّ رُعاتها»: أي ضاع وفقد من يعلم حالها والحيلة في جمعها، أو لم يهتد من يرعاها إلى طريق جمعها.

«لبئس لعمر و الله»: اللّام جواب القسم، والتكرير للتأكيد، والعمر و - بالفتح - : العمر وهو قسم ببقاء الله. والسعر أسم جمع لساعر، وإسعار النّار وسعرها: إيقادها.

والإمتعاض : الغضب. و«أيم» مخفّف أيمن. وهو جمع يمين، أي أيم الله قسمي. و«حمس» - كفرح - : أشدّ. و«الوغا» الأصوات والجلبة، ومنه قيل للحرب وغا. و«استحرّ الموت»: أي اشتدّ وكثر.

[قوله عليه السلام:] «قد انفرجتم»: أي تفرّقتم. وأنفراج الرأس مثَل لشدة التّفريق.

قيل: أوّل من تكلم به اكثم بن صيفي في وصيّة له [لبنيه قال:] يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد أنفراج الرّأس فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ. وفي معناه أقوال:

الأوّل: قال ابن دريد: معناه أنّ الرّأس إذا أنفرج عند البدن لا يعود إليه.

الثاني: قال المفضل: الرّأس أسم رجل تنسب إليه قرية من قرى الشّام يقال لها: بيت الرّأس، وفيها تباع الخمر، وهذا الرجل قد أنفرج عن قومه ومكانه فلم يعد فضرب به المثل.

الثالث: قال بعضهم: معناه أنّ الرّأس إذا أنفرج بعض عظامه عن بعض، كان بعيداً عن الإلتئام والعود إلى الصّحّة.

الرابع: قيل معناه: أنفرجتم عني رأساً. ورُدّ بأنّ «رأساً» لا يعرف.

الخامس : قيل: المعنى أنفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه.

السادس : قيل: الرأس الرجل العزيز؛ لأن الأعرّاء لا يبالون بمفارقة أحد.

السابع: معناه أنفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، فإنّه في غاية الشدّة [و] نحوه قوله عليه السّلام: في موضع آخر: «أنفراج المرأة عن قُبُلها». وبعده واضح.

وعرق اللحم - كنصر -: أكله ولم يبق منه على العظم شيئاً. وهشم العظم - كضرب -: كسره. وفريت الشيء: قطعته. و «الجوانح»: الأضلاع التي تحت التّرائب، وهي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظّهر. «وما ضمتّ عليه»: هو القلب. والمذكورات كنايات عن النهب والأسر والاستئصال وأنواع الضرر.

قوله عليه السلام: «فكن ذاك إن شئت» قال ابن أبي الحديد: خاطب من يمكن عدوّه من نفسه خطاباً عاماً، لكن الرواية وردت بأنّه عليه السّلام خاطب بذلك الأشعث بن قيس، فإنّه قال لعلّي عليه السلام حين [كان] يلوم الناس على تقاعدهم [عنه] -: «هلاًّ فعلت فعل ابن عفّان!». فقال: «إنّ فعل ابن عفّان مخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه، إنّ امرء مكن عدوّه من نفسه، يهشم عظمه، ويفري جلده لضعيف رأيه، مأفون عقله، فكن ذاك إن أحببت. فأما أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرقيّة» إلى آخر الفصل. انتهى.

أقول : سيأتي تمام القول برواية المفيد.

[قوله عليه السلام:] «فأما أنا فوالله»: الظاهر أنّ خبر «أنا» الجملة التي خبرها «دون»، والمبتدأ [هو قوله:] «ضرب». و [قوله:] «ذلك» إشارة إلى تمكين العدو، أو فعل ما فعله عثمان.

والمشرفيّة بفتح الميم والراء: سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن. وفراش
أهّام: العظام الرقيقة تلي القحف. وطاح يطيح أي: سقط. وأوزعه بالشّيء:
أغراه. وسكع - كمنع وفرح -: مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ من بلاد
الله وتحير كتسكع.

[قوله عليه السلام]: «كيلا تجهلوا»: أي [كي لا] تبقوا على الجهالة.

٩٣٦ - ٩٣٧ - نهج: ومن كلام له عليه السّلام في ذمّ أصحابه:

كم أداريكم كما تداري البكار العمدة، والثّياب المتداعية، كلّما حيست
من جانب، تهتكت من أخرى. أكلّمّا أظّل عليكم منسّر من مناسر أهل الشّام،
أغلق كلّ رجل منكم بابه، وانجر انجر الضّبة في جحرها، والضّبع في
وجارها، الدّليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

إنكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرّايّات. وإني لعالم بما
يصلحكم ويقيم أودكم، ولكنّي لأرى إصلاحكم بإفساد نفسي، أضرع الله
خدودكم، وأتعس جدودكم، لاتعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا
تبتلون الباطل كإبطالكم الحقّ.

وقال عليه السلام في سُحرة اليوم الذي ضرب فيه: ملكنتي عيني وأنا
جالس، فسبح لي رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ماذا
لقيت من أمتك من الأود واللّد. فقال: «أدع عليهم». فقلت: أبدلني الله بهم
خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شراً لهم منّي.

قال السيّد [الرّضي] رضي الله عنه: يعني عليه السلام بـ «الأود»:
الإعوجاج، وبـ «اللّد»: الخصام. وهذا من أفصح الكلام.

إيضاح: البكار بالكسر، جمع بكر بالفتح، وهو الفتى من الإبل.

والعمدة بكسر الميم من العمد [وهو]: الورم والدبر. وقيل العمدة: التي كسرهما ثقل حملها. وقيل: التي قد انشدخت أسنمتها من داخل وظاهرها صحيح. والثياب المتداعية: الحلقة التي تنخرق، فكأنه يدعو الباقي إلى الإنخراق. وحاص الثوب يحوصه حوصاً: خاطه. وتهتكت أي: تخرقت. و «أُظِّلَ عليكم»: أي أقبل إليكم ودنا منكم. وفي بعض النسخ: «[أُظِّلَ عليكم]» - بالمهمله -: أي أشرف.

والمنسر - كمجلس وكنبر -: القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير. والجحر - بالضم -: كل شيء يحتفزه السباع والهوام لأنفها. وجحر الضب - كمنع - أي: دخله. وجحره غيره: أدخله فانجحر وتبحر وكذلك أجحره. والضبع مؤنثة ووجارها - بالكسر -: جحرها.

والأفوق: المكسور فوق والناصل: النزوع النصل. والباحة: الساحة. والراية العلم. والأود - بالتحريك -: العوج.

والمراد يصلحهم: إقامة مراسم السياسة [فيهم] من القتل والتعذيب والحيل والتدابير المخالفة لأمر الله تعالى.

والضراعة: الدّلّ والاستكانة. والتّعس: الهلاك والإنحطاط. والجّد: البخت والحظّ. والغرض، الدعاء عليهم بالخزي والخيبة.

قوله عليه السلام: «لا تعرفون الحق»: المراد بالحق: إمّا أوامر الله تعالى، أو أمور الآخرة. وبالباطل: زخارف الدنيا. أو الحق متابعته عليه السلام ونصره. والباطل: عصيانه وترك نصرته. أو الحق: الدلائل الدالة على فرض طاعته، والباطل: الشبه الفاسدة، كشبهتهم في خطر قتال أهل القبلة.

و [المراد بـ] المعرفة: إمّا العلم أو العمل بما يقتضيه من نصره الحق وإنكار المنكر. والسحرة - بالضم -: السحر الأعلى. وملك العين: كناية عن غلبة النوم. و «سنح لي»: أي رأيته في المنام، أو مرّ بي معترضاً.

وبناء التّفصيل في [قوله عليه السلام]: «شراً» على اعتقاد القوم، فإنّهم لما لم يطيعوه حقّ الطاعة، فكأنّهم زعموا فيه شراً.

٩٣٨- نهج: من كلام له عليه السّلام: «ولئن أمهل الله الظّالم، فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشّجى من مساع ريقه.

أما والذي نفسي بيده، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم، ولكن؛ لاسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقّي. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رُعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي.

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرّاً وجهرّاً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهد كغياب! وعبيد كأرباب! أتلو عليكم الحُكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها، وأحثّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سباً، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غدوةً وترجعون إلّي عشيةً كظهر الحنية [الحية «خ»] عجز المقوم وأعضل المقوم.

أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم! صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لو ودت والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فأخذ منّي عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم.

يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث وأثنتين: صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللّقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلّما جمعت من جانب

تفرقت من جانب [آخر]، والله لكأنّي بكم فيما إخال لو حمس الوغى، وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب أنفراج المرأة عن قُبْلِها. وإني لعلّي بيّنة من ربّي، ومنهاج من نبّي، وإني لعلّي الطريق الواضح ألقطه لقطاً.

أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردّى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا.

لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، [و] قد باتوا سُجّداً وقياماً، يراوحن بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله سبحانه هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يُميد الشجر يوم الرّيح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء الثواب.

تبيان :

[قوله عليه السّلام]: «فلن يفوت»: المفعول محذوف أي: فلن يفوته. والأخذ: التناول والعقوبة. والمرصاد: الطريق يرصد بها. والشجى: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره، وموضع الشجى هو الحلق. ومساع ريقه: موضع إساغته. وساع الشراب: سهل مدخله في الحلق. وسعت الشراب يتعدّى ولا يتعدّى.

وهذا [الكلام منه عليه السلام] إمّا تهديد لأهل الشام أو لأصحابه، كما سيأتي من نسبة الظلم إليهم.

وظهر عليه: غلبه وراعي القوم: من ولي عليهم. والاستنفار. الاستنجد والاستنصار أو طلب النفور والاسراع إلى القتال.

قوله عليه السّلام: «وعبيد كأرباب»: أي أخلاقكم أخلاق العبيد من

الخلاف والنفاق ودناءة الأنفس، وفيكم مع ذلك كبر السّادات وتبهمهم وعدم إطاعتهم، أو حكمكم حكم العبيد في وجوب الإطاعة وتأبون عنها كالسّادة. وهذا أنسب بالفقرة السابقة.

و «أيادي سبا»: مثل يضرب للمتفرّقين، واصله قوله تعالى عن أهل سبا: ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ﴾ [١٩ / سبا: ٣٤] وسبأ مهموز يصرف ولا يصرف، ويمدّ ولا يمدّ، وهو بلدة «بليقيس» ولقب ابن يشجب بن يعرب يقال: ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا - الياء ساكنة وكذلك الألف هكذا نقل المثل - أي متفرّقين، وهما أسبان جعلاً واحداً، مثل معد يكرب ضرب المثل بهم لأنهم لما غرق مكانهم وذهبت جنّاتهم تبدّدوا في البلاد، ولهم قصّة غريبة مذكورة في كتب الأمثال.

قوله عليه السّلام: «وتتخادعون» المخادعة: هي الاستغفال عن المصلحة، أي إذا رجعت عن مجلس الوعظ أخذ كلّ منكم يستغفل صاحبه ويشغله بالأحاديث، وإن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة. كذا ذكره ابن ميثم.

وقال ابن أبي الحديد: تتخادعون عن مواعظكم أي تمسكون عن الاتّعاظ من قولهم: كان فلان يعطي ثمّ خدع أي أمسك وأقلع. ويجوز أن يريد تتلونون وتختلفون في قبول الوعظ من قولهم: خلق فلان خلق خادع أي: متلون. وسوق خادعة أي: متلوّنة مختلفة.

ولا يجوز أن يراد المعنى المشهور منها، لأنّه إنّما يقال: فلان يتخادع فلاناً إذا كان يريد أن ينخدع له وليس بمنخدع في الحقيقة، وهذا لا يناسب المقام. والحنية على فعيلة: القوس، أي ترجعون [إليّ] معوجّاً كاعوجاج ظهر القوس وأعضل وأشكل، وكأنّ غيبة عقولهم كناية عن تركهم العمل بما تقتضيه، أو عن ذهابها.

قوله عليه السّلام: «منيت»: أي أبليت. وإنّما لم يجمع الخمس لكون

الثلاث من جنس، والاثنتين من [جنس] آخر أولاً لأن الثلاث إيجابية دون الإثنتين. والحرّ: خلاف العبد والخيار من كلّ شيء. واللقاء: ملاقات الأحباب أو العدو.

وقوله [عليه السلام]: «تربت أيديكم»: كلمة يدعى على الإنسان بها: أي لا أصبتم خيراً. وأصل «ترب»: أصابه التراب، فكأنه يدعى عليه بأن يفتقر.

وقال [أبن الأثير] في [مادة «ترب» من كتاب] النهاية: هذه الكلمة جارية على السنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر بها، كما يقولون: قاتله الله. وقيل: معنى لله درك. قال: وكثيراً ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح، كقولهم: لا أب لك، ولا أم لك.. وهوت أمه. ولا أرض لك. ونحو ذلك.

وقال المطرزي في قولهم: «كأنّي بك تنحط» الأصل: كأنّي أبصرك تنحط ثم حذف الفعل وزيدت الباء. ويحتمل أن يكون الباء متعلّقاً بملتصق ونحوه، نحو «به داء» أو بمعنى في.

وخال الشيء: يخاله أي ظنّه. وتقول: خلت إخال بالكسر وبالفتح، لغة بني أسد كما في النسخ، و «ما» مصدرية، أي: في ظني. ومحس - كفرح - أي: اشتدّ. وحمي - كرضي -: اشتدّ حرّه.

وانفراجتم: تفرّقتم. قال ابن ميثم: شبه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الأنفة، وتسليم المرأة قبلها وانفراجها عنه إمّا وقت الولادة، أو وقت الطّعان.

قوله [عليه السلام] «ألقطه»: كأنه إشارة إلى أنّ الضّلال غالب على الهدى، فيحتاج السالك إلى التقاط طريق الهدى من بين طرق الضّلالة^(١). وفي

(١) بل الظاهر أنّ الكلام إشارة إلى أنّ طلب استغفار الناس وبعثهم إليّاهم إلى قتال المبطلين

بعض النسخ: «ألفظه لفظاً»: أي أبينّه بياناً. والسمت: الجهة والطريق وهيئة أهل الخير.

«فإن لبّدوا»: أي قعدوا عن طلب الخلافة والجهاد ولزموا البيوت فتابعوهم، وإن قاموا بها فانصروهم، يقال: لبّد الشيء بالأرض - كنصر - أي: التصق بها. [وقوله عليه السّلام]: «ولا تسبقوهم»: أي ما لم يأمروكم به. «ولا تتأخروا عنهم»: أي لا تخالفوهم فيما يأمرونكم به.

[قوله عليه السّلام]: «يراوحون»: أي يسجدون بالجهة مرّةً وبالحدود أخرى، ووقوفهم على مثل الجمر - [وهو] جمع جمرة - وهي النار المتقدّة: كناية عن قلقهم وأضطرابهم من خوف المعاد. و«المعزى» بالكسر: خلاف الضأن كالمعز. والمراد بـ «بين أعينهم»: جباههم مجازاً. [و] «هملت» أي: سألت. و«مادوا» أي تحرّكوا وأضطربوا.

٩٣٩- نهج: ومن كلام له عليه السّلام في ذمّ [العصاة من] أصحابه:

أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدرّ من فعل، وعلى آبتلائي بكم أيّتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أمهلتكم [أهملتكم] خضتم، وإن حوربتكم خرتم، وإن أجمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتكم [أجئتم «خ ل»] إلى مشاقّة نكصتم، لا أباً لغيركم! ما تنتظرون بنصركم، والجهاد على حقّكم!

الموت أو الدّلّ لكم! فوالله لئن جاء يومي - وليأتيني - ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبّتكُم قال، وبكم غير كثير.

ليس رأياً مشوباً بفكره الفردي بل هو مأخوذ وملقط من صميم حكم القرآن وصريح القرآن وصريح بيان رسول الله صلى الله عليه وآله له وأنّه أخذ الحكم من النبي كالنقاط الفرخ من أمّه.

٩٣٩- رواه السيّد الرضوي رفع الله مقامه في المختار: (١٧٨) من كتاب نهج البلاغة.

لله أنتم! أما دين يجمعكم، ولا محمية تشحذكم! أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الإسلام وبقية الناس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتفرقون عني وتختلفون علي! إنه لا يخرج إليكم من أمري رضئ فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاق إلي الموت.

قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوَّغتكم ما مجَّبتكم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النائم يستيقظ! وأقرب يقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدبهم ابن النابغة!

توضيح: [قوله عليه السلام]: «على ما قضى من أمر» قيل: الأمر أعم من ان يكون فعلاً، ولما كان القدر هو تفصيل القضاء وإيجاد الأشياء على وفقه، قال: «وقدر من فعل». والإبتلاء: الامتحان. وأمهله أي رفق به وأخره.

وفي بعض النسخ: «[إن] أهملتكم» أي تركتم، «خضتم»: أي في الضلالة والأهواء الباطلة. [و] «خرتم» بالخاء من الخور: بمعنى الضعف. أو من خوار الثور بمعنى الصياح. ويروى «[جرتكم]» بالجيم، أي: عدلتكم عن الحق أو عن الحرب فراراً.

قوله عليه السلام: «أجئتم»: قال ابن أبي الحديد: بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة، أي: ألبئس ما قال تعالى: «فأجاءها المخاض». وفي بعض النسخ: «أجبتكم» على بناء المعلوم بالباء.

والمشاقة: المقاطعة والمصارمة. والنكوص: الرجوع إلى ما وراء.

قوله عليه السلام: «لا أبأ لغيركم» قال ابن ميثم: أصله لا أب والألف مزيدة، إمّا لاستثقال توالي أربع حركات، أو لأنهم قصدوا الإضافة وأتوا باللام للتأكيد. وفي الدعاء بالذل لغيرهم نوع تلطف لهم.

قوله عليه السلام: «الموت أو الذل»: في أكثر النسخ برفعهما، وفي بعضها بالنصب. قال ابن أبي الحديد: [وهذا] دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، كأنه شرع داعياً عليهم بالفناء الكلي وهو الموت، ثم استدرك فقال: أو الذل؛ لأنه نظير الموت، ولقد أجيب دعاؤه بالدعوة الثانية، فإن شيعته ذلوا بعده في الأيام الأموية.

أقول: هذا على الرفع ظاهر، وأما على النصب فيحتمل الدعاء أيضاً بتقدير أرجو أو أطلب، ويحتمل الاستفهام، أي: أنتظرون الموت؟!

وقيل: ^(١) في قوله عليه السلام: «ولياتيني»: حشوة لطيفة بين الكلام؛ لأن لفظة «إن» أكثر ما تستعمل لما لا يعلم حصوله، فأتى بعدها بما يرد ما تقتضيه من الشك في إتيان الموت، وأشعر بأن الموضع موضع «إذا». والقالي: المبغض.

قوله عليه السلام: «غير كثير»: أي لستم سبب كثرة أعواني.

[قوله عليه السلام] «لله أنتم»: من قبيل لله أبوك، ولعله هنا للتعجب على سبيل الذم، ويحتمل المدح تلطفاً.

وارتفاع قوله: «دين» بفعل مقدّر يفسرّها الفعل المذكور بعده. وشذت النصل: حددته. والطمغام: أراذل الناس الواحد والجمع سواء.

ومعونة الجند: شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم سوى العطاء المفروض في كل شهر كما قيل ^(٢).

ومنشأ تعجبه عليه السلام امور:

أحدها: أن الداعي لهم معاوية، وهؤلاء أمير المؤمنين، وكيف يساوي

(١ - ٢) القائل في الموردين هو كمال الدين ابن ميثم البحراني في شرحه على الكلام من شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ ط بيروت.

عاقِل بينها؟

وثانيها: أن المدعو هناك، الجفأة الطغام مع خلّوهم غالباً عن الحميّة والمروءة، وهاهنا أصحابه الذين هم تريكة الإسلام.

وثالثها: أن أصحاب معاوية يتبعونه على غير معاونة ولا عطاء، وأصحابه عليه السلام لا يجيبونه إلى المعاونة والعطاء، فإنّ معاوية إنّما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجليلة، ولا يعطي الجند على وجه العطاء والمعاونة شيئاً، وهم كانوا يطيعون الرؤساء للحميّة أو العطايا من هؤلاء لهم.

والتريكة: بيضة النعامة تتركها في مجثمها، أي: أنتم خلف الإسلام وبقيتته، كالبيضة التي تتركها النعامة.

وقوله [عليه السّلام] «إلى المعاونة» متعلّق بـ [قوله]: «أدعوكم»..

قوله عليه السلام: «لا يخرج إليكم» أي: إنكم لا تقبلون مما أقول لكم شيئاً، سواء كان مما يرضيكم أو مما يسخطكم. «وإلى» متعلّق بقوله: «أحبّ». ودرس الكتاب: - كنصر وضرب - أي قرأ فقوله: «دارستكم الكتاب»: أي قرأته عليكم للتعليم، وقرأتم عليّ للتعلّم.

قوله عليه السلام: «وفاتحتكم»: أي حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة. وساغ الشّراب في الحلق أي: دخل بسهولة. ومججته من فمي: أي رميت به أي بينت لكم الأمور الدنيّة ما كنتم تنكرونه بأراكم، وأعطيتكم من العطايا ما كنتم محرومين منها.

وكلمة «لو» في قوله عليه السلام: «لو كان»: للتمني أو الجزاء محذوف.

وقوله عليه السلام: «وأقرب بقوم» بصيغة التعجّب، أي ما أقربهم إلى الجهل. وقوله عليه السلام: «قائدهم معاوية»: صفة لقوم، فصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور، وهو مجوّز. وورد مثله في الكلام المجيد.

٩٤٠ - نهج: من خطبة له عليه السلام: عباد الله، إنكم وما تأملون من هذه الدّنيا أثوياء مؤجلّون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، فربّ دائب مضيع وربّ كادح خاسر.

وقد أصبحت في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، والشرّ فيه إلّا إقبالاً، والشيطان في هلاك النّاس إلّا طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته.

إضرب بطرفك حيث شئت من النّاس، فهل تبصر إلّا فقيراً يكايد فقراً، أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقّ الله وفراً، أو متمرّداً كأنّ بأذنه عن سماع المواعظ وقرأ!

أين خياركم وصلحاؤكم وأين أحراركم وسمحاؤكم؟ وأين المتورّعون في مكاسبهم، والمتنزهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدّنيا الدنيّة والعاجلة المنقصة؟ وهل خلّفتهم إلّا في حثالة لا تلتقي بذهمّ الشّفتان أستصغاراً لقدرهم، وذهاباً عن ذكرهم! فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

ظهر الفساد فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر.

أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا أعزّ أوليائه عنده؟! هيهات! لا يخدع الله عن جنّته، ولا تنال مرضاته إلّا بطاعته.

لعن الله الآمرين بالمعروف التّاركين له، والنّاهين عن المنكر العاملين به.

بيان :

الأثوياء: جمع ثوى وهو الضيف. [و «مؤجلّون»: أي مؤخرون إلى وقت معلوم. و «المدين»: المديون. و «المقتضون». جمع مقتضي على بناء المفعول.

[قوله عليه السلام:] «أجل منقوص»: أي أجلكم أجل منقوص يوماً بعد يوم، ولحظةً فلحظة، وعملكم عمل مفحوظ عند الله.

والدائب: المجتهد ذو الجِدِّ والتعب. و«الكادح»: الساعي. و«أمكننت»: أي أمكنته، يقال: أمكنني الأمر أي سهل وتيسر. وكابده مكابدة: أي قاساه وتحمل المشاق فيه.

وذكره في هذا المقام، إمّا لأنَّ الغرض بيان ما سبق من إدبار الخير وإقبال الشرِّ وعموم الضلال ومقاسات الفقراء بيان للأولين، فالخير والشرَّ يعلمان الدنيويين والآخرويين. وإمّا لأنَّ شيوع الفقر لمنع الحقوق الواجبة، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه وهو أيضاً من المنكرات.

[قوله عليه السلام:] «بدل نعمة الله»: أي الغنى. أو ولايته عليه السلام. والتخصيص لشدة إنكارهم لقوتهم أو الأعم. والوفر: المال الكثير.

وقوله [عليه السلام]: «بحقَّ الله» متعلّق بـ[قوله]: «البخل» أي يعدّ بخله بحقَّ الله توفير المال والزيادة فيه. والوفر: ثقل الأذن.

«أين أحراركم»: أي الذين اعتقوا من رق الشهوات. والتورّع. مبالغة في الورع. والتّنزّه: التّباعّد عن القبيح. وظعن - كمنع - أي سار وأرتحل. وأنقص الله عليه العيش ونقصه: كدّره والختالة: الرديء من كل شيء.

[قوله عليه السّلام]: «لا تلتقي بدمهم»: أي إنهم أحقر من أن يشتغل الإنسان بدمهم؛ لأنّه لا بدّ في الدّم من إطباق إحدى الشفتين على الأخرى و«ذهاباً» أي ترفعاً يقال: فلان ذهب بنفسه عن كذا، أي رفعها عنه.

«ولا زاجر مزدجر»: أي من يزجر غيره عن القبائح وتمتنع نفسه أيضاً عنها.

[قوله] «في دار قدسه» أي الجنّة؛ لأنَّ أهلها يقدّسونه تعالى وهم منزّهون

عن العيوب. ومجاورة الله: سكون تلك الدّار المنسوبة إليه سبحانه تشريفاً.
وقربه: مجاورة رحمته.

«هيهات»: أي بعدما تريدون. «لا يخدع الله عن جنته» أي: لا يمكن أخذها منه تعالى بالخديعة. والمرضاة: الرضا.

وآخر الكلام يدلّ على اشتراط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعمل بهما، وسيأتي الكلام فيه في محله إن شاء الله. ولعلّ غرضه عليه السّلام التعريض بالسابقين الغاصبين.

٩٤١ - نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام: أرسله داعياً إلى الحق، وشاهداً على الخلق قبلّغ رسالات ربّه غير وانٍ ولا مقصّر، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذّر، [فهو] إمام من اتقى، وبصر من اهتدى.

[و] منها:

ولو تعلمون ما أعلم بما طوي عنكم غيبه، إذاً أخرجتم إلى الصّعدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها وهمت كل امرئٍ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها. ولكنكم نسيتم ما ذكرتم، وأنتم ما حذرتم، فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم.

لوددت أنّ الله فرّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم، قوم - والله - ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، متاريك للبغي مضوا قدماً على الطريقة، وأوجفوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة.

أما والله ليسلّطن عليكم غلام ثقيف، الدّيال الميال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، إيّه أبا وذحة!

قال السيّد رحمه الله: الودحة: الخنفساء، وهذا القول يومئ به إلى الحجاج وله مع الودحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

توضيح: الواني: الفاتر الكال. والواهن: الضعيف. والمعذر: الذي يعتذر من تقصيره من غير عذر كما قال تعالى: «وجاء المعذرون من الأعراب» [٩٠/ التوبة: ٩].

[قوله عليه السلام: «مما طوي عنكم» أي كتم وأخفي. وقال [أبن الأثير] في [مادة «صعد» من كتاب] النهاية: [و] فيه: «إياكم والقعود بالصعدات»: هي الطرق، وهي جمع صُعد و صُعد: جمع صعيد كطريق وطُرق وطِرق.

وقيل: جمع صعدة كظلمة، وهي فناء باب الدّار وممر الناس بين يديه. ومنه الحديث: «ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى الله».

وقال ابن أبي الحديد: الصعيد: التراب. ويقال وجه الأرض. والجمع: صُعد وصُعدات.

و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: الصعيد: التراب أو وجه الأرض، والجمع: صُعد وصُعدات، والطريق، ومنه: «إياكم والقعود بالصّعدات». والقبر. انتهى.

فالمعنى: خرجتم عن البيوت وتركتم الاستراحة والجلوس على الفرش، للقلق والإزعاج، وجلستم في الطّرق أو على التراب أو لازمت القبور.

والالتدام: ضرب النساء وجوههنّ في النّياحة.

قوله عليه السلام: «ولا خالف»: أي ولا مستخلف عليها.

قوله عليه السلام: «ولهت» قال ابن أبي الحديد: أي أذابته وأنحلته من [قولهم: هممت الشحم: أي أذبتة.

ويروى «ولأهَمَّت» وهو أصحّ من [قولهم]: أهمني الأمر: أي أحزني.

وفيه نظر؛ لأنّ «هَمَّ» أيضاً يكون بمعنى «أهَمَّ». قال [الفيروزآبادي] في القاموس: هَمَّ الأمر هَمّاً: حزنه، كأهَمَّهُ فاهَتَمَّ انتهى. و [كلمة] «كَلَّ» منصوب على المفعولية والفاعل [لفظة]: «نفسه». ويقال: تاه فلان يتيه، إذا تحيّر وضلّ. وتاه يتوه أي هلك وأضطرب عقله. وتشتّت: أي تفرّق.

والمراد بمن هو أحقّ به عليه السّلام [هو] رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحمة وجعفر، ومن لم يفارق الحق من الصحابة.

والمراجيح: الحكماء. وقال الجوهرى: راجحته فرجحته: أي كنت أرزن منه، ومنه قوم مراجيح الحلم. انتهى.

والمقاول: جمع مقوال: أي حسن القول أو كثيره. والمتاريك: جمع متراك أي كثير الترك.

قوله عليه السلام: «مضوا قدماً» بالضمّ وبضمّتين: أي متقدّمين لا يثنون. و «أوجفوا»: أي أسرعوا. و «الكرامة الباردة»: [هي] التي ليس فيها حرّاً تعب، ولا مشقّة حرب.

و «الذيال»: هو الذي يجرّ ذيله على الأرض تبختراً، يقال: ذال فلان وتذيّل: أي تبختر. و «الميال»: الظّالم.

قوله عليه السلام: «يأكل خضرتكم»: أي يستأصل أموالكم. و «الخضرة» بفتح الخاء وكسر الضاد: الزرع والبقلة الخضراء والغصن. وإذابة الشحمة مثله كما قيل، والمراد تعذيب الأبدان.

قوله عليه السّلام: «إيه أبا وذحة»: إيه: كلمة استزادة أي زد وهات.

وقال ابن أبي الحديد في قول السيّد «الوذحة الخنفساء»:

أقول: لم أسمع هذا من شيخ من أهل اللغة، ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة، والمشهور أنّ الودح [هو] ما يتعلّق بأذنان الشاة من أبعادها فيجفّ.

ثم إنّ المفسرين بعد الرضي رضي الله عنه قالوا في قصّة هذا الخنفساء وجوهاً:

منها أنّ الحجاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلاه فطردها، فعادت، ثمّ طردها فعادت، فأخذها بيده فقرصته قرصاً، ورمّت يده منه ورماً كانت فيه حتفه. قتله الله تعالى بأهون خلقه، كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة.

ومنها أنّ الحجاج كان إذا رأى خنفساء، يأمر بإبعادها ويقول: هذه وذئب من وذئب الشيطان، تشبيهاً بالبعرة المعلّقة بذنب الشاة.

ومنها أنّه قد رأى خنفساوات مجتمعات، فقال: واعجباً! لمن يقول: إنّ الله خلق هذه. قيل: فمن خلقها أيّها الأمير! قال: الشيطان، إنّ ربكم لأعظم شأنًا من أن يخلق هذه الودح. قالوا: فجمعها على «فعل» كبذنة وبدن، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.

ومنها: أنّ الحجاج كان مثفاراً: أي ذا أبتة، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في الموضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا شائئاً مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام. قالوا: ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، بل [نقول: كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض].

قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد - ولم يكن من رجال الشيعة - في أماليه وأحاديثه عن السياري، عن أبي خزيمة الكاتب قال: ما فتّشنا أحداً فيه هذا الداء، إلّا وجدناه ناصبياً.

قال أبو عمر: وأخبرني العطافي عن رجاله، قالوا: سئل جعفر بن محمد

الصّادق عليه السّلام عن هذا الصّنف من النّاس، فقال لهم: رحم منكوسة، يؤتى ولا يأتي. وما كانت هذه الخصلة في وليّ الله تعالى أبداً قطّ، ولا تكون أبداً وإنّا كانت في الفسّاق والكفّار والنّاصب للطّاهرين.

وكان أبو جهل بن هشام المخزومي من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله. قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفرّ أسته. [ثم قال ابن أبي الحديد:] ويغلب على ظنيّ أنه [عليه السلام أراد] معنى آخر، وذلك أن عادة العرب أن تكيّ الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم، وإذا أرادت تحقيره [كنّته] بما يستحقّر ويستهان به، كقولهم في كنية يزيد بن معاوية لعنه الله: أبو زنة، يعنون القرد. وكقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاري المحدث: أبو الفار. وكقولهم للطفيلي: أبو لقمة. وكقولهم لعبد الملك: أبو الذبّان لبخره. وكقول ابن بسّام لبعض الرؤساء:

فأنت لعمري أبو جعفر ولكنّا نحذف الفاء منه
وقال أيضاً:

لئيم دَرْنُ الثوب نظيف القصب والقدر
أبو النتن أبو الدفر أبو البعر أبو الجعر
فلنجاسته بالذنوب والمعاصي، كنّاه أمير المؤمنين عليه السلام أبا وذحة.

ويمكن أن يكنّيه بذلك لدمايته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقته، فإنّه كان دميماً قصيراً سخيلاً، أخفش العينين معوجّ الساقين قصير الساعدين، مجدور الوجه أصلع الرأس، فكّنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة.

وقد روى قوم [هذه اللفظة بصيغة أخرى، قالوا: «إيه أبا ودجة» قالوا: [هي] واحدة الأوداج كنّاه بذلك؛ لأنّه كان قتالاً يقطع الأوداج بالسيف.

ورواه قوم «أبا وحرّة» [بالراء المهملة] وهي دويبة تشبه الحرباء قصير الظهر، شبهه بها.

[ثم قال ابن أبي الحديد:] وهذا وما قبله ضعيف^(١)

وأقول: الذَّبَّان - بكسر الذال وتشديد الباء - جمع الذباب، ومن عادته أن يجلس على المنتن. والقعب - بالفتح -: القدح الضخم. والدفر - بالمهملة ثم الفاء -: النتن والذَّل. وبالقاف مصدر دقر كفرح، إذا امتلأ من الطعام. والجعفر - بالفتح -: ما يبس من العذرة في المعجز: أي الدُّبر.

٩٤٢ - نهج: [و] من كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد، فسكتوا ملياً، فقال عليه السلام:

ما بالكم! أمخرسون أنتم!

فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك!

فقال [عليه السلام]: ما بالكم - لا سددم لرشد ولا هُديتم لقصد؟ أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج! وإنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الخراج والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المسلمين [المطالبين «خ ل»] ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى، أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ، وإنما أنا قطب الرحا تدور عليّ، وأنا بمكاني، فإذا فارقت أستحار مدارها، وأضطرب ثفالها، هذا لعمر الله الرأي السوء.

والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو - لو قد حُم لي لقاءه - لقرّبت ركابي، ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما أختلف جنوب وشمال. [طعّانين عيّابين حيّادين رواغين]. إنه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم.

(١) كلّ ذلك أورده ابن أبي الحديد في شرح الكلام وهو المختار: (١١٤ أو ١١٥) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٣ ص ٧٧٦ ط الحديث ببيروت.

٩٤٢ - رواه الشريف الرضي رحمه الله في المختار: (١١٨) من كتاب نهج البلاغة.

لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلا هالك، من أستقام فألى الجنة ومن زلّ فألى النار.

بيان :

قال ابن أبي الحديد: [وهذا كلام] قاله [أمير المؤمنين] عليه السلام، في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق، عند انقضاء أمر صفين والنهر وان.

قوله: «ملياً»: أي ساعة طويلة. [و] قوله عليه السلام: «لا سدّتم» بالتخفيف والتشديد: دعاء عليهم بعدم السداد والاستقامة لما فيه رشدهم وصلاحهم. والقصد من الأمور: المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.

والشّجعاء: جمع شجاع. وفي بعض النسخ: «شجعانكم» وهو بالضم والكسر: جمع شجاع. والبأس: الشجاعة. والكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. والتقلقل: التحرك. والقدح - بالكسر - : السهم. والجفير: الكنانة. وقيل: وعاء السهام أوسع من الكنانة.

والغرض [من هذا] التشبيه، في اضطراب الحال والانفصال عن الجنود والأعوان، بالقدح الذي لا يكون حوله قدح تمنعه من التقلقل ولا يستقرّ في مكانه.

«واستحار مدارها»: أي اضطرب. والمدار هنا مصدر. كذا ذكره ابن أبي الحديد، ولم نجده بهذا المعنى في اللغة. [و] قال الجوهرى: المستحير: سحب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه. فلا أنسب أن يكون [كلامه عليه السلام] كناية عن الوقوف عن الحركة.

والثفال: الجلد الذي يوضع عليه الرحي؛ ليسقط عليه الدقيق ويسمّى

الحجر الأسفل من حجري الرحي أيضاً ثقالاً، ولعلّه أنسب.

قوله عليه السلام: «لو قد حمّ لي» على [بناء] المجهول: أي قضي وقدر. والركاب: الإبل التي يسار عليها. وشجوص المسافرين: خروجه. والإختلاف: التردد. ويحتمل [أيضاً] المخالفة. والغناء بالفتح والمد: النفع.

[قوله عليه السلام: «لا يهلك عليها»: أي كائناً عليها أو بسببها. والطريق يذكر ويؤنث. [وقوله: «من استقام»: أي أعزل ولزم الطريق الواضح. «ومن زل»: أي زلق وعدل عن الطريق.

٩٤٣- نهج: من خطبة له عليه السلام:

أيّها النَّاسُ! إنّنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يُعدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتوّاً، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نتخوّف قارعةً حتّى تحلّ بنا، فالنّاس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنع الفساد في الأرض، إلّا مهانة نفسه وكلاله حدّه ونضيض وفره.

ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشرّه [بسرّه «خ»] والمجلب بخيله ورجله، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه، ولبس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمناً، وما لك عند الله عوضاً.

ومنهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا. قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية.

ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضلّولة نفسه، وأنقطاع سببه، فقصرته

الحال على [عن «خ»] حاله، فتحلّى باسم القناعة وتزيّن بلباس أهل الزّهادة، وليس من ذلك في مراح ولا مغدّى.

وبقي رجال غصّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، وخائف مقموع، وساکت مكعوم، وداع مخلص، وثكلان موجع، قد أخلتّهم التّقيّة، وشملتّهم الدّلة. فهم في بحر أجاج، أفواههم ضامزة وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتّى ملّوا، وقهروا حتّى ذلّوا، وقتلوا حتّى قلّوا.

فلتكن الدنيا اصغر في أعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم، وأرفضوها ذميمة فإنّها قد رفضت من كان أشغف به منكم.

بيان :

عندّ عن الطريق - كنصر - : عدل ومال. والعنود فعول بمعنى فاعل. وقيل: مفاعل. والزمن أسم لقليل الوقت وكثيره. وقيل: الشديد بمعنى البخيل. وفي بعض النسخ: «وزمن كنود»: وهو الكفور. وقيل: اللّوام. ووصف الزمان بتلك الأوصاف توصيف لأهله.

وعدّ المحسن سيئاً، إمّا لعدم الإذعان بالحقّ، أو لحملهم الأفعال الجميلة على المحامل القبيحة، كزعم العابد مرئياً. والعتوّ: الاستكبار ومجاوزة الحدّ.

قوله عليه السّلام: «لا ننتفع» التعبير بلفظ المتكلّم مع الغير، من قبيل: «إياك أعني واسمعي يا جارة» وعدم الانتفاع بالعلم لترك العمل، وعدم السؤال لعدم العلم بفضلّه مع عدم الرغبة في العمل به.

والقارعة: الخطب العظيم والداهية. ومهانة النفس: حقارتها. [مشتقة] من «مهن» أو «هان». وكلّ حدّ السيف وغيره، إذا وقف عن القطع.

[قوله عليه السلام:] «ونضيض وفره»: أي قلة ماله. وهذا القسم هم المريدون للدنيا غير القادرين عليها.

والمجلب: أسم فاعل من أجلب عليهم: أي تجمّع وتألّب. وكذلك إذا صاح به واستحثّه. وأجلبه: أي أعانه. والرجل: جمع راجل.

«قد أشرط نفسه»: أي هيأها وأعدّها للفساد في الأرض. والخطام: المال وأصله ما تكسّر من اليبس. والإنتهاز: الاختلاس والاستلاب بقدر الإمكان. والمقنب بكسر الميم وفتح النون -: الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. [و] «يفرعه»: أي يعلوه.

وعمل الدنيا: ما يفعله المكلف فيها أو ما يصير بانضمام القرينة والتوصّل به إلى الطاعة طاعة.

«وقد طامن»: أي خفض. ويقال: طامن منه أي سكنه. «وقارب من خطوه»: أي لم يسرّع ومشى رويداً. «وشمّر» [من ثوبه]: أي قصّر ثوبه أو رفعه إظهاراً لمتابعة السنّة. «وزخرف»: أي زين [نفسه] للأمانة، أي لأن يجعله أميناً على أموالهم وأعراضهم ويحتمل تعلّقه بالآخر وبجميع.

[قوله عليه السلام:] «واتخذ ستر الله»: أي التقوى والعمل بشرايع الدين، فإنّ الله حرّم تتبّع عورات من ظاهره الصلاح وذكر عيوبه.

قال الكيدري في كتاب المضاف والمنسوب: ستر الله الاسلام، والشيب، والكعبة، وضائر صدور الناس. يعني جعل ظاهر الاسلام وما يجنّه صدره، بحيث لا يطّلع عليه مخلوق وسيلةً وطريقاً إلى معصية الله. انتهى.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد أنّه اتّخذ ستر الله على عيوبه، حيث لم يفضحه ولم يطّلع الناس على بواطنه، ذريعةً إلى أن يخدع الناس.

والضئولة: الحقارة. والسبب: الحبل، وما يتوصّل به إلى غيره. والمراح:

المكان الذي تأوي إليه الماشية في الليل. والمغدى: ما تأوي إليه بالغداة ولعلّ المعنى: ليس يومه كيومهم في الصوم وغيره، ولا ليله كليهم في العبادات.

والمرجع - بكسر الجيم -: مصدر أو اسم مكان، والمراد به من إليه مصير العباد أو القيامة أو الرجوع إليهما.

[والمراد من قوله عليه السلام: «غَضَّ أبصارهم ذكر المرجع: هو] غَضَّ البصر عن المعاصي، أو الأَعْمَ لخشوعهم، أو للحياء، أو [غَضَّهم] أبصار قلوبهم عمّا سوى الله.

والشريد: الطريد. والنّادّ: المنفرد والمراد به المتوحّش من الناس الذاهب في الأرض، إمّا لعدم صبره على رؤية المنكرات، أو لكثرة أذى الظالمين في الأوطان؛ لانكاره المنكر وأشباه ذلك.

وقمعه: ضربه بالمقمعة وقهره وذلك. والمكعوم: الَّذي لا يمكنه الكلام، كأنّه شُدَّ فوه من التقيّة بالكعام الذي يجعل في فم البعير عند الهياج. والشكل: الحزن على فقد الأقارب.

ولعلّ المعنى: أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع الناس لما ذكر، وبعضهم لم يترك ذلك، وينكر منكراً ثمّ يخاف مما يجري عليه بعد ذلك، ومنهم من هو بينهم ولا ينهاهم تقيّةً ومعرض عنهم ومشتغل بالدعاء، ومنهم من هو بينهم بالضرورة ويرى أفعالهم ولا يؤثر نهيهم فيهم، فهو كالشكلان الموضع.

وخمل ذكره وصوته: خفي.

[قوله عليه السلام: «فهم في بحر أجاج» كناية عن عدم استمتاعهم بالدنيا، كالسباح في ماء مالح، فإنّه لا يمكنه التروي منه وشربه وإن بلغ غاية العطش.

[قوله عليه السلام: «أفواههم ضامزة» بالزاي المعجمة، أي ساكنة. أو

بالراء المهملة: كناية عن صومهم وعدم أكلهم من المحرمات والشبهات.

قال الكيدري: أي ساترة خفيفة من الضمير. ويروى بالزاي: أي مشدودة بالسكوت.

«وقلوبهم قرحة»: لكثرة المنكرات مع عدم تمكنهم من إنكارها، أو لخوفهم من الله أو من الناس.

و «القرض»: ورق السلم يدبغ به. وحثالته: ما يسقط منه. و «الجلم»: المقصّ يجزّ به أوبار الإبل. وقراضته: ما يسقط من قرضه وقطعه.

[قوله عليه السلام: «وأرفضوها ذميمة»]: أي اتركوا ما حاله الحقارة. والذمامة. والشغف: الحب الشديد.

٩٤٤- نهج: من خطبة له عليه السلام:

إنّ الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع.

ولقد أصبحنا في زمان قد آتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة.

ما لهم قاتلهم الله! قد يرى الحوّل القلب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهاز فرصتها من لا حريجة له في الدين.

بيان :

الوفاء: لزوم العهد والبقاء عليه كما ينبغي ويكون في الأفعال والأقوال. والصدق يعمّ العهد وغيره فبينهما عموم من وجه.

وقد يقال: الوفاء في الانشاء [خاصّة] والصدق في الاخبار، ولا يجتمعان.
ويردّه صادق الوعد وإن كان مجازاً، والمراد تلازمهما غالباً مع تشاركهما
في الفضل، وترتب الآثار الحسنة.

و «المرجع»: مصدر، أي الرجوع إلى الله. أو أسم مكان. والكيس:
الفطنة والذكاء. والضمير في «فيه» راجع إلى الزمان أو الغدر.

و «الحول القلب»: هو الذي كثر تحوّل وتقلّب في الأمور وجربها وعرف
وجوهها. والوجه: الجهة.

والضمير في [قوله]: «دونه» يعود إليه: أي قبل الوصول إليه. أو إلى
«الحول»: أي امامه. وفي بعض النسخ: «دونها» فيعود إلى الحيلة.

«رأي عين»: أي رؤية معاينة فهو منصوب على المصدر من [قوله]:
«يدع» بتقدير موصوف: أي يتركها تركاً معائناً غير ناش عن غفلة، أو
[منصوب] على الحالية: أي حال كونها مرئيةً له.

وجوّز بعضهم في قوله تعالى: «يرونهم رأي العين» [١٣/
آل عمران ٣] أن يكون ظرف مكان. والحريجة: التحرّج، وهو التحرّز من
الحرج والإثم. وقيل: الحريجة: التقوى.

٩٤٥- نهج: من كلام له عليه السلام في ذمّ أهل العراق:

أما بعد يا أهل العراق، فإنّا أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلماً أتمت
أملصت ومات قيّمها، وطال تأيّمها وورثها أبعدها.

أما والله ما أتيتمكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً. ولقد بلغني أنكم
تقولون: «عليّ يكذب»، قاتلكم الله فعلى من أكذب أعلى الله! فأنا أوّل من

آمن به! أم على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه!

كلّا واللّه، ولكنّها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها، ويل أمّه كيلاً
بغير ثمن لو كان له وعاء! وتعلمنّ نبأه بعد حين.

توضيح:

«أملصت» أَلَقْتُ ولدها ميتاً. والمملاص: معتادته. وقيّم المرأة: زوجها؛ لأنّه
يقوم بأمرها. وتأيّم المرأة خلّوها من الزوج.

و [قوله عليه السلام]: «[وورثها] أبعدا»: أي من لم يكن له قرابة الولد
ونحوه.

والتشبيه بالمرأة الموصوفة؛ لأنّهم تحمّلوا مشاقّ الحرب، فلما قرب الظفر
رضوا بالتحكيم وحرّموا الظفر، وصار بعضهم خوارج وبعضهم شكّاكاً.

والمراد بالسوق: الاضطراب، كأنّ القضاء ساقه عليه السلام إليهم، فإنّه
خرج لقتال أهل الجمل، وأحتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة، واتّصلت تلك
الفتن بفتنة أهل الشام، فاضطرّ إلى المقام بينهم. وفي بعض النسخ: «ولا جئتكم
شوقاً».

و «قاتلكم الله»: أي قتلکم الله أو لعنکم الله. و «كلّا» للردع والانكار.
أو بمعنى حقّاً.

واللهجة: اللّسان، ويتجوّز بها عن الكلام. والمراد إمّا لهجته عليه
السلام: أي [إنّ] ما أخبركم به أمور غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها
ولستم أهلاً لفهمها.

أو لهجة رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم: أي سمعت كلامه صلّى الله
عليه وآله، ولم تسمعه ولو سمعتموه لم تكونوا من أهله.

والويل: حلول الشرّ [أ] وكلمة عذاب، أو واد في جهنّم. وإضافته إلى

الأم، دعاء عليها بأن تصاب بأولادها، من قبيل «ثكلته أمه». والضمير [في «أمه»] راجع إلى المكذب. وقيل: [الضمير راجع] إلى ما دلّ عليه الكلام من العلم الذي خصّه به الرسول صلى الله وآله. ويقال: هذه الكلمة قد تطلق للتعجب والاستعظام، يقال: ويل أمه فارساً، ومرادهم التعظيم والمدح.

و «كيلاً»: أنتصب؛ لأنه مصدر في موضع الحال أو تمييز: أي أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً، ولا أطلب لذلك ثمناً لو وجدت حاملاً للعلم.

وقيل: الكلمة تستعمل للترحم والتعجب، والضمير راجع إلى الجاهل المكذب، فالفاد الترحم عليهم لجهلهم، أو التعجب من قوة جهلهم، أو من كثرة كيله للحكم عليهم مع إعراضهم عنها.

وقال [أبن الأثير في مادة «ويل» من كتاب] النهاية: قد يرد الويل بمعنى التعجب. ومنه الحديث: «ويل أمه مسعر حرب» تعجباً من شجاعته وجراته وإقدامه، ومنه حديث علي عليه السلام: «ويلمه كيلاً بغير ثمن لو أن له وعاء»: أي يكيل العلوم الجمة بلا عوض، إلا أنه لا يصادف واعياً.

وقيل: «وي»: كلمة مفردة. [«ولأمه» أيضاً كلمة مفردة] وهي كلمة تفجع وتعجب، وحذفت الهمزة من «أمه» تخفيفاً، وألقيت حركتها على اللام، وينصب ما بعدها على التمييز. انتهى.

والحين - بالكسر -: الدهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر، والمعنى لتعلمن ثمرة تكذبكم وإعراضكم عما أبين لكم، وأني صادق فيما أقول.

٩٤٦- نهج: من خطبة له عليه السلام:

أما بعد، فإن الله سبحانه لم يقصم جبّاري دهر قطّ، إلا بعد تمهيل

ورخاء. ولم يجبر عظم أحد من الأمم، إلّا بعد أزل وبلاء. وفي دون ما استقبلتم من خطب [عتب «خ»] وأستدبرتم من خطب [خصب «خ»] معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب، ولا كلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر ببصير.

فيا عجباً! وما لي لا أعجب من خطب هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتضون أثر نبّي ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب يعملون في الشبهات ويسيرون في الشّهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتوعليلهم في المبهات على آرائهم، كأنّ كلّ امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بغرئ وثيقات^(١) وأسباب محكمات.

بيان :

القسم: الكسر. والتمهيل: التأخير وكذلك الارجاء. والرّخاء: سعة العيش. والجبر: إصلاح الكسر [وهو هنا] كناية عن دفع الجبارين والظالمين. [قوله]: «وفي دون»: أي [في] أقلّ من ذلك. والأزل - بالفتح -: الضيق والشدة.

[قوله]: «ما استقبلتم من خطب»: أي شأن وأمر وداهية. وروي «من عتب»: أي مشقة. قيل: يعني ما لاقوه في مستقبل زمانهم من الشيب وولادة السوء وتنكر الوقت.

«وما أستدبرتم من خطب»: يعني ما تقدّم من الحروب والوقائع التي قضوها. ويروى من «خصب»: وهو رخاء العيش. فيمكن أن يراد بالأمر المستقبلة والمستدبرة جميعاً المواضي باعتبارين.

قوله عليه السلام: «لا يعفون» في النسخ بالتشديد: من العفة، فالمراد

(١) وفي بعض النسخ: ثقات.

بالعيب عيوب أنفسهم، وفي بعضها بالتخفيف فالمراد عيوب غيرهم.

. [قوله عليه السّلام: «يعملون» في الشبهات]: [لفظة «في» بمعنى الباء، أو فيه توسّع.

قوله عليه السّلام: «[المعروف فيهم] ما عرفوا»: أي بعقولهم وأهوائهم.

[وقوله عليه السّلام: «قد أخذ منها»: الضمير راجع إلى النفس أو إلى المبهات والمعضلات.

٩٤٧- نهج: من خطبة له عليه السّلام في خطاب أصحابه:

وقد بلغتم من كرامة الله منزلةً، تكرم بها إماؤكم، وتوصل بها جيرانكم، ويفضّلكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، وهابكم من لا يخاف لكم سطوةً ولا لكم عليه إمرة، وقد ترون عهود الله منقوضةً فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون. وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، فمكنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمّتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسرون في الشهوات.

وأيم الله لو فرقوكم تحت كلّ كوكب، لجمعكم الله لشرّ يوم لهم.

بيان :

الوصل: ضدّ القطع والهجران. [والمراد من قوله: «جيرانكم»: أي أهل الذمة والمعاهدين، ويحتمل المجاورين في المسكن.

قوله عليه السّلام: «من لا فضل لكم عليه»: كتعظيم الروم والحبيشة مسلمي العرب.

قوله عليه السلام: «من لا يخاف لكم سطوة»: كالمملك في أقاصي البلاد، لما شاع وذاع من أنهم قوم صالحون، إذا دعوا الله استجاب لهم، وينصرهم بملائكته كما قيل.

قوله عليه السلام: «وأنتم»: الواو للحال. والذمة: العهد والأمان والضمان والحرمة والحق.

وأنف - كفرح -: أستنكف. والغرض توبيخهم على تركهم إنكار المنكرات.

والمراد بنقض العهد ما ظهر من الناكثين والقاسطين والمارقين وغيرهم من نقض البيعة وقتل المسلمين والإغارة عليهم، ولا ريب أن السكوت عن إنكار تلك المنكرات مع الاستنكاف عن نقض ذمم الآباء، يدل على أن عهود الله أضعف عندهم من عهود آبائهم، وهو في حد الكفر.

[قوله عليه السلام]: «وكانت أمور الله عليكم ترد»: أي وأنتم المخاطبون بالأوامر والنواهي، أو كنتم قبل ذلك في أيام الرسول صلى الله عليه وآله، موارد أمور الله ومصادرها، مطيعين له منكرين للمنكرات.

وكان المراد بالورود، السؤال. وبالصدور، الجواب. وبالرجوع، التحاكم.

ويمكن تعميم الورد والصدور، فالمراد بالرجوع. رجوع النفع والضرر في الدارين. وقيل: أي كانت أمور الله عليكم ترد: أي بتعليمي لكم، وعنكم تصدر إلى من تعلمونه إياها، ثم إليكم ترجع بأن يتعلمها بنوكم وإخوتكم منهم.

[قوله عليه السلام]: «لشر يوم»: أي يوم ظهور المسودة، أو خروج المهدي عليه السلام. والجمع: في الرجعة، أو المراد جمع صنفهم.

٩٤٨- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام:

ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله، أنّي لم أردّ على الله سبحانه ولا على رسوله ساعة قطّ، ولقد واسيته [آسيته «خ»] في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخّر الأقدام، نجدةً أكرمني الله بها.

ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لعلّى صدري، وقد سألت نفسه في كفيّ، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني، فضجّت الدّار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هَيْئمة منهم، يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه.

فمن ذا أحقّ به منّي حياً وميتاً، فانفذوا على بصائرکم، ولتصدق نيّاتکم في جهاد عدوكم، فوالذي لا إله إلاّ هو، إنّني لعلّى جادة الحقّ، وإنّهم لعلّى مزلة الباطل. أقول ما تسمعون وأستغفر الله [العظيم «خ»] لي ولكم.

بيان :

استحفظته الشّيء: أودعته عنده وسألته أن يحفظه. و«المستحفظون» - على بناء المفعول -: المطّلعون على أسرار الرسول صلى الله عليه وآله وسيرته، الصّادقون في الشهادة الذي لم يغيروا ولم يبدّلوا للأغراض الدنيويّة.

وقال ابن أبي الحديد: الظاهر أنّه عليه السلام يومئ في قوله: «لم أردّ على الله...» إلى أمور وقعت عن غيره.

ثمّ ذكر أموراً كثيرةً من مخالفات عمر ومعارضاته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

و [أيضاً] قال [ابن أبي الحديد] في [شرح] قوله عليه السلام: «ولقد آسيته بنفسي»: يقال: واسيته، بالهمزة أفصح. وهذا مما اختصّ عليه السلام بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد. وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت يوم خيبر حتّى فتحها وفرّ من كان بعث بها قبله. انتهى.

وقال الجوهري: نكص ينكص [من باب ضرب] وينكص [من باب نصر] رج. و «نجدة»: منصوب على المصدر لفعل محذوف وهي الشجاعة.

[قوله عليه السلام:] «وإنَّ رأسه لعلى صدري»: قيل: لعله أسنده إلى صدره عند اشتداد علته، أو كان رأسه صلى الله عليه وآله على ركبته، فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه.

وقد يقال: المراد بسيلان النفس، هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس. وقيل: أراد بنفسه دمه. يقال: إنَّ رسول الله جاء عند وفاته دماً يسيراً، وأنَّ علياً مسح بذلك وجهه. ولا ينافي ذلك نجاسة الدم؛ لجواز أن يخصَّص دم الرسول صلى الله عليه وآله.

والضجيج: الصياح عند المكروه والجزع. والهيمنة: الكلام الخفي لا يفهم. والصلاة: تحتمل الحقيقة والدعاء.

وأنتصاب قوله: «حيّاً وميتاً» بالحالية عن الضمير المجزور في [قوله]: «به»، لا عن الضمير في «ميتاً» كما لا يخفي.

قوله عليه السلام: «فانفذوا»: أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم. والمزلة الموضع الذي يزل فيه الانسان كالمرزقة.

٩٤٩- نهج: [و] من له كلام عليه عليه السلام:

أيها [آيتها «خ»] النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أطأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوة الأسد، هيهات! أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم أعوجاج الحق.

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام؛ ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك؛ فيأمن المظلومون من عبادك؛ وتقام المعطلة من حدودك.

اللهم إني أول من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني بالصلاة إلا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل؛ فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة.

بيان :

«الغائبة عنهم عقولهم»: غيبة العقول عن أربابها، أبلغ في الدلالة من غيبيتها عن أعتبر الشهود بالنسبة إليه.

«أظأركم»: أي أعطفكم. يقال: ظأرت الناقة إذا عطف على ولد غيرها.

وقال الجوهرى: المعز من الغنم: خلاف الضأن، وهو أسم جنس، وكذلك المعزى. والوعوعة: الصوت.

قوله عليه السلام: «هيهات»: قال ابن أبي الحديد: يفسره الناس بمعنى هيهات أن أطلعكم مضيئين ومنورين سرار العدل! والسرار آخر ليلة من الشهر، وتكون مظلمة، ويمكن أن يفسر بوجه آخر، وهو أن يكون السرار بمعنى السرور وهو خطوط مضيئة في الجبهة وهو نص أهل اللغة على أنه يجوز فيه السرار^(١). قالوا: ويجمع السرار على أسرة. ويقولون: برقت أسرة وجهه،

(١) كذا في أصلي، وفي شرح ابن أبي الحديد: «وقد نص أهل اللغة على أنه يجوز فيها: «سرر» و«سرا» قالوا: ويجمع سرار على أسرة مثل حمار وأحمر...».

فالمعنى: هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل ويبرق وجهه!

ويمكن أن ينصب «سرار» على الظرفية، ويكون التقدير: هيهات أن أطلع بكم الحقّ زمان أستساراه واستخفائه، فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير.

وقال الكيدري: سرار الشهر وسرره: آخر ليلة منه. والسرار: المسارة من السر. وجمع سرر: الكتف والجبهة: و «سرار العدل»: أي في سرار [العدل] فحذف حرف الجرّ ووصل انفعال.

وقيل: أي هيهات أن أظهر بمعونتكم ما خفي واستسرّ من أقمار العدل وأنواره! انتهى.

[أقول: ولعلّ المراد بـ«الذي كان»: [هو] الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع. و «لم يكن»: ناقصة، و «كان»: تامة. والمنافسة: المغالبة في الشيء. و«الحطام»: ما تكسّر من اليبس، وهو كناية عن متاع الدنيا. والمراد بفضوله: زخارفها وزينتها وما لا يحتاج إليه منها. ومعالم الدين: الآثار التي يهتدى بها. والإيابة: الرجوع.

قوله عليه السلام: «نهمته»: أي حرصه وجشعه على أموال رعيته.

ومن رواه «نهمة» - بالتحريك - فهي إفراط الشهوة في الطعام. والجفاء: خلاف البرّ والصلة، ورجل جافي الخلقة والخلق: أي منقبض غليظ.

[قوله عليه السلام: «فيقطعهم»: أي عن الوصول إليه أو عن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم. والأوّل أظهر وإن لم يكن يذكره أحد.

قوله عليه السّلام: «ولا الحائف» بالحاء المهملة: من الحيف وهو الظلم والجور.

والدّول بضمّ الدال المهملة: جمع الدّولة - بالضم - وهي أسم المال

المتداول، قال الله تعالى: ﴿كَيْلًا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [٧٦/الحشر: ٥٩]: أي إذا لم يقسم الإمام بالسّوية، ويخصّ بالمال بعضهم دون بعض، فيتخذ قوماً دون قوم فيفرّق المسلمين.

وروي «الحائف» بالمعجمة. والدول - بكسر الدال جمع دولة - بالفتح - وهي الغلبة: أي من يخاف دول الأيام وتقلب الدهور، فيتخذ قوماً يتوقّع نفعهم في دنياه، ويقوّمهم ويضعف آخرين.

قوله عليه السلام: «دون المقاطع»: أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه، بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالباطل، أو يسوّف الحكم حتّى يضطر المحقّ ويرضى بالصلح، فيذهب بعض حقّه. ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى «غير»: أي يقف في غير مقطعه.

وقال ابن أبي الحديد: فإن قلت: أفتراه عنى بهذا قوماً بأعيانهم؟ قلت: الإمامية تزعم أنّه رمز بالجفاء والعصبيّة لقوم دون قوم إلى عمر. ورمز بالجهل إلى من كان قبله، ورمز بتعطيل السنّة إلى عثمان ومعاوية. انتهى.

والأظهر أن المراد بالبخیل [هو] عثمان، لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين؛ ولما مرّ منه عليه السلام في [الخطبة] الشقشقية. و [المراد] بـ «الجاهل» جميعهم. وبـ «الجاني» عمر كما مرّ أيضاً في [الخطبة] الشقشقية. وبـ «الحائف للدول» عمر و عثمان كما هو المعلوم من سيرتهما. وبـ «المعطل للسنّة» أيضاً جميعهم.

٩٥٠ - نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

ليتأس صغيركم بكبيركم، وليرؤف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفأة الجاهليّة، لا في الدّين يتفقّهون، ولا عن الله يعقلون، كقيض بيض في أداخ

يكون كسره وزراً، ويخرج حضائها شراً..

[و] منها: أفترقوا بعد ألفتهم، وتشتتوا عن أصلهم، فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه، على أن الله تعالى سيجمعهم لشر يوم لبني أمية، كما تجتمع قزع الخريف، يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاًماً كركام السحاب، ثم يفتح الله لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تثبت له أكمة، ولم يردّ سنّه رصّ طود، ولا حداب أرض. يذعدعهم الله في بطون أوديته، ثم يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكن لقوم في ديارهم قوم.

وأيم الله ليزوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكين، كما تذوب الألية على النار.

أيّها الناس ! لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، لكنكم تهتمّ متاه بني إسرائيل. ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي أضعافاً؛ بما خلّفتكم الحقّ وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد.

وأعلموا أنّكم إن اتّبعتم الدّاعي لكم، سلك بكم منهاج الرّسول، وكفّتم مؤنة الاعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق.

إيضاح:

[لزوم] تأسّي الصغير بالكبير، لأنّه أكثر تجربةً وأحزم.

وقال الكيدري: أي ليتأسّ من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيها، وليرحم كلّ من له جاه ومنزلة في الدنيا بالمال والقوّة كلّ من دونه.

و «القيض» بالفتح قشرة البيض العليا اليابسة. وقيل: التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء. وفي بعض النسخ: «كبيض هيص»: أي كسر. والأداحي:

جمع الادحى بالضم، وقد يكسر وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وهو أفعول من دحوت؛ لأنها تدحوه برجلها؛ أي تبسطه، ثم تبيض فيه وليس للنعام عش.

وقال ابن أبي الحديد: وجه الشبه، أنه إن كسرها كاسراً ثم؛ لأنه يظن ببيض القطة، وإن لم يكسر، يخرج حضانها شراً، إذ يخرج أفعى قاتلاً. وأستعار لفظ الأداحي للأعشاش مجازاً؛ لأن الأداحي لا يكون إلا للنعام.

وقال ابن ميثم: نهاهم أن يشبهوا جفاة الجاهلية في عدم تفقههم في الدين، فيشبهون إذا بيض الأفاعي في أعشاشها. ووجه الشبه أنه إن كسره كاسراً أثم؛ لتأذي الحيوان به، فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاة الجاهلية، لا يحل أذاهم لحمة الإسلام، وإن أهملوا وتركوا على الجهل، خرجوا شياطين.

والحضان بالكسر: مصدر، حضن الطائر بيضه: إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه، وهو مرفوع بالفاعلية.

قوله عليه السلام: «افترقوا...»: يذكر حال أصحابه وشيعته.

وقال ابن أبي الحديد: الأخذ بالغصن من تمسك بعده عليه السلام بذرية الرسول صلى الله عليه وآله، وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون كذلك.

ثم ذكر عليه السلام أن الفريقين يجتمعان لشر يوم. و«القرع» جمع قرعة وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً، والركام: ما كنف من السحاب. و«مستثارهم» موضع ثورانهم وهيجانهم.

والجنتان هما اللتان ذكرهما الله في القرآن في قصة أهل سبأ. والقارة: الجبل الصغير. والأكمة: الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. و«سننه»: طريقه. وطود مرصوص: أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض. والحدايب: جمع حدة وهي الروابي والنجاد. والذعذة:

التفريق ولعلها كناية عن اختفائهم بين الناس، ثم إظهارهم بالاعانة والتأييد. والمراد بالقوم ثانياً آل الرسول صلى الله عليه وآله، وهو إشارة إلى ظهور بني عباس وانقراض بني أمية.

وقوله عليه السلام: «وأيّم الله ليزوبنّ ما في أيديهم»: يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بني أمية أو بني العباس.

وتاه في الأرض: ذهب متحيراً، والمتاه مصدر. والمراد بالأدنى نفسه عليه السلام، وبالأبعد من تقدم عليه. و [المراد بـ] الداعي هو عليه السلام أو القائم عليه السلام. والإعتساف: سلوك غير الطريق. وفدحه الدين: أثقله. والمراد بالثقل الفادح الاثم والعذاب في الآخرة أو الأعم.

٩٥١- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام: أمّا بعد أيّها الناس ! فأنّا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجتريّ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيبتها واشتدّ كلبها.

فأسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني^(١) عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئة وتضلّ مئة، إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركاها ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً!

ولو قد فقدتموني ونزلت [بكم «خ»] كرائه الأمور وحواذب الخطوب، لأطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلّصت حربكم، وشمرت عن ساق، وضائق [وكانت «خ»] الدّنيا عليكم ضيقاً تستطيّلون معه أيام البلاء عليكم، حتّى يفتح الله لبقية الأبرار منكم^(٢)

٩٥١- رواه الشريف الرضي رحمه الله في المختار: (٩٢) من كتاب نهج البلاغة.

(١) وفي وسط السطر من أصلي نقلاً عن بعض النسخ: «ولا تسألوني...».

(٢) وفي وسط الأسطر من أصلي نقلاً عن نسخة من نهج البلاغة: «وكانت الدنيا عليكم

ألا إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، يُنكرن مقبلات ويعرفن مدبرات، يَحْمَن حوم الرياح يُصَبِن بلداً ويُخْطِن بلداً.

ألا [و] إنّ أخوف الفتن عندي عليكم، فتنة بني أميّة، فإنها فتنة عمياء مظلمة، عمّت خطّتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها.

وأيم الله لتجدنّ بني أميّة لكم أرباب سوء بعدي، كالنّاب الضّروس، تَعْدِم بغيها، وتخطب بيدها، وتزبن برجلها، وتنع درّها. لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلّا نافعا لهم، أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا مثل انتصار العبد من ربّه، والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشيّة، وقطعا جاهليّة، ليس فيها منار هدى ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة.

ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبّرة لا يعطيهم إلّا السيف، ولا يحلسهم إلّا الخوف، فعند ذلك تودّ قريش بالدنيا وما فيها لو يروني [يرونني «خ»] مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطوني.

إيضاح:

قال ابن أبي الحديد: ^(١) هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة، وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النّهران، وفيها ألفاظ لم يوردها الرّضي رحمه الله. ثمّ ذكر بعض الألفاظ المتروكة منها:

ضيّقاً...».

(١) ذكره ابن أبي الحديد في أواخر شرحه للكلام وهو المختار: (٩٢) من هج البلاغة: ج ٧ ص ٥٧ ط الحديث بمصر، وفي ط الحديث ببيروت: ج ٢ ص ٦١٤.

قوله عليه السلام: «ولم يكن ليَجترئَ عليها غيري، ولو لم أك فيكم ما قوتل أهل الجمل والنهران. وأيم الله لولا أن تَكَلُّوا فتدعوا العمل، لحدتكم بما قضى الله عز وجل على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله، لمن قاتلهم ببصراً لضلالتهم، عارفاً للهدى الذي نحن عليه.

سلوني قبل أن تفقدوني، فإنِّي ميّت عن قريب أو مقتول، بل قتلاً. ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذه! وضرب [عليه السلام] يده على لحيته.

ومنها في ذكر بني أمية: يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى يملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً، إلى أن يضع الله عز وجل جبروتها، ويكسر عمدتها، وينزع أوتادها. ألا وإنكم مدركوها، فانصروا قوماً كانوا أصحاب آيات بدر وحنين تؤجروا، ولا تمالئوا عليهم عدوهم، فيصير عليهم البلية وبحلّ بكم النّعمة^(١)

ومنها: إلّا مثل انتصار العبد من مولاه، إذا رآه أطاعه، وإذا توارى عنه شتمه. وأيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشرّ يوم لهم.

ومنها: فانظروا أهل بيت نبيكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجنّ الله [الفتنة] برجل منّا أهل البيت. بأبي أبن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً، موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر، حتّى تقول قريش^(٢): لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا. يغريه الله ببني أمية، حتّى يجعلهم حطاماً ورفاتاً «ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً»^(٣)

(١) كذا في أصلي المطبوع وفي شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٦١٤ ط بيروت: فتصرعكم البلية وتخلّ بكم النّعمة.

(٢) هذا هو الصواب المذكور في شرح ابن أبي الحديد، وفي أصلي: «موضوعاً على عاتقه يمانية حتّى تقول قريش: ...».

(٣) ما بين القوسين المزدوجين مقتبس من الآية: (٦١) من سورة الاحزاب: ٣٣.

ثمّ قال [أبن أبي الحديد]: فإن قيل: فمن هذا الرجل الموعود به! قيل: أمّا الامامية فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر، وأنّه ابن أمة أسمها نرجس. وأمّا أصحابنا، فيزعمون أنّه فاطمي يولد في مستقبل الزمان، لأنّ ولد وليس بموجود الآن.

فإن قيل: فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجوداً حتّى ينتقم منهم؟

قيل: أمّا الإماميّة فتقول بالرجعة، ويزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أمية وغيرهم، إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنّه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم، ويسمل عيون بعضهم ويصلب قوماً آخرين، وينتقم من أعداء آل محمد عليهم السلام المتقدّمين [منهم] والمتأخرين.

وأما أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة عليها السّلام يستولي على السفيناني وأشياعه من بني أميّة^(١)

ثمّ قال: فإن قيل: لماذا خصّ أهل الجمل وأهل النهروان بالذكر، ولم يذكر [أهل] صِفّين؟ قيل: لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة الإلتباس، أمّا أهل الجمل [فـ] لحسن ظنّهم بطلحة والزبير، وكون عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله معهم.

وأما أهل النهروان، فكانوا أهل قرآن وعبادة وأجتهاد، وعزوف عن الدنيا، وهم كانوا قرّاء العراق وزهادها.

وأما معاوية، فكان فاسقاً مشهوراً بقلة الدين والانحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره، عمرو بن العاص ومن اتّبعهما من طعام أهل الشام وأجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز قتالهم

(١) هذا محصّل ما أقاده ابن أبي الحديد وليس نصّ كلامه.

ومحاربتهم. انتهى.

قوله عليه السّلام: «فأنا فقأت» يقال: فقأت العين: أي شقققتها أو قلعتها بشحمها، أو أدخلت الإصبع فيها. وفَقَأَ عين الفتنة: كسر ثورانها. وحذف المضاف - أي عين أهلها - بعيد.

وعدم أجترأ غيره عليه السلام على إطفاء تلك الفتنة؛ لأنّ الناس كانوا يهابون قتال أهل القبلة، ويقولون: كيف نقاتل من يؤذّن كأذاننا ويصلّي بصلاتنا؟

والغيب: الظلمة وتموجها وعمومها وشمولها، تشبيهاً لها بالبحر. والكلب - بالتحريك -: داء يعرض للإنسان من عضّ الكلب، والعطش. والمراد شرّها وأذاها.

والفتنة: الطائفة والجماعة [و] لا واحد لها من لفظها. وناعقها: الداعي لها، أو إليها. والمناخ - بضمّ الميم - موضع الاناخة. والركاب: الإبل التي يسار عليها. والواحدة: راحلة والرحل - بالفتح -: كلّ شيء يعدّ للرحيل. وحطّطت الرحل: أنزلته عن الإبل. والمحطّ: أسم مكان. وقيل: هو المناخ مصدران. والكرهية: النازلة: وكرائه الأمور: المصائب التي تكرهها النفوس. والحوازب: جمع حازب. وهو الأمر الشديد، وحزبه أمر: اشتدّ عليه ودهمه. والخطب - بالفتح -: الشأن والحال والأمر الذي تقع فيه المخاطبة. والإطراق: السكوت، وإطراق السائل لصعوبة الأمر وشدّته [عليه] حتّى أنّه يبهته عن السؤال ويتحيرّ كيف يسأل. والفشل: الجبن والضعف.

قوله عليه السّلام: «وذلك»: أي النّزول والإطراق والفشل. و«قلّصت» بالتشديد: أي اجتمعت وانضمت.. والحرب إذا كانت في موضع واحد يكون أشدّ وأصعب ويكون التشديد للمبالغة. وهي بالتخفيف بمعنى ارتفعت فالمراد شدّتها وكثرتها.

ويقال: [هي] بالتشديد بمعنى استمرت في المضي. ويقال: قلص قميصه فقلّص نقليصاً: أي شمّر. لازم [و] متعدّد.

وفي بعض النسخ: «قلّصت حربكم عن ساق» بدون كلمة «شمّرت». ويروي «إذا قلّصت عن حربكم» بالتخفيف: أي إذا انكشفت كرائه الأمور وحواذب الخطوب عن حربكم.

و «شمّرت عن ساق»: أي كشفت عن شدة ومشقة كما قيل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [٤٢/ القلم: ٦٨]. وقيل: كَشَفُ الساق مثل في اشتداد الأمر وصعوبة الخطب. وأصله تسمير المخدرات عن سوقهنّ في الهرب.

وقيل: يكشف عن ساق: أي عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً. ويحتمل أن يكون الغرض تشبيه الحرب بالمجدّ في أمر، فإنّ الإنسان إذا جدّ في السعي شمّر عن ساقه ورفع ثوبه لئلاّ يمنعه.

وأستطالة الأيام: عدّها طويلة. ويوم البؤس والشدة يطول على الإنسان.

ولعلّ المراد ببقية الأبرار، أولادهم وإن لم يكونوا أبراراً في أنفسهم، إن كان [الكلام] إشارةً إلى دولة بني العباس. والأظهر أنّه [عليه السلام] أراد القائم عليه السلام.

قوله عليه السلام: «شبهت» على المعلوم: أي جعلت نفسها أو الأمور الباطلة شبيهة بالحقّ. أو على [بناء] المجهول أي أشكل أمرها والتبس على الناس.

قوله عليه السلام «نبهت»: أي أيقظت القوم من النوم، وأظهرت بطلانها عليهم.

«ينكرن»: أي لا يعرف حالهنّ. وحام الطائر حول الماء: إذا طاف ودار

لينزل عليه.

و [قوله عليه السلام]: «حوم الرياح» أي كحومها.

والخطة - بالصّمْ -: شبه القصة والأمر والخطب. وعموم خطة تلك البلية لكونها رئاسة عامّة وسلطنة شاملة. وخصوص البلية لكون حظّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم منها أوفر.

وإصابة البلاء من أبصر فيها، لحزن المبصر من مشاهدة أفعالهم الشنيعة، وقصدهم إيّاه بأنواع الأذى بخلاف الجاهل المنقاد لهم. ويطلق الرب على المالك والسيد والمدبر والمربي والمنعم.

والناب: الناقة المستنة. والضروس: السيئة الخلق تعضّ حالبها. وعذم الفرس - كضرب - إذا أكل بجفاء أو عضّ. وخبط البعير إذا ضرب بيده الأرض شديداً. والزبن: الدفع. وزينت الناقة إذا ضربت بثفتات رجلها عند الحلب. والدّر: اللبن. ويقال لكلّ خير على التوسّع.

قوله عليه السلام: «لا يزالون بكم»: أي لا يزالون يؤذونكم بأنواع الأذى حتّى لا يبقى منكم إلّا من ينفعهم في مقاصدهم، أو لا يضرّهم بإنكار المنكرات عليهم. والضائر: المضرّ. والانتصار: الانتقام. والصاحب: التابع. والمستصحب: المتبوع. والغرض إمّا نفي إمكان الانتصار، أو إثبات انتصار الأذلاء والمقهورين، كالغيبية والذمّ مع الأمن من الوصول إلى المغتاب. والشوهاء: القبيحة. والمخشية: المخوفة. والجاهلية: الحالة التي كانت العرب عليها قبل الإسلام.

والمنجاة: موضع النجاة. والغرض خلاصهم من لحوق الآثام والمتابعة في الدعوة إلى الباطل، لا الخلاص من الأذية. والأديم: الجلد. ووجه الشب أنكشف الجلد عمّا تحته من اللحم.

ويحتمل أن يكون المراد بالأديم، الجلد الذي يلفّ الانسان فيه للتّعذيب؛ لأنّه يضغطه شديداً إذا جفّ وفي تفرّجه راحة.

ويسومهم: أي يكلفهم ويلزمهم. والخسف: النقصان والذلّ والهوان. والمصبرة: المزوجة بالصبر المرّ. وقيل: أي المملوءة إلى أصبارها، أي جوانبها. والجلس - بالكسر -: كساء رقيق يكسى على ظهر البعير تحت البرذعة. وأجلس البعير: ألبسه المجلس.

ويحتمل أن يكون من المجلس الذي يبسط تحت حرّ الثياب، إشعاراً بأنهم في بيوتهم أيضاً خائفون.

وهو إشارة إلى ظهور دولة بني العبّاس. والجزور: الناقة التي تجزر.

قوله عليه السّلام: «ما أطلب اليوم بعضه»: أي الطاعة والانقياد، أي يتمنّون أن يروني فيطيعوني اطاعة كاملة، وقد رضيت منهم اليوم بأن يطيعوني اطاعة ناقصة فلم يقبلوا.

وقد روي في [كتب] السّير: أن مروان بن محمّد وهو آخر ملوك بني أميّة، قال يوم الزّاب - لما شاهد عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس بإزائه في صفّ خراسان -: لوودت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى.

ويحتمل أن يكون التمنيّ عند قيام القائم عليه السّلام.

٩٥٢ - نهج: [و] من كلام له عليه السّلام:

فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها، تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده، فاعتبروا بنزولكم منازل

من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم.

بيان :

انتصاب [قوله:] «أموال» بفعل مقدّر دلّ عليه «بذلتموها» وكذلك «أنفس». وخاطر فلان بنفسه وبماله: أي ألقاها في الهلكة. «تكرمون بالله»: أي يعزّكم الناس بأنكم أهل طاعة الله. «ولا تكرمون الله»: أي لا تطيعونه في الإحسان إلى عباده، أو [في] إجراء أحكامه بينهم.

٩٥٣- نهج: من خطبة له عليه السلام:

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا [ب] هذه الخطبة أمير المؤمنين [عليه السلام] وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هُبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف [من ليف «خ»] وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير! فقال:

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه، ونيرّ برهانه، ونوامي فضله وإمّتنانه، حمداً يكون لحقه قضاءً، ولشكره أداءً، وإلى ثوابه مقرباً، ولحسن مزيده موجباً.

ونستعين به أستعانة راجٍ لفضله مؤمّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطول، مدعن له بالعمل والقول.

ونؤمن به إيمان من رجاء موقناً، وأناب إليه مؤمناً، وخنع له مدعناً وأخلص له موحدّاً، وعظّمه ممجّداً، ولاذ به راغباً مجتهداً.

لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً؛ ولم يتقدّمه وقت ولا زمان، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول نبأ

أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم.

فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطّادات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات غير متلكنات ولا مبطّئات، ولولا إقرارهنّ بالربوبية وإذعانهنّ بالطوعية، لما جعلهنّ موضعاً لعرشه ولا مسكناً للملائكة ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصّالح من خلقه.

جعل نجومها أعلاماً يستدلّ به الحيران في مختلف فجاج الأقطار.

لم يمنع ضوء نورها إدهام سجع الليل المظلم، ولا استطاعت جلايب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السماوات من تلالؤ نور القمر.

فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج، ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا في يفاع السّفع المتجاورات، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء، وانهدال السّماء.

ويعلم مسقط القطرة ومقرّها، ومسحب الدّرة ومجرّها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الأنثى في بطنها.

والحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسيّ أو عرش أو سماء أو أرض أو جانّ أو إنس. لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحّد بأين، ولا يوصف بالأزواج، ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، الذي كلّم موسى تكليماً وأراه من آياته عظيماً، بلا جوارح ولا أدوات، ولا نطق ولا لهوات.

بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف لو صف ربّك! فصّف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين، في حجرات القدس مُرْجَحِنِينَ، متوهّة عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين.

وإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن ينقضي إذا بلغ أمد
حدّه بالفناء.

فلا إله إلا هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، وأظلم بظلمته كل نور.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش، وأسبغ عليكم
المعاش، ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سُلماً، أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك
سليمان بن داود الذي سخر له ملك الجنّ والإنس مع النبوة، وعظيم الزّلفة،
فلما استوفى طعمته، وأستكمل مدّته، رمته قِسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت
الديار منه خالية، والمساكن معطّلة وورثها قوم آخرون.

وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين
الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرّسّ الذين قتلوا النّبيّين وأطفأوا
سنن المرسلين وأحيوا سنن الجبارين؟ أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا
الآلوف وعسكروا العساكر ومدّوا المدائن؟!

[و] منها: قد لبس للحكمة جُنّتها، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال
عليها، والمعرفة بها، والتّفرّع لها، وهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها، وحاجته
التي يسأل عنها، فهو مغترّب إذا اغترّب الاسلام، وضرب بعسيب ذنبه؛ وألصق
الأرض بجرائنه بقيّة من بقايا حجّته، خليفة من خلائف أنبيائه.

ثمّ قال عليه السلام: أيّها النّاس! إنّّي قد بثت لكم المواعظ التي وعظ
بها الأنبياء أمّهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدّبتمكم
بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزّواجر فلم تستوثقوا، لله أنتم أتوقّعون
إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السّيل؟!

ألا إنّّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزعم
الترّحال عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدّنيا لا يبقى بكثير من الآخرة
لا يفنى.

ماضراً إخواننا الذين سفكت دماؤهم - وهم بصفين - أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص، ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوقأهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم.

أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برءوسهم إلى الفجرة؟

قال [نوف]: ثمّ ضرب يده إلى لحيته وأطال البكاء، ثمّ قال عليه السلام: أوه على إخواني الذين تلووا القرآن فأحكموه! وتدبروا الفرض فأقاموه! وأحبوا السنة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوا! ثمّ نادى بأعلى صوته

الجهاد الجهاد عباد الله! ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرّواح إلى الله فليخرج [فليبرح «خ»].

قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد - رحمه الله - في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري [في] عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتّى ضربه الملعون ابن ملجم، لعنه الله، فتراجعت العساكر. فكنا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كلّ مكان.

تبيان :

قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد، وقال [أبن الأثير] في [كتاب] النهاية: الرياش والريش: ما ظهر من اللباس. وقيل: الرياش: جمع الريش، ويقع الرياش على الخصب والمعاش والمال المستفاد.

و «أسبغ»: أي أكمل وأوسع. والمعاش والمعيشة: مكسب الإنسان الذي

يعيش به. والسلم كسكر -: ما يرتقى عليه. واستعمل هنا في الوسيلة.

وكون النبوة والزلفة - أي القرب والمنزلة - من الوسائل إلى البقاء، لاستجابة الدعاء معها، فهما مظهرتان للتوصل إلى البقاء في الباطن، كما أنّ السلطنة الكاملة مظنة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر. والطعمة: الرزق المقدر. والقسي: جمع القوس. والنبل: السهام العربية، لا واحد من لفظها.

وقال ابن أبي الحديد: نبال الموت أسبابه. والاضافة البيانية للمبالغة بعيدة.

والعمالقة: أولاد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. والفراعنة: ملوك مصر. وقد مضى ذكر أصحاب الرّسّ.

وعسكروا [العساكر]: أي جمعوها. ومدّنوا المدائن: أي بنوها.

قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جنتها»: إشارة إلى القائم عليه السلام كما ذكره ابن أبي الحديد نقلاً عن الإمامية. و«التفرغ لها»: أي عن العلائق والشواغل.

قوله عليه السلام: «ضالّته»: إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «الحكمة ضالة المؤمن».

قوله عليه السلام: «فهو مغترب»: أي هذا الشخص يخفي نفسه ويخملها إذا ظهر الفسق والجور وأغترب الإسلام بإغتراب العدل والصلاح، وهو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام.

وقال [ابن الأثير] في [مادة «ذنب» من كتاب] النهاية: في حديث علي عليه السلام: أنّه ذكر فتنة فقال: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه»^(١)

(١) وهذا رواه أيضاً الهروي في مادة «ذنب» من كتاب غريب الحديث.

ورواه أيضاً السيّد الرضّي في المختار الأوّل من غريب كلام أمير المؤمنين بعد المختار (٢٦٠)

أي فارق أهل الفتنة وضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينه وأتباعه الذين يتبعونه على رأيه وهم الأذئاب.

وقال الزمخشري: الضرب بالذنب هاهنا مثل للإقامة والثبات، يعني يثبت هو ومن يتبعه على الدين.

وقال الفيروزآبادي: العسيب: عظم الذنب أو منبت الشعر منه، والبعير إذا أعيا وتأذى ضرب بعسيب ذنبه.

وإصاق الأرض بجرانه كناية عن ضعف الإسلام وقلة نفعه، فإن البعير أقل ما يكون نفعه حال بروكه. وجران البعير: صدره أو مقدم عنقه. وبث الخبر: نشره. والحداء: سوق الإبل والغناء لها.

[قوله عليه السلام: «وَأَسْتَوْثِقُوا»: أستجمعوا وأنضموا. و «الزواجر»: النواهي والإيعادات. «يطأ بكم الطريق»: أي يذهب بكم في سبيل الحق.]

قوله عليه السلام: «ما كان مقبلاً»: أي الهدى والرشاد الذي كان في أيام الرسول صلى الله عليه وآله، أو في أيام خلافته عليه السلام، فيكون إشارة إلى قرب أرتحاله عليه السلام من دار الفناء.

و [المراد من قوله: «ما كان مدبراً»: الضلال والفساد. و «أزعم الأمر»: أي عزم عليه. والترحال - بالفتح: مبالغة في الرحلة.]

وكلمة «ما» في [قوله عليه السلام: «ما ضرّ»: نافية، ويحتمل الإستفهام أيضاً] على الإنكار. والفاعل [هو قوله: «أن لا يكونوا».]

وإساعة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام ومشاهدة المنكرات، بحيث صار تجرّع الغصص عادة لهم، أو عن الرضا بقضاء الله. والغصة: ما يعترض في الحلق. والرنق - بالفتح والتحريك -: الكدر من الماء.

وعمار هو ابن ياسر المعروف وقد مرّ فضله. وابن التيهان بالياء المنقوطة بأثنتين تحتها، المشددة المكسورة، وقبلها تاء منقوطة بأثنتين فوقها، ذكره ابن أبي الحديد وجوّز فتح الياء أيضاً. والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة وفتح التاء وكسرها معاً.

وفي القاموس: وتيهان وتيهان مشددة الياء ويكسر، وهو أبو الهيثم وأسمه مالك.

وقال ابن أبي الحديد: الصحيح أنّه أدرك صفين وشهدها مع علي عليه السلام... وقيل: توفي في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وذو الشهادتين هو خزيمة بن ثابت وقصته مشهورة، يكنى أبا عمار، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وشهد صفين مع علي عليه السلام، فلما قتل عمار قاتل حتى قتل.

قوله عليه السلام: «تعاهدوا»: أي جعلوا الموت بينهم عقدًا. أو تابعوا على الموت وروي: «تعاهدوا». «وأبرد برؤوسهم» [مأخوذ] من البريد: أي ارسل للبشارة بها. و«الفجرة»: أمراء عسكر الشام. و«أوه» ساكنة الواو مكسورة الهاء: كلمة شكوى وتوجّع، وربما قلبوا الواو ألفاً، فقالوا: آه من كذا، وآه على كذا. وربما شدد الواو وكسروها وسكنوا الهاء، فقالوا: آوه من كذا. وربما حذفوا الهاء مع التشديد وكسروا الواو، فقالوا: أومن كذا بلا مدّ. وقد يقولون: آوه بالمدّ والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء، لتطويل الصوت بالشكاية. وربما أدخلوا فيه التاء تارة يمدّونه، وتارة لا يمدّونه، فيقولون: أو تاه وأوتاه، والإسم منه الآهة بالمدّ. ذكره الجوهرى وابن أبي الحديد.

وإحكامه [أي القرآن]: تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسنات، والتدبر في معانيه والعمل بمقتضاه.

وأراد عليه السلام بالقائد: نفسه. والرواح إلى الله: الذهاب إلى الفوز

برضوانه، أو إلى لقائه بالشهادة.

وقيس هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كان شجاعاً جواداً من كبار شيعة علي عليه السلام، شهد حروبه كلّها. وأبوه سعد بن عبادة، كان رئيس الخزرج، ولم يبايع أبا بكر، ومات على عدم البيعة. والمشهور أنّهم قتلوه لذلك، وأحالوا قتله على الجنّ، وافتروا شعراً من قبل الجنّ كما مرّ.

وأبو أيوب هو خالد بن سعد بن كعب الخزرجيّ من بني النجّار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهدته كلّها، وكان على مقدّمته يوم النهروان.

والاختطاف: أخذك الشيء بسرعة. والمراد هنا إمّا الأخذ بالنهب والقتل والاذلال، أو الأغواء والاضلال.

٩٥٤- ما: جماعة عن محمد بن عمران المرزباني، عن محمد بن موسى عن محمد بن سهل عن هشام عن أبي مخنف عن ابن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله الأزدي قال:

قام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الناس، ليستنفرهم إلى أهل الشام، وذلك بعد انقضاء المدّة التي كانت بينه وبينهم، وقد شنّ معاوية على بلاد المسلمين الغارات، فاستنفرهم في الرغبة في الجهاد والرهبة فلم ينفروا، فأضجره ذلك، فقال:

يا أيّها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم! ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم. كلامكم يوهن الصّمّ الصلاب، وتثاقلكم عن طاعتي يطمع فيكم عدوّكم [المرتاب]. إذا أمرتكم قلتم: «كيت وكيت

وعسى» أعاليل بأباطيل وتسألوني التأخير، دفاع ذي الدين المطول.

هيهات هيهات! لا يدفع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد والصبر. أي دار بعد داركم تمنعون! ومع أي إمام بعدي تقاتلون! المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب.

أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدق قولكم، فرق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم.

أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرةً يتخذها الظالمون فيكم سنةً، يفرق جماعتكم، وتبكي عيونكم، وتمنون عما قليل أنكم رأيتوني فنصرتوني، وستعرفون ما أقول لكم عما قليل، ولا يبعد الله إلا من ظلم.

قال: فكان جندب لا يذكر هذا الحديث إلا بكى، وقال: صدق والله أمير المؤمنين، قد شملنا الذل ورأينا الأثرة، ولا يبعد الله إلا من ظلم.

٩٥٥ - شاج: روي أنه لما عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية، قال بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله:

أتقوا الله عباد الله! وأطيعوه وأطيعوا إمامكم، فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر.

وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقّي، ناكثاً لبيعتي، طاعناً في دين الله عز وجل.

وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، فجتئتموني راغبين إليّ

٩٥٥ - رواه الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في الفصل: (٣٠) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٣٩، ط النجف.

ورواه أيضاً الطبرسي رحمه الله في كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ١٧٢، ط بيروت.

في أمركم، حتّى أستخرجتموني من منزلي لتبايعوني، فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم، فراودتموني القول مراراً، وراددتكم، وتداكتم عليّ تداك الإبل الهيم على حياضها، حرصاً على بيعتي، حتّى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً، فلمّا رأيت ذلك منكم، رأيت في أمركم وأمرى، وقلت: إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم، لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامى، ويعدل فيهم عدلى. وقلت: واللّه لألينهم وهم يعلمون حقّي وفضلي، أحبّ إليّ من أن يلووني ولا يعرفون حقّي وفضلي. فبسطت يدي فبايعتموني يا معاشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، وأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي [و] عهد الله وميثاقه. وأشدّ ما أخذ على النّبیین من عهد وميثاق لتقرنّ لي^(١)، ولتسمعن لأمرى، ولتطيعوني وتناصحوني، وتقاتلون معي كلّ باغ عليّ، أو مارق إن مرق. فبايعتم لي بذلك جميعاً، وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه وذمّة الله وذمّة رسوله، فأجبتهموني إلى ذلك، وأشهدت الله عليكم، وأشهدت بعضكم على بعض. فقامت فيكم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله. فالعجب من معاوية بن أبي سفيان! ينازعني الخلافة، ويجحدني الإمامة، ويزعم أنّه أحقّ بها مني، جرأة منه على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بغير حقّ له فيها، ولا حجة. ولم يبايعه المهاجرون، ولا سلّم له الأنصار والمسلمون.

يا معاشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي! أما أوجبت لي على أنفسكم الطاعة؟ أما بايعتموني على الرغبة؟ أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي؟ أما بيعتي لكم يومئذٍ أوكد منبيعة أبي بكر وعمر؟ فما بال من خالفني لم ينقض عليها حتّى مضى، ونقض عليّ ولم يوف لي! أما يجب عليكم نصحي ويلزمكم أمرى؟ أما تعلمون أنّ بيعتي تلزم الشاهد منكم والغائب؟ فما بال معاوية وأصحابه طاعنون في بيعتي! ولِم لم يفوا لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهرى، أولى بالأمر ممن تقدّمني؟ أما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه

(١) كذا في ط الكباني من أصلي، وفي ط النجف من كتاب الإرشاد: «لَتَفَنّ لي...».

وآله يوم الغدير في ولايتي وموالياتي.

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! وَتَحَاتُّوا عَلَى جِهَادٍ مُعَاوِيَةَ الْقَاسِطِ النَّكَثِ وَأَصْحَابِهِ الْقَاسِطِينَ، [و] أَسْمَعُوا مَا أُنْذِرُكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ لِتَتَّقُوا، فَإِنَّهُ وَاللَّهُ عِظَةٌ لَكُمْ. فَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَازْجَرُوا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، فَقَدْ وَعَظَكُمْ اللَّهُ بِغَيْرِكُمْ فَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْمُ أَبْعَثْ لَنَا مُلْكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا: وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مُلْكًا قَالُوا: أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* [٢٤٦ - ٢٤٧ / البقرة: ٢].

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عِبْرَةً؛ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْخِلَافَةَ وَالْإِمْرَةَ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَعْقَابِهِمْ، وَأَنَّهُ فَضَّلَ طَالُوتَ وَقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِاصْطِفَائِهِ إِيَّاهُ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ، فَهَلْ تَجِدُونَ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَزَادَ مُعَاوِيَةَ عَلِيٍّ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ؟!

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ! وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَالَكُمْ سَخَطُهُ بَعْضِيَانَكُمْ لَهُ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ* [٧٨ - ٧٩ / المائدة: ٥].

[وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:] ﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ* [١٥ / الحجرات: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلَكُم عَلَىٰ تَجَارَةِ نَجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ إِلَيْكُمْ * تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٠-١٢/الصف: ٦١].

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ! وَتَحَاثُّوا عَلَى الْجِهَادِ مَعَ إِمَامِكُمْ. فَلَوْ كَانَ لِي بِكُمْ عَصَابَةٌ بَعْدَ أَهْلِ بَدْرٍ، إِذَا أَمَرْتَهُمْ أَطَاعُونِي، وَإِذَا اسْتَنْهَضْتَهُمْ نَهَضُوا مَعِي، لَاسْتَغْنَيْتُ بِهِمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْكُمْ، وَأَسْرَعْتَ النُّهُوضَ إِلَى حَرْبٍ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُ الْجِهَادُ الْمَفْرُوضُ.

بيان :

إنّما أوردته في هذا الباب؛ لأنّه بالنهوض الثاني أنسب منه بالأوّل، وإنّ أحتمله.

٩٥٦ - شاج: [و] من كلامه عليه السلام يجري مجرى الإحتجاج، مشتملاً على التوبيخ لأصحابه على ثناقلهم لقتال معاوية، والتفنيذ، متضمناً للووم والوعيد:

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي أَسْتَفَرْتُكُمْ لَجِهَادِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلَمْ تَنْفَرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، شُهُوداً كَالْغَيْبِ.

أَتَلَوْ عَلَيْكُمْ الْحِكْمَةَ فَتَعْرَضُونَ عَنْهَا، وَأَعْظَمَكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَنْفَرُونَ عَنْهَا، كَأَنَّكُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ وَأَحْشَكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْجَوْرِ فَمَا أَتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي، حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سِيبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ

تتربّعون حلقاً، تضربون الأمثال، وتنشدون الأشعار، وتجسّسون الأخبار، حتّى إذا تفرّقتُم، تسألون عن الأشعار. جهلة من غير علم، وغفلة من غير ورع، وتتبعاً من غير خوف. ونسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعالييل والأضاليل.

فالعجب كلّ العجب - وكيف لا أعجب - من اجتماع قوم على باطلهم وتحاذلهم عن حقّكم.

يا أهل الكوفة! أنتم كأمّ مجالد، حملت فأملصت، فمات قيّمها، وطال أيّمها وورثها أبعداها.

والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنّم الدنيا، لا يبقّي ولا يذر.

ومن بعده النّهاسّ الفرّاس، الجموع المنوع، ثمّ ليتوارثكم من بني أميّة عدّة، ما الآخر [منهم] بأرأف بكم من الأوّل، ما خلا رجلاً واحداً [منهم] بلاء قضاه الله على هذه الأمّة، لا محالة كائن.

يقتلون خياركم، ويستعبدون أرذالكم، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم من جوف حجالكم، نقمةً بما ضيّعتم من أموركم وصلاح أنفسكم ودينكم.

يا أهل الكوفة! أخبركم بما يكون قبل أن يكون، لتكونوا منه على حذر، ولتنذروا به من اتّعظ وأعتبر. كأني بكم تقولون: إنّ علياً يكذب كما قالت قریش لنبيّها وسيدها نبيّ الرحمة محمد بن عبد الله حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فياويلكم، فعلى من أكذب! أعلى الله! فأنا أوّل من عبد الله ووحدّه، أم على رسول الله صلى الله عليه وآله! فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره. كلاً ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لتعلمن نبأها بعد حين، وذلك إذا صيركم إليها جهلكم، ولا ينفعكم عندها علمكم.

فقبحاً لكم يا أشباه الرّجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال.

أما واللّه أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم! ما أعزّ الله نصر من دعاكم، ولا أسترّاح قلب من قاساكم، ولا قرّت عين من آواكم. كلامكم يوهي الصّم الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدّوكم المرتاب.

يا ويحكم، أيّ دار بعد داركم تمنعون! ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون! والمغرور واللّه من غرّتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخبب.

أصبحت لا أطعم في نصركم، ولا أصدّق قولكم. فرق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم، وأعقبكم بي من هو شرّ لكم مني.

إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. واللّه لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم واللّه لوددت أني لم أعرفكم، ولم تعرفوني، فإنّها معرفة جرّت ندماً!

لقد ورّيتم صدري غيظاً، وأفسدتم عليّ أمري بالخذلان والعصيان، حتى لقد قالت قريش: إنّ علياً رجل شجاع [و] لكن لا علم له بالحروب. لله درهم! هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً مني وأشدّها مقاساة؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ثمّ ها أنا قد ذرّفت على السّتين، ولكن لا أمر لمن لا يطاع.

أما واللّه لوددت أن ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، وإنّ المنية لترصدني، فما يمنع أسقاها أن يخضبها؟ - ونزل [عليه السلام] يده على رأسه ولحيته - عهداً عهداً إليّ النّبّي الأمّي صلّى الله عليه وآله. وقد خاب من

افتري، ونجا من اتقى وصدق بالحسنى.

يا أهل الكوفة! قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، ورسراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم؛ فإنه ما غزي قوم في عُقر دارهم إلا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتهم، وثقل عليكم قولي، واستصعب عليكم أمري، واتخذتموه وراءكم ظهيراً حتى شنت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات، تمسيكم وتصبحكم كما فعل بأهل المثلات من قبلكم، حيث أخبر الله عز وجل عن الجابرة العتاة الطُّغاة، والمستضعفين الغواة في قوله تعالى: ﴿يَذِبحُونَ أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾^(١)

أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد حلّ بكم الذي توعدون.

عائبتكم يا أهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم، وأدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي^(٢)، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعوا. ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف. وما كنت متحرراً صلاحكم بفساد نفسي، ولكن سيُسلط عليكم سلطان صعب، لا يوقر كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم وليذلنكم، وليجرنكم في المغازي، ويقطعن سبلكم، وليحببنكم على بابه حتى يأكل قلوبكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلا من ظلم. ولقلّ ما أدبر شيء فأقبل، إني لا ظنكم على فترة، وما عليّ إلا النصّح لكم.

يا أهل الكوفة! مُنيّت منكم بثلاث واثنين: صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو ألسن، وعمي ذوو أبصار. لا إخوان صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء.

(١) والآية الكريمة قد وردت في ثلاث سور من القرآن المجيد في الآية: (٤٩) من سورة البقرة،

وفي الآية (١٤١) من سورة الأعراف، وفي الآية: (٦) من سورة إبراهيم.

(٢) في النسخة الخطية: «وأدبتكم بالدرة فلم أنتفع بكم، وأدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي» الظاهر أنه خطأ من الناسخ، والصحيح ما أثبتناه في المتن، وهو مطابق لرواية الاحتجاج.

اللّهم إني قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني. اللّهم لا ترض عنهم أميراً، ولا ترضهم عن أمير، وأمث قلوبهم كإيّاث الملح في الماء.

أما واللّله لو [كنت] أجد بداً من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت. ولقد عاتبتكم في رشدكم حتّى سئمت الحياة، [وأنتم في] كلّ ذلك ترجعون بالهزء من القول، فراراً من الحقّ، وإلحاداً إلى الباطل^(١) الذي لا يعزّ الله بأهله الدين، وإني لأعلم بكم أنكم لا تزيدوني غير تخسير.

كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم أناقلتم إلى الأرض، وسألتموني التأخير دفاع ذي الدّين المطول. إن قلت لكم في القبط: سيروا. قلت: الحرّ شديد. وإن قلت لكم: سيروا في البرد. قلت: القرّ شديد. كلّ ذلك فراراً عن الحرب إذا كنتم عن الحرّ والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة! قد أتاني الصريح يخبرني أنّ ابن غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلاً في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الرّوم والخزر، فقتل بها عاملي ابن حسان، وقتل معه رجالاً صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوّء الله لهم جنّات النّعيم، وإنّه أباحها.

وقد بلغني أنّ العصبة من أهل الشام، كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيهتكون سترها، ويأخذون القناع من رأسها، والخرص من أذنّها، والأوضاع من يديها ورجليها وعضديها، والخلخال والمئزر عن سوقها، فما تمتنع إلّا بالاسترجاع والنّداء «يا للمسلمين» فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أنّ مؤمناً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي ملوماً بل كان عندي باراً محسناً.

(١) كذا في أصلي من البحار، ومثله في طبع النجف من كتاب الإرشاد، ولعلّ الصّواب: «وإلحاداً إلى الباطل...».

واعجبا كلَّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم: وفشلكم عن
حَقِّكم! قد صرتم غرضاً يُرمى ولا ترمون، وتُغزون ولا تغزون، ويعصون الله
وترضون، فتربت أيديكم يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها، كلما اجتمعت من
جانب تفرقت من جانب.

بيان :

التّفنيد: اللّوم وتضعيف الرأي. والقسورة: الأسد. وقال الجوهري:
ألمصت المرأة يولدها أي أسقطته. ونهس اللحم: أخذه بمقدّم الأسنان. ونهس
الحية: لسعها. وفرس الأسد فريسته: دقّ عنقها.

والمراد بالنّهاس الفراس، إمّا هشام بن عبد الملك لاشتهاره بالبخل، أو
سليمان بن عبد الملك، فإنّه الذي قيضت له الخلافة بعد وفاة الحجاج بقليل.
والأوّل أنسب.

والمراد بالرجل الواحد [هو] عمر بن عبد العزيز.

قوله عليه السّلام: «ولكنّها لهجة خدعة»: أي إذا قلت لكم: سأظفر على
الخصم إن شاء الله، فليس هذا من الكذب، بل هو كما مرّ وكذا أشباهه من
مصالح الحرب وغيره.

ويحتمل إرجاع ضمير «لكنّها» إلى ما ذكره من نسبته عليه السلام إلى
الكذب، خصوصاً على نسخة «أغنياء» بالنّون، أي ما ذكرتم لهجة خدعتم فيها
من الشيطان، ولم تكن لكم حاجة إلى ذكرها.

وفي الصحاح: وهى السّقاء يهبي، وهياً إذا أنخرق وانشقّ. وفيه: ورى
القيح جوفه يريه ورياً: أكله والاسم الورى بالتحريك. وورّى الجرح سائره
تورية: أصابه الورى. والمراس: الممارسة والمعالجة. ورصده: رقبه. والترصد:
الترقب.

قوله عليه السلام: «تسيكم وتصبحكم»: لعلّ الضمير المستتر فيهما راجع إلى الفواحش والمنكرات: أي يأتيكم إمّا صباحاً أو مساءً عقوبات تلك المنكرات كما فعل بمن قبلكم.

أو الكاف اسمي: أي يأتيكم مثل ما فعل بهم. أو قبله تقدير: أي يأتيكم عقوبته كما فعل بهم.

أو الضميران راجعان إلى شئ الغارات وظهور الفواحش والمنكرات، ويكون المراد ظهورها من المخالفين فيهم فهذه عقوبة أعمالهم.

قوله عليه السلام: «وليجرنكم»: أي يبعثكم جبراً. وفي بعض النسخ: «وليجهزّنكم». وفي بعضها: «وليجمرنكم» وتجمير الجيش أن تحبسهم في أرض العدو ولا تقفلهم من الثغر. وتجمروا: أي تحبسوا.

و [قوله عليه السلام: «وليحببنكم»]: ضمن معنى القيام فُعدي بـ«على».

قوله عليه السلام: «إن قلت لكم في القيظ» [كذا في كتاب الإحتجاج و] في [كتاب] الإرشاد: «إذا قلت لكم: أنفروا في الشتاء. قلت: هذا أوان قرّ وصر. وإن قلت لكم: أنفروا في الصيف. قلت: «هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحرّ عنا كلّ ذلك فراراً عن الجنة. [و] إذا كنتم عن الحرّ والبرد...» إلى آخر الكلام.

قوله عليه السلام: «قد أتاني الصريح» [كذا] في أكثر النسخ بالخاء المهملة، وهو الرجل الخالص النسب. وكلّ خالص صريح.

والأظهر أنّه بالخاء المعجمة كما في [كتاب] الإرشاد: أي المستغث أي من يطلب الاغاثة والمدد لدفع ظلمهم.

والعصبة من الرجال - بالضم - ما بين العشرة إلى الأربعين. وفي

القاموس: الخرص بالضم - ويكسر -: حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحلي. وفي النهاية: [الخرص - بالضم والكسر -:] الحلقة الصغيرة من الحلي وهو من حلي الأذن.

و [أيضاً] قال [أبن الأثير:] فيه: «أنَّ يهودياً قتل جاريةً على أوضاع لها»: هي نوع من الحلي يعمل من الفضة سمّيت بها لبياضها، واحدها وضع.

وقد أوردنا شرح بعض الفقرات في الروايات الأخر.

٩٥٧- مع: الطالقاني عن الجوهري عن الجلودي وهشام بن عليّ معاً عن ابن عائشة، بإسناد ذكره: أنَّ عليّاً [عليه السلام] أنتهى إليه أنَّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسان بن حسان. فخرج مغضباً يجرّ ثوبه حتّى أتى النخيلة، وأتبعه الناس فرقى رباوةً من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أما بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله الخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وسياء الخسف، وديث بالصغار.

وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم من قبل أن يغزوكم، فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قطّ في عقر ديارهم، إلّا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتّى شنت عليكم الغارات.

هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقتلوا حسان بن حسان ورجالاً منهم كثيراً ونساءً، والذي نفسي بيده لقد بلغني أنّه كان [الرجل من أهل

الشام^(١) يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فينتزع أحجالها ورعشها، ثم انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلمة. فلو أنّ امرأة مسلماً مات من دون هذا أسفاً، ما كان عندي فيه ملوماً، بل كان عندي به جديراً. يا عجباً كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلهم عن حقّكم!

إذا قلت لكم: أغزوهم في الشتاء، قلت: هذا أوان قرّ وصرّ. وإن قلت لكم: أغزوهم في الصيف، قلت: هذه حمارة القيظ، أنظرنا ينصرم الحرّ عنا. فإذا أنتم من الحرّ والبرد تفرون، فأنتم واللّه من السيف أفرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا طعام الأحلام ويا عقول ربّات الحجال. واللّه لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفي غيظاً حتّى قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب شجاع ولكن لا رأي له في الحرب.

للّه درهم! ومن ذا يكون أعلم بها وأشدّها مراساً مني! فواللّه لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ولقد نيّفت اليوم على السّتين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع. يقولها ثلاثاً.

فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين! أنا وأخي هذا كما قال اللّه عزّ وجلّ حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أملك إِلَّا نفسي وأخي﴾ فمرنا بأمرك، فواللّه لننتهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد.

فدعا له بخير ثمّ قال: وأين تقعان مما أريد! ثمّ نزل [عليه السلام].

قال الصدوق رضي اللّه عنه: تفسير: قال المبرد: سيّء الخسف تأويله: علامة [الخسف] قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿سيّاهم في وجوههم من أثر السجود﴾

(١) ما بين المعوقين زيادة من مأخوذة من مصادر آخر منها المختار: (٢٧) من كتاب نهج البلاغة كما أنّ جملة: «والذي نفسي بيده» في هذا الحديث من وهم الرواة ولا مورد لها هاهنا.

[٢٩ / الفتح] وقال الله عز وجل: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ [٤١ / الرحمن]
وقال الله عز وجل: ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ [١٢٥ / آل عمران: ٣] أي معلمين.

وقوله: «ديت بالصغار»: تأويل ذلك يقال للبعير إذ ذلته الرياضة: بعير
مديث: أي مذلل. وقوله: «في عقر ديارهم»: أي في أصل ديارهم. والعقر:
الأصل. ومن ثم يقال: لفلان عقار: أي أصل مال.

وقوله: «تواكلتم»: هو مشتق من وكلت الأمر إليك ووكلته إلي إذا لم
يتولّه أحد دون صاحبه، ولكن أحال به كلّ واحد على الآخر. ومن ذلك قول
الحطيئة:

أمور إذا واكلتها لا تواكلوا.

وقوله: «واتخذتموه وراءكم ظهرياً»: أي لم تلتفتوا إليه. يقال في المثل: لا
تجعل حاجتي منك بظهري: أي لا تطرحها غير ناظر إليها.

وقوله: «حتى شنت عليكم الغارات»: يعني صبت. يقال: شنت الماء على
رأسه: أي صببته. ومن كلام العرب: فلماً لقي فلان فلاناً شنه بالسيف: أي صبه
عليه صباً.

وقوله: «هذا أخو غامد»: فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بني
غامد بن نصر من الأزد.

قوله «فينتزع أحجالهما»: يعني الخلاخيل، واحداها حجل، ومن ذلك قيل
للداية: محجلة. ويقال للقيد: حجل لأنه يقع في ذلك الموضع.

و [أما] قوله: «ورعتهما»: فهي الشنوف واحداها رعة، وجمعها رعاث
وجمع الجمع رعث.

وقوله: «ثم أنصرفوا موفورين» من الوفرة: أي لم ينل أحد منهم بأن يرزأ

في بدن ولا مال. يقال: فلان موفور، وفلان ذو وفر: أي ذو مال، ويكون موفوراً في بدنه.

وقوله: «لم يكلم أحد منهم كلمة»: أي لم يخدش أحد منهم خدشاً، وكل جرح صغير أو كبير فهو كلم.

وقوله: «مات من دون هذا أسفاً»: يقول تحسراً، وقد يكون الأسف الغضب، قال الله عزّ وجلّ: «فلما آسفونا انتقمنا منهم» [٥٥ / الزخرف: ٤٣] والأسيف يكون الأجير، ويكون الأسير.

وقوله: «من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم»: أي من تعاونهم وتظاهروا بهم. وقوله: «وفشلكم من حقكم» يقال: فشل فلان عن كذا إذا هابه فنكل عنه وأمتنع من المضي فيه.

وقوله: «قلتم هذا أوان قرّ وصرّ». فالصرّ: شدة البرد، قال الله عزّ وجلّ: «كمثل ريح فيها صرّ» [آل عمران: ١٣].

وقوله: «هذه حمارة القيظ». فالقيظ: الصيف، وحمارته: اشتداد حرّه.

بيان :

قوله: «وجمع الجمع: رعث». [قال ابن اثير] في [مادة «رعث» من كتاب] النهاية: الرّعات: القرطة وهي من حلي الأذن، واحدها: رَعْثَة رَعَثَ وجنسها: الرّعْث.

أقول قد مرّ شرح باقي الفقرات، وفي رواية أخرى.

٩٥٨- ما: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

٩٥٨- رواه شيخ الطائفة - مع آخر عنه عليه السلام - في الحديث: (٢٨) وما حوله من الجزء الأوّل من أماليه: ج ١، ص ٢٢.

ولللكلام مصادر كثيرة يجد الباحث بعضها في ذيل المختار: (٩٥) من كتاب نهج السعادة

الموت طالب ومطلوب، لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فقدّموا ولا تنكّلوا، فإنّه ليس عن الموت محيص، إنّكم إن لم تقتلوا تموتوا. والذي نفس عليّ بيده، لألف ضربة بالسيف على الرأس، أهون من موت على فراش.

٩٥٩- ما: المفيد عن الثّار عن محمد بن الحسين عن أبي نعيم، عن صالح بن عبد الله عن هشام عن أبي مخنف عن الأعمش، عن أبي إسحاق السبيعي عن الأصبغ بن نباتة رحمه الله، قال: إنّ أمير المؤمنين [عليه السلام] خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أيّها الناس ! أسمعوا مقالتي وعوا كلامي، إنّ الخيلاء من التّجبر، والنخوة من التّكبر، وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدّكم الباطل.

ألا إنّ المسلم أخو المسلم، فلا تنازروا ولا تتخاذلوا، فإنّ شرائع الدّين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق ومن فارقتها محق. ليس المسلم بالخائن إذا أئتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذوب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرّحمة، وقولنا الحقّ، وفعلنا القسط، ومنا خاتم النّبیین، وفينا قادة الإسلام وأمناء الكتاب، ندعوكم إلى الله ورسوله، وإلى جهاد عدوه والشّدّة في أمره وابتغاء رضوانه، وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزّكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفیء لأهله.

ألا وإنّ [من] أعجب العجب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو

ج ١، ص ٣١١ ط ٢.

٩٥٩- رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (١٣) من الجزء الأوّل من أماليه ص ٩ ط بيروت.

ورواه الشيخ المفيد رحمه الله في المجلس: (٢٧) من أماليه ص ١٤٥.

ورواه ابن أبي الحديد - نقلاً عن الغارات - في آخر شرحه على المختار: (٢٧) من نهج البلاغة:

ج ١، ص ٣٣٨ ط الحديثة بيروت.

بن عاص السهمي، يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما! وإني والله لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط، ولم أعصه في أمر قط، أقيه بنفسه في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص، بقوة أكرمني الله بها فله الحمد.

ولقد قبض النبي صلى الله عليه وآله وإن رأسه في حجري، ولقد وليت غسله، أغسله بيدي، وتقبله الملائكة المقربون.

وأيم الله، ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على حقها، إلا ما شاء الله.

قال: فقام عمار بن ياسر رحمة الله عليه فقال: أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأمة لم تستقم عليه. ففرّق الناس وقد نفذت بصائرهم.

٩٦٠ - ما: المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفى، عن محمد

بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح الطيالسي عن إسماعيل بن زياد عن ربيعة بن ناجد قال: لما وجه معاوية بن أبي سفيان ابن عوف الغامدي إلى الأنبار إلى الغارة، بعثه في ستة آلاف فارس، فأغار على «هيت» و«الأنبار» وقتل المسلمين وسبى الحريم وعرض الناس على البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، استنفر أمير المؤمنين عليه السلام الناس وقد كانوا تقاعدوا عنه واجتمعوا على خذلانه، وأمر مناديه في الناس فاجتمعوا فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أما بعد أيها الناس! فوالله لأهل مصركم في الأمصار، أكثر في العرب من الأنصار. وما كان يوم عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمنعه ومن معه من المهاجرين، حتى يبلغ رسالات الله إلا قبيلتان، صغير مولدهما، ما هما

بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثرهم عدداً، فلما آووا رسول الله صلى الله عليه وآله، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة. فتجردوا للدين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبال، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزن وأهل السهل، قناة الدين، وتصبروا تحت أحلاس الجلاد، حتى دانت لرسول الله صلى الله عليه وآله العرب، ورأى فيهم قرّة العين قبل أن يقبضه الله إليه. فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب.

فقام إليه رجل آدم طوال فقال: ما أنت كمحمد، ولا نحن كأولئك الذين ذكرت، فلا تكلفنا ما لا طاقة لنا به.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخساً [أحسن «خ»] مستمعاً تحسن إجابةً، ثكلتكم الثواكل ما تزيدوني إلا غماً، هل أخبرتكم أني مثل محمد! أو أنكم مثل أنصاره! وإنها ضربت [لكم] مثلاً، وأنا [كنت] أرجو أن تأسوا بهم.

ثم قام رجل آخر وقال: ما أحوج أمير المؤمنين ومن معه إلى أصحاب النهروان. ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا.

فقام رجل فقال بأعلى صوته: أستبان فقد الأشر على أهل العراق، أن لو كان حياً لقلّ اللغط، ولعلم كل امرئ ما يقول.

فقال لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه: هبلتكم الهوايل، لأننا أوجب عليكم حقاً من الأشر، وهل للأشر عليكم من الحق إلا حق المسلم على المسلم؟! وغضب فنزل.

فقام حجر بن عديّ وسعيد بن قيس فقالوا: لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتبعه، فوالله العظيم ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تفرّق، ولا على عشائرننا أن تقتل في طاعتك.

فقال لهم: تجهّزوا للمسير إلى عدّونا.

ثمّ دخل عليه السلام منزله، ودخل عليه وجوه أصحابه فقال لهم: أشيروا عليّ برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد.

فقال سعيد بن قيس: عليك يا أمير المؤمنين بالناصح الأريب [و] الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي. قال: نعم. ثمّ دعاه فوجّهه وسار [معقل] ولم يعد حتّى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام.

بيان :

المراد بالقبيلتين الأوس والخزرج. وقال الجوهرى: تجرّد للأمر: جدّ فيه.

قوله عليه السلام: «وتصبروا تحت أحلاس الجلاّد»: أي صبروا صبراً شديداً على ملازمة القتال. [قال ابن الأثير] في [مادة «حلس» من كتاب] النهاية: «كونوا أحلاس بيوّكم»: أي ألزموها. وفيه: «نحن أحلاس الخيل»: يريدون لزومهم ظهورها. وأستحلسنا الخوف: أي لم نفارقه.

وفي بعض النسخ: «تحت حماس الجلاّد» [قال الفيروز آبادي] في القاموس: حمس كفرح؛ اشتدّ وصلب في الدين. والقتال والحمس: الأمانة الصلبة، والأحمس: الشجاع كالحميس. والحمس: الصوت. والآدم من الناس: الأسمر. والطوال بالضمّ: الطويل.

قوله عليه السلام: «أخسأ»: أي أبعد، يقال: خسأت الكلب خسأً؛ طردته. وخسأ الكلب بنفسه. يتعدى ولا يتعدّى. و«مستمعاً» على بناء الفاعل. وفي بعض النسخ: «أحسن» بالحاء المهملة والنون. و«مستمعاً» بفتح الميم مصدر. واللفظ - بالتحريك -: الصوت والجلبة وهبلته أمّه ثكلته.

٩٦١- شا: [و] من كلامه صلوات الله عليه حين نقض معاوية العهد،

وبعث بالضحّاك بن قيس للغارة على أهل العراق، فلقي عمرو بن عَميس بن مسعود فقتله وقتل ناساً معه من أصحابه، وذلك بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أهل الكوفة! اخرجوا إلى العبد الصّالح وإلى جيش لكم قد أصيب منه طرف. اخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

قال: فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً، ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال: والله لو ددت أنّ لي بكلّ ثمانية منكم رجلاً منهم! ويحكم أخرجوا معي ثمّ فرّوا عنيّ إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربّي على نبيّ وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة، والثّياب المتّهرة، كلّما خيطت من جانب، تهتكت من جانب على صاحبها.

بيان :

قال الجوهرى: الطرف - بالتحريك - : الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء.

و [قوله عليه السلام:] «المتّهرة» في بعض النسخ بالتاء المثناة قال [الفيروزآبادي] في القاموس: اهتر : مزق العرض . وبالكسر: السقط من الكلام. وهتره الكبر يهتره: [جعله خرفاً وأفقده عقله].

وفي بعضها [«المهبرة»] بالباء الموحّدة من قولهم: «هبره»: قطعه قطعاً كبيراً وهو أنسب. ويحتمل الياء من قولهم هار البناء: هدمه، فهار وتهور وتهير وأنهار، وهو أنسب بما في بعض الروايات مكانه من المتداعية.

٩٦٢- شا: [و] من كلامه عليه السلام في استنفار القوم وأستبطنهم

السلام في كتاب الإرشاد ص ١٤٥، ط النجف.

٩٦٢- ٩٦٤- رواه الشيخ المفيد قدّس الله نفسه في الفصل: ٣٩ وما بعده مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإرشاد، ص ١٤٥ - ١٤٨ ط النجف.

عن الجهاد، وقد بلغه مسير بسر بن أرطاة إلى اليمن:

أما بعد أيّها الناس! فإنّ أوّل رفثكم وبدء نقضكم، ذهاب أولي النّهى وأهل الرّأي منكم، الّذين كانوا يلقون فيصدّقون، ويقولون فيعدّلون، ويدعّون فيجيبون. وإنيّ والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً، وسراً وجهرًا، وفي اللّيل والنّهار، والغدو والأصال، [ف] ما يزيدكم دعائي إلّا فراراً وإدباراً. أما يعظكم [تنفعكم «خ»] العظة والدّعاء إلى الهدى والحكمة!

وإنيّ لعالم بما يصلحكم ويقيم لي أودكم، ولكنيّ - والله - لا أصلحكم بفساد نفسي. ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم والله بامرئٍ قد جاءكم، يحرمكم ويعذّبكم فيعذّبه الله كما يعذّبكم.

إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك الدّين، أنّ ابن [ظ] أبي سفيان يدعو الأرذال فيجابه، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون. ما هذا فعل المتّقين!

بيان:

«أوّل رفثكم» في أكثر النسخ بالفاء والثاء المثلثة: وهو الفحش من القول. ولا يناسب كثيراً.

ويحتمل الثاء [المثناة الفوقانية] من قولهم: «رفته يرفته [من باب ضرب ونصر]: كسره ودقه. و [رفت الشيء]: أنكسر وأندق. و [رفت الحبل]: أنقطع. لازم ومتعدّد.

وفي بعض النسخ: بالقاف والثاء - وهو أظهر -: أي ضعفكم وقتلتمكم. ومراوغة الثعلب وروغانه مشهوران.

٩٦٣- شا: [و] من كلامه صلوات الله عليه في هذا المعنى، بعد حمد الله والثناء عليه: ما أظنّ هؤلاء القوم - يعني أهل الشام - إلّا ظاهرين عليكم.

فقالوا له: بهذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أرى أمورهم قد علت، ونيرانكم قد خبت، وأراهم جدّين، وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم مطيعين، وأراكم لي عاصين.

أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدنهم أرباب سوء من بعدي لكم.

لكأنّي أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم فيكم. وكأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب، ولا تأخذون حقاً ولا تمنعون لله من حرمة.

وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحكم، ويخيفون قرّاءكم، ويحرمونكم ويحبسونكم ويدنون الناس دونكم. فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السيوف ونزول الخوف، لقد ندمتم وحسرتم على تفريطكم في جهادكم، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية، حين لا ينفعكم التذكّار.

بيان :

قال الجوهرى: كشيش الأفعى: صوتها من جلدها لا من فمها، وقد كُشّت تكشّ. وقال: الحسرة: أشدّ التلهف على الشيء الفائت، تقول منه: حسر على الشيء - بالكسر - يحسر حسراً وحسرةً فهو حسير.

٩٦٤- شا: [و] من كلامه عليه السلام لما نقض معاوية بن أبي سفيان شرط المودعة، وأقبل يشنّ الغارات على أهل العراق، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

ما لمعاوية قاتله الله! لقد أرادني على أمر عظيم، أراد أن أفعل كما يفعل فأكون قد هتكت ذمتي ونقضت عهدي، فيتخذها عليّ حجة، فيكون عليّ شيناً إلى يوم القيامة كلّما ذكرت. فإن قيل له: أنت بدأت، قال: ما عملت ولا أمرت. فمن قائل يقول: صدق. ومن قائل يقول: كذب.

أم واللّه إنّ الله لذو أناة وحلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراعنة الأولين، وعاقب فراعنة، فإن يمهّل الله فلم يفته، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، فليصنع ما بدا له فإنّا غير غادرين بدمّتنا، ولا ناقضين لعهدنا، ولا مروّعين لمسلم ولا معاهد حتّى ينقضي شرط المودعة بيننا إن شاء الله تعالى.

٩٦٥- شا: ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر.

الحمد لله وسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله.

أمّا بعد، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رضيني لنفسه أخاً، واختصني له وزيراً.

أيّها الناس ! أنا أنف الهدى وعيناه، فلا تستوحشوا من طريق الهدى لقلة من يغشاه من زعم أنّ قاتلي مؤمن فقد قتلي.

ألا وإنّ لكلّ دم ثائراً يوماً، وإنّ الثائر في دماننا والحاكم في حقّ نفسه وحقّ ذي القربى والبتامى والمساكين وأبن السبيل، [هو] الذي لا يعجزه ما طلب، ولا يفوته ما هرب، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

وأقسم بالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لتنتحرنّ عليها يا بني أمية، ولتعرفنّها في أيدي غيركم ودار عدوكم عمّا قليل، وستعلمنّ نبأه بعد حين.

بيان:

قال الجوهرى: أنتحر الرجل: أي نحر نفسه. وفي المثل: سرق السارق فانتحر. وانتحر القوم على الشيء: إذا تشاحوا عليه وتناحروا في القتال [تقاتلوا مستميتين].

٩٦٥- رواه الشيخ المفيد في الفصل: (٤٣) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب

الإرشاد، ص ١٤٧.

وكان في ط الكمباني لفظ «نهج» بدل «شأ».

٩٦٦- شا: ومن كلامه عليه السلام في معنى ماتقدم:

يا أهل الكوفة! خذوا أهبتكم لجهاد عدوكم معاوية وأشياعه. فقالوا: يا أمير المؤمنين أمهلنا يذهب عنا القرّ. فقال:

أما والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس بأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لطاعتهم معاوية ومعصيتكم لي.

والله لقد أصبحت الأمم كلّها تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أنا أخاف ظلم رعيتي!

لقد استعملت منكم رجالاً فخانوا وغدروا، ولقد جمع بعضهم ما أئتمنته عليه من فيء المسلمين، فحمله إلى معاوية. وآخر حمّله إلى منزله تهاوناً بالقرآن، وجرأة على الرّحمان. حتّى أنّي لو أئتمنت أحدكم على علاقة سوط لخان^(١)، ولقد أعييتموني.

ثم رفع [عليه السلام] يده إلى السماء وقال:

اللّهم إنّني سئمت الحياة بين ظهري هؤلاء القوم، وتبرّمت الأمل، فأتح لي صاحبي حتّى أستريح منهم ويستريحوا مني، ولن يفلحوا بعدي.

بيان :

تاح له الشيء وأُتيح له الشيء: أي قدّر له. ذكره الجوهري.

والمراد بالصاحب ملك الموت. عبّر كذلك لأظهار الاشتياق إلى الموت. ويحتمل [أنه] أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو [أراد] ابن ملجم لعنه الله، فالمراد بصاحبي من قدّر لقتلي.

(١) وكتب في أصلي فوق كلمة: «خان» نقلاً عن نسخة من مصدره: «خاني».

٩٦٧- شا: روى مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصّادق عليه السّلام يقول:

خطب الناس أمير المؤمنين [عليه السلام] بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أنا سيّد الشّيب، وفيّ سنّة من أيّوب، وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله، وذلك إذا أستدار الفلك، وقتلت: مات أو هلك.

ألا فاستشعروا قبلها بالصبر وبوءوا إلى الله بالذنب، فقد نبذتم قدسكم، وأطفأتم مصابيحكم، وقلّدتهم هدايتكم من لا يملك لنفسه ولا لكم سمعاً ولا بصراً، ضعف والله الطالب والمطلوب.

هذا ولو لم تتواكلوا أمركم، ولم تتخاذلوا عن نصره الحقّ بينكم، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، ولا هضم الطاعة وأزوائها عن أهلها فيكم.

تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى.

وبحقّ أقول: ليضعفنّ عليكم التّيه من بعدي باضطهادكم ولدي، ضعف ما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى.

وبحقّ قد استكملتم نهلاً، وامتلائتم عللاً^(١) من سلطان الشّجرة الملعونة في القرآن. لقد اجتمعتم على ناعق ضلال، ولأجبتكم الباطل ركضاً، ثمّ لغادرتم داعي الحقّ، وقطعتم الأدنى من أهل بدر، ووصلتم الأبعد من أبناء حرب. ألا ولو ذاب ما في أيديهم.

٩٦٧- رواه الشيخ المفيد في الفصل (٥١) مما اختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الإرشاد، ص ١٥٤.

(١) كذا في أصلي، وفي ط النجف من كتاب الإرشاد: «فلو قد استكملتم نهلاً وامتلائتم عللاً...».

لقد دنا التّحيص للجزاء، وكشف الغطاء، وأنقضت المدة، وأزف الوعد، وبدا لكم النّجم من قبل المشرق، واشرق لكم قمركم كملاء شهره، وكليّة تمّ، فإذا استبان ذلك، فراجعوا التّوبة، وخالفوا الحوبة، واعلموا أنّكم إن أطعتم طالع المشرق سلك بكم منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله، فتداويتم من الصّم، واستشفيتم من البكم، وكفيتم مؤنة التّعسف والطلب، ونبذتم الثّقل الفادح عن الأعناق. فلا يبعد الله إلّا من أبي الرّحمة، وفارق العصمة، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

٩٦٨- جا: الكاتب عن الرّزغفراني عن الثّقفي عن محمد بن إسماعيل، عن زيد ابن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله الأزدي قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب [عليه السّلام] يقول لأصحابه، وقد استنفرهم أيّاماً إلى الجهاد فلم ينفروا: -

أيّها الناس ! إنّني قد استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كأغياب^(١) وصمّ ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظة الحسنة وأحثكم على جهاد عدوكم الباغين، فما آتي على آخر منطقي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ، فإذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلّقاً عزيزن تضربون الأمثال وتتناشدون الأشعار وتسالون عن الأخبار، قد نسيتم الاستعداد للحرب وشغلتم قلوبكم بالأباطيل.

تربت أيديكم أغزوا القوم من قبل أن يغزوكم! فوالله ما غزي قوم قطّ في عقر ديارهم إلّا ذلّوا.

وأيّم الله ما أراكم تفعلون حتّى يفعلوا، ولوددت أنّي لقيتهم على نبيّ

٩٦٨- رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في المجلس: (١٨) من أماليه.

(١) كذا في النسخة، ومثله في الأمالي، وفي سائر المصادر: كغياب. وهو الصواب.

وبصيرتي فاسترحت من مقاساتكم، فما أنتم إلا كإبل جمّة أضلّ راعيها، فكلمّا ضمتّ من جانب أنتشرت من جانب آخر.

والله لكأنّي بكم لو حمس الوغا وأحمّ البأس، قد أنفرجتم عن علي بن أبي طالب أنفراج الرّأس، وأنفراج المرأة عن قبلها.

فقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فقال له: يا أمير المؤمنين! فهلاً فعلت كما فعل ابن عفان؟

فقال له عليه السلام: يا عرف النار ويلك! إنّ فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا حجة معه، فكيف وأنا على بينة من ربّي [و] الحقّ في يدي؟! والله إنّ امرأً يمكّن عدوّه من نفسه، يخذع لحمه وهشم عظمه ويفري جلده ويسفك دمه، لضعيف ما ضمتّ عليه جوانح صدره أنت فكن كذلك إنّ أحببت، فأما أنا فدون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفي، يطير منه فراش أهام، وتطيح منه الأكفّ والمعاصم، ويفعل الله بعد ما شاء.

فقام أبو أيّوب الأنصاري خالد بن زيد، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيّها الناس! إنّ أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذن واعية وقلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم بكرامة لم تقبلوها حقّ قبولها، إنّّه نزل بين أظهركم ابن عمّ نبيكم وسيّد المسلمين من بعده، يفقّهم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فكأنكم صمّ لا تسمعون، أو على قلوبكم غلف، مطبوع عليها، فأنتم لا تعقلون.

أفلا تستحيون عباد الله! أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس! قد شمل البلاء وشاع في البلاد، فذو حقّ محروم وملطوم وجهه وموطأ بطنه، وملقى بالعراء تسفي عليه الأعاصير، لا يكنّه من الحرّ والقرّ وصهر الشمس والضّحّ، إلّا الأثواب الهامدة وبيوت الشعر البالية، حتّى جاءكم الله بأمر المؤمنين، فصعد بالحقّ، ونشر العدل، وعمل بها في الكتاب.

يا قوم! فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تولّوا مدبرين، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، أشحذوا السيوف، واستعدّوا للجهاد عدّوكم، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أمرتم فاسمعوا وأطيعوا، وما قلتم فليكن ما أضمرتم عليه تكونوا بذلك من الصادقين.

٩٦٩- كتاب الغارات بإسناده إلى جندب مثله.

بيان :

الحلق بفتح الحاء وكسرهما وفتح اللام: جمع حلقة. وقال الجوهري: العزة: الفرقة من الناس، والهاء عوض من الباء، والجمع عزی على [وزن] فعل. وعِزّون وعُزّون أيضاً بالضمّ ومنه قوله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ [٣٧/ المعارج: ٧٠] قال الأصمعي: يقال: في الدار عزون: أي أصناف من الناس.

[قوله عليه السلام]: «أضلّ راعيها» في بعض النسخ: «ضلّ». [قال الجوهري] في الصحاح: قال ابن السكّيت: أضللت بعيري: إذا ذهب منك. وضللت المسجد والدار: إذا لم تعرف موضعها. وفي الحديث «لعلّي أضلّ الله» يريد أضلّ عنه: أي أخفى عليه. وقال: حمّ الشيء وأحمّ: قدّر وأحمّه أمر: أي أهّمّه. وأحمّ خروجنا: أي دنا. وفي سائر الروايات: «وحمي البأس».

قوله عليه السلام: «يا عرف النار» لعله عليه السلام شبّهه بعرف الديك، لكونه رأساً فيها يوجب دخول النار، أو المعنى أنك من القوم الذين يتبادرون دخول النار من غير رويّة، كقوله تعالى: «والمرسلات عرفاً».

وقال [الفيروزآبادي] في القاموس: خذع اللحم وما لا صلابة فيه - كمنع - خرزه وقطعه في مواضع. وقال: صهرته الشمس - كمنع -: صحرته.

٩٦٩- رواه الثقيفي رحمه الله في الحديث: (١٧٩) من كتاب الغارات على ما في تلخيصه ص ٤٩٣

والشيء: أذابه. والصهر - بالفتح -: الحار. وأصطهر وأصهار: تلاًّأ ظهره من حرّ الشمس. وقال: الضّحّ - بالكسر -: الشمس وضوؤها، والبراز من الأرض وما أصابته الشمس. وقال: الهمود: الموت وتقطع الثوب من طول الطي. والهامد: البالي المسود المتغيّر.

٩٧٠- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران، لما غلب عليهما بسر بن أرطاة، فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بتناقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم [له] في الرأي فقال:

ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلّا أنت تهبّ أعاصيرك فقبّحك الله. وتمثّل [عليه السلام بقول الشاعر]:

لعمرو أبيك الخير ياعمرو إنني على ضرر من ذا الإناء قليل
[ثم قال عليه السلام]:

أنبتت بسراً قد أطلع اليمن، وإني والله لأظنّ أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو أتتنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته!

اللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئمونني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً منّي.

اللّهمّ مث قلوبهم كإيّاث الملح في الماء.

أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم، [ثم تمثل عليه السلام]:

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم
ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قال السيّد [الرّضّي] رضي الله عنه: الأرمية: جمع «رمي» وهو السحاب. والحميم هاهنا: وقت الصيف، وإنّا خصّ الشاعر سحاب الصيف بالذكر؛ لأنّه أشدّ جفولاً وأسرع خفوقاً، لأنّه لا ماء فيه وإنّا يكون السحاب ثقیل السير، لامتلأه بالماء. وذلك لا يكون في الأكثر إلّا في زمان الشتاء. [وإنّا] أراد [الشاعر] وصفهم بالسرعة إذا دعوا، واللاغاة إذا استغيثوا، والدليل عليه، قوله: «هنالك لو دعوت أتاك منهم».

بيان :

قوله عليه السلام: «ما هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها»: أي ما مملكتي إلّا الكوفة أتصرفّ فيها كما يتصرفّ الانسان في ثوبه يقبضه ويبسطه.

والكلام في معرض التحقير، أي ما أصنع بتصرّف فيها مع حقارتها. ويحتمل أن يكون المراد عدم التمكن التامّ من التصرفّ فيها لنفاق أهلها، كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه وبسطه.

أو المراد بالبسط: بثّ أهلها للقتال عند طاعتهم. وبالقبض: الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة.

و [الخطاب] في قوله [عليه السلام]: «إن لم تكوني [إلّا أنت]» التفات.

قوله عليه السلام: «تهبّ أعاصيرك»: الجملة في موضع الحال، وخبر «كان» محذوف، ولفظ الأعاصير على حقيقته، فإنّ الكوفة معروفة بهبوب الإعصار فيها.

ويحتمل أن يكون مستعاراً لآراء أهلها المختلفة، والتقدير: إن لم تكوني إلّا أنت عدّة لي وجنّة ألقى بها العدو، وحظاً من الملك والخلافة مع ما فيك من المذاق، فقبحاً لك وبعداً.

ويمكن أن يقدر المستثنى منه حالاً، أي إن لم تكوني على حال إلّا أن تهبّ فيك الأعاصير دون أن يكون فيك من يستعان به على العدو.

والاعصار: ريح تهبّ وتمتدّ من الأرض كالعمود نحو السّماء. وقيل: [هو] كلّ ريح فيها العصار، وهو الغبار الشّدِيد. والوضر: - بفتح الضاد -: الدرن الباقي في الاناء بعد الأكل، ويستعار لكلّ بقيّة من شيء يقلّ الانتفاع بها. وأسّتعار بلفظ الإناء للدّنيا ولفظ الوضر للقليل لما فيها لحقارتها.

وروي «من ذي الآلاء» فإنّما أراد: أنّي على بقيّة من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الآلاء، مع عدم انتفاعه بشيء آخر فإنّ الآلاء كسحاب. [«وسبا» غير مهموز]: شجر حسن المنظر مرّ الطعم.

قوله عليه السّلام: «قد أطلع اليمن»: أي غلبها وغزاها وأغار عليها. من الإطّلاع وهو الاشراف من مكان عال.

قوله عليه السّلام: «سيدالون منكم»: أي يغلبونكم ويكون لهم الدولة عليكم.

ولعلّ التفرّق عن الحقّ ومعصية الامام واحد، أتى بهما تأكيداً.

وقيل: المراد بالحقّ الذي تفرّقوا عنه [هو] تصرّفهم في الفئء والغنائم وغيرها بإذن الإمام. وأداء الأمانة: الوفاء بالعهد والبيعة أو مطلقاً. والصّلاح في البلاد: ترك التعرّض للناس وتهيج الفتن. والقعب: القدح الضخم.

قوله عليه السّلام: «أن يذهب بعلاقته»: الضمير المستتر راجع إلى الأحّد [في قوله: «فلو أئتمنت أحّدكم»] والباء للتعدية، أو إلى «القعب» والباء

بمعنى مع.

وقوله عليه السّلام: «خيراً منهم وشرّاً مني»: صيغة أفعال فيه بمنزلتها في قوله تعالى: «أذلك خير أم جنة الخلد» [٥١ / الفرقان: ٢٥] على سبيل التّنزل أو التهكم، أو أريد بالصيغة أصل الصفة بدون تفضيل.

ولعلّ المراد بقوله: «خيراً منهم»: قوم صالحون ينصرونه ويوفّقون لطاعته، أو ما بعد الموت من مرافقة النبيّ صلى الله عليه وآله وغيره من الأنبياء عليهم السلام. وتنبّه عليه السلام لفوارس [من] فراس بن غنم ربما يؤيد [الوجه] الأوّل.

ويروى أنّ اليوم الذي دعا فيه عليه السلام ولد الحجاج. وروى أنّه ولد بعد ذلك بمدة يسيرة، وفعل الحجاج بأهل الكوفة مشهور. ويقال: ماث زيد الملح في الماء: أي أذابه.

قوله عليه السّلام: «لوددت [أنّ لي بكم]» إلى قوله: «هنالك لو دعوت أتاك منهم»: [البيت لأبي جندب الهذلي، وبنو فراس حيّ مشهور بالشجاعة. والجفول: الاسراع. والحقوق: العجلة.

٩٧١- نهج: وقال عليه السلام لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشياً حتّى أتى النخيلة فأدركه الناس، وقالوا:

يا أمير المؤمنين نحن نكفيكم.

فقال عليه السلام: واللّه لا تكفوني أنفسكم فكيف تكفوني غيركم! إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وإنّي اليوم لأشكو حيف رعيتي، كأني المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة!

ولما قال عليه السلام هذا القول - في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب - تقدّم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: «إنّي لا أملك إلّا

نفسى وأخي، فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننفذ له». فقال [عليه السلام]: «وَأَيْنَ تقعان مما أريد!

بيان :

وزعه يزعه: كَهَّ ومنعه.

٩٧٢-٩٧٣- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفى بإسناده عن عمارة بن عمير أنه قال:

كان لعلي عليه السلام صديق يكنى بأبي مريم من أهل المدينة، فلما سمع بتشتت الناس عليه أتاه، فلما رآه [علي عليه السلام] قال: أبو مريم؟ قال: نعم. قال: ما جاء بك قال: إني لم آتك لحاجة، ولكني [كنت] أراك لو ولوك أمر هذه الأمة أجزأته. قال: يا أبا مريم إني صاحبك الذي عهدت، ولكني مُنيت بأخبث قوم على وجه الأرض! أدعوهم إلى الأمر [الصائب] فلا يتبعوني، فإذا تابعتهم على ما يريدون تفرقوا عني.

وعن فضيل بن جعد عن مولى الأشتر قال: شكى عليّ عليه السلام إلى الأشتر فرار الناس إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين! إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة، وأهل الكوفة، والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا، وضعفت النية، وقلّ العدل، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق،

٩٧٢-٩٧٣- رواهما الثقفى رحمه الله في الحديث: (٣٤ و ٣٨) من تلخيص كتاب الغارات: ج ١، ص ٦٨ و ٧٠ ط ١.

والحديث الأول رواه أيضاً اليعقوبي في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخه: ج ٢ ص ١٨٠.

ورواه ابن ديزيل بسند آخر في كتاب صفين، كما رواه عنه ابن أبي الحديد في أواخر شرح المختار: (٤٢) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٥٦٥.

وللحديث الثاني أيضاً مصادر، ورواه أيضاً المدائني كما في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٤١٣ و ٤١٧.

وتنصف الوضع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضع، فضج طائفة ممن معك على الحق إذا عموا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقل من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحق ويستمرى الباطل ويؤثر الدنيا^(١). فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الناس، وتصفو نصيحتهم، وتستنزل ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين! وكبت عدوك، وفض جمعهم، ووهن كيدهم وشئت أمورهم، إنه بما يعملون خبير.

فأجابه علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن الله يقول: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظالم للعبيد﴾ [٤٦/ فصلت: ٤١] وأنا من أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف.

وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولم يلجأوا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلا دنياً زائلة عنهم، كأن قد فارقوها، وليُسألن يوم القيامة ألدنيا أرادوا أم لله عملوا؟

وأما ما ذكرت من بذل الأموال وأصطناع الرجال، فإننا لا يسعنا أن نؤتي امرأة من الفبيء أكثر من حقّه، وقد قال الله وقوله الحق: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ [٢٤٩/ البقرة: ٢].

و [قد] بعث [الله] محمداً صلى الله عليه وآله وحده فكشره بعد القلة، وأعزّفته بعد الذلة، وإن يرد الله [أن] يوليننا هذا الأمر، يذل لنا صعبه

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرحه: ج ١، ص ٤١٣.

وفي ط الكمباني من البحار: «يجترئ الحق ويستمرى الباطل...».

ويسهّل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله [فيه] رضا، وأنت من أعزّ أصحابي وأوثقهم في نفسي وأنصحهم عندي.

٩٧٤- كنز الكراجكي: روي أنّ هذه الأبيات لأمر المؤمنين عليه

السلام:

أخذتكم درعاً حصيناً لتدفعوا	سِهامِ العدىّ عنيّ فكنتم نصالها
فإن أنتم لم تحفظوا لودّتي	ذِمّاً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المذخور عنيّ بجانب	وخلّوا نبالي للعدىّ ونبالها

[الباب الثاني والثلاثون]

علة عدم تغيير امير المؤمنين عليه السلام

بعض البدع في زمانه

٩٧٥- ج: عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين [عليه السلام] فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا ألبستم الفتنة، ينشأ فيها الوليد، وهرم فيها الكبير، وتجري الناس عليها حتى يتخذوها سنة، فإذا غير منها شيء قيل: أتي الناس بمنكر غيرت السنة.

ثم تشتدّ البلية، وتنشأ فيها الذرية، وتدقّهم الفتن كما تدقّ النار الحطب، وكما تدقّ الرمحى بئفالها. يتفقه الناس لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة.

ثم أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه ناس من أهل بيته وخاص من شيعته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله،

٩٧٥- رواه الطبرسي رحمه الله في أواخر احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام - قبيل احتجاجات الإمام الحسن - من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ٢٦٣ ط بيروت.

ثم قال:

لقد عملت [عمل «خ»] الولاية قبلي بأمور عظيمة، خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لذلك، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرق عني جندي! حتى أبقى وحدي إلا قليلاً من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

أرايتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله ومده إلى ما كان، وأمضيت قطائع كان رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعها لناس مسلمين، ورددت دار جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها [وأخرجتها] من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كل من قضى بجور، وسبي ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خير، ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يعطي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء!

والله لقد أمرت الناس أن لا يجمعوا [لا يجتمعوا «خ»] في شهر رمضان إلا في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل دوني، وسيفه معي أتقي به في الاسلام وأهله: غيّرت سنة عمر ونهى أن يصلى في شهر رمضان في جماعة، حتى خفت أن يشور بي ناحية عسكري ما لقيت هذه الأمة من أئمة الضلالة والنداعة إلى النار!.

وأعظم من ذلك، سهم ذوي القربى الذين قال الله تبارك وتعالى [في حقهم]: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى

(١) كذا في أصلي المطبوع، وفي ط بيروت من كتاب الاحتجاج: «أنعى الإسلام وأهله» ويأتي في بيان المصنف في ذيل الحديث أن في نسخة: «وينعى الإسلام».

واليتامى والمساكين وأبن السَّبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴿٤١﴾ [الأنفال: ٨] نحن والله عنى بذوي القربى الذين قرنهم الله بنفسه ونبهه صلى الله عليه وآله، ولم يجعل لنا في الصَّدقة نصيباً، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه، وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس.

فقال له رجل: إني سمعت من سلمان وأبي ذر الغفاري والمقداد، أشياء من تفسير القرآن والرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله، [و] أنتم تخالفونهم وتزعمون أن ذلك باطل، أفترى الناس يكذبون متعمدين على نبي الله صلى الله عليه وآله ويفسرون القرآن بآرائهم؟

قال: فأقبل [إليه أمير المؤمنين] عليه السَّلام فقال له: قد سألت فأفهم

الجواب:

إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً وهمماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حيّ، حتّى قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وإنّا أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرّج في أن يكذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنهم قالوا: «صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه ولقف عنه» ويأخذون [فيأخذون «خ»] بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بها أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك.

ثمّ بقوا بعده صلى الله عليه وآله فتقرّبوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الاعمال وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، وأكلوا

بهم الدنيا وإنها الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصمه الله.

فهذا أحد الأربعة.

و [ثاني الأربعة] رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمد كذباً، وهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول: «أنا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله». فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ثم نهى [رسول الله] عنه وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ. فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وأخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً لله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يهم به، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجا به على ما سمعه، ولم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه والمحكم.

وقد يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان، فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه ولا ما قصد به وما خرج من أجله.

وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يسأله ويستفهمه، حتى أن كانوا ليحيون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله صلى الله عليه وآله عليه وآله حتى يسمعوا كلامه وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

بيان :

قد مرَّ شرح آخر الخبر وسيأتي شرح أوله.

قوله عليه السلام: «أتقي به الإسلام» في بعض النسخ: «ينعى الاسلام» [و] النعي: خبر الموت: أي كان ينادي مظهراً أنَّه مات الاسلام وأهله بتغيير سنة عمر.

٩٧٦- شي: عن حريز عن بعض أصحابنا عن أحدهما قال: لما كان أمير المؤمنين [عليه السلام] في الكوفة أتاه الناس فقالوا: اجعل لنا إماماً يؤمنا في [شهر] رمضان. فقال: لا. ونهاهم أن يجتمعوا فيه، فلما أمسوا جعلوا يقولون: أبكوا في رمضان وارمضاناه.

فأتاه الحارث الأعور في أناس فقال: يا أمير المؤمنين ضجَّ الناس وكرهوا قولك. فقال عليه السَّلام: دعوهم وما يريدون ليصليَّ بهم من شاءوا. ثمَّ قال: «فمن يتَّبِع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً»

٩٧٧- جـ: الكاتب عن الزعفراني عن الثَّقفي عن يوسف بن كليب عن معاوية بن هشام عن الصباح بن يحيى المزني عن الحارث بن حصيرة قال: حدَّثني جماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال يوماً: أدعوا [لي]

٩٧٦- رواه العياشي رحمه الله في تفسير الآيات: (١١٥) من سورة النساء وهو قوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾.

ورواه عنه السيّد هاشم البحراني رحمه الله في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان: ج ١، ص ٤١٥ ط بيروت.

٩٧٧- مجالس الشيخ المفيد المسمى بالأمال: المجلس ٤٠ ح ٥.

ورواه الشيخ الطوسي حرفياً في أواخر الجزء الرابع من أماليه: ج ١، ص ١١٦ ورواه الثَّقفي في الغارات ٢٠/١.

غنياً وباهلة - وحيأً آخر قد سَّاهم - فليأخذوا عطاياهم، فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، وإني شاهد ومنزلي^(١) عند الحوض وعند المقام المحمود، أتهم أعداء لي في الدنيا والآخرة [و] لآخذن غنياً أخذةً يضطر باهلة.

ولئن ثبتت قدماي لأردنَّ قبائل إلى قبائل، وقبائل إلى قبائل، ولأبهرجنَّ ستينَ قبيلةً ماها في الإسلام نصيب.

بيان :

البهرج: الباطل. وبهرجه: أي جعل دمه هدرأً.

٩٧٨- كا: [ثقة الإسلام الكليني] في [كتاب] الروضة [عن] علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عيَّاش عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: ألا إنَّ أخوف ما أخاف عليكم خلتان: أتباع الهوى، وطول الأمل. أما أتباع الهوى فيصدّ عن الحق.

وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا وإنَّ الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإنَّ الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكلِّ واحدة [منهما] بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وإنَّ غدأً حساب ولا عمل.

وإنَّها بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع، وأحكام تتبدع، يخالف فيها حكم

(١) وفي الأصل: ومتولي. ومثله في بعض نسخ المجالس، وفي الغارات والأمال في منزلي.

٩٧٨- رواه ثقة الإسلام الكليني في الحديث: (٢١) من كتاب الروضة من الكافي: ج ٨ ص ٥٨ ط الآخوندي.

اللّه، يتولّى فيها رجال رجالاً.

ألا إنّ الحقّ لو خلاص لم يكن اختلاف، ولو أنّ الباطل خلاص لم يخف على ذي حجب، لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجتمعان فيجلبان^(١) معاً، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من اللّٰه الحسنی، إنّی سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا ألّٰبستكم فتنة يربو فيها الصّغير، وهرم فيها الكبير، يجري النّاس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السنّة وأتى النّاس منكراً.

ثمّ تشتدّ البليّة وتسبى الدّريّة وتدقّهم الفتنة كما تدقّ النّار الحطب، وكما تدقّ الرّحى بثفالها، ويتفقّهون لغير اللّٰه، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدّنيا بأعمال الآخرة.

ثمّ أقبل [عليه السّلام] بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته، فقال:

قد عملت^(٢) الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله، متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهدّه، مغيّرين لسنّته، ولو حملت النّاس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله لتفرّق عني جندي، حتّى أبقي وحدي أو [مع] قليل من شيّعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب اللّٰه عزّ ذكره وسنّة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله.

(١) وفي روضة الكافي المطبوع: «فيجلبان» وفي نسخة منها: «فيجتمعان» وفي نسخة «فيجلبان». ورواه سليم في كتابه ص ٩١ ط النجف.

وقد رويناه نقلاً عن «باب البدع والرأي...» من كتاب فضل العلم من أصول الكافي ج ١، ص ٥٤ في المختار: (٢٣٩) من نهج السعادة ج ٢ ص ٣٠١ ط ١.

(٢) وفي روضة الكافي ط الآخوندي: «لقد عملت».

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ورددت فذك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر عليه السلام إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام، وسببت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خير، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسوية، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألقيت المساحة وسويت بين المناكح، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل وفرضه، ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الأبواب وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجناز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، إذا لفرقوا عني.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: «يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر

رمضان تطوعاً!«.

ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري!

ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى

النار!

و [لو] أعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عز وجل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ﴾ [٤١/ الأنفال: ٨] فنحن والله عنى بذي القربى الذي قرننا الله بنفسه وبرسوله، فقال: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [٧/ الحشر: ٥٩] فينا [خ: منّا] خاصّة؛ ﴿كِي لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ظلم آل محمد ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن ظلمهم، رحمة منه لنا، وغنى أغنانا الله به ووصّى به نبيّه صلى الله عليه وآله، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله رسوله صلى الله عليه وآله، وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذبوا الله وكذبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقنا، ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا. ما لقي أهل بيت نبيّ من أمّته ما لقيته بعد نبينا^(١)! والله المستعان على من ظلمنا، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العظيم!

تبيين:

أقول : وجدت في أصل كتاب سليم مثله.

قوله عليه السلام: «إِنَّ أَخَوْفَ» [لفظ: «أخوف»] مشتقّ من المبني للمفعول على خلاف القياس كأشهر.

[قوله عليه السلام: «قد ترحّلت» قال ألفير وزآباي: أرحل القوم عن

(١) وفي كتاب الروضة: «ما لقينا...».

المكان: انتقلوا كترحلوا. شبه عليه السلام أنقضاء العمر في الدنيا شيئاً فشيئاً، ونقص لذاتها بترحلها وإدبارها وقرب الموت يوماً فيوماً بترحل الآخرة وإقبالها.

[قوله عليه السلام: اليوم] عمل «قال ابن ميثم: [لفظ «عمل»] قائم مقام الخبر، من قبيل أستعمال المضاف إليه مقام المضاف: أي اليوم يوم عمل، أو وقت عمل.

[قوله عليه السلام: «إنّا بدء وقوع الفتن» الى آخره قد أورد الكليني رحمه الله، في كتاب العقل [من الكافي] هذا الجزء من الخبر بسند صحيح عن الإمام [الباقر عليه السلام وفيه: «أيها الناس إنّا بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تتبدع، يخالف فيها كتاب الله».

[قوله عليه السلام: «من هذا ضغث» الضغث: ملء الكف من الشجر والحشيش والشمرايح.

[قوله عليه السلام: «فيجلبان» وفي كتاب العقل [من الكافي]: «فيجلبان معاً، فهناك أستحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى» وهو أظهر. وعلى ما في هذا الخبر، لعل المراد نجا: الذين قال الله فيهم سبقت لهم منا الحسنى، أي سبقت لهم في علم الله وقضائه ومشيئته، الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة، أو البشري بالجنة، أو العاقبة الحسنى.

[قوله عليه السلام: «لبستم» كذا في بعض النسخ وهو الظاهر وفي بعضها: «ألبستم» على بناء المجهول من الافعال وهو أظهر. وفي أكثره: «ألبستمكم» فيحتمل المعلوم والمجهول بتكلف، إمّا لفظاً وإمّا معنى.

[قوله عليه السلام: «يربو فيها الصغير» قال الفيروزآبادي: ربا [المال] ربواً - كعلواً -: زاد ونما. والغرض بيان كثرة أمتدادها.

[قوله عليه السلام: «وقد أتى الناس منكراً» لعله داخل تحت القول

ويَحْتَمِلُ العدم.

[قوله عليه السلام:] «وكما تدقُّ الرحي بثقالها» في أكثر النسخ بالقاف ولعلَّه تصحيف. والظاهر الفاء، قال الجزري: وفي حديث عليٍّ عليه السلام: «تدقُّهم الفتن دقَّ الرحي بثقالها» الثفال - بالكسر -: جلدة تبسط تحت رحي اليد، ليقع عليها الدقيق ويسمَّى الحجر الأسفل ثفالاً بها، والمعنى أنها تدقُّهم دقَّ الرحي بالحَبِّ إذا كانت مثقلة، ولا تثقل إلاَّ عند الطحن.

وقال الفيروزآبادي: وقول زهير: «فنعركمم عرك الرحي بثقالها»: أي على ثفالها، أي حال كونها طاحنة؛ لأنَّهم لا يثفلونها إلاَّ إذا طحنت انتهى.

وعلى ما في أكثر النسخ، لعلَّ المراد مع ثفالها: أي إذا كانت معها ما يثقلها من الحبوب، فيكون أيضاً كناية عن كونها طاحنة.

[قوله عليه السلام:] «أو قليل»: أي أو يبقى معي قليل.

[قوله عليه السلام:] «لو أمرت بمقام إبراهيم». إشارة إلى ما فعله عمر من تغيير المقام عن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى موضع كان فيه في الجاهلية. [وقد] رواه الخاصَّة والعامة كما مرَّ في بدعه.

[قوله عليه السلام:] «ونزعت نساء» الخ: كالمطلقات ثلاثاً في مجلس واحد وغيرها مما خالفوا فيه حكم الله.

«وسبيت ذراري بن تغلب»: لأنَّ عمر رفع عنهم الجزية كما مرَّ في بدعه، فهم ليسوا بأهل ذمَّة فيحلَّ سبي ذراريهم.

[قوله عليه السَّلام:] «ومحوت دواوين العطايا»: أي التي بنيت على التفضيل بين المسلمين في زمن الثلاثة.

[قوله عليه السلام:] «ولم أجعلها دولة» قال الجزري: في حديث أشراف الساعة: «إذا كان المغنم دولاً»: [هي] جمع دُولَة بالضمِّ، وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم.

[قوله عليه السلام:] «وألقيت المساحة»: إشارة إلى ما عدّه الخاصّة والعامة من بدع عمر، أنّه قال: ينبغي أن يجعل مكان هذا العشر ونصف العشر دراهم، نأخذها من أبواب الأملاك، فبعث إلى البلدان من مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذه من العراق وما يليها ما كان أخذه منهم ملوك الفرس على كلّ جريب درهماً واحداً، وقفيزاً من أصناف الحبوب، وأخذ من مصر ونواحيها ديناراً واربداً عن مساحة جريب، كما كان يأخذ منهم ملوك الإسكندرية.

وقد روى البغوي في [كتاب] شرح السنة وغيره من علمائهم عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: منعت العراق درهماً وقفيزها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر اربدها ودينارها.

والإردب لأهل مصر أربعة وستون مناً وفسره أكثرهم بأنّه قد محى ذلك شريعة الإسلام. وكان أوّل بلد مسحه عمر بلد الكوفة، وقد مرّ الكلام فيه في باب بدع عمر.

[قوله عليه السلام:] «وسوّيت بين المناكح»: بأن يزوّج الشريف والوضيع كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوّج بنت عمّه مقداداً. وعمر نهى عن تزويج الموالي والعجم كما في بعض الروايات.

[قوله عليه السلام:] «وأمرت بإحلال المتعتين»: أي متعة النساء ومتعة الحجّ اللّتين حرّمهما عمر. و«خمس تكبيرات»: أي لا أربعاً كما ابتدعه العامة ونسبوه إلى عمر كما مرّ.

[قوله عليه السلام:] «والزمت الناس» الخ. يدلّ ظاهراً على وجوب الجهر بالبسملة مطلقاً، وإن أمكن حمله على تأكّد الاستحباب.

[قوله عليه السلام:] «وأخرجت» الخ: الكلام يحتمل أن يكون المراد إخراج جسدي المعلومين الذين دفنا في بيته [صلى الله عليه وآله وسلم] بغير إذنه، مع أن النبي صلى الله عليه وآله لم يأذن لهما لخوذة في مسجده،

وإدخال جسد فاطمة عليها السلام ودفنها عند النّبي صلى الله عليه وآله، أو رفع الجدار من بين قبريهما.

ويحتمل أن يكون المراد، إدخال من كان ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، كعمّار وأضرابه، وإخراج من أخرجه الرسول صلى الله عليه وآله من المطرودين. ويمكن [أن يكون] تأكيداً لما مر من فتح الأبواب وسدّها.

[قوله عليه السلام:] «وردت أهل نجران إلى مواضعهم»: لم أظفر إلى الآن بكيفية إخراجهم وسببه وبمن أخرجهم.

[قوله عليه السلام:] «وردت سبايا فارس»: لعلّ المراد الاسترداد ممن أصطفاهم أو أخذ زائداً من حظّه.

[وقوله عليه السلام:] «ما لقيت»: كلام مستأنف للتعجّب. و [قوله:] «أعطيت»: رجوع إلى الكلام السابق ولعلّ التأخير من الرواة.

وفي رواية الاحتجاج: «وأعظم من ذلك» كما مرّ وهو أظهر.

[قوله:] ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ﴾: هذه من تتمة آية الخمس، حيث قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٤١/ الأنفال: ٨].

قال البيضاوي: [جملة] (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ): متعلّق بمحذوف دلّ عليه [قوله:] «وَأَعْلَمُوا»: أي إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ فاعلموا أنّه جعل الخمس لهؤلاء، فسلموا إليهم وأقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإنّ العلم المتعلّق بالعمل إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد؛ لأنّه مقصود بالعرض، والمقصود بالذات هو العمل. ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من الآيات والملائكة والنصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر فإنّه فرّق فيه بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾

المسلمون والكفار.

أقول: لعلّ نزول حكم الخمس كان في غزاة بدر و [قوله]: «وما أنزلنا»: إشارة إليه كما يظهر من بعض الأخبار. وفسّر عليه السلام «ذي القربى» بالأئمة كما دلّت عليه الأخبار المستفيضة، وعليه أنعتقد إجماع الشيعة.

[قوله]: «كيلا يكون دولة»: هذه تتمّة لآية أخرى وردت [في فيثهم عليهم السلام حيث قال [تعالى]: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وأبن السبيل كي لا يكون﴾ [٧/ الحشر: ٥٩]: أي الفياء الذي هو حقّ الإمام عليه السلام. (دولة بين الأغنياء منكم): الدولة - بالضّم - ما يتداوله الأغنياء وتدور بينهم كما كان في الجاهلية.

[قوله عليه السلام]: «رحمة لنا»: أي فقرّر الخمس والفياء لنا رحمة منه لنا، وليغنيّا بهما أوساخ أيدي الناس.

٩٧٩- نهج: [و] قال عليه السّلام:

لو قد آستوت قدماي من هذه المداحض لغيرت أشياء.

بيان :

المداحض: المزلق. وأستواء القدمين كناية عن تمكّنه عليه السلام من إجراء الأحكام الشرعية على وجوهها؛ لأنّه عليه السلام لم يتمكن من تغيير بعض ما كان في أيّام الخلفاء كما عرفت.

٩٨٠- كا: محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل القمي عن علي بن

الحكم عن سيف بن عميرة رفعه قال: مرّ أمير المؤمنين برجل يصلي الضحى في مسجد الكوفة، فغمز جنبه بالدرة وقال: نحررت صلاة الأوّابين نحرك الله؟ قال:

٩٧٩- رواه السيّد الرضّي رحمه الله في المختار: (٢٧٢) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

٩٨٠- رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي: ج ٣ ص ٤٥٢ في الحديث ٨ من باب تقديم نوافل صلاة الضحى.

فأتركها! قال: فقال: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى.

فقال أبو عبد الله عليه السَّلام: وكفى بإنكار علي عليه السلام نهياً.

بيان :

«أَرَأَيْتَ الَّذِي»: أي أقول: أتركها، فتقول أنت وأمثالك مثل هذا؟! أو قال ذلك تقية.

٩٨١- يب: علي بن الحسن بن فضال عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد المدائني عن مصدق بن صدقة عن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الصلاة في [شهر] رمضان في المساجد.

قال: لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي أن ينادي في الناس لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السلام، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليه السلام، صاحوا واعمره واعرماه. فلما رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون واعمره واعرماه فقال أمير المؤمنين: قل لهم: صلوا.

٩٨٢- كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي:

٩٨١- رواه الشيخ الطوسي في كتاب التهذيب: ج ٣ ص ٧٠ في الحديث: (٣٠) من كتاب فضل شهر رمضان...

٩٨٢- رواه الثقفي رحمه الله في الحديث: (٧٤) من تلخيص كتاب الغارات ص ١٢٣، ط ١، وفيه: «أن أقض بما كنت تقضي...».

وقريباً منه رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٢٧٢) من قصار كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة من شرحه: ج ٥ ص ٥٧٧ ط بيروت.

وليلحظ ما رواه أبو عبيد في كتاب الأموال ص ٤١٧ ط دار الفكر.

ومثله رواه أيضاً البخاري في آخر باب فضائل علي عليه السلام من صحيحه: ج ٥ ص

عن مخول بن إبراهيم عن إسرائيل عن عاصم بن سليمان عن محمد بن سيرين عن شريح قال: بعث إليّ علي عليه السلام: أن اقضي بها كنت أقضي [سابقاً] حتى يجتمع أمر الناس.

[الباب الثالث والثلاثون]

باب

نوادر ما وقع في أيام خلافته عليه السلام

وجوامع خطبه ونوادرها

٩٨٣- كا: علي بن الحسن المؤدّب عن البرقي، وأحمد بن محمد عن علي بن الحسن التيمي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران عن عبد الله بن الحارث عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وآله ثم قال:

أمّا بعد، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم ومنزلي التي أنزلي الله عزّذكره بها منكم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، والحقّ أجمل الأشياء في التواصف، وأوسعها في التناصف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري

٩٨٣- رواه ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الحديث: (٥٥٠) من كتاب الروضة من الكافي: ج ٨ ص ٣٥٢.

ورويناه عنه في المختار: (٢٠٣) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ١٧٧، ط ١.

عليه لكان ذلك لله عز وجل خالصاً دون خلقه، لقدرته على عبادته، ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب [صروف «خ»] قضائه، ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل كفارتهم عليه بحسن الثواب فضلاً منه [وتطوُّلاً بكرمه] وتوسّعاً بها هو من المزيد له أهلاً.

ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها متكافئاً في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض .

فأعظمّ ما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق، حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعيّة على الوالي، فريضة فرضها الله عز وجل لكلّ على كلّ، فجعلها نظام ألفتهم، وعزّاً لدينهم، وقواماً لسير الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعيّة إلاّ بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلاّ بإستقامة الرعيّة.

فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقه وأدى إليها الوالي كذلك، عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، وصلاح بذلك الزمان وطاب بها العيش، وطمع في بقاء الدّولة، ويشتت مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعيّة على واليهم، وعلا الوالي الرعيّة أختلفت هنالك الكلمة، وظهرت مطامع الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت معالم السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الآثار وأكثر علل النفوس، ولا يستوحش لجسيم حدّ عطل، ولا لعظيم باطل أثل، فهنالك تذلل الأبرار وتعزّ الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عز وجل عند العباد.

فهلمّ أيّها الناس ! إلى التعاون على طاعة الله عز وجل، والقيام بعدله والوفاء بعهده، والإنصاف له في جميع حقه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد وإن اشتدّت على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله، ولكن من واجب حقوق الله عز وجل على العباد النصيحة له بمبلغ

آهدهم، والسّعاون علف إقاماه الحقّ بفنهم.

ولفس أمرؤ - وإن عظمت فف الحقّ منزالاه وآجسما فف الحقّ فضفلالاه - بمسآفن عن أن فعاون علف ما آمله الله عزّ وآلّ من آقه، ولا مرى مع ذاك آسأا به الأمور واقآآمأاه العفون بدون ما أن فففن علف ذاك وفعان علفه، وأهل الفضفلة فف الآال وأهل النعم العظام أكآر من ذاك آاجة، وكلّ فف الآاجة إلف الله عزّ وآلّ شرع سوا.

فأآابه رآل من عسكراه لا فدرى من هو، وفقال: إنّه لم فف فف عسكراه قبل ذاك الفوم ولا بعده، فقام وأآسن الآنا علف الله عزّ وآلّ بها أبلاهم وأعطاهم من وآآب آقه علفهم، والإقرار [له] بها ذكر من آصرف الآالات به ٢٣٠.

ثمّ قال: أنآ أمفرنا ونحن رعفآك، بك أآرآنا الله عزّ وآلّ من الذلّ، وبإعزآك أطلق عباده من الغل^(١)، فآآر علفنا فأمض آآفارك، وأنآمر فأمض أنآمارك، فإنّك القائد المصدّق، والآاكم الموفق، والمملك المآؤلّ، لا نساآلّ فف شىء معصفآك، ولا نففس علما بعلمك، فعظم عندنا فف ذاك آآرك، وبآلّ عنه فف أنفسنا فضلك.

فأآابه أمفر المؤمنف [علفه السلام فقال:] إن من آقّ من عظم آلال الله فف نفسه، وآلّ موضعه من قلبه، أن فصغر عنده - لعظم ذاك - كلّ ماسواه، وإنّ آقّ من كان كذلك لمن عظمت نعم الله علفه ولطف إحسانه إلفه، فإنّه لم تعظم نعم الله علف أحد إلّا زاد آقّ الله علفه عظماً.

وإنّ من أسآف آالات الولاة عند صالح الناس أن فظنّ بهم آبّ الفآر، وبوضع أمرهم علف الكبر. وقد كرهآ أن فكون آال فف ظنّكم أنى آبّ

(١) كذا فف متن الأصل، وذكر فف هامشه أن فف بعض نسخ الكافى: «وبإعزآك أطلق عنا رهانن الغلّ».

الاطراء وأستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك [لي] لتركته أنحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما أستحلى الثناء بعد البلاء، فلا تننوا عليّ بجميل ثناء؛ لاخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بد من إمضاءها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابة، ولا تحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي أستثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من أستثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه.

فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإننا أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى.

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، فقال: أنت أهل ما قلت، والله فوق ما قلته، فبلاؤه عندنا ما لا يكفر، وقد حملك الله تبارك وتعالى، رعايتنا، وولأك سياسة أمورنا، فأصبحت علمنا الذي نهدي به، وإماننا الذي نفتدي به، وأمرك كله رشد، وقولك كله أدب. قد قررت بك في الحياة أعيننا، وأمتلأت من سرور بك قلوبنا، وتحيرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا، ولسنا نقول لك: أيها الإمام الصالح تزكية لك، ولا تجاوز القصد في الثناء عليك، ولن يكن في أنفسنا طعن على يقينك، أو غش في دينك فنتخوف أن تكون أحدثت بنعمة الله تبارك وتعالى تجرباً، أو دخلك كبر، ولكننا نقول لك ما قلنا تقرباً إلى الله عز وجل بتوقيرك، وتوسعاً بتفضيلك، وشكراً بإعظام أمرك، فانظر لنفسك ولنا وآثر أمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوع فيما أمرتنا، نقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: وأنا أستشهدكم عند الله على

نفسى لعلمكم فيما وليت به من أموركم، وعمّا قليل يجمعني وإياكم الموقف بين يديه، والسؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يخفى عليه خافية، ولا يجوز عنده إلّا مناصحة الصدور في جميع الأمور.

فأجابه الرجل ويقال: لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأمر المؤمنين عليه السلام فأجابه، وقد عال الذي في صدره فقال والبكاء يقطع منطقه، وغصص الشجى بكسر صوته إعظماً لخطر مرزئته ووحشته من كون فجيعته فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ شكى إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم والذلّ الطويل في فساد زمانه وانقلاب حدّه وأنقطاع ما كان من دولته، ثمّ نصب المسألة إلى الله عزّ وجلّ بالإمتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجّع وحسن الثناء فقال:

يا ربّائي العباد ويا سكن البلاد! أين يقع قولنا من فضلك! وأين يبلغ وصفنا من فعلك! وأتى نبغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصى جميل بلائك! وكيف وبك جرت نعم الله علينا، وعلى يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا؟ ألم تكن لذّلّ الذليل ملاذاً وللعصاة الكفار إخواناً^(١)؟ فبمن إلّا بأهل بيتك وبك أخرجنا الله عزّ وجلّ من فظاعة تلك الخطرات، أو بمن فرّج عنا غمرات الكربات! أو بمن إلّا بكم أظهر الله معالم ديننا وأستصلح ما كان فسد من دنيانا، حتّى استبان بعد الجور ذكرنا، وقرّت من رخاء العيش أعيننا لما وليّتنا بالاحسان جهدك، ووفيت لنا بجميع عهدك، فكنت شاهد من غاب منّا وخلف أهل البيت لنا، وكنت عزّ ضعائنا وثمال فقرائنا وعماد عظمائنا، يجمعنا من الأمور عدلك، ويتّسع لنا في الحقّ تأنيبك، فكنت لنا أنساً إذا رأيناك، وسكناً إذا ذكرناك. فأيّ الخيرات لم تفعل! وأيّ الصالحات لم تعمل!

ولو أنّ الأمر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحريكه جهدنا وتقوى

(١) أنظر شرحه في أواخر بيان المصنف الآتي في ص ٧١٠ من ط الكمباني في هذا.

لمدافعته طاقتنا، أو يجوز الفداء عنك عنه بأنفسنا وبمن نفديه النفوس من أبنائنا، لقدّمنا أنفسنا وأبناءنا قبلك، ولأخطرناها وقلّ خطرنا دونك، ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك، وفي مدافعة من ناواك؛ ولكنّه سلطان لا يحاول، وعزّ لا يزاول، وربّ لا يغالب، فإن يمنن علينا بعافيتك، ويترحم علينا ببقائك، ويتحنن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا، نحدث الله عزّ وجلّ بذلك شكراً نعظمه، وذكراً نديمه، ونقسم أنصاف أموالنا صدقات، وأنصاف رقيقنا عتقاء، ونحدث له تواضعاً في أنفسنا، ونخشع في جميع أمورنا.

وإن يمض بك إلى الجنان، ويجري عليك حتم سبيله، فغير متهم فيك قضاؤه، ولا مدفوع عنك بلاؤه، ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه، ولكنّا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلاً، وللدّين والدّنيا أكياً، فلا نرى لك خلفاً نشكو إليه، ولا نظيراً نأمله ولا نقيمه.

تبيين:

أقول: أورد السيّد [الرضي] في [المختار: (٢١٦)] من باب الخطب من [النهج بعض هذا السؤال والجواب، وأسقط أكثرها، وسنشير إلى بعض الاختلافات.

قوله عليه السلام: «بولاية أمركم»: أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ الله جعلني والياً عليكم متولياً لأمركم، ولأنّه أنزّلني منكم منزلةً عظيمةً هي منزلة الإمامة والسلطنة ووجوب الطاعة.

قوله عليه السلام: «والحقّ أجهل الأشياء في التواصف»: أي وصفه جميل وذكره حسن. يقال: تواصفوا الشيء: أي وصفه بعضهم لبعض.

وفي بعض النسخ: «التراصف» بالراء المهملة. والتراصف: تنزيد الحجارة بعضها ببعض: أي [الحقّ] أحسن الأشياء في إحكام الأمور وإتقانها. «وأوسعها في التناصف»: أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض، فالحقّ

يسعه ويحتمله، ولا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق.

وفي نهج البلاغة: «فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف»: أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ وبيانها، كان لهم في ذلك مجال واسع، لسهولة على ألسنتهم. وإذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم، ضاق عليهم المجال، لشدة العمل بالحقّ وصعوبة الإنصاف.

قوله عليه السلام: «صروف قضائه»: أي أنواعه المتغيرة المتوالية. وفي بعض النسخ: «ضروب قضائه» [وهو] بمعناه والحاصل إنّه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره ولم يجعل له على نفسه، لكان هو سبحانه أولى بذلك وعلى الأولوية بوجهين:

الأول: القدرة.

فإنّ غيره تعالى لو فعل ذلك لم يطعه أحد، واللّه تعالى قادر على جبرهم وقهرهم.

والثاني: إنّه لو لم يجزهم على أعمالهم وكلفهم بها لكان عادلاً؛ لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبده أبداً الدهر لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها.

فالمراد من أول الكلام: أنّه سبحانه جعل لكلّ أحد على غيره حقّاً حتّى على نفسه.

أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الإستحقاق، وأمّا ما أجرى على نفسه، فللوفاء بالوعد مع لزوم الوعد عليه.

فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد وإن اختلف الجهة والإعتبار.

قوله عليه السلام: «وجعل كفارتهم عليه حسن ثواب»: لعلّ المراد بالكفارة الجزاء العظيم لستره عملهم، حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنّه قد محاه وستره.

[و] في أكثر النسخ: «بحسن الثواب» فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها ما يقع منهم لتدارك سيئاتهم، كالتوبة وسائر الكفارات: أي أوجب قبول كفارتهم وتوبتهم على نفسه مع حسن الثواب بان يشيهم على ذلك أيضاً.

ولا يبعد أن يكون [لفظ «كفارتهم»] تصحيف كفاءتهم بالهمز [ة].

وفي النهج: «وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسّعاً بها هو من المزيد أهله».

قوله عليه السلام: «ثم جعل من حقوقه»: هذا كالمقدمة لما يريد أن يبيّن من كون حقّه عليهم واجباً من قبل الله تعالى، وهو حقّ من حقوقه؛ ليكون أدعى لهم على أدائه. وبين أن حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حقّ الله تعالى، من حيث إنّ حقّه على عباده هو الطاعة، وأداء تلك الحقوق طاعات الله، كحقّ الوالد على ولده وبالعكس، وحقّ الزوج على الزوجة وبالعكس، وحقّ الوالي على الرعية وبالعكس.

قوله عليه السلام: «فجعلها تتكافأ في وجوهها»: أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله، وهو العدل فيهم وحسن السيرة.

قوله عليه السلام: «ولا يستوجب بعضها إلا ببعض»: كما أن الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة.

قوله عليه السلام: «فريضة فرضها الله»: بالنّصب على الحالّة أو بإضمار فعل، أو بالرفع ليكون خبر مبتدئ محذوف.

وقوله عليه السلام: «نظاماً لألفتهم»: فإنّها سبب اجتماعهم ومها يقهرون أعداءهم ويعزّون أوليائهم.

قوله عليه السلام: «وقواماً»: أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم.

قوله عليه السلام: «عزّ الحقّ»: أي غلب.

قوله عليه السلام: «وأعتدلت معالم العدل»: أي مظانّه، أو العلامات التي نصبت في طريق العدل لسلوكه، أو الأحكام التي يعلم بها العدل.

قوله عليه السلام: «على أذلالها» قال الفيروزآبادي: ذلّ الطريق - بالكسر -: محجته. وأمور الله جارية على أذلالها: أي طريق [على] مجارها [هو] جمع ذلّ بالكسر.

قوله عليه السلام: «وكثر الادغال»: [هو] بكسر الهمزة. والادغال: [هو] أن يدخل في الشيء ما ليس منه، وهو الابداع والتلبيس. أو بفتحها: [وهو] جمع الدغل - بالتحريك -: [وهو] الفساد.

قوله عليه السلام: «علل النفوس»: أي أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعداوة ونحوها. وقيل: وجوه ارتكاباتها للمنكرات، فتأتي من كل منكر بوجه وعلة ورأي فاسد.

قوله [عليه السلام]: «أُثِّل» يقال: مال مؤثّل ومجد مؤثّل: أي مجموع ذو أصل، وأثلة الشيء: أصله^(١). ذكره الجزري.

وفي النهج: «(ولا لعظيم باطل) فعل».

قوله عليه السلام «تبعات الله» قال [الخليل] في [كتاب] العين: التبعة أسم للشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها.

قوله عليه السلام: «فهلّم أيها الناس» قال الجوهرى: هلّم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال، قال الخليل: أصله «لم» من قولهم لمّ الله شعثه: أي جمعه كأنه أراد لمّ نفسك إلينا: أي اقرب. و «ها» للتنبيه. وإنما حذف ألفها لكثرة الاستعمال، وجعل اسماً واحداً يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز.

(١) كذا في مادة «أثّل» من كتاب النهاية طبع دار الفكر بيروت، وفي طبع الكمباني من البحار هكذا: «وأثّل وأثلة الشيء»: أصله وزكاه. ذكره الجزري.

قوله عليه السلام «حقيقة ما أعطى الله من الحق أهله»: أي جزء ما أعطى الله أهل الحق من الدين المبين، وسائر ما هداهم الله تعالى إليه، بأن يكون المراد بالحقيقة الجزء مجازاً، أو يكون في الكلام تقدير مضاف: أي حقيقة جزء ما أعطى من الحق، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بإزائها ومكافئتها لها. وقيل: المراد بحقيقة ما أعطى الله شكر نعمة هدايته تعالى إلى دين الحق.

وفي النهج: «حقيقة ما أَلَّه أهله من الطاعة له». وفي بعض النسخ القديمة من الكتاب «حقيقة ما الحق من الله أهله».

قوله [عليه السلام]: «النصيحة له»: أي لله أو للإمام، أو نصيحة بعضهم لبعض لله تعالى بأن لا يكون الظرف صلةً.

وفي النهج: «النصيحة بمبلغ [جهدهم] بدون الصلة وهو يؤيد الأخير. قال الجزري [في مادة «نصح» من كتاب النهاية]: النصيحة في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته ونصحت له.

ومعنى نصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته.

و [معنى] النصيحة لكتاب الله هو التصديق به والعمل بما فيه.

ونصيحة رسول الله صلى الله عليه وآله، التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه.

و [معنى] نصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحق، ونصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.

قوله عليه السلام: «ولا لامرئ مع ذلك»: كأنه راجع إلى ما حمل الله على الوالي، أو إلى الوالي الذي أشير إليه سابقاً: أي لا يجوز، أو لا بد لامرئ،

أو لا استغناء لامرئ مع الوالي، أو مع كون واليه مكلفاً بالجهاد وغيره من أمور الدين، وإن كان لذلك المرء ضعيفاً محقراً بدون أن يعين على إقامة الدين ويعينه الناس أو الوالي عليه.

وفي النهج: «ولا أمرء وإن صغرت النفوس وأقتحمتها العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه». وهو الظاهر.

قوله عليه السلام: «خسأت به الأمور» يقال: خسأت الكلب خساً: طردته. وخساً الكلب بنفسه: يتعدى ولا يتعدى. ذكره الجوهري. فيجوز أن يكون هنا استعمال غير متعدّ بنفسه قد عدّي بالباء: أي طردته الأمور. أو يكون الباء للسببية: أي بعدت بسببه الأمور.

وفي بعض النسخ: «حبست به الأمور»: وعلى التقادير المراد أنه يكون بحيث لا يتمشى أمر من أموره، ولا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور.

و«اقتحمتها العيون»: أي أحتقرته. وكلمة «ما» في قوله: «ما أن يعين» زائدة.

قوله عليه السلام: «وأهل الفضيلة في الحال»: المراد بهم الأئمة والولاة والأمراء والعلماء، وكذا أهل النعم العظام فإنهم لكونهم مكلفين بعبائهم الأمور كالجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود والشرائع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى إعانة الخلق أحوج.

ويحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء، فإنهم محتاجون فيما حمل عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أعوان، ولا أقل إلى من يؤمر وينهى.

و[المراد] بأهل النعم أصحاب الأموال، لأن ما حمل عليهم من الحقوق أكثر، كأداء الأضخاس والصدقات، وهم محتاجون إلى الفقير القابل لها، وإلى الشهود وإلى غيرهم والأول أظهر.

قوله عليه السلام: «وكلّ في الحاجة إلى الله شرع سواء»: بيان لقوله:

«شرع»، وتأکید، وإنّا ذکر ذلك لئلا يتوهّم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربّهم جلّ وعزّ، بل هو الموفق والمعين لهم في جميع أمورهم، ولا يستغنون بشيء عن الله عزّ وجلّ، وإنّا كلّفهم بذلك ليختبر طاعتهم ويثيبهم على ذلك، وأقتضت حكمته البالغة أن يجري الأشياء بأسبابها، وهو المسبّب لها والقادر على إمضائها بلا سبب.

قوله عليه السلام: «فأجابه رجل»: الظاهر أنه كان الخضر عليه السلام وقد جاء في مواطن كثيرة وكلمة عليه السلام لاتمام الحجّة على الحاضرين، وقد أتى بعد وفاته عليه السلام وقام على باب داره وبكى وأبكى وخاطبه عليه السلام بأمثال تلك الكلمات وخرج وغاب عن الناس.

قوله عليه السلام: «والاقرار» الظاهر أنّه معطوف على الثناء: أي أقرّ إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك لرجل، ولم يذكره عليه السلام اختصاراً أو تقيّة من تغيير حالاته من استيلاء أئمة الجور عليه ومظلوميته وتغيير أحوال رعيته من تقصيرهم في حقّه، وعدم قيامهم بما يحقّ من طاعته والقيام بخدمته.

ويمكن أن يكون الواو مع، ويحتمل عطفه على [قوله]: «واجب حقّه».

قوله: «من الغلّ»: أي أغلال الشرك والمعاصي. وفي بعض النسخ القديمة: «أطلق عنا رهائن الغلّ»: أي ما يوجب أغلال القيامة.

قوله [عليه السّلام]: «وأنتمر»: أي أقبل ما أمرك الله به فأمضه علينا.

قوله «والمملك المخوّل»: أي المملك الذي أعطاك الله الامرة علينا وجعلنا خدملك وتبعك.

قوله عليه السلام: «لا نستحلّ في شيء من معصيتك»: لعلّه عدّي بـ «في» لتضمن معنى الدخول. أو المعنى لا نستحلّ في شيء شيئاً من معصيتك.

وفي بعض النسخ القديمة: «لا يستحلّ في شيء من معصيتك». وهو

أظهر.

قوله: «في ذلك»: أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطاعته عليه السلام. والخطر: القدر والمنزلة.

قوله: «ويجلّ عنه»: يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس: أي فضلك أجلّ في أنفسنا من أن يقاس بفضلك أحد. ويمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة «عن» تعليلية كما في قوله تعالى: «وما نحن بتاركي آهتنا عن قولك» [٥٣/هود: ١١]: أي يجلّ ويعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك.

قوله عليه السلام: «من عظم جلال الله»: إمّا على التعليل بنصب «جلال الله»، أو بالتخفيف برفعه: يعني من حقّ من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه في قلبه، أن يصغر عنده كلّ ما سوى الله تعالى، لما ظهر له من جلال الله، وأنّ أحقّ من كان كذلك أئمة الحقّ عليهم السّلام، لعظم نعم الله وكمال معرفتهم بجلال ربّهم، فحقّ الله تعالى عليهم أعظم منه على غيرهم، فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الفخر والاطراء في المدح، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال الله عندهم غيره تعالى، فلا يكون غيره منظوراً لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بمدحهم.

قوله عليه السلام: «وإنّ من أسخف»: السخف: رقة العيش ورقة العقل. والسخافة: رقة كلّ شيء. أي أضعف حالات الولاية عند الرعيّة أن يكونوا متهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة.

قوله عليه السلام: «أنّي أحبّ الاطراء»: أي مجاوزة الحدّ في المدح والمبالغة فيه.

قوله عليه السلام: «أنحطاطاً لله سبحانه»: أي تواضعاً له تعالى.

وفي بعض النسخ القديمة: «ولو كنت أحبّ أن يقال [لي] ذلك، لتناهيت

له أغنانا الله وإياكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاضم وحسن الثناء». والتناهي: قبول النهي. والضمير في «له» راجع إلى الله تعالى.

وفي النهج: كما في النسخ المشهورة قوله عليه السلام: «فربما أستحلى الناس» يقال: أستحلّه: أي وجده حلواً.

قال ابن ميثم رحمه الله: هذا يجري مجرى تهديد العذر لمن أثنى عليه فكأنه يقول: وأنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في الله، وأحثّ الناس على ذلك، ومن عادة الناس أن يستحلوا الثناء عند أن يبيلوا بلاءً حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات.

ثم أجاب [عليه السلام]: عن هذا العذر في نفسه بقوله: «فلا تشنوا عليّ بجميل ثناء»: أي لا تشنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لأبد من المضي فيها.

وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله [عليّ لكم] من النصيحة في الدين والإرشاد إلى الطريق الأفضل، والتعليم لكيفية سلوكه.

[ثم قال]: وفي خطّ الرضي رحمه الله «من التقيّة» بالتاء: والمعنى فإنّ الذي أفعله من طاعة الله، إنّما هو إخراج لنفسي إلى الله وإليكم من تقيّة الخلق^(١) فيما يجلب عليّ من الحقوق. إذ كان عليه السلام إنّما يعبد الله لله غير ملتفت في شيء من عبادته، وأداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبةً إليه.

أو المراد بها التقيّة التي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة وتركها في أيام خلافته، وكأنّه قال: لم أفعل شيئاً إلّا وهو أداء حقّ واجب عليّ، وإذا كان كذلك،

(١) كذا في أصلي المطبوع، وفي ط بيروت من شرح ابن ميثم: «من تقيّة الحقّ فيما يجب عليّ...».

فكيف أستحقّ أن يُثنى عليّ لأجل إتيان الواجب بشيء جميل وأقابل بهذا التعظيم؟! [و] هذا من باب التواضع منه [عليه السلام] وتعليم كيفيته، وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل إليه. انتهى.

وقال ابن أبي الحديد: معنى قوله: «لاخارجي نفسي إلى الله وإليكم»: أي لا عترافي بين يدي الله وبمحضر منكم أن عليّ حقوقاً في أياالتكم ورئاستي لم أقم بها بعد وأرجو من الله القيام بها.

انتهى [كلام ابن أبي الحديد].

فكانه جعل قوله [عليه السلام]: «لاخارجي» تعليلاً لترك الشئ لا مثني عليه ولا يخفى بعده.

ثم أعلم أنه يحتمل أن يكون المراد بـ «البقية»: الابقاء والترحم كما قال تعالى: ﴿أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾ [١١٦/ هود: ١١]. أي إخراجي نفسي من أن أبقى وأترحم مDAHنة في حقوق لم أفرغ من أدائها.

قال الفيروزآبادي: وأبقيت ما بيننا: لم أبالغ في كلّ فساده. والاسم منه البقية و «أولو بقية ينهون عن الفساد»: أي إبقاء أو فهم.

قوله عليه السلام: «ولا تتحفظوا عني بما يتحفظ به عند أهل البادرة» البادرة: الحدة والكلام الذي يسبق من الإنسان في الغضب: أي لا تشنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدة من الملوك خوفاً من سطوتهم، أو لا تحتشموا مني كما يحتشم من السلاطين والأمراء، كترك المسارة والحديث إجلالاً وخوفاً منهم، وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم.

قوله عليه السلام: «بالمصانعة»: أي الرشوة والمدارة.

قوله عليه السلام: «كان العمل بهما أثقل عليّ»: وشأن الولاية العمل بالعدل والحقّ، أو أنتم تعلمون أنّه لا يثقل عليّ العمل بهما.

قوله عليه السلام: «بفوق أن أخطئ»: هذا من [باب] الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحق، وعدّ نفسه من المقصرين في مقام العبودية، والاقرار بأن عصمته من نعمه تعالى عليه، وليس اعترافاً بعدم العصمة كما توهم، بل ليست العصمة إلا ذلك. فأنما هي أن يعصم الله العبد عن ارتكاب المعاصي، وقد أشار عليه السلام إليه بقوله: «إلا أن يكفي الله». وهذا مثل قول يوسف عليه السلام: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ الخ.

قوله عليه السلام: «ما هو أملك به»: أي العصمة من الخطأ فإنه تعالى أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه.

قوله عليه السلام: «مما كنّا فيه»: أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكلمات التي يسرها الله تعالى لنا ببعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه عليه السلام، لأنّه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنّه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أفناء الناس فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً.

ويجوز أن يكون معناها: لولا ألطاف الله تعالى ببعثة محمد صلى الله عليه وآله لكنت أنا وغيري على مذهب الأسلاف. انتهى.

قوله عليه السلام: «فبلاؤه عندنا ما لا يكفر»: أي نعمه عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها وسترها، أو لا يجوز كفرانها وترك شكرها.

قوله عليه السلام: «سياسة أمورنا»: ^(١) [يقال: سست الرعية سياسةً؛

(١) هذا وما بعده من كلام الرجل الصالح الذي أثنى على أمير المؤمنين عليه السلام لا من كلامه.

وما ذكره المصنّف بعده في تفسير السياسة، فيه تسامح. فإن السياسة ليست مجرد الأمر والنهي، بل هي عند الطغاة والجبارين من الملوك والوزراء والقواد عبارة عن تحميل أوامرهم

أمرتها ونهيتها. و «العلم» بالتحريك: ما ينصب في الطريق ليهتدي به السائرون.

قوله: «من بارع الفضل» قال الفيروزآبادي: برع [فلان] - ويثَلث - براعة: فاق أصحابه في العلم وغيره، أو تمّ في كلّ جمال وفضيلة، فهو بارع وهي بارعة.

قوله: «ولم يكن»: على المجهول من [قوله]: كنت الشيء: سترته. أو بفتح الياء وكسر الكاف من [قوله]: وكن الطائر بيضه يكنه [على زنة وعد] إذا حضنه.

وفي بعض النسخ: «لم يكن». وفي النسخة القديمة: «لن يكون».

قوله: «وتوسّعاً»: أي في الفضل والثواب.

قوله: «مع ذلك»: أي مع طاعتنا لك: أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه ومع ذلك موجب لحصول ما ينفعنا وما هو خير لنا في دنيانا وآخرتنا.

قوله «إلاّ مناصحة الصدور»: أي خلوصها عن غشّ النفاق بأن يطوي فيه ما يظهر خلافه، أو نصح الإخوان نصحاً يكون في الصدر لا بمحض اللسان.

قوله: «وقد عال الذي في صدره»: يقال: عالني الشيء أي غلبني. وعال أمرهم: اشتدّ.

قوله عليه السلام: «وغصص الشجى»: الغصّة - بالضم -: ما أعترض

ونواهيهم على الرعيّة على طبق مصالحهم، لا على طبق مصالح الرعيّة.

وأما السياسة عند الصلحاء والخاضعين لأمر الله تعالى، فهي عبارة عن تسيير الناس والرعيّة على نحو يتضمّن مرضاة الله ومصلحة جميع الرعيّة أو أكثرهم، ويسعدهم على بلوغ أهدافهم المعنويّة والماديّة معاً.

في الحلق. وكذا الشجا والشجو الهَمّ والحزن.

قوله عليه السلام: «لخطر مرزئته» الخطر - بالتحريك -: القدر والمنزلة والاشراف على الهلاك. والمرزئة: المصيبة، وكذا الفجيعة وكونها: أي وقوعها وحصولها والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين عليه السلام. والقائل كان عالماً بقرب أوان شهادته عليه السلام فلذا كان يندب ويتفجّع. وإرجاعها إلى القائل بعيد.

قوله عليه السلام: «أشفى»: أي أشرف عليه. والضمير في قوله: «إليه» راجع إلى الله تعالى.

قوله عليه السلام: «وانقلاب جدّه» الجدّ: البخت. والتفجّع: التوجّع في المصيبة: أي سأل الله دفع هذا البلاء الذي قد ظنّ وقوعه عنه عليه السلام مع التفجّع والتضرّع.

قوله: «يا ربّاني العباد»: قال الجزري: الربّاني منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون [للمبالغة].

وقيل: هو من الربّ بمعنى التربية؛ لأنهم كانوا يربّون المتعلّمين بصغارها وكبارها^(١).

والربّاني: العالم الراسخ في العلم والدين. أو الذي يطلب بعلمه وجه الله [تعالى]. وقيل: العالم العامل المعلم.

قوله: «ويا سكن البلاد» السكن - بالتحريك -: كلّ ما يسكن إليه.

قوله: «وبك جرت نعم الله علينا»: أي بجهدك ومساعدتك الجميلة لترويج الدين وتشيد الإسلام في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وبعده.

(١) كذا في أصلي من ط الكمباني، وفي ط بيروت في مادّة: «ربّ» من كتاب النهاية: «كانوا يُربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها».

قوله عليه السلام: «وللعصاة الكفار إخواناً»: أي كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقةً منك عليهم.

أو المراد الشفقة على الكفار والعصاة والإهتمام في هدايتهم.

ويحتمل أن يكون المراد المنافقين الذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع.

وقيل: المراد بالإخوان الخوان الذي يؤكل عليه، فإنه لغة فيه كما ذكره الجزري. ولا يخفى بعده.

وفي النسخة القديمة: «ألم نكن» بصيغة المتكلم، وحينئذ فالمراد بالفقرة الأولى أنه كان ينزل بنا ذلّ كلّ ذليل: أي كنّا نذلّ بكلّ ذلّة وهوان. وهو أظهر وألصق بقول: «فبمن».

قوله عليه السلام: «من فظاعة تلك الخطرات»: أي شناعتها وشدتها.

قوله [عليه السلام]: «بعد الحور» قال الجوهري [وفي الاثر]: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي من النقصان بعد الزيادة.

وفي بعض النسخ [«بالجور»] بالجيم.

قوله عليه السلام: «وئثال فقرائنا» قال الجزري: أئثال - بالكسر -: الملجأ والغياث. وقيل: هو المطعم في الشدة.

قوله [عليه السلام]: «يجمعنا من الأمور عدلك»: أي هو سبب إجتماعنا وعدم تفرّقنا في جميع الأمور، أو من بين سائر الأمور، أو هو سبب لانتظام أمورنا، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور.

قوله عليه السلام: «ويتّسع لنا في الحقّ تأنيك»: أي صار مداراتك وتأنيك وعدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقّه سبباً لوسعة الحقّ علينا، وعدم تضيق الأمر بنا.

قوله عليه السلام: «ليبلغ تحريكه»: أي تغييره وصرفه. وفي النسخة القديمة: «تحويله».

قوله «ولا خطرناها»: أي جعلناها في معرض المخاطرة والهلاك. أو صيرناها خطراً ورهنًا وعوضاً لك.

قال الجزري: [و] فيه: «فإن الجنة لا خطر لها»: أي لا عوض لها ولا مثل. والخطر - بالتحريك - في الأصل: الرهن وما يخاطر عليه. ومثل الشيء وعدله، ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزية، ومنه الحديث «ألا رجل يخاطر بنفسه وماله»: أي يلقيهما في الهلكة بالجهاد.

ومنه حديث النعمان [بن مقرن يوم نهاوند]: «إن هؤلاء يعني المجوس قد أخطروا لكم رثّة ومتاعاً وأخطروا لهم الإسلام»: المعنى أنهم قد شرطوا لكم ذلك وجعلوه رهنًا من جانبهم، وجعلتم رهنكم دينكم.

قوله عليه السلام: «حاولك»: أي قصدك. قوله: «من ناواك»: أي عاداك. قوله: «ولكنّه»: أي الربّ تعالى. قوله: «وعزّ»: أي ذو عزّ وغلبة. و«زاوله»: أي حاوله وطالبه.

وهذه إشارة إلى أن تلك الأمور بقضاء الله وتقديره، والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة الله في تقديراته. وقد سبق تحقيق القضاء والقدر في كتاب العدل.

قوله: «نعظمه»: الضمير في قوله: «نعظمه» و«نديمه» راجعان إلى الشكر والذكر. [و] قوله: «بلاءه»: يحتمل النعمة أيضاً.

قوله «ما عنده»: هو خبر «إن»، ويحتمل أن يكون الخبر محذوفاً: أي خير لك، والمعنى أنه لا تختلف قلوبنا بل تتفق على أن الله أختار لك بامضائك النعيم والراحة الدائمة، على ما كنت فيه من المشقة والجهد والعناء.

قوله: «من غير إثم»: أي لا نأثم على البكاء عليك فإنه من أفضل

الطاعات، أو لا نقول ما يوجب الإثم.

قوله: «لعن»: متعلق بـ[قوله: «البكاء» و «أن يعود» بدل آشتال له: أي نبكي لتبدل عز هذا السلطان ذلاً].

قوله: «أكيل»: الأكيل يكون بمعنى المأكول، وبمعنى الأكل. والمراد هنا الثاني: أي نبكي لتبدل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور فيكون أكلاً للدين والدنيا.

وفي بعض النسخ: «لعن الله هذا الشيطان» فلا يكون مرجع الإشارة سلطنته عليه السلام، بل جنسها الشامل للباطل أيضاً: أي لعن الله السلطنة التي لا تكون صاحبها.

ويحتمل أن يكون اللعن مستعملاً في أصل معناه لغة، وهو الابعاد: أي أبعد الله هذا السلطان عن أن يعود ذليلاً. ولا يخفي بعده.

قوله: «ولا نرى لك خلفاً»: أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت [عليهم السلام].

٩٨٤- ك: علي بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن علي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران وأحمد بن محمد بن أحمد عن علي بن الحسن التيمي، وعلي بن الحسين عن أحمد بن محمد بن خالد، جميعاً عن إسماعيل بن مهران عن المنذر بن جيفر عن الحكم بن ظهير عن عبدالله بن حريز العبدي. عن الأصبغ بن نباتة قال:

أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن عمر وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقاص يطلبون منه التفضيل لهم، فصعد المنبر ومال الناس إليه فقال:

الحمد لله وليّ الحمد ومنتهى الكرم، لا تدركه الصفات ولا يحدّ باللغات ولا يعرف بالغايات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله نبيّ الهدى وموضع التقوى ورسول الربّ الأعلى، جاء بالحقّ من عند الحقّ لينذر بالقرآن المبين والبرهان المستنير فصّح بالكتاب المبين ومضى على ما مضت عليه الرسل الأوّلون.

أما بعد أيّها النّاس ! فلا تقولنّ رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتّخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا أفره الدّواب ولبسوا ألين الثّياب؛ فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر لهم الغفّار إذا منعهم ما كانوا فيه يخوضون، وصيرتهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون: «ظلمنا ابن أبي طالب وحرّمنا ومنعنا حقوقنا». فالله عليهم المستعان.

من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وآمن بنبيّنا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا، أجرنا عليه حكم القرآن بحدود الإسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى.

ألا وإنّ للمتّقين عند الله أفضل الثّواب وأحسن الجزاء والمآب، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتّقين ثواباً، وما عند الله خير للأبرار.

أنظروا أهل دين الله! فيما أصبتم في كتاب الله، وتركتم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وجهادتم به في ذات الله، أبحسب أم بنسب؟ أم بعمل أم بطاعة أم زهادة؟ وفيما أصبّحتم فيه راغبين.

فسارعوا إلى منازلكم رحمكم الله، التي أمرتم بعمارتها العامرة التي لا تخرب والباقية التي لا تنفد، التي دعاكم [الله] إليها وحضّكم عليها ورغبكم فيها، وجعل الثّواب عنده عنها.

فاستمتّوا نعم الله عزّ ذكره بالتّسليم لقضائه، والشكر على نعمائه، فمن:

لم يرض بهذا فليس منا ولا إلينا، وإنّ الحاكم يحكم بكتاب الله ولا خشية عليه من ذلك، أولئك هم المفلحون.

وفي نسخة [من كتاب الكافي] «ولا وحشة وأولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وقال [عليه السلام]:

وقد عاتبتكم بدرتيّ التي أعاتب بها أهلي فلم تبالوا، وضربتكم بسوطي الذي أقيم به حدود ربّي فلم ترعوا، أتريدون أن أضربكم بسيفي؟

أما إنّي أعلم الذي تريدون ويقيم أودكم، ولكن لا أشري صلاحكم بفساد نفسي، بل يسلّط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم، فلا دنياً أستمعتم بها ولا آخرة صرتم إليها، فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير.

إيضاح:

قوله: «ولد أبي بكر»: هو عبدالرحمان.

قوله عليه السلام: «ولي الحمد»: أي الأولى به، أو المتولّي لحمد نفسه كما ينبغي له بإيجاد ما يدلّ على كماله وأنّصافه بجميع المحامد، وبتلقين ما يستحقّه من الحمد أنبياءه وحججه عليهم السلام وإلهام محبيه وتوفيقهم للحمد.

[قوله عليه السلام]: «ومنتهى الكرم»: أي ينتهي إليه كلّ جود وكرم؛ لأنّه موجد النعم والموفق لبذلها، أو هو المتّصف بأعلى مراتب الكرم والمولى بجلائل النعم. ويحتمل أن يكون الكرم بمعنى الكرامة والجلالة على الوجهين السابقين.

[قوله عليه السلام]: «لا تدركه الصفات»: أي توصيفات الواصفين أو صفات المخلوقين.

[قوله عليه السلام]: «فلا يعرف بالغيات»: أي بالنهايات والحدود

الجسائيّة، أو بالحدود العقليّة، إذ حقيقة كلّ شيء وكنهه حدّه ونهايته.

أوليس له نهاية لا في وجوده ولا في علمه ولا في قدرته، وكذا سائر صفاته. أو لا يعرف بما هو غاية أفكار المتفكرين.

[قوله عليه السلام:] «فصدع بالكتاب المبين» قال الفيروزآبادي: [في شرح] قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [٩٤/ الحجر: ١٥]: أي شقّ جماعتهم بالتوحيد، أو أجهر بالقرآن، أو أظهر أو أحكم بالحقّ وأفصل بالأمر، أو أقصد بما تؤمر، أو أفرق به بين الحقّ والباطل.

[قوله عليه السلام:] «فلا تقولنّ رجالاً»: الظاهر أنّ قوله: «رجالاً» فاعل [لقوله]: «لا تقولنّ» وما ذكر بعده إلى قوله: «ويقولون» صفات تلك الرجال. وقوله: «ظلمنا ابن أبي طالب»: مقول القول. وقوله: «يقولون» تأكيد للقول المذكور في أوّل الكلام [و] إنّما أتى به لكثرة الفاصلة بين العامل والمعمول.

ويحتمل أن يكون مقول القول محذوفاً يدلّ عليه قوله: «ظلمنا ابن أبي طالب».

وقيل: مفعوله محذوف تقدير الكلام: فلا تقولنّ ما قلتم من طلب التفضيل وغيره رجال كانت الدنيا غمرتهم في زمن الخلفاء الثلاثة إذا منعهم ما كانوا يأخذون وأعطيتهم ما يستوجبون، فيصرفون ما أعطيتهم ويسألون الزيادة عليه ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب. انتهى.

أقول: لا يخفى أنّ ما ذكرناه أظهر.

وفي بعض النسخ: «رجالاً» بالنصب، ولعلّ فيه حينئذٍ حذفاً: أي لا تقولنّ أنتم نعتقد أو نتولى رجالاً صفتهم كذا وكذا، ولعلّه كان «لا تتولّون» فصّحّف.

[قوله عليه السلام:] «أفره الدواب» يقال: دابة فارهة: أي نشيطة قوية نفيسة. و«الشنار» العيب والعار.

[قوله عليه السلام:] «ألا وإن للمتقين»: أي ليس الكرم عند الله إلا بالتقوى، وجزاء التقوى ليس إلا في العقبى، ولم يجعل الله جزاء عملهم التفضيل في عطايا الدنيا.

[قوله عليه السلام:] «فانظروا أهل دين الله»: أي يا أهل دين الله! كذا في النسخ المصححة، وفي بعضها: «إلى أهل» والمراد بقوله: «فيما أصبتم في كتاب الله» [من] نعوت الأنبياء والأولياء الذين ذكرهم الله في القرآن، أو مواعيده الصادقة على الأعمال الصالحة. وبقوله: «تركتهم عند رسول الله»: صفاته الحسنة وصفات أصحابه وما كان يرتضيه صلى الله عليه وآله من ذلك، أو ضمان الرسول لهم الثوبات على الصالحات، كأنه وديعة لهم عنده صلى الله عليه وآله.

[قوله عليه السلام:] «وجاهدتم به»: أي بسببه وهو ما رأيتم من فضله وكماله، أو ما سمعتم من الثوبات عليه.

[قوله عليه السلام:] «أبحسب أم بنسب؟»: أي لم تكن تلك الأمور بالחסب والنسب بل بالعمل والطاعة والزهادة.

[قوله عليه السلام:] «وفيما أصبحتم»: أي أنظروا فيما أصبحتم راغبين فيه هل يشبه ما رأيتم وعهدتم مما تقدم ذكره، أو انظروا أيها أصلح لأن يرغب فيه.

[قوله عليه السلام:] «وجعل الثواب عنده عنها»: كلمة «عن» لعلها بمعنى «من» للتبعيض. أو قوله: «التي» بدل اشتغال للمنازل، والمراد بها الأعمال التي توصل إليها، ولا يبعد أن يكون في الأصل «والتي» أو «بالتي» فصحف.

[قوله عليه السلام:] «ولا خشية عليه من ذلك»: أي لا يخشى على

الحاكم العدل: أي الإمام أن يترك حكم الله ولا يجوز أن يظن ذلك به، أو لا يخشى الحاكم بسبب العمل بحكم الله من أحد، أو أن يكون معاقباً بذلك عند الله. وعلى نسخة «ولا وحشة»: المعنى أنه إذا عمل الحاكم بحكم الله لا يستوحش من مفارقة رعيته عنه بسبب ذلك.

[قوله عليه السلام: «بدرتي» الدرّة - بالكسر -: التي يضرب بها. ويظهر من الخبر أن السوط أكبر وأشدّ منها.

والارعواء: الانزجار عن القبيح. وقيل: الندم على الشيء والانصراف عنه وتركه. والأود - بالتحريك -: العوج.

[قوله عليه السلام: «بفساد نفسي»]: أي لا أطلب صلاحكم بالظلم وبما لم يأمرني به ربي فأكون قد أصلحتكم بإفساد نفسي. و«سحقاً»: أي بعداً.

٩٨٥- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي عن محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن [أبي] سيف [المدائني] عن أبي حباب عن ربيعة وعمارة قالوا: إن طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفصل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن تخاف خلافة من الناس وفراره - قال: وإنما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع بمن أتاه - فقال لهم علي عليه السلام:

أتأمروني أن أطلب النصّر بالجور؟! والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان ما لهم لي لواسيت بينهم، فكيف وما هي إلا أمواهم؟!

٩٨٥- رواه الثقفي رحمه الله في الحديث: (٣٩) من تلخيص كتاب الغارات ص ٧٤ ط ١. وللکلام مصادر وقد رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في المجلس: (٢٢) من أماليه ص ١١٢، والشيخ الطوسي في الحديث (٣٤) من الجزء السابع من أماليه. وله مصادر آخر ذكرناها في ذيل المختار: (٢٧٨) من نهج السعادة ج ٢ ص ٤٥٣ ط ١.

قال: ثم أزم طويلاً ساكناً ثم قال:

من كان له مال فيآيه والفساد! فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو ذكر لصاحبه في النّاس ويضعه عند الله، ولم يضع رجل ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلّا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه من يودّه ويظهر له البشر فإنّما هو ملق وكذب، وإنّما ينوي أن ينال من صاحبه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل، فإن زلّت بصاحبه النّعل فاحتاج إلى معوته ومكافأته فشر خليل وألم خدين.

ومن صنع المعروف فيما آتاه الله، فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفكّ به العاني، وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء والمهاجرين، وليصبر نفسه على النّوائب والخطوب^(١) فإنّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدّنيا ودرك فضائل الآخرة.

٩٨٦- نهج: [و] قال عليه السّلام في خطبة [له]:

فأين يتاه بكم؟! بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم؟! وهم أزمّة الحق والسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم وروداهيم العطاش. أيّها الناس! خذوها من خاتم النّبیین صلّى الله عليه وآله إنه يموت من يموت منّا وليس بميت وبيلي من بلي منّا وليس ببالٍ، فلا تقولوا بها لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، وأعدروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالنقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر؟ وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي؟ فلا تستعملوا

(١) هذا هو الظاهر الوارد في غير واحد من مصادر الكلام، وفي طبع الكمباني من البحار: «على الثواب والحقوق...». والنوائب: جمع النائبة: العويصة الطارئة في أيام الحياة. ٩٨٦- رواه السيّد الرضی رحمه الله في المختار: (٨٥) من كتاب نهج البلاغة.

الرأي فيها لا يدرك قعره البصر، ولا يتغلغل إليه الفكر.

بيان :

تاه فلان: تحيّر. والعمه: التردد على وجه التحيّر. والواو في قوله: «وبينكم» للحال. والأزمة: جمع زمام وهو المقود: أي هم القادة للحقّ يدور معهم حيث ما داروا.

[قوله عليه السلام:] «وَأَلْسِنَةُ الصَّدَقِ»: أي هم كاللسان للصدق لا يتكلّم إلّا بهم، أو هم المتكلّمون به ولا يظهر إلّا منهم.

[قوله عليه السلام:] «فَانْزَلُوهُمْ»: أي أنزلوا العترة في صدوركم وقلوبكم بالتعظيم والانقياد لأوامرهم ونواهيهم والتمسك بهم بأحسن المنازل التي تنزلون القرآن، أو بأحسن المنازل التي يدلّ عليها القرآن.

[قوله عليه السلام:] «وَرِدُّوهُمْ»: من الورد وهو الحضور عند الماء للشرب. و«الهميم»: الابل العطاش.

قوله عليه السلام: «واعذروا» قال ابن ميثم: طلب عليه السلام منهم العذر فيما يصيبهم ويلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم في إطاعته عليه السلام.

قوله عليه السلام: «فيما لا يدرك»: أي فيما ذكر لهم من خصائص العترة الطاهرة وفضلها: أي أمرنا صعب لا تهتدي إليه العقول [الساذجة]. والتغلغل: الدخول.

٩٨٧- نهج: [ومن كلام له عليه السلام:]

ولقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقتكم من ريق الدّلّ وحلق الضيم، شكراً مني للبرّ القليل، وإطراقاً عما أدركه البصر وشهده

البدن من المنكر الكثير.

بيان :

الاحاطة من وراء [هو] دفع من يريدهم بشر؛ لأنّ العدوّ الغالب يكون من وراء المحارب. والحلق - بالتحريك وكعنب -: جمع حلقة. والضميم: الظلم. وأطرق: أي سكت وأرخم عينيه إلى الأرض، وإطراقه عليه السلام عن المنكر الكثير وسكوته عنه لعدم تأثير النهي، أو لانجراره إلى ما هو أعظم منه.

٩٨٨- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام:

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لَأْمَرِهِمْ مَلَكَاً، واتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَركب بهم الزَّلْزَلُ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخُطْلَ، فَعَلَ مِنْ قَدِ شَرِكَةِ الشَّيْطَانِ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

بيان :

ملاك الأمر - بالكسر -: ما يقوم به. والأشراك إما جمع شريك: أي عدّهم [الشيطان] من شركائه في إضلال الناس. أو جمع شَرَك - بالتحريك -: أي جعلهم حبائل لاصطياد الخلق. «فباض وفرخ»: كناية عن طول مكثه للوسوسة في صدورهم. والدب: المشي الضعيف، والدرج أقوى منه وهما كنايةتان عن تربيتهم الباطل وملازمة الشيطان لهم حتى صار كالوالدين. والزلل في الأعمال والخطل في الأقوال.

والباء في [قوله]: «ركب بهم»: للتعدية. والضمير في «سلطانه»: راجع إلى «من»: أي من شاركه الشيطان فيما جعله الله لهم من السلطان على الأعمال والأقوال. أو إلى «الشيطان»: أي كأنهم الأصل في سلطانه وقدرته على الاضلال.

٩٨٩- نهج: [و] من خطبة له [عليه السلام]: في الملاحم:

ألا بآبي وأمي من عدّة أسأؤهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة.
ألا فتوقّعوا ما يكون من إدبار أموركم وأنقطاع وُصْلِكُمْ، وأستعمال
صغاركم ذاك، حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه.
ذاك حيث يكون المُعطى أعظم أجراً من المُعطي.

ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم! وتحلفون
من غير اضطرار وتكذبون من غير إحراج.

ذاك إذا عَضَّكم البلاء كما يعَضُّ القتب غارب البعير.

ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء!

أيّها الناس! ألقوا هذه الأزمة التي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم،
ولا تصدّعوا على سلطانكم فتدمّموا غبّ فعالكم، ولا تقتحموا ما أستقبلتم من
فور نار الفتنة، وأميطوا عن سننها وخلّوا قصد السبيل لها، فقد لعمرى يهلك
في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم.

إنّما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها،
فاسمعوا أيّها النّاس وعوا وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا!

إيضاح:

قال ابن أبي الحديد: قالت الإماميّة: هذه العدّة هم الأئمة الأحد عشر
من ولده عليهم السلام.

وقال غيرهم: إنّهُ عنى الأبدال الذين هم أولياء الله. انتهى.

[أقول:] وظاهر أن ذكر انتظار فرج الشيعة - كما أعترف به بعد هذا - لا ارتباط له بحكاية الأبدال.

وأما كون أسمائهم في الأرض مجهولة، فلعل المراد به أن أكثر الناس لا يعرفون قدرهم ومنزلتهم، فلا ينافي معرفة الخواص لهم وإن كانوا أيضاً لا يعرفونهم حق معرفتهم.

أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد [هذا] الكلام، والتخصيص في الاحتمال الأخير اقل منه في الأول.

قوله عليه السلام: «وانقطاع وصلكم»: جمع وصلة: أي تفرق أموركم المنتظمة. والمراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ وأرباب التجارب في الأعمال والولايات.

قوله عليه السلام: «حيث يكون المعطى»: على بناء المجهول «أعظم أجراً من المعطى»: على بناء الفاعل؛ لأن أكثر الأموال في ذلك الزمان يكون من الحرام، وأيضاً لا يعطونها على الوجه المأمور به [بل] للأغراض الفاسدة. وأما المعطى فلما كان فقيراً يأخذ المال لسد خلته، لا يلزمه البحث عن المال وحله وحرمة فكان أعظم أجراً من المعطى.

وقيل: لأن صاحب المال لما كان يصرفه في أغلب الأحوال في الفساد، فإذا أخذه الفقير فقد فوت عليه صرفه في القبائح، فقد كفه بأخذ المال من ارتكاب القبيح. ولا يخلو من بعد.

والنعمة - بالفتح -: غضارة العيش. وفي بعض النسخ: بالكسر: أي الخفض والدعة والمال.

قوله عليه السلام: «من غير إحراج»: أي من غير اضطراب إلى الكذب. وروى بالواو.

قوله عليه السلام: «إذا عَصَكُمْ البلاء» يقال: عَصَ اللقمة - كسمع ومنع -: أي أمسكها بأسنانه وعَصَّ بصاحبه: أي لزمه. وعَصَّ الزمان والحرب: شدَّتها. والقتب - بالتحريك معروف. والغارب: ما بين العنق والسنام.

وقال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير متَّصل بما قبله كما هو عادة الرضِّي، وقد [كان عليه السلام] ذكر بين ذلك ما ينال من شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج. وقوله عليه السلام: «ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء» حكاية كلام شيعته عليه السلام انتهى. فيكون المراد بالرجاء: رجاء ظهور القائم عليه السلام.

وقال ابن ميثم: ويحتمل أن يكون الكلام متَّصلاً ويكون قوله عليه السلام: «ما أطول هذا العناء» كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه وإقبالهم على الدنيا وإتباعهم أنفسهم في طلبها، وتنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها وبعد الرجاء لما يرجى منها.

قوله عليه السلام: «ألقوا»: أي ألقوا من أيديكم ازمة الآراء الفاسدة والأعمال الكاسدة التي هي كالنوق والمراكب في حمل التبعات والآثام.

«ولا تصدّعوا»: أي لا تتفرّقوا. والسلطان: الأمير والامام. وغبَّ كل شيء: عاقبته. وفور نار الفتنة: وهجها وغليانها.

«وأميطوا»: أي تنحّوا. والسَّنُّ: الطَّريقة.

قوله عليه السلام: «وخلّوا»: أي دعوها تسلك طريقها ولا تتعرّضوا لها تكونوا حبطاً لنارها.

٩٩٠- نهج: [ومن خطبة له عليه السّلام]: الحمد لله النّاشر في الخلق

فضله، والباسط فيهم بالجوّد يده، نحمده في جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه، ونشهد أن لا إله غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بأمره صادعاً وبذكره ناطقاً، فأدى أميناً ومضى رشيداً وخلف فينا راية الحقّ، من تقدّمها مرق ومن تخلف عنها زهق، ومن لزمها الحق.

دليلها مكث الكلام بطيء القيام سريع إذا قام، فإذا أنتم ألنتم له رقابكم وأشرتم إليه بأصابعكم جاء الموت فذهب به، فلبثتم بعده ما شاء الله حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضمّ شركم. فلا تطمعوا في غير مقبل، ولا تياسوا من مدبر، فإنّ المدبر عسى أن تزلّ إحدى قائمتيه وتثبت الأخرى فترجعا حتّى تشبنا جميعاً.

ألا وإنّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السّماء إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصّنائع، وأراكم ما كنتم تأملون.

توضيح:

النّشر: التفريق والبسط، وبسط اليد: كناية عن العطاء. وقيل: اليد هنا النعمة في جميع أموره: أي ما صدر منه من النعم والبلايا. ورعاية حقوق الله: شكره وطاعته.

[قوله عليه السّلام]: «بأمره صادعاً»: أي مظهراً مجاهراً. والرشد: إصابة الصواب. وقيل: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه. وراية الحقّ: الثقلان المخلفان. ومرق السهم من الرمية: إذا خرج عن الرمي به، والمراد هنا خروج من تقدّمها ولم يعتد بها من الدين. وزهق الشيء - كمنع -: بطل وهلك. واللّحوق: إصابة الحقّ.

وأراد بالدليل: نفسه عليه السلام. والضمير راجع إلى الراية. [و] مكث الكلام: أي بطئته: أي لا يتكلّم من غير رويّة. وبطيء القيام: كناية عن ترك

العجلة والطيش. وإلانة الرقاب: كناية عن الإطاعة. والاشارة بالأصابع [كناية] عن التعظيم والاحلال.

قال ابن أبي الحديد: نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل عليه السلام فيه، أجمع له مائة ألف سيف، وأخرج مقدمته يريد الشام، فضر به اللعين وانفضت تلك الجموع كالغنم فقدت رعاتها. وأشار [عليه السلام] بمن يجمعهم إلى المهدي عليه السلام. والنشر: المنشور التفرق.

قوله عليه السلام: «فلا تطمعوا»: أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممن هو أهله، فلا تطمعوا فيه؛ فإن ذلك لا اختلال بعض شرائط الطلب، كما كان شأن أكثر أئمتنا عليهم السلام.

وقيل: أراد بغير المقبل: من انحرف عن الدين بارتكاب منكر، فإنه لا يجوز الطمع في أن يكون أميراً لكم.

وفي بعض النسخ: «فلا تطعنوا في عين»: أي من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عما يريد.

وقوله [عليه السلام]: «ولا تيأسوا»: أي من أدبر عن طلب الخلافة ممن هو أهل لها فلا تيأسوا من عوده وإقباله على الطلب، فإن إدباره يكون لفقد بعض الشروط كقلة الناصر.

وزوال إحدى القائمتين كناية عن اختلال بعض الشروط، وثبات الأخرى [كناية] عن وجود بعضها.

وقوله «فيرجعان حتى يثبتا»: [كناية] عن استكمال الشرائط، ولا ينافي النهي عن الإياس النهي عن الطمع؛ لأن عدم اليأس هو التجويز، والطمع فوق التجويز. أو لأن النهي عن الطمع في حال عدم الشروط والاعراض عن

الطلب لذلك والنهي عن الإيأس لجواز حصول الشرائط.

وقيل [في تفسير قوله عليه السلام:] «ولا تيأسوا من مدبر»: أي إذا ذهب من بينكم إمام وخلفه إمام آخر فاضطرب أمره، فلا تشكوا فيهم، فإنّ المضطرب الأمر سينتظم أموره. وحينئذ يكون قوله عليه السلام «ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله» كالبيان لهذا.

[قوله عليه السلام:] «إذا خوى نجم»: أي مال للمغيب. والصنائع: جمع صنعة وهي الإحسان: أي لا تيأسوا عسى أن يأتي الله بالفرج عن قريب والمتحقق الوقوع قريب وإن كان بعيداً.

ويمكن أن يكون [أراد] إراءة المخاطبين ما يأملون في الرجعة.

٩٩١- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام:

أيها الغافلون غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم! ما لي أراكم عن الله ذاهبين وإلى غيره راغبين؟! كأنكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبيء ومشرب دوي، [و] إنّما هو كالمعلوفة للمدى، لا تعرف ماذا يراد بها، إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها.

والله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت! ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله، ألا وإني مفضيه إلى الخاصّة ممن يؤمن ذلك منه.

والذي بعثه بالحقّ وأصطفاه على الخلق، ما أنطق إلّا صادقاً، ولقد عهد إليّ بذلك كلّه وبمهلك من يهلك ومنجا من ينجو ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلّا أفرغه في أذني وأفضى به إليّ.

أيها النّاس! والله لا أحثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم

عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها.

بيان :

[قوله عليه السلام:] «أيّها الغافلون»: الظاهر أنّ الخطاب لعامة المكلفين أي الذين غفلوا عمّا يراد بهم ومنهم، [وهم] غير المغفول عنهم، فإنّ أعمالهم محفوظة مكتوبة.

[قوله:] «والتاركون»: أي لما أمروا به المأخوذ منهم بانتقاص أعمارهم وقواهم وأستلاب أحبابهم وأمواهم.

والذهاب عن الله التوجه إلى غيره والاعراض عن جنابه. والنعم - بالتحريك - جمع لا واحد له من لفظه وأكثر ما يقع على الابل.

[قوله عليه السلام:] «أراح بها سائم»: شبّههم بالنعم التي تتبع نعماً أخرى. سائمة: أي راعية. وإنّا قال ذلك؛ لأنّها إذا أتبت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسيما راعيها.

وما يظهر من كلام ابن ميثم من أنّ السائم بمعنى الراعي، ففيه ما لا يخفى. والمرعى الوبيء: ذو الوباء والمرض، وأصله الهمز. والدوي: ذو الداء، والأصل في الدوي، دوي - بالتخفيف - ولكنه شدّد للازدواج. قال الجوهري: رجل دوّ بكسر الواو: أي فاسد الجوف من داء. والمدى بالضم جمع مدية وهي السكين.

قوله عليه السلام: «تحسب يومها»: أي تظنّ أن ذلك العلف كما هو حاصل لها في هذا اليوم حاصل لها أبداً، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنّه دهرها. «وشبعها أمرها»: أي تظن انحصار شأنها وأمرها في الشبع.

قوله عليه السلام: «والله لشتت أن أخبر»: قال ابن أبي الحديد: [و] هذا كقول المسيح عليه السلام: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾

[٤٩ / آل عمران: ٣] [ولكن] قال عليه السلام :- **إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْغُلُوفَ فِي أَمْرِي، وَأَنْ تَفْضُلُونِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَلْ أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ تَدْعُوا فِي الْإِلَهِيَّةِ كَمَا آدَعَتِ النَّصَارَى ذَلِكَ فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِالْأُمُورِ الْغَائِبَةِ.**

[ثم قال ابن أبي الحديد:] **ومع كتماننا عليه السلام فقد كفر [فيه] كثير منهم، وآدَعُوا فِيهِ النُّبُوَّةَ، وَأَنَّهُ شَرِيكَ الرَّسُولِ فِي الرِّسَالَةِ وَإِنَّهُ هُوَ الرَّسُولُ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ غَلَطَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَآدَعُوا فِيهِ الْحُلُولَ وَالْإِتِّحَادَ.**

ويحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه عليه السلام في إظهار شأنه وجلالته.

والمهلك - بفتح اللام وكسرها - يحتمل المصدر وأسم الزمان والمكان. والمراد بالهلاك إمّا الموت والقتل أو الضلال والشقاء. وكذلك النجاة. والمراد بالأمر: الخلافة أو الدين وملك الإسلام. ومآله: انتهاؤه بظهور القائم عليه السلام وما يكون في آخر الزمان. وأفرغه كفرّغه :- صبّه.

٩٩٢- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحِيًّا، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ. يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَيَقِفُ الْكَاسِرُ فَيَقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتِهِمْ، وَبَوَاهِمَ مَحَلَّتِهِمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ، وَأَسْتَقَامَتْ قَنَاتِهِمْ.

وَأَيُّمَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحِذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي

قيادها، ما ضعفت ولا جبنت، ولا خنت ولا وهنت.

وأيّم الله لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته.

بيان :

المنجاة: مصدر أو اسم مكان. «ويبادر بهم السّاعة»: أي يسارع إلى هدايتهم وإرشادهم حذراً من أن ينزل بهم السّاعة فتدركه على الضلالة.

والحسير: المعيب. وإقامته [صلّى الله وآله] على الحسير والكسير ومراقبته من تزلزل عقائده، ليدفع شبهه حتّى يبلغه الغاية التي خلق لأجلها، إلّا من لم يكن قابلاً للهداية.

ومنهم من حمله على ظاهره من شفقتة صلى الله عليه وآله على الضعفاء في الأسفار والغزوات.

[قوله عليه السلام]: «حتّى أراهم منجاتهم»: أي نجاتهم أو محلّ نجاتهم. ومحلتهم: منزلهم وغاية سفرهم الصوري أو المعنوي.

وأستدار الرّحى وأستقامة القناة، كنايةتان عن انتظام الأمر كما مرّ. والسّاقة: جمع سائق، والضّмир لغير مذكور [لفظاً] والمراد الجاهلية، شبهها عليه السّلام بكتيبة مصادفة لكتيبة الاسلام فهزمها.

وفي القاموس : الحذفور - كعصفور - : الجانب - كالحذفار - والشريف والجمع الكثير. وأخذه بحذافيره: بأسره. أو بجوانبه أو بأعاليه. والحذافير: المتهيّأون للحرب. واشدد حذافيرك: تهيّأ. واستوسقت: أي اجتمعت وانتظمت يعني الملة الإسلامية أو الدعوة أو ما يجري هذا المجرى أي لما ولّت الجاهلية استوسقت هذه في قيادها كالإبل المقودة إلى أعطانها.

ويحتمل عوده إلى الجاهلية أي تولّت بحذافيرها واجتمعت تحت ظلّ المقادة. والبقّر: الشقّ. والخاصرة ما بين أسفل الأضلاع وعظم الورك، شبه عليه

السلام الباطل بحيوان ابتلع الحق.

٩٩٣- نهج: [ومن كلام له عليه السلام:]

تالله لقد علمت تبليغ الرسالات وإتمام العادات وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر.

ألا وإن شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضلّ وندم. أعملوا ليوم تذخر له الذخائر، وتبلى فيه السرائر، ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه أعجز وغائبه أعوز. وأتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد.

ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمد.

بيان :

قال ابن أبي الحديد: [قوله:] «لقد علمت تبليغ الرسالات»: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَلَا يَخْشُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [٣٩/ الأحزاب: ٣٣] وإلى قول النبي صلى الله عليه وآله في قصة براءة: «لا يؤدّي عني أنا أو رجل مني»، وأنه علم مواعيد رسول الله صلى الله عليه وآله التي وعد بها وإنجازها، فمنها ما هو وعد لواحد من الناس نحو أن يقول: سأعطيك كذا.

ومنها ما هو وعد بأمر سيحدث، كأخبار الملاحم والأمور المتجددة. وفيه إشارة إلى قول تعالى: ﴿[من المؤمنين] رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [٢٣/ الأحزاب: ٣٣] وإلى قول النبي صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام «قاضي ديني ومنجز عداقي» وأنه علم تمام الكلمات وهو تأويل القرآن وبيانه الذي يتم به.

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [١١٥/ الأنعام: ٦]. وإلى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [له]: «اللَّهُمَّ أَهْدِ قَلْبِي وَثَبِّتْ لِسَانِي».

ولعلَّ بـ «أبواب الحكم» بالضمَّ أو «الحكم» بكسر الحاء وفتح الكاف - على اختلاف النسخ -: الأحكام الشرعية. وبـ «ضياء الأمر» العقائد العقلية أو بالعكس.

وقال ابن ميثم: لعلَّ المراد بـ «شرائع الدين وسبله» أهل البيت عليهم السلام فإنَّ أقوالهم في الدين واحدة خالية عن الاختلاف.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد معناه الظاهر، ويكون الغرض نفي الاختلاف في الأحكام بالآراء والمقاييس، ويظهر منه بطلان إمامة غير أهل البيت كما لا يخفي.

قوله عليه السلام: «ومن لا ينفعه» فيه وجوه:

الأول أنَّ من لم يعتبر في حياته بلبَّه فأولى بأن لا ينتفع بعد الموت.

الثاني أنَّ المراد من لم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت إمكان العمل، فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته، بل لا يورثه إلاَّ ندامة وحسرة.

الثالث أنَّ المراد من لم يكن له من نفسه واعظ وزاجر ولم يعمل بما فهم وعقل، فأحرى بأن لا يرتدع من القبيح بعقل غيره وموعظته له.

و «اللسان الصالح»: الذكر الجميل. و «من لا يحمده» وارثه الذي لا يعدُّ ذلك الإيراث فضلاً ونعمةً.

٩٩٤- نهج: [و] من خطبته [عليه السَّلام] المعروفة بالقاصعة:

ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية، وإن الله سبحانه قد أمتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون إلى كفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة؛ لأنها أرجح من كل ثمن وأجل من كل خطر.

وأعلموا أنكم قد صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد المولات أحزاباً، ما تتعلقون من الاسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه، تقولون: «النار ولا العار»، كأنكم تريدون أن تكفوا الاسلام على وجه انتهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم، حرماً في أرضه وأمناً بين خلقه.

وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم.

وإن عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه وآيامه ووقائعه، فلا تستبطوا وعيده جهلاً بأخذه، وتهاوناً ببطشه، ويأساً من بأسه.

فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن السفهاء لركوب المعاصي، والحلباء لترك التناهي.

ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده وأمتم أحكامه.

ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقون فقد دوخت، وأما شيطان الردة فقد كُفيت بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره، وبقيت

بقية من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأدينهم منهم إلا ما يتشذر في أطراف البلاد تشذراً.

أنا وضعت [في الصغر] بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر.

وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويُمسّني جسده ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة [خطيئة «خ»] في فعل.

أقول : قد مضى تمامها مع شرحها في آخر المجلد الخامس.

٩٩٥- نهج: [و] من كلام له عليه السلام:

ألا وإنّ اللسان بضعة من الانسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتسع، وإنّا لأمرء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه.

وأعلموا رحمكم الله أنكم في زمان، القائل فيه بالحق قليل، واللسان عن الصدق قليل، واللازم للحقّ ذليل، أهله معتكفون على العصيان، مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارؤهم مماذق، لا يعظم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيهم فقيرهم.

بيان :

قال ابن أبي الحديد: [هذا الكلام] قاله عليه السلام في واقعة أقتضت ذلك، وهي أنّه أمر ابن أخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوماً، فصعد المنبر فحصر ولم يستطع الكلام، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنّم

ذروة المنبر، فخطب خطبة طويلة هذه الكلمات منها.

والبضعة: القطعة من اللحم. والضمير في [قوله عليه السلام]: «يسعده» و «يمهله» للسان، وفي [قوله]: «أمتنع» و «أتسع» للإنسان.

والمعنى أن اللسان لما كان آلة للإنسان يتصرف بتصرفه إيّاه، فإذا أمتنع الانسان عن الكلام لشاغل أو صارف، لم يسعد اللسان القول ولم يواته، وإذا دعاه الداعي إلى الكلام وحضره وأتسع للإنسان له، لم يمهل النطق بل يسارع إليه.

ويحتمل أن يعود الضمير في «أمتنع» إلى القول، وفي «أتسع» إلى النطق: أي فلا يسعد القول للسان إذا أمتنع القول من الإنسان ولم يحضره لوهم أو نحوه، أوجب حصره وعيّه ولم يمهل النطق إذا أتسع عليه وحضره^(١).

ويحتمل أن يكون الضمير في «يسعده» و «يمهله» راجعاً إلى الإنسان، وفي [قوله]: «أمتنع» و «أتسع» إلى اللسان: أي إذا أمتنع اللسان لعدم جراءة فلا يسعد القول للإنسان، وإذا أتسع لم يمهل النطق الإنسان. والاول أظهر.

ونشب الشيء في الشيء بالكسر: أي علق وأنشبهته أنا فيه: أي أعلقته فانتشب. ذكره الجوهري.

والمراد بعروقه: أصوله ومواده، كالعلم بالمعاني والملكات الفاضلة. وغصونه: فروعه وأغصانه وآثاره.

وتهدّلت أغصان الشجرة: أي تدلّت.

[قوله عليه السلام]: «معتكفون على العصيان»: أي ملازمون [لها] من قولهم: عكف على الشيء: أي حبس نفسه عليه، ومنه الاعتكاف. والاصطلاح:

(١) من قوله: «والمعنى...» إلى هنا أخذناه من شرح نهج البلاغة لكهال الدين ابن ميثم رحمه الله، إذ كان في أصلي من طبع الكمباني من البحار تكرار ونقص.

أفتعال من الصلح. والادهان: القول باللسان بمقتضى مصلحة حالهم دون الاتفاق في القلوب، أو بمعنى الغش. والعرامة: شراسة الخلق والبطر والفساد وقلة الأدب.

[قوله عليه السلام]: «وشائبهم آثم»: [أي] لجهله وغفلته شاب في الاثم.

قوله عليه السلام: «مماذق»: أي غير مخلص كما ذكره الجوهرى. و«عاله»: أي كفله وقام بأمره وأنفق عليه.

٩٩٦- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام:

وأستعينه على مدارح الشيطان ومزاجره والاعتصام من حبائله ومخاتله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونجييه وصفوته، لا يوازى فضله، ولا يجبر فقده، أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية، والناس يستحلون الحرير ويستذلون الحكيم، يحيون على فترة ويموتون على كفره.

ثم إنكم معشر العرب! أغراض بلایا قد أقترت، فاتقوا سكرات النعمة، وأحذروا بوائق النعمة، وثبتوا في قنم العشوة، وأعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جليلة، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنياً دنية، ويتكالبون على جيفة مريخة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة الزخوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضل رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس

الآراء عند نجومها. من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتدقّ أهل البدو بمسجلها، وترضهم بكلكلها. يضيع في غبارها الوجدان، ويهلك في طريقها الركبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدماء، وتثلم منار الدين، وتنقض عقد اليقين. تهرب منها الأكياس، وتدبرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، بريئها سقيم، وظاعنها مقيم.

[و] منها:

بين قتيل مطلول، وخائف مستجير، يختلون بعقد الأيمان، وبغرور الإيثار، فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة، واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين، واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنكم بعين من حرّم عليكم المعصية وسهّل لكم سبيل الطاعة.

توضيح:

«مداحر الشيطان»: الأمور التي يدحر ويطردها [الشيطان].
«مزاجره»: الأمور التي يزجر بها. و «حبائله»: مكائده التي يضلّ بها البشر.
«مخاتله»: الأمور التي يختل بها - بالكسر - أي: يخدع بها.

[قوله عليه السلام: «لا يوازي»: أي لا يساوي. والأصل فيه الهمزة كما قيل. «والجهالة الغالبة» بالباء الموحدة وفي بعض النسخ بالمشنة: من الغلاء وهو الإرتفاع أو من الغلو وهو مجاوزة الحد. والجفوة: غلط الطبع. والوصف للمبالغة.

[وقوله: «والناس»: الواو للحال. والحريم: حرّات الله التي يجب احترامها ومحرماته. وقال [أبن الأثير] في النهاية: الفترة: ما بين الرسولين.

وأصابني على فترة: أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات. والكفرة: المرّة من الكفريات. والمعشر: الجماعة. والغرض: الهدف. وسكرات النعمة: ما تحدّثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر. والبوائق: الدواهي. والتتّبّت: التوقّف وترك أقتحام الأمر. والقتام - بالفتح -: الغبار. والعشو: ركوب الأمر على غير بيان ووضوح. ويروى «وتبينوا» كما قرئ في الآية.

وكُنّي عليه السلام عن ظهور المستور المخفي منها بقوله: «عند طلوع جنينها وظهور كمينها». والجنين: الولد مادام في البطن. والكمين: الجماعة المختفية في الحرب. والمدار مصدر والمكان بعيد. و «انتصاب قطبها ومدار رحاها»: كنياتان عن انتظام أمرها. والمدرجة: المذهب والمسلك: أي إنّها تكون ابتداءً يسيرة ثم تصير كثيرة. والشباب - بالكسر -: نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً. وفي بعض النسخ [ذكره] بالفتح. والسلم: الحجارة أي أربابها يمرحون في أوّل الأمر كما يمرح الغلام، ثمّ يؤوّل إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان، فيحتمل أن يكون [هذا] كالتفسير لسابقه، أو يكون المراد أنّها في الدنيا كنشاط الغلام وما أعقبها في الآخرة كآثار السلام.

[قوله عليه السلام]: «توارثها الظلمة بالعهد»: الظرف متعلّق بالفعل: أي توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت عليهم السلام وغصب حقّهم. أو [هو متعلّق] بـ [قوله] «الظلمة»: أي الذين ظلّموا عهد الله وتركوه.

«ويتكالبون»: أي يتواثبون. و «المريحة»: المنتنة من [قوله]: أراحت [الجيفة] إذا ظهر ريحها، أو من أراح البعير إذا مات.

قوله عليه السلام: «وعن قليل»: أي بعد قليل من الزمان يتبرأ التابع [من المتبوع].

قال ابن أبي الحديد: ذلك التبرّء في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز،

أما تبرّء التابع من المتبوع [فقد] قال تعالى: ﴿قالوا ضلّوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً﴾ [٧٤/ غافر: ٤٠].

وأما تبرّء القائد من المقود: أي المتبوع من التابع فقال تعالى: ﴿إذ تبرّء الذين اتّبَعُوا من الذين اتّبَعُوا﴾ [١٦٦/ البقرة: ٢].

وأما الأعمّ كما دلّ عليه قوله عليه السلام: «فيتزايلون...» فقال تعالى: ﴿ويوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً﴾ [٢٥/ العنكبوت: ٢٩].

وقوله عليه السلام: «يتزايلون»: أي يفترقون. وطالع الفتنة مقدماتها. وسبّاها رجوعاً لشدة الإضطراب فيها.

ولما ذكر عليه السلام رغبتهم في الدنيا وتكالبهم، أراد أن يذكر ما يؤكّد التعجّب من فعلهم، فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال: «وعن قليل يتبرّء التابع ... الخ». ثم عاد إلى نظام الكلام فقال: «ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».

وقال ابن ميثم: أشار عليه السلام إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتن، ثم أخبر عن أنقضائها عن قليل وكنتى عن ذلك بتبرّء التابع من المتبوع.

قيل: [وكان] ذلك التبرّء عند ظهور الدولة العباسية، فإنّ العادة جارية بتبرّء الناس عن الولاة المعزولين، خصوصاً ممن تولّى عزل أولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء.

[ثم] قال [ابن ميثم]: وقوله عليه السلام: «ثم يأتي [بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف]» إشارة إلى فتنة التتار، إذ الدائرة فيهم كانت على العرب.

[ثم] قال: وقال بعض الشارحين: ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في

آخر الزمان، كفتنة الدجال، ووصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس، أو أمر الإسلام فيها. و [كنى] بقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيهاً لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه: أي يمشي إليهم قدماً.

ونجم الشيء ينجم - بالضم - نجومًا: ظهر وطلع. قوله [عليه السلام]: «من أشرف لها»: أي صادمها وقابلها. «ومن سعى فيها»: أي في تسكينها وإطفائها. والخطم: الكسر. والتكادم: التعاض بأدنى الفم. والعانة: القطيع من حمر الوحش، ولعل المراد مغالبة مثيري تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم. ومعقود الحبل: قواعد التي كلفوا بها.

وفي إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوز. والغيض : القلة والنقص. والمسحل - كمنبر -: السوهان أو المنحت: أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب.

والرض : الدق. والكلكل: الصدر. والوحدان جمع واحد: أي من كان يسير وحده فإنه يهلك فيها بالكلية، وإذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون.

ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها: أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها، وأمّا الركبان وهم الكثير من الناس فإنهم يهلكون في طريقها وعند الخوض فيها.

وبجوز أن يكون الوحدان جمع أوحده: أي يضلّ في غبار هذه الفتنة وشبهها فضلاء عصرها، لغموض الشبهة وأستيلاء الباطل ويكون الركبان كناية عن أهل القوة، فهلاك أهل العلم بالضلال، وهلاك أهل القوة بالقتل. ومرّ القضاء: الهلاك والاستئصال والبلايا الصعبة. وعبيط الدماء: الطري الخالص منها. وتسلم: أي تكسر. [و] منار الدين: أي أعلامه.

[قوله عليه السلام]: «مرعاد مبرأق»: أي ذات رعد وبرق تشبيهاً

بالسحاب. أو ذات وعيد وتهدّد من [قولهم:] رعد الرجل وبرق إذا أوعد وتهدّد. ويحتمل أن يكون [أراد من] الرعد صوت السلاح و[من] البرق ضوءه. وقال [أبن الأثير] في النهاية: السّاق في اللغة: الأمر الشّدّيد وكشف السّاق: مثل في شدّة الأمر، وأصله من كشف الانسان عن ساقه وتشميره إذا وقع في أمر شديد.

قوله عليه السّلام: «بريئها»: أي من يعدّ نفسه بريئاً سالماً من المعاصي أو الآفات، أو من كان سالماً بالنسبة إلى سائر الناس فهو أيضاً مبتلى بها، أو المعنى أن من لم يكن مائلاً إلى المعاصي أو أحبّ الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك.

قوله عليه السّلام: «وظاعنها مقيم»: أي لا يمكنه الخروج عنها. أو من أعتقد أنّه متخلّف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه وعموم الضلالة.

قوله عليه السّلام: «مطلول»: أي مهدر لا يطلب به. [و] «يختلون»: أي يخدعون. [وقوله:] «بعقد الايمان»: [إمّا] بصيغة المصدر أو كصرد بصيغة الجمع.

و [قوله عليه السّلام:] «يختلون»: في بعض النسخ على بناء المجهول، فيكون إخباراً عن حال المخدوعين الذي يختلهم غيرهم بالايان المعقودة بينهم، أو بالعهد الذي يشدّونها بمسح أيانهم.

وفي بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخباراً من أهل ذلك الزّمان جميعاً، أو الخادعين الخائنين منهم. و«بغور الايمان»: أي بالايان الذي يظهره الخادعون لهؤلاء الموصوفين فيغرونهم بالمواعيد الكاذبة، أو الذي يظهره هؤلاء الموصوفون فيغرون الناس به على النسختين.

قوله عليه السّلام: «أنصاب الفتن»: [الأنصاب] جمع نصب وهو - بالفتح أو التحريك -: العلم أو بمعنى الغاية والحدّ ومنه أيضاً أنصاب الحرم.

وفي بعض النسخ: [أنصار الفتن] بالراء.

قوله عليه السلام: «[وألزموا] ما عقد عليه حبل الجماعة» أي القوانين التي ينتظم بها اجتماع الناس على الحق، وهي التي بنيت عليها أركان الطاعة.

[قوله عليه السلام: «وأقدموا على الله مظلومين»: أي كونوا راضين بالظلمية أو لا تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميتكم.

و «مدارج الشيطان»: مذاهبه ومسالكه. «ومهابط العدوان»: المواضع التي يهبط هو وصاحبه فيها.

واللُّعق: جمع لعقة بالضم، وهي أَسَم لما تأخذه الملعقة. واللَّعقة بالفتح: المرّة منه. فنبّه عليه السلام باللُّعق على قَلَّتْها بالنسبة إلى متاع الآخرة، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير.

قوله عليه السّلام: «[فإنكم] بعين من حرّم»: أي بعلمه كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [١٤ / القمر: ٥٤].

٩٩٧- نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

فبعث محمّداً صلّى الله عليه وآله بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشّيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه، ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه، وليقرّوا به إذ جحدوه، وليشّبهوه بعد إذ أنكروه.

فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، بما أراهم من قدرته، وخوْفهم من سطواته، وكيف محق من محق بالمشلات واحتصد من احتصد [واختصد من اختصد «خ»] بالنقبات.

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان، ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا

أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذٍ وأهله منفيّان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد، لا يؤويهما مؤو، فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في النَّاس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعوا.

واجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه ولا يعرفون إلّا خطّه وزبره.

ومن قبل ما مثّلوا بالصّالحين كلّ مثله، وسَمّوا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيّئة.

وإنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم، حتّى نزل بهم الموعود الذي تردّ عنه المَعذرة، وترفع عنه التوبة، وتحلّ معه القارعة والنقمة. أيّها النَّاس ! إنّ من استنصح الله وفّق، ومن اتّخذ قوله دليلاً هُديّ للّتي هي أقوم، فإنّ جار الله آمن وعدوّه خائف.

وإنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم، فإنّ رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له، فلا تنفروا من الحقّ نفار الصّحيح من الأجر والباري من ذي السقم.

وأعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتّى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتّى تعرفوا الذي نبذه.

فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنّهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين

يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، [فهو] بينهم شاهد صادق وصامت ناطق.

بيان :

«أحكمه»: أتقنه. وقيل في قوله تعالى: «كتاب أحكمت آياته» [١/ هود: ١١]: أي أحفظت من فساد المعنى وركاكته.

ويمكن أن يكون المراد بالإقرار باللسان، وبالإثبات: التصديق بالقلب.

[قوله عليه السلام: «فتجلى لهم»: أي ظهر وأنكشف، وربما يفسر الكتاب هنا بعالم الإيجاد. والمحق: النقض، والمحو والإبطال. والمثلث: العقوبات.

قوله عليه السلام: «واحتصد [من احتصد]:» في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد وهو قطع الزرع والنبات فهو كناية عن أستئصالهم. وفي بعضها بالمعجمتين من [قوله:] اختصد البعير: أي خطمه ليدلّ. والأول أظهر. والبوار: الهلاك وكساد السوق.

وتلاوة الكتاب إمّا بمعنى قراءته، أو متابعتها فإنّ من اتّبع غيره يقال: تلاه. والتحريف بالثاني أنسب.

ويقال: تناساه إذا أرى من نفسه أنّه نسيه. ونفى الشيء: أي نحاه أو جحده. والطرّد: الإبعاد. وأهل الكتاب [هم] أئمة الدين وأتباعهم العاملون بالكتاب العاملون به.

قوله عليه السّلام: «لأنّ الضّلالة»: أي ضلالتهم مضادّة لهدي الكتاب فلم يجتمعا حقيقة وإن اجتمعا ظاهراً. والزبر بالفتح: الكتابة وبالكسر: الكتاب.

قوله عليه السلام: «ومن قبل»: أي من قبل ذلك الزمان وإن كان بعده عليه السلام. «ما مثلوا» بالتخفيف والتشديد: أي نكّلوا.

والظرف أعني قوله: «على الله» متعلق بالفرية، ويحتمل تعلّقه بالصدق. والمراد بتغيّب آجالهم نسيانهم إيّاها وترك استعدادهم لها ولما بعدها. والموعود: الموت فإنّه لا تقبل فيه معذرة وعند نزوله [لا تقبل] توبة.

«والقارعة»: المصيبة التي تفرع: أي تلقى بشدة وقوة.

قوله عليه السلام «من استنصح الله» قال: [ابن الأثير] في النهاية: أي اتّخذ ناصحاً. انتهى.

والإعتقاد بكونه تعالى ناصحاً وأنّه لا يريد للعبد إلّا ما هو خير له، يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكلّ ما أمر [به] والإنتهاء عمّا نهى عنه.

قوله عليه السلام: «لّتي هي أقوم»: أي للحالة والطريقة التي اتّباعها وسلوكها أقوم.

[قوله عليه السلام]: «فإنّ جار الله [آمن]»: أي من أجاره الله أو من كان قريباً منه.

وفي بعض النسخ: «عظمته» و «قدرته» بالنصب، فكلمة «ما» فيهما زائدة.

قوله عليه السلام: «حتّى تعرفوا الذي تركه»: الغرض منه وما بعده التنفير من أئمة الضلال والتنبية على وجوب البراءة منهم.

[قوله عليه السلام] «فإنّهم عيش العلم»: أي أسباب لحياته.

قوله عليه السلام: «وصمّتهم عن منطقتهم»: فإنّ لصمّتهم وقتاً وهيئةً وحالةً تكون قرائن دالة على حسن منطقتهم لو نطقوا.

قوله عليه السلام: «ولا يختلفون»: أي لا يخالف بعضهم بعضاً فيكون البعض مخالفاً للحق.

[قوله عليه السلام: «فهو بينهم»: الضمير راجع إلى الدين. [ومعنى قوله: «شاهد صادق»: أي يأخذون بها حكم به ودلّ عليه.

[قوله عليه السلام: «وصامت»: لأنه لا ينطق في الظاهر [بنفسه وإنما هو] ناطق بلسان أهله والعالم به.

٩٩٨- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام:

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيْمَةً.

فَمَا أَحْلَوْلْتَ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا، إِلَّا مِنْ بَعْدِ [مَا] صَادَفْتُمُوهَا جَانِئاً خَطَامِهَا، قَلَقاً وَضِيئاً، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مُوجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا - وَاللَّهِ - ظُلْلاً مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسَيُوفُكُمْ عَلَيْهَا مَسْلُطَةٌ، وَسَيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ.

أَلَا [وإنَّ] لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَعْجِزُهُ مِنْ طَلَبٍ وَلَا يَفُوتُهُ مِنْ هَرَبٍ.

فَأَقْسِمَ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمِّيَّةٍ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتُعْرَفَنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ.

أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرَفَهُ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ.

أيها الناس ! أستصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وأمتاحوا من صفو عين قد رُوِّقت من الكدر.

عباد الله ! لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا لأهوائكم، فإنَّ النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الردى على ظهره من موضع لرأي يحدّثه بعد رأي، يريد أن يلصق ما لا يلتصق ويقرّب ما لا يتقارب.

فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم، ولا من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم.

إنّه ليس على الإمام إلّا ما حمّل من أمر ربه، الابلاغ في الموعظة، والإجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقّيها، وإصدار السهمان على أهلها.

فبادروا العلم من قبل تصويح نبته، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهلها، وأنهوا عن المنكر وتناهوا عنه فإنّها أمرتم بالنهي بعد التناهي.

بيان :

[قوله عليه السلام:] «شهيذاً»: أي على أوصيائه وأئمته وعلى الأنبياء وأئمهم. والكهل: من جاوز الثلاثين. وقيل: من بلغ الأربعين. وقيل: من جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. والشيمة - بالكسر -: الطبيعة والجلبة. والجلود - بالفتح -: المطر الغزير. والديمة - بالكسر -: المطر الدائم في سكون. وإحلولي الشيء: صار حلوّاً ضدّ المرّ. والرضاع - بالفتح - مصدر رضع الصبي أمّه - بالكسر -: أي امتصّ ثديها. والأخلاف جمع خلف - بالكسر - وهو حلمة ضرع الناقة، أو الضرع لكلّ ذات خفّ وظلف. والجملتان كنايةتان عن انتفاعهم وتمتعهم بالدنيا. وصادفته: أي وجدته. والجائل: الدائر المتحرّك والذي يذهب ويجيء. وخطام البعير - بالكسر -: الحبل الذي يقاد به. والقلق: المتحرّك

الذي لا يستقرّ في مكانه. والوضين: بطن منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرجل على البعير^(١)، كالحزام للسرّج.

والفرض عدم تمكّنهم من الإنتفاع بالدنيا وصعوبتها عليهم وعدم أنقيادها لهم، كما يستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها في يد راكبها، قلقه الوضين لا يثبت رحلها تحت راكبها.

ويحتمل أن يكون كناية عن استقلال الدنيا وأستبدادها في غرور الناس، وإقبالها على أهلها من غير أن يزجرها ويمنعها أحد.

والسدر المخضود: الذي أنتنت أغصانه من كثرة الحمل. أو الذي قطع شوكة ونزع. وهو كناية عن أكلهم الحرام برغبة كاملة وميل شديد.

والظّل الممدود: الدائم الذي لا تنسخه الشمس. وشغرت الأرض كمنعت: أي لم يبق بها أحد يحميها ويضبطها. وبلدة شاغرة برجلها: إذا لم تمنع من غارة أحد.

[وقال ابن الأثير] في [مادّة «شغر» من] [النهاية: قيل: الشجر: البعد. وقيل: الاتساع ومنه حديث علي عليه السلام: «قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها». وحديثه الآخر: «فالأرض لكم شاغرة»: أي واسعة.

والقادة: ولاية الأمر المستحقون للإمارة والرياسة.

وتسلط السيوف: إشارة إلى واقعة الحسين عليه السلام وما كان من بني أمية وغيرهم من القتل وسفك الدماء. والثار: طلب الدم.

والمراد بكونه - هنا - كالحاكم في حق نفسه: أستيفائه الحقّ بنفسه من غير افتقار إلى بينة وحكم حاكم.

(١) وهكذا فسّره ابن الأثير في مادّة «وَضَنَ» من كتاب النهاية قال: [و] في حديث عليّ: «إنّك لقلّ الوضين» أراد أنّه سريع الحركة. يصفه بالخفة وقلة الثبات كالحزام إذا كان رخوًا.

والضمير في [قوله]: «تعرفنّها» راجع إلى الإمارة، أو إلى الدنيا كالضمانات المتقدّمة، وهو إخبار بانتقال الدولة عن بني أمية إلى بني العبّاس.

والطرف - بالفتح -: نظر العين، يطلق على الواحد وغيره. ونفوذه في الخير رؤية المحاسن وأتباعها. ووعى الحديث كرمى: أي حفظه وتدبّره. والامتياح: نزول البئر وملأ الدلو منها. والترويق: التصفية. والمراد بـ«الواعظ» و«العين» [خ «ل»]: نفسه صلوات الله عليه. وركن - كعلم ونصر ومنع -: مال. والهوى: إرادة النفس. والشفاء: شفير الشيء وجانبه. والجرف - بالضمّ وبضمّتين -: ما تجرّفته السيول وأكلته من الأرض. والهار: الساقط الضعيف. والردى: جمع رداة بالفتح فيهما وهي الصخرة: أي هو في تعب دائماً. وفسّر هنا بالهلاك أيضاً.

والصاق ما لا يلتصق وتقريب ما لا يتقارب: إثبات الباطل بحجج باطلة. وأشكاه: أزال شكايته. والشجو: الهّم والحزن. وأبرم الأمر: أي أحكمه. و [أحكم] الحبل: أي جعله طاقين ثمّ قتله. والغرض النهي عن اتباع إمام لا يقدر على كشف المعضلات وحلّ المشكلات في المعاش والمعاد لقلة البصيرة.

وفي بعض النسخ: «ومن ينقض» بدون «لا» فالمعنى لا تتبعوا من ينقض برأيه الفاسد ما أحكمه الشرع. والسّهان - بالضمّ -: جمع سهم وهو الحظّ والنصيب وإيصالها إليهم. وصوّح النبات: أي يبس وتشقّق أوجفّ أعلاه، وهو كناية عن ذهاب رونق العلم أو اختفاؤه أو مغلوبيّته. والمستنار: مصدر بمعنى الإِستشارة وهي الانهاض والتهيج.

والترتيب بين الأمر بالتناهي لا بين النهي والتناهي. ولا يبعد حمله على ظاهره.

٩٩٩- نهج: [و] من خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم:

الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه، الظاهر لقلوبهم بحجته، خلق الخلق من غير روية، إذ كانت الرويات لاتليق بذوي الضمائر، وليس بذى ضمير في نفسه. خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقائد السريرات.

[و] منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله:

اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء وذوابة العلياء وسرة البطحاء ومصاييح الظلمة وينايع الحكمة.

[و] منها: طبيب دوار طبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمي، وأذان صم، وألسنة بُكم، متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة.

لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية.

قد أنجابت السرائر لأهل البصائر، ووضحت محجة الحق لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسمها.

ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح! وأرواحاً بلا أشباح! ونساکاً بلا صلاح! وتجاراً بلا أرباح! وأيقاظاً نوماً! وشهوداً غيباً وناظرة عمياء! وسامعة صماء! وناطقّة بكاء!.

راية ضلالة قد قامت على قطبها، وتفرقت بشعبها، تكيلكم بصاعها وتخطبكم بباعها، قائدها خارج من الملة على الضلة، فلا يبقى يومئذ [منكم] إلا ثقالة كثفالة القدر، أنفاضة كنفاضة العكم، تعرككم عرك الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد، وتستخلص المؤمن من بينكم أستخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب!

أين تذهب بكم المذاهب! وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب! ومن

أين توتون! وأنى توفكون! فلكلّ أجل كتاب، ولكلّ غيبة إياب، فاستمعوا من ربّانيكم، وأحضروه قلوبكم، وأستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه؛ فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة.

فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السّبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى النّاس على الفجور، وتهاجروا على الدّين، وتحابّوا على الكذب، وتباغضوا على الصدّق.

فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً، والمطر قيضاً، وتفيض اللّثام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً.

وكان أهل ذلك الزّمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصدق وفاض الكذب، وأستعملت المودّة باللّسان، وتشاجر النّاس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولُبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً!

تبيين:

الملحمة هي الحرب أو الوقعة العظيمة فيها. وموضع القتال مأخوذ من أشتباك الناس فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى. وقيل: [هي مأخوذة] من اللحم. والتجلي: الانكشاف. والخلق الثاني يحتمل المصدر والمخلوق. والروية: التفكّر. والمراد بالضمير إمّا القلب أو ما يضر من الصور.

قوله عليه السّلام: «في نفسه»: أي كائن في نفسه أو في حدّ ذاته إذا تأمل فيه متأمل بنظر صحيح والغامض من الأرض: المنطمّن. ومن الكلام وغيره خلاف الواضح. والمشكاة: كوة غير نافذة يجعل فيها المصباح، أو عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، أو القنديل. والدّؤابة بالضمّ مهموزاً: الناصية أو

منبتها من الرأس. والعلياء بالفتح والمدّ كلّ مكان مشرف، والسماء، ورأس الجبل. وسرّة البطحاء: وسطها تشبيهاً بسرّة الانسان. والبطحاء والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

قيل: أستعار [عليه السلام] الشجرة لصف الأنبياء عليهم السلام وفروعها أشخاصهم وثمرتها العلوم والكمالات. ومشكاة الضياء لآل إبراهيم عليه السلام، وفؤادة العلّياء لقريش، وسرّة البطحاء لمكة، والمصابيح والينابيع هم الأنبياء عليهم السلام.

والمراد بالطبيب: نفسه عليه السلام. والدوران بالطبّ: إتيان المرضى وتبّعهم، فهو تعريض للأصحاب بقعودهم عمّا يجب عليهم. أو المراد بيان كمال الطبيب، فإنّ الدوّار أكثر تجربة من غيره كما قيل.

والمرهم: طلاء لين يطلى به الجرح مشتقّ من الرهمة بالكسر وهي المطر الضعيف وإحكامها: إتقانها ومنعها عن الفساد. والوسم: أثر الكي والميسم - بالكسر -: المكواة. وأحماها: أي أسخنها ولعلّ إحكام المراهم إشارة إلى البشارة بالثواب، أو الأمر بالمعروف. وإحماء المواسم: [إشارة] إلى الإنذار من العقاب، أو النهي عن المنكر وإقامة الحدود.

وقدح بالزند - كمنع -: رام الإيراء به واستخرج النار منه. والزند - بالفتح -: العود الذي يقدح به النار. وثقبت النار اتقدت. وثقب الكواكب: أضاء. والقاسية: الشديدة والغليظة.

وانجابت السحابة: انكشفت. والمراد بالسرائر، ما أضمره المعاندون للحقّ في قلوبهم من إطفاء نور الله وهدم أركان الشريعة.

وقيل: إشارة إلى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسية ولأهل البصائر من أستيلاء بني أمية وعموم ظلمهم. أو انكشاف أسرار الشريعة لأهلها. والخابط: السائر على غير هدى ولعلّ المراد أنّ ضلالهم ليس لخفاء

الحقّ، بل للاصرار على الشقاوة والنفاق.

وسفر الصبح وأسفر: أضاء وأشرق. وأسفرت المرأة: كشفت عن وجهها.

والمراد بإسفار الساعة وظهور العلامة: قرب القيامة بعدم بقاء نبيّ ينتظر بعثته، وظهور الفتن والوقائع التي هي من أشراطها. والشبح - بالتحريك -: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد.

والمراد بكونهم أشباحاً بلا أرواح: تشبيههم بالجملادات والأموات في عدم الانتفاع بالعقل، وعدم تأثير المواعظ فيهم كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنَدٌ﴾ [٤ / المنافقون: ٦٣].

وأما كونهم أرواحاً بلا أشباح فقليل: المراد بيان نقصهم؛ لأنّ الروح بلا جسد ناقصة عاطلة عن الأعمال.

وقيل: إشارة إلى خفتهم وطيشهم في الأفعال.

وقيل: المراد أنّ منهم من هو كالجماد والأموات، ومنهم من له عقل وفهم ولكن لا قوّة له على الحرب، فالجميع عاطلون عمّا يراد بهم.

وقيل: المراد أنّهم إذا خافوا ذهلت عقولهم وطارت ألبابهم، فكانوا كأجسام بلا أرواح، وإذا أمنوا تركوا الإهتمام بأمورهم كأنهم أرواح لا تعلق لهم بالأجسام.

والنّسّاك: العبّاد: أي ليست عبادتهم مقرونةً بالإخلاص وعلى الوجه المأمور به ومع الشرائط المعتمدة، فإنّ منها معرفة الإمام وطاعته. وكونهم تجاراً بلا أرباح لعدم ترتّب الثواب على أعمالهم.

وقوله عليه السلام: «راية ضلالة»: منقطع عمّا قبله التقطه السيّد [الرّضّي] رضي الله عنه من كلامه [عليه السلام] على عادته، وكأنّه إشارة إلى

ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفياي وغيره.

والقطب: حديدة تدور عليها الرحي، وملاك الأمر ومداره وسيد القوم. وقيامها على قطبها كناية عن انتظام أمرها وتفرق شعبها عن انتشار فتنها في الآفاق وتولد فتن آخر عنها.

وقيل: ليس التفرق للراية نفسها، بل لنصارها وأصحابها. وحذف المضاف، ومعنى تفرقهم أنهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة في بلاد متفرقة.

[قوله عليه السلام: «وتكيلكم بصاعها»:] أي تأخذهم للإهلاك زمرة زمرة، كالكيال يأخذ ما يكيله جملة جملة.

أو يقهركم أربابها على الدخول في أمرهم، ويتلاعبون بكم يرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيال البر بها إذا كاله بصاعه.

أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [٣/ المطففين: ٣٦]: أي تحملكم على دينها ودعوتها، وتعاملكم بما يعامل به من استجاب لها أو تفرز لكم من فتنها شيئاً ويصل إلى كل منكم نصيب منها.

والخبط - بالفتح -: ضرب الشجر بالعصى ليتناثر ورقها، وخبط البعير الأرض بيده خبطاً: أي ضربها. والكلام على الوجهين يفيد الذلة والإنقهار.

والقيام على الضلة: الاصرار على الضلال. وثقاله القدر - بالضم -: ما ثقل فيه من الطبخ، وهي كناية عن الأراذل ومن لا ذكر له بين الناس لعدم الاعتداد بقتلهم. والنفاسة - بالضم -: ما سقط من النفس. والعكم - بالكسر -: العدل، ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها.

[و] قال [أبن الأثير] في [مادة «عكم» من] [النهاية: العكوم: الأحمال

التي تكون فيها الأمتعة وغيرها، واحدها عكم بالكسر، ومنه حديث عليّ عليه السلام: «نفاضة كنفاضة العكم». انتهى. والمراد بها ما يبقى في العدل بعد التخليّة من غبار أو بقيّة زاد لا يعبأ بها فتتنفض.

وعركه - كنصره -: دلكه وحكّه. والأديم: الجلد أو المدبوغ منه. وداس الرجل الخنطة: دقّها ليخرج الحبّ من السنبل. والحصيد: الزرع المقطوع. وأستخلصه لنفسه: أي استخصّه. والغرض تخصيص المؤمن بالقتل والأذى. والبطينة: السمينّة. والهزيل ضدّ السمين.

قوله عليه السلام: «أين تذهب بكم»: الباء في الموضعين للتعدية. والمذاهب: الطرق والعقائد وإسناد الإذهاب إليها على التجوّز للمبالغة.

وتاه يتيه تيهاً - بالفتح والكسر -: أي تحيرّ وضلّ. والغيب: الظلمة والشديد السواد من الليل. والكواذب: الأمانى الباطلة والأوهام الفاسدة.

قوله [عليه السّلام]: «ومن أين تؤتون» على بناء المجهول: أي من أيّ جهة وطريق يأتيكم من يضلّكم من الشياطين أو تلك الأمراض! «وأنتى تؤفكون»: أي أنتى تصرفون عن قصد السبيل! وأين تذهبون!.

قوله عليه السّلام: «فلكلّ أجل كتاب»: أي لكلّ أمد ووقت حكم مكتوب على العباد. والإياب - بالكسر -: الرجوع.

قيل: هذا الكلام منقطع عمّا قبله. وقيل: تهديد بالإشارة إلى قرب الموت، وأنّهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم.

والرّبّاني: منسوب إلى الرّبّ، وفسر بالمتألّه العارف باللّه، أو الذي يطلب بعلمه وجه اللّه، أو العالم المعلّم، والمراد: نفسه عليه السلام. وإحضار القلب: الإقبال التامّ إلى كلامه ومواعظه.

قوله عليه السلام: «إن هتف بكم» بكسر الهمزة وفي بعض النسخ

بالفتح: أي لهتافه بكم وهو الصيَّاح.

والرائد: الذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث، وفي المثل: «لا يكذب الرائد أهله». ولعلّ المراد بالرائد: نفسه عليه السلام: أي وظيفتي وشأني الصّدق فيما أخبركم به ممّا تردون عليه من الأمور المستقبلية في الدنيا والآخرة، كما أنّ وظيفتكم الإستماع وإحضار القلب.

والشّمل ما تشبّت من الأمر والمراد به الأفكار والعزائم: أي يجب علي التوجّه إلى نصحكم وتذكيركم بقلب فارغ عن الوسوس والشواغل، وإقبال تامّ على هدايتكم.

ويحتمل أن يراد بالشّمل من تفرّق من القوم في فيا في الضلالة.

والفاعل في [قوله] «فلق» هو الرائد.

وقيل: المراد بالرائد: الفكر؛ لكونه مبعوثاً من قبل النفس في طلب مرعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات، فكشّى به عنه وأهله هو النفس، فكأنّه عليه السلام قال: فلتصدّق أفكاركم ومتخيّلاتكم نفوسكم، وصدقها إيّاها تصرفها على حسب إشارة العقل بلا مشاركة الهوى.

أو المراد بالرائد: اشخاص من حضر عنده، فإنّ كلّاً منهم له أهل وقبيلة يرجع إليهم، فأمرهم أن يصدقهم بتبليغ ما سمع على الوجه الذي ينبغي والنصيحة والدعوة إليه.

وقوله [عليه السّلام]: «وليجمع شمله»: أي ما تفرّق وتشعب من خواطره في أمور الدنيا ومهمات. «وليحضر ذهنه»: أي يوجّهه إلى ما أقول. انتهى.

والفلق: الشقّ. والخرزة - بالتحريك -: الجوهر. «وقرفه قرف الصمغة»: أي قشره كما تقشر الصمغة من عود الشجرة وتقلع؛ لأنّها إذا قلعت لم يبق لها

أثر، وهذا مثل، والمعنى أوضح لكم أمر الفتن أو طريق الحقّ إيضاحاً تامّاً، فأظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرزة بعد شقّها، ولا أدخر عنكم شيئاً بل ألقى الأمر بكليّته إليكم.

قوله عليه السّلام: «فعند ذلك» قيل: هو متصل بقوله: «من بين هزيل الحبّ»، فيكون التشويش من السيّد رضي الله عنه. ويمكن أن يكون إشارة إلى كلام آخر سقط من البين.

[قوله عليه السلام:] «وأخذ الشيء مأخذه»: أي تمكّن وأستحكم. والطاغية مصدر بمعنى الطغيان أو صفة محذوف: أي الفئة الطاغية. وكذا الداعية تحتل الوجهين. وفي بعض النسخ «الرّاعية» بالراء المهملة.

والفنيق: الفحل من الإبل «وهدر» ردّد صوته في حنجرتة في غير شقشقة. والكظوم: الامساك والسكوت.

وكون الولد غيظاً لكثرة العقوق أو لاشتغال كلّ أمرٍ بنفسه، فيتمنّى أن لا يكون له ولد.

والمطر قيضاً. بالضاد المعجمة: أي كثيراً. قيل: إنّه من علامات تلك الشرور أو من أشرط الساعة. وقيل: إنّه أيضاً من الشرور إذا جاوز الحدّ.

وفي بعض النسخ بالطاء المعجمة: وهو صميم الصيف وهو المطابق لما في النهاية، قال: ومنه حديث أشرط الساعة: «أن يكون الولد غيظاً والمطر قيضاً»؛ لأنّ المطر إنّما يراد للنبات وبرد الهواء، والقيظ ضدّ ذلك انتهى. وحينئذ يحتمل أن يكون المراد تبدّل المطر بشدّة الحرّ وقلة المطر، أو كثرته في الصيف دون الربيع والشتاء.

أو المراد أنّه يصير سبباً لاشتداد الحرّ لكثرته في الصيف، إذ تتور به الأبخرة ويفسد الهواء، أو يصير على خلاف العادة سبباً لشدّة الحرّ.

«وتفيض اللثام»: أي تكثر. و «تغيض الكرام»: أي تقل.

[قوله عليه السلام]: «وأهل ذلك الزمان»: أي أكابرهم. «أكالاً»، بالضم والتشديد: جمع آكل.

وقال بعض الشارحين: روي «أكالاً» بفتح الهمزة وتخفيف الكاف يقال: ماذقت أكالاً: أي طعاماً، وقال: لم ينقل هذا إلا في النفي، فالأجود الرواية الأخرى وهي «آكالاً» بمد الهمزة على أفعال جمع أكل وهو ما أكل، وقد روي «أكالاً» بضم الهمزة على فعال. وقالوا: إنه جمع آكل للمأكل كعرق وعراق، إلا أنه شاذ: أي صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطين كالفرسة للأسد.

وغار الماء: ذهب في الأرض. وفاض: أي كثر حتى سال. وفي بعض النسخ «وفار الكذب».

قوله عليه السلام: «وصار الفسوق نسباً»: أي يحصل أنسابهم من الزنا. وقيل: أي يصير الفاسق صديقاً للفاسق حتى يكون ذلك كالنسب بينهم.

وأما لبسهم الإسلام لبس الفرو فالظاهر أن المراد به: تبديل شرائع الإسلام وقلب أحكامه، أو إظهار النيات الحسنة والأفعال الحسنة وإبطان خلافها.

وقيل: وجه القلب، أنه لما كان الغرض الأصلي من الإسلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب ويظهر به منفعة، فقلب المنافقون غرضه وأستعملوه بظاهر الستتهم دون قلوبهم، فأشبه قلوبهم له لبس الفرو، إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهراً لمنفعة الحيوان الذي هو لباسه، فاستعمله الناس مقلوباً.

١٠٠٠- نهج: [و] خطبة له عليه السلام:

أمين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته.

أيها الناس ! إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه.^(١) فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قاتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى تحضرها عامّة الناس ما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثمّ ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.

ألا وإني أقاتل رجلين: رجلاً ادّعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه.

أوصيكم بتقوى الله، فإنّه خير ما تواسى العباد به وخير عواقب الأمور عند الله، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق، فامضوا لما تؤمرون به وقفوا لما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى تبيّنوا فإنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه غيراً.

ألا وإنّ هذه الدّنيا التي أصبحت تتمنّونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتكم له ولا الذي دعيتم إليه.

ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها، وهي وإن غرّتكم منها فقد حذرتكم شرّها، فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدّار التي دعيتم إليها، وأنصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخنّ أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها، واستتمّوا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما أستحفظكم من كتابه.

ألا وإنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم.

(١) كذا في متن طبع الكمباني من البحار، وذكر في هامشه نقلاً عن نسخة من نهج البلاغة: «وأعلمهم» ومثل ما في الهامش في شرح ابن أبي الحديد، ولكن المستفاد من شرح ابن ميثم رحمه الله أنّه كان في نسخته من نهج البلاغة: «وأعلمهم» بتقديم الميم على اللام.

ألا وإنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وأهلنا وإياكم الصبر.

إيضاح:

قوله عليه السّلام: «بهذا الأمر»: أي الخلافة. «أقواهم عليه»: أي أحسنهم سياسةً وأشجعهم، و[هذا] يدلّ على عدم جواز إمامة المفضول لا سيّما مع قوله عليه السلام: «فان شغب... إلى آخره». والشغب بالتسكين: تهيج الشر. والمراد بالاستعتاب: طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما.

قوله عليه السلام: «لئن كانت الإمامة» قال ابن أبي الحديد: هذا تصريح بصحة مذهب أصحابنا في أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة، ويبطل قول الإمامية من دعوى النّصّ، وأنّه لا طريق إلى الإمامة سوى النّصّ. انتهى.

[أقول: وفيه نظر، أمّا أولاً: فلأنّه [عليه السلام] إنّما احتجّ عليهم بالإجماع، إلزاماً لهم لاتّفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسكه عليه السّلام بالنّصّ لعلمه عليه السلام بعدم التفاتهم إليه. كيف وقد أعرضوا عنه في أول الأمر مع قرب العهد بالرسول صلى الله عليه وآله وسماهم عنه. وأمّا ثانياً: فلأنّه عليه السلام لم يتعرض للنّصّ نفياً وإثباتاً، فكيف يكون مبطلاً لما ادّعاه الإمامية من النّصّ؟! والعجب أنّه جعل هذا تصريحاً بكون الاختيار طريقاً إلى الإمامة! ونفى الدّلالة في قوله عليه السلام: «إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر...» على نفي إمامة المفضول مع قوله عليه السلام: «فإن أبي قوتل». مع أنّه لم يصرّح بأنّ الإمامة تنعقد بالاختيار، بل قال: إنّها لا تتوقّف على حضور عمّة الناس، ولا ريب في ذلك؛ نعم يدلّ بالمفهوم عليه وهذا تقيّة منه عليه السلام.

ولا يخفى على من تتبّع سيره عليه السلام أنّه لم يمكنه إنكار خلافتهم والقدح فيها صريحاً في المجامع، فلذا عبّر بكلام موهم لذلك. قوله عليه السلام: «وأهلها يحكمون»: وإن كان موهماً له أيضاً، لكن

يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقاء بالإمامة.

ولا يخفى على المتأمل أن ما مهد عليه السلام أولاً بقوله: «إنَّ أحقَّ الناس أقدارهم» يشعر بأنَّ عدم صحّة رجوع الشاهد واختيار الغائب، إنّما هو في صورة الإتّفاق على الأحقّ دون غيره، فتأمل.

قوله عليه السلام: «رجلاً أدعى»: كمن أدعى الخلافة. «وآخر منع»: كمن لا يطيع الإمام أو يمنع حقوق الله.

«وخير عواقب الأمور»: عاقبة كلّ شيء آخره. والتقوى خير ما ختم به العمل في الدنيا أو عاقبتها خير العواقب.

وقوله عليه السلام: «هذا العلم» بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ، فعلى الأوّل:

المعنى أنّه لا يعلم وجوب قتال أهل القبلة وموقعه وشرائطه.

وعلى الثاني: إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به. ويحتمل على بعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله: «أحقّ الناس بهذا الأمر» فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحقّ.

قال ابن أبي الحديد: وذلك لأنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه، ومن أقدم منهم عليه أقدم مع خوف وحذر. قال الشافعي: لولا علي عليه السلام لما علم شيء من أحكام أهل البغي.

قوله عليه السلام: «فإنّ لنا» قال ابن ميثم: أي إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونيه تغييراً: أي قوّة على التغيير، إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعله حتّى تسألوا عن فائدته، فإنّه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم بوجهه.

[و] قال ابن أبي الحديد: أي لست كعثمان أصبر على ارتكاب ما أنهى

عنه، بل أغيرَ كلّما ينكره المسلمون ويقتضي الحال والشرع تغييره. انتهى.

ويمكن أن يكون المعنى أن لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً: أي ما يغير إنكاركم ويمنعكم عنه من البراهين الساطعة أو الأعمّ منها، ومن السيوف القاطعة إن لم تنفعكم البراهين.

وفي ذكر إغصاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لا يراعي حقهم كما قال عليه السلام: «رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس». وغرور الدنيا بتزيين الزخارف لأهلها وإغفالهم عن الفناء وتحذيرها بما أراهم من الفناء وفراق الأحبة ونحو ذلك. والدار التي دعوا إليها هي الجنة.

قوله عليه السلام: «ولا يَحْتَنُّ أحدكم»: الحنين بالخاء المعجمة: ضرب من البكاء دون الإلتحاب. وأصله خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم. ويروى بالمهملة أيضاً، وإضافته إلى الأمة؛ لأنّ الإمام كثيراً ما يبكين ويسمع الحنين منهم، والحرّة تأنف من البكاء والحنين.

وزواه عنه: صرفه وقبضه. وفي بعض النسخ: «ما زوي عنه»: أي عن أحدكم ولعلّه أظهر. والصبر على الطاعة: حبس النفس عليها كقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [٢٨ / الكهف: ١٨]، أو عدم الجزع من شدتها أو من البلايا إطاعة لله، وعلى أيّ حال هو من الشكر الموجب للمزيد فيه بطلب تمام النعمة. و«من» في قوله: «من كتابه» بيان لـ «ما».

والقائمة: واحدة قوائم الدواب. وقائمة السيف: مقبضه. ولعلّ المراد بقائمة الدّين أصوله وما يقرب منها، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية، فإنّ الدين بمنزلة القائمة لأموال الدنيا والآخرة.

١٠٠١- نهج: [و] من خطبة له عليه السّلام:

أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور وتلطُّ من الحروب، [و] الدُّنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين أصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، وأغورار من مائها، قد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الردى، فهي متجهمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيِّف.

فاعتبروا عباد الله! وأذكروا تيك التي آبأوكم وإخوانكم بها مرتنون وعليها محاسبون، ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود، ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون، وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلاهم بعيد. والله ما أسمعكم الرسول صلى الله عليه وآله شيئاً إلاَّ وها أنا ذا اليوم مسمعكموه، وما أسأعكم اليوم بدون أسأعكم بالأمس، ولا شقت لهم الأبصار وجعلت لهم الأفئدة في ذلك الأوان إلاَّ وقد أعطيتهم مثلها في هذا الزمان.

والله ما بصَّرتهم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أصفيتهم به وحرموه، ولقد نزلت بكم البليَّة جائلاً خطامها، رخواً بطانها، فلا يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنَّها هو ظلٌّ ممدود إلى أجل معدود.

بيان :

«فترة [من الرسل]: الفترة [بين الرسل: أنقطاع الوحي والرسالة. والهجعة: النومة من الليل أو من أوَّله. والمراد نوم غفلة الأمم. والاعتزام: العزم، كأن الفتنة مصممة للفساد والهرج. والإعتزام أيضاً: لزوم القصد في المشي، فالعنى أنَّها مقتصدة في مشيها لاطمئنانها وأمنها.

ويروى [«واعترام من الفتن»] بالراء المهملة: أي كثرة [من الفتن.]. ويروى [«واعتراض»] من أعترض الفرس في الطريق: إذا مشى عرضاً.

والتَّلَطَّى: التَّلَهَّب. وفي إضافة الكسف إلى النور توسُّع. وغار الماء: ذهب وكذا أغوراره: ذهابه في الأرض. والتَّجَهَّم: العبوس.

وطعامها الجيفة: أي الحرام؛ لأنهم كانوا يأخذونه بالنيب والغارات. أو الميتة؛ لأنهم لم يكونوا يذبحون الحيوانات، ولما كان الخوف باطناً شَبَّهه بالشعار والسيف ظاهراً شَبَّهه بالذئب. و«تيك»: إشارة إلى الدنيا أو أعماهم القبيحة و«الأحقاب»: جمع حقب بضمّتين وهو الدهر.

«ووالله ما بصّرتم»: لما بين عليه السلام أولاً أنّه لم تكن الهداية للسابقين أكمل من جهة الفاعل ولا القابل فقطع عذر الحاضرين من هذه، وكان مظنة أن يدّعي مدّع منهم العلم بأمر يقتضي العدول عن المتابعة لم يعلم به آبائهم، دفع عليه السلام ذلك التوهّم بهذا الكلام.

والصفيّ: ما يصفه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة. ولعلّ المراد بالبلية فتنة معاوية.

وقوله عليه السلام: «جائلاً خطامها»: كناية عن خطرها وصعوبة حالها [بالنسبة إلى] من ركن إليها وركبها، أو عن كونها مالكة لأمرها، فإنّ البعير إذا لم يكن له من يقوده يحول خطامه والخطام: الزمام. والبطان: الحزام التي تجعل تحت بطن البعير، رخاوتها مستلزمة لصعوبة ركوبها.

وتشبيهه الدنيا وزخارفها بالظلّ لعدم تأصّله في الوجود ولكونه زائلاً بسرعة.

والأجل: مدّة العمر، ووصفها بالمعدود باعتبار أجزائه وكونه منتهى غاية المدّ على تقدير مضاف: أي ممدود إلى أنقضاء أجل معدود.

ويحتمل أن يكون المراد بالأجل غاية العمر، ووصفه بالمعدود على المجاز.

١٠٠٢- يَف: محمد بن محمد النيسابوري، بإسناد متصل إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام: أن علياً كان في

حلقة من رجال قریش ينشدون الأشعار ويتفاخرون حتّى بلغوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: قل يا أمير المؤمنين فقد قال أصحابك. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

وبنا أقام دعائم الإسلام	الله وفّقنا لنصر محمد
وأعزّنا بالنصر والإقدام	وبنا أعزّ نبيّه وكتابه
فيها الجاهم عن فراش الهام	في كلّ معركة تطير سيوفنا
بفرائض الإسلام والأحكام	ينتابنا جبريل في أبياتنا
ومحرّم لله كلّ حرام	فكون أوّل مستحلّ حلّه
وإمامها وإمام كلّ إمام	نحن الخيار من البريّة كلّها
والضامنون حوادث الأيام	الخبائضون غمار كلّ كريمة
ونجود بالمعروف والإنعام	إنّا لنمنع من أردنا منعه

فقالوا: يا أبا الحسن ما تركت لنا شيئاً نقوله^(١)

بيان :

الأبيات موجودة في الديوان وزاد بعد السابع:

والمبرمون قوى الامور بعزّةٍ والناقضون مرائر الإبرام
و [زاد] بعد الأخير:

وتردّ عادية الخميس سيوفنا ونقيم رأس الأصيد القمقام
والدعامة - بالكسر -: عماد البيت. وفراش الرأس : عظام دقاق تلي
القحف. وفي الديوان: «فراخ الهام». وقال [الجوهري] في [كتاب] الصحاح،
وقول الفرزدق:

ويوم جعلنا البيض فيه لعامر مُصَمَّمَةً تفأ فراخ الجاهم
يعني به الدماغ. [و بدل] قوله عليه السّلام: «ينتابنا» [ورد] في الديوان:

(١) هذا هو الظاهر، وفي أصلي من البحار «ما تركت شيئاً إلّا نقوله».

«يزورنا». [وبدل] قوله عليه السّلام : «وإمامها» [ورد] في الديوان: «ونظامها وزمام كلّ زمام» [وبدل قوله: «الخائضون غمار..» ورد في الديوان: «الخائضو غمرات كل كريمة».

والقوى: جمع القوة وهي الطاقة من الحبل. والمرير من الحبال: ما لطف وطال واشتدّ فتله، والجمع: المرائر. والعادية: الظلم والشرّ. وفي بعض النسخ: [العادية] بالمعجمة وهي سحابة تنشأ سحاباً. والأصيد: الملك. والقمقام: السيّد.

١٠٠٣- ختص : أحمد بن محمد بن عيسى عن عمر بن عبدالعزيز عن غير واحد [من أصحابنا] منهم بكار بن كردم وعيسى بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام قالوا سمعناه يقول: جاءت امرأة متنبّية وأمير المؤمنين عليه السلام على المنبر، وقد قتل أخاها وأباها فقالت: هذا قاتل الأحيّة. فنظر إليها أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا سلفع يا جرية يا بذية يا متكبرة، يا التي لا تحيض كما تحيض النساء، يا التي على منها شيء بين مدلى.

فمضت [المرأة] وتبعها عمرو بن حرّيث - وكان عثمانياً - فقال: يا أيّتها المرأة إنّنا لا نزال نسمعنا [عليّ] العجائب، ما ندرى حقّها من باطلها، وهذه داري فادخلي فإنّ لي أمّهات أولاد حتّى ينظرون حقّاً ما قال أم باطلاً؟ وأهب لك شيئاً. فدخلت [المرأة بيت عمرو] فأمر أمّهات أولاده فنظرن إليها، فإذا شيء على ركبها مدّى فقالت: يا ويلها أطلع منها علي بن أبي طالب على شيء لم تطلع [عليه] إلّا أمّي أو قابليتي. قال: ووهب لها عمرو بن حرّيث شيئاً.

بيان :

إنّما قالت المرأة: «يا ويلتي أطلع مني» فعيره [الصادق] عليه السلام ذلك لئلا ينسب إلى نفسه الويل وما يستهجن، وقد مرّ مثله مراراً وسيأتي الخبر في

إخباره عليه السلام بالغائبات.

١٠٠٤- خُتِصَ : اليقطيني وإبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن الحارث بن حصيرة عن ابن نباتة قال: كُنَّا وَقُوفًا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ وَهُوَ يُعْطِي الْعَطَاءَ فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ جَاءَتْ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُعْطِيتَ الْعَطَاءَ جَمِيعَ الْأَحْيَاءِ مَا خَلا هَذَا الْحَيَّ مِنْ مَرَادٍ لَمْ تُعْطَهُمْ شَيْئًا فَقَالَ [لَهَا]: أَسْكُتِي يَا جَرِيئَةً يَا بَذِيئَةً يَا سَلْفَعُ يَا سَلْقَلُقُ يَا مَنْ لَا تَحِيضُ كَمَا تَحِيضُ النِّسَاءُ!

قال: فَوَلَّتْ فَخَرَجَتْ مِنَ الْمَسْجِدِ فَتَبِعَهَا عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ فَقَالَ لَهَا: أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ قَدْ قَالَ عَلِيٌّ فِيكَ مَا قَالَ أَفَصَدَقَ عَلَيْكَ؟ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا كَذَبَ وَإِنَّ كُلَّ مَا رَمَانِي بِهِ لَفِيٍّ؛ وَمَا أَطْلَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَنِي وَأُمِّي الَّتِي وَلَدَتْنِي.

فَرَجَعَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَبِعْتَ الْمَرْأَةَ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا رَمَيْتُهَا بِهِ فِي بَدْنِهَا، فَأَقَرَّتْ بِذَلِكَ كُلَّهُ، فَمَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ]: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، يَفْتَحُ [مِنْ] كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ، حَتَّى عَلِمْتَ الْمَنَائِي وَالْوَصَايَا وَفَصَلَ الْخُطَابَ وَحَتَّى عَلِمْتَ الْمَذْكُورَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْمُؤْتَنِينَ مِنَ الرِّجَالِ.

١٠٠٥- خُتِصَ : عِبَادُ بْنُ سَلِيحَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيحَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ ابْنِ طَرِيفٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

بَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ شِيعَتِهِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي أَدِينُهُ بِوَلَايَتِكَ وَأُحِبُّكَ فِي السِّرِّ كَمَا أُحِبُّكَ فِي الْعِلَانِيَةِ، وَأَتَوَلَّاكَ فِي السِّرِّ كَمَا أَتَوَلَّاكَ فِي الْعِلَانِيَةِ.

فقال له أمير المؤمنين [عليه السلام]: صدقت، أما للفقير فأتخذ جلباباً،
فإنَّ الفقير أسرع إلى شيعتنا من السيل إلى قرار الوادي!

قال: فولى الرجل وهو يبكي فرحاً لقول أمير المؤمنين [عليه السلام له]:
«صدقت» قال: وكان هناك رجل من الخوارج وصاحب له قريباً من أمير
المؤمنين، فقال أحدهما: الله إن رأيت كالיום قط، أنه أتاه رجل فقال له: إني
أحبك فقال له: صدقت. فقال له الآخر: ما أنكرت من ذلك! أيجد بُدّاً من أن
إذا قيل [له]: «إني أحبك» أن يقول: صدقت؟ أتعلم أيّ أحبه! فقال: لا. قال:
فانا أقوم فأقول له مثل ما قال له الرجل فيردّ عليّ مثل ما ردّ عليه. قال: نعم.
فقام الرجل فقال له مثل مقالة الرجل الأول، فنظر [أمير المؤمنين] إليه ملياً ثم
قال: كذبت لا والله ما تحبني ولا أحببني [يوماً^(١)].

قال: فبكى الخارجي ثم قال يا أمير المؤمنين تستقبلني بهذا وقد علم الله
خلافه! أبسط يدك أبياعك. فقال عليّ: على ماذا؟ قال: على ما عمل به أبو
بكر وعمر. قال: فمدّ يده فقال له: اصفق لعن الله الاثنين والله لكأني بك قد
قتلت على ضلال ووطئ وجهك دوابّ العراق ولا يعرفك قومك. قال: فلم يلبث
أن خرج عليه أهل النهر وان خرج الرجل معهم فقتل.

١٠٠٦- كتاب سليم بن قيس، عن أبان عنه أنه قال: صعد أمير المؤمنين
عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

(١) وفي الاختصاص: ولا أحبّك.

١٠٠٦- الحديث موجود في كتاب سليم بن قيس ص ١٣٨.

وقد رواه باختصار جماعة، منهم السيّد الرضّي رحمه الله في المختار: (٩١) من نهج
البلاغة، ورواه قبله البيهقي في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخه: ج ٢ ص ١٦٨،
ط النجف، ورويناه عن مصادر في المختار: (٢٧٦) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٣٧
ط ١، وتقدم ها هنا في الحديث: (٦٠) بسند آخر عن الثقيفي في أوّل ص ٦٠٦ من ط
الكمباني.

أيّها الناس أنا الذي فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليَجترئ عليها غيري.
وأيم الله لو لم أكن فيكم لما قوتل أهل الجمل، ولا أهل صفين، ولا أهل
النهر وآن.

وأيم الله لولا أن تتكلوا وتدعوا العمل، لحدّثتكم بما قضى الله على
لسان نبيّه [محمّد] صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصراً في ضلالتهم، عارفاً
بالهدى الذي نحن عليه.

ثمّ قال: سلوني عمّا شئتم قبل أن تفقدوني، فوالله إنّي بطرق السباء
أعلم منّي بطرق الأرض.

أنا يعسوب المؤمنين، وأوّل السابقين، وإمام المتّقين، وخاتم الوصيّين،
ووارث النبيّ وخليفة ربّ العالمين.

أنا ديّان الناس يوم القيامة، وقسيم الله بين أهل الجنّة والنار.

وأنا الصّدّيق الأكبر، والفاروق الذي أفرّق بين الحقّ والباطل، وإنّ
عندي علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، وما من آية نزلت إلّا وقد علمت فيما
نزلت وعلى من نزلت.

أيّها الناس! إنّه وشيك أن تفقدوني، إنّي مفارقتكم، وإنّي ميّت أو مقتول،
ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها؟!

وفي رواية أخرى: ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذا؟! - يعني
لحيته من دم رأسه -.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة - وفي نسخة أخرى: والذي نفسي بيده -
لا تسألوني عن فئة تبلغ ثلاث مائة فما فوقها مما بينكم وبين قيام الساعة، إلّا
أنبأتكم بسائقها وقائدها وناعقها، وبخراب العرصات، متى تخرب، ومتى تعمر
بعد خرابها إلى يوم القيامة.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن البلىا.

فقال [عليه السلام]: إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سُئل [مستول] فليتبَّئ^(١)، إنَّ من ورائكم أموراً ملتجّةً مجلجلةً، وبلاءاً مكلحاً مبلحاً.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو قد فقدتموني ونزلت عزائم الأمور وحقائق البلاء، لقد أطرق كثير من السائلين، واشتغل كثير من المسئولين - وفي نسخة أخرى: وفشل كثير من المسئولين - وذلك إذا ظهرت حربكم ونصّلت عن ناب، وقامت على ساق، وصارت الدنيا بلاءاً عليكم حتّى يفتح الله لبقيّة الأبرار.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن الفتن.

فقال [عليه السلام]: إنَّ الفتن إذا أقبلت شبّهت - وفي رواية أخرى: أشبّهت - وإذا أدبرت أسفرت. وإنَّ الفتن لها موج كموج البحر، وإعصار كإعصار الرياح، تصيب بلدأً وتخطيء الآخر.

فانظروا أقواماً كانوا أصحاب رايات يوم بدر، فانصروهم تنصروا وتوجروا وتعذروا.

ألا [و] إنَّ أخوف الفتن عليكم عندي فتنة بني أميّة، [فـ] إنّها فتنة عمياء وصمّاء، مطبقة مظلمة عمّت فتنّتها وخصّت بليّتها، أصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، أهل باطلها ظاهرون على [أهل] حقّها، يملؤن الأرض بدعاً وظلماً وجوراً وأوّل من يضع جبروتها ويكسر عمودها. وينزع أوتادها، الله ربّ العالمين وقاصم الجبارين.

ألا [و] إنَّكم ستجدون بني أميّة أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما روّيناه في المختار: (٢٧٦) من نهج السعادة، وما بين المعقوفين أيضاً مأخوذ منه، وفي أصلي من طبع الكمباني من البحار: «وإذا سأل فليتبَّئ...».

تعضّ بفيها، وتخبّط يديها، وتضرب برجليها، وتمنع درّها.

وأيم الله لا تزال فتنتهم حتّى لا يكون نصرّة أحدكم لنفسه إلّا كنصرة العبد لنفسه من سيّده، إذا غاب سيّبه، وإذا حضر أطاعه.

وفي رواية أخرى: يسبّه في نفسه. وفي رواية: وأيم الله لو شردوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم.

فقال الرجل: فهل من جماعة يا أمير المؤمنين بعد ذلك!

قال: إنّها ستكونون جماعة شتّى، عطاؤكم وحجّكم وأسفاركم [واحدة] والقلوب مختلفة^(١).

قال واحد [منهم]: كيف تختلف القلوب؟ قال: هكذا - وشبك بين أصابعه - ثم قال: يقتل هذا هذا، وهذا هذا، هرجاً هرجاً ويبقى طغماً، جاهليّة^(٢) ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة.

قال [الرجل]: فما أصنع في ذلك الزمان يا أمير المؤمنين؟ قال: أنصروا أهل بيت نبيكم، فإن لبّدوا فالبدوا وإن أستنصروكم فأنصروهم تنصروا

(١) كذا في أصلي المطبوع غير أنّا وضعناه بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

وفي رواية الثّقفي المتقدّمة تحت الرقم (٦٠٠) ص ٦٠٦ ط الكمباني: «ألا إنّ من بعدي جماع شتّى، إلّا أنّ قبلتكم واحدة وحجّكم واحد وعمرتكم واحدة والقلوب مختلفة...». وفي المختار (٢٧٦) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٤٤٤: «قال: لا جماعة شتّى غير أنّ أعطيّاكم وحجّكم وأسفاركم واحد والقلوب مختلفة...».

(٢) كذا في أصلي، وفي الرواية المتقدمة عن الثّقفي: «يقتل هذا هذا، يقتل هذا هذا قطعاً، جاهليّة ليس فيها هدى ولا علم يرى...».

وفي المختار: (٩٢) من نهج البلاغة: ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشبة وقطعاً جاهليّة ليس فيها منار هدى ولا علم يرى...».

وتُعدّروا، فإنّهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدعوكم إلى ردى، ولا تسبقوهم بالتقدّم فيصرعكم البلاء وتشتت بكم الأعداء.

قال [الرجل]: فما يكون بعد ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: يفرّج الله البلاء برجل من أهل بيتي كأنفراج الأديم من بيته، ثم يرفعون إلى من يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مصبرة، لا يعطيهم ولا يقبل منهم إلاّ السيف هرجاً هرجاً، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، حتّى تودّ قريش بالدنيا وما فيها أن يروني في مقام واحد، فأعطيهم وأخذ منهم بعض ما قد منعوني وأقبل عنهم بعض ما يردّ عليهم حتّى يقولوا: ما هذا من قريش، لو كان هذا من قريش ومن ولد فاطمة لرحمنا. ويغريه الله بنبي أميّة فجعلهم [الله] «ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً».

أمّا بعد فإنّه لا بدّ من رحى تطحن ضلالةً، فإذا طحنت قامت على قطبها، ألا وإنّ لطحنها روقاً، وإنّ روقها حدّها وعلى الله فلها^(١). ألا وإني وأبرار عترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، معنا رايكة الحق والهدى، من سبقها مرق، ومن خذلها محق ومن لزمها الحق. وفي رواية أخرى: ومن لزمها سبق -.

إنّا أهل بيت من علم الله علمنا ومن حكم الله الصادق قيلنا، ومن قول الصادق سمعنا، فإنّ تتبّعونا تهتدوا ببصائرنا، وإنّ تتولّوا عنّا يعذبكم الله بأيدينا أو بها شاء.

نحن أفق الإسلام بنا يلحق المبطىء وإلينا يرجع التائب.

(١) وقريباً منه رويناه مسنداً عن مصدر آخر في صدر المختار: (٨٠) من القسم الثاني من باب خطب نهج السعادة: ج ٣ ص ٢٩٨.

والله لولا أن تستعجلوا ويتأخّر الحقّ، لنبأتكم بما يكون في شباب العرب والموالي، فلا تسألوا أهل بيت نبيكم محمد العلم قبل إبانته، ولا تسألوهم المال على العسر فتبخلوهم فإنّه ليس منهم البخل.

وكونوا أحلاس البيوت ولا تكونوا عُجلاً بُدراً، [و] كونوا من أهل الحقّ تعرفوا به وتتعارفوا عليه، فإنّ الله خلق الخلق بقدرته وجعل بينهم الفضائل بعلمه، وجعل منه عبداً اختارهم لنفسه ليحتجّ بهم على خلقه، فجعل علامة من أكرم منهم طاعته، وعلامة من أهان منهم معصيته، وجعل ثواب أهل طاعته النضرة في وجهه في دار الأمن والخلد الذي لا يروع أهله، وجعل عقوبة معصيته ناراً تأجج لغضبه، [و] ما ظلمهم الله تعالى ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

يا أيّها الناس ! إنّ أهل بيت بنا بين الله الكذب، وبنا يفرّج الله الزمان الكلب، وبنا ينزع الله ريق الذلّ من أعناقكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم الله. فاعتبروا بنا وبعّدونا وهدانا وهداهم وبسيرتنا وسيرتهم ومنيتنا ومنيتهم، يموتون بالبدال والقرح والدبيلة، ونموت بالبطن والقتل والشهادة وبها شاء الله.

ثمّ التفت إلى بنيه فقال: يا بنيّ ليبر صغاركم كباركم، وليرحم كباركم صغاركم، ولا تكونوا أمثال السفهاء الجفّاء الجهّال الذي لا يعطون في الله اليقين، كقيض بيض في أدا^(١)ح ألا ويح للفراخ فراخ آل محمد من خلف مستخلف عتريف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف بعدي.

أما والله لقد علمت تبليغ الرسالات، وتنجز العدا^(٢)ت، وتقام الكلمات^(٣)،

(١) وقريباً مما هنا - من قوله: «يا بنيّ ليبر» إلى قوله: «وتقام الكلمات» - رواه مسنداً عن مصدرين

آخرين في المختار: (٣٨٦) من نهج السعادة: ج ٢ ص ٧٣٧.

(٢) ومثله حرفياً رواه السيّد الرضّي رحمه الله في المختار: (١٦٤) من نهج البلاغة، وابن الأثير

ذكره في مادّة «قيض» من كتاب النهاية.

وَفُتِحَتْ لِي الْأَسْبَابُ، وَأُجْرِيَ لِي السَّحَابُ، وَنَظَرْتُ فِي الْمَلَكُوتِ، لَمْ يَعْزِبْ عَنِّي شَيْءٌ فَاتٌ وَلَمْ يَفْتَنِي مَا سَبَقَنِي، وَلَمْ يَشْرِكْنِي أَحَدٌ فِيمَا أَشْهَدُنِي رَبِّي، أَقُومُ بِهِ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَبِي يَتِمُّ اللَّهُ مَوْعِدُهُ وَيَكْمُلُ كَلِمَاتُهُ.

وَأَنَا النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَالْإِسْلَامُ الَّذِي أَرْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ بِهِ عَلَيَّ وَأُذِلُّ بِهِ مِنْكِبِي.

وَلَيْسَ إِمَامٌ إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ بِأَهْلِ وَلَايَتِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [٧/ الرعد: ١٣].

ثم نزل [عن المنبر] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

١٠٠٧- كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي: عن إسماعيل بن أبان عند عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن زُرِّ بن حُبَيْش قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يخطب.

قال إبراهيم: وأخبرني أحمد بن عمران بن محمد بن أبي ليلى عن أبيه عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن زُرِّ بن حُبَيْش، قال: خطب علي عليه السلام بالنهروان [...].

وساق الحديث نحو حديث سليم إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

بيان :

قوله [عليه السلام]: «أموراً ملتجّة» قال الجوهرى: أَلْتَجَّتْ الأصوات:

ومن قوله: «الأداحي» إلى آخره ذكره ابن الأثير في مادة «دحا» من النهاية.
١٠٠- والحديث قد تقدّم حرفياً - إلى قوله: «وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا» - تحت الرقم: (٦٠٠) في ص ٦٠٦ من ط الكمباني.

أختلطت. ولججت السفينة: خاضت اللّجة. والتجّ البحر التجاجاً [اضطرب وهاج وغمر].

وفي بعض النسخ: [«ملبّجة»] بالباء الموحّدة قال الجوهري: لبجت به الأرض: إذا جلدت به الأرض [وصرّعته].

وقال: المجلجل واحد الجلالجل، وصوته الجلجلة وصوت الرعد أيضاً. والمجلجل: السحاب الذي فيه صوت الرعد. وجلجلت الشيء إذا حرّكته بيدك. وتجلجل: أي ساخ فيها ودخل. وتجلجل قواعد البيت: أي تضعضعت.

وقال الفيروزآبادي: كلع - كمنع -: تكشّر في عبوس كتكّلح وأكلح وأكلحته، ودهر كالح: شديد. وقال: بلع الرجل بلوحاً: أعبى كبّلح [تبليحاً] و[بلح] الماء: ذهب. والبلوح: البئر الذاهبة الماء وبلّحت خفارته إذا لم تف. والبالح: الأرض لا تثبت شيئاً.

قوله: «ونصلت»: أي خرجت كاشفاً عن ناب. قال الجوهري: نصل الحافر: خرجت عن موضعه.

وفي بعض النسخ: «وقلصت» بالتخفيف أو التشديد، يقال: قلص الشيء: أرتفع وقلّص وتقلّص كلّ، بمعنى أنضمّ وأنزوى. يقال: قلصت شفته: أي أنزوت. و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: هرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنه واختلاط وقتل.

[قوله عليه السلام]: «وإنّ لطحنها روقاً»: أي حسناً وإعجاباً. «وإنّ روقها حدّها»: أي إذا صارت [الدنيا] بحيث أعجبت الناس فهو نهايتها ووقت أنقضائها. «ولازم على الله فلّها»: أي كسرّها. والأرومة - كالأكولة وقد تضمّ - الأصل. و«البذر» بضمّتين جمع البذور وهو الذي يزيع الأسرار. والنضرة: الحسن والرونق [والكلام] إشارة إلى قوله [تعالى]: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ [٢٤ / المطففين: ٨٣].

قوله [عليه السلام]: «لا يروّع أهله»: أي لا يفرع ولا يخاف. وفي بعض النسخ: [لا يروغ] بالغين المعجمة: أي لا يحيد ولا يعيل أهلها عنها.

وقال [أبن الأثير] في النهاية: الدبيلة: خراج ودمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً.

و [أيضاً] قال [أبن الأثير]: في حديث علي عليه السلام: «لا تكونوا كقبض بيض في أداح يكون كسرهما وزراً ويخرج حضانها شراً»^(١). القبض: قشر البيض. والأداحي: جمع الأدحي وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وهو أفعال من «دحوت»؛ لأنها تدحوه برجلها: أي تبسطه ثم تبيض فيه.

وقال الجوهري: «ويح» كلمة رحمة و «ويل» كلمة عذاب.

وقال اليزيدي: هما بمعنى واحد تقول: ويح لزيد وويل لزيد ترفعهما على الإبتداء.

وقال الخلف: القرن بعد القرن، والخلف: ما جاء من بعد يقال: هو خلف سوء من أبيه وخلف صدق من أبيه - بالتحريك - إذا قام مقامه. وقال: هما سواء منهم من يحرك ومنهم من يسكن فيها جميعاً. والخلف أيضاً ما أستخلفته من شيء. ويقال: القوم خلفه: أي يختلفون.

أقول: المراد بالخلف إمّا معاوية أو يزيد. وقال [الجوهري] في الصحاح: رجل عتريف أو عتروف: أي خبيث فاجر جريء ماض. وقال: أترفه النعمة: أطغته.

[قوله عليه السلام]: «وأذلّ به منكبي»: لعلّه كناية عن كثرة الحمل وثقله. أو المعنى أن مع تلك الفضائل رفع التكبر والترفع عني

١٠٠٨- يـج: رُوي عن الأصـبغ بن نباتة قال: دخلت في بعض الأيام على أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، فإذا بجـم غفير ومعهـم عبد أسود فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا العبد سارق. فقال له الإمام: أسارق أنت يا غلام! فقال له: نعم. فقال له مرةً ثانية: أسارق أنت يا غلام! فقال: نعم يا مولاي. فقال له الإمام عليه السلام: إن قلتها ثالثةً قطعت يمينك فقال أسارق أنت يا غلام! قال: نعم يا مولاي.

فأمر الامام بقطع يمينه فقطعت، فأخذها بشاله وهي تقطر دماً، فلقبه أبـن الكوّاء - وكان يشنأ أمير المؤمنين عليه السلام - فقال له: من قطع يمينك؟ قال: قطع يميني الأنزع البطين، وباب اليقين، وحبل الله المتين، والشافع يوم الدين المصلّي إحدى وخمسين.

قطع يميني إمام التقي، وأبن عمّ المصطفى، شقيق النبيّ المجتبى، ليث الثرى غيث الورى، حتف العدى، ومفتاح الندى، ومصباح الدجى.

قطع يميني إمام الحقّ، وسيدّ الخلق، [وأ] فاروق الدين، وسيدّ العابدين وإمام المتّقين، وخير المهتدين، وأفضل السابقين، وحجّة الله على الخلق أجمعين.

قطع يميني إمام خطّي بدرّي أحديّ مكّي مدنيّ أبطحّي هاشميّ قرشيّ أرمحيّ مولويّ طالبيّ جريّ قويّ لودعيّ الوليّ الوصيّ.

قطع يميني داحي باب خير، وقاتل مرحب ومن كفر، وأفضل من حجّ وأعتمر، وهلل وكبر، وصام وأفطر، وحلق ونحر.

١٠٠٨- هذه الرواية لم أجدها في النسخة المطبوعة الكاملة من الخرائج، ولكن فيها نحوه وبتلخيص في ح ١٩ من فصل أعلام أمير المؤمنين.

وقد روى البلاذري ما بمعناه باختصار جداً مستنداً في الحديث: (١٦٨) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ١، ص ٣٢٧، وفي ط بيروت: ج ٢ ص ١٥٦، ط ١.

قطع يميني شجاع جريّ، جواد سخيّ، بهلول شريف الأصل [الأصول «خ»] أبن عمّ الرسول، وزوج البتول وسيف الله المسلول، المردود له الشمس عند الأفول.

قطع يميني صاحب القبليتين، الضارب بالسيفين، الطاعن بالرمحين، [و] وارث المشعرين، الذي لم يشرك بالله طرفة عين، أسمع كلّ ذي كفّين، وأفصح كلّ ذي شفتين، أبو السيّد الحسن والحسين.

قطع يميني عين المشارق والمغارب، تاج لثويّ بن غالب، أسد الله الغالب، عليّ بن أبي طالب عليه من الصلوات أفضلها ومن التحيّات أكملها. فلما فرغ الغلام عن الثناء ومضى لسبيله، دخل عبد الله بن الكوّاء على الإمام عليه السلام فقال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له أمير المؤمنين: السلام على من أتبع الهدى وخشي عواقب الردى. فقال له [أبن الكوّاء]: يا أبا الحسين قطعت يمين غلام أسود وسمعته يثني عليك بكلّ جميل. فقال: وما سمعته يقول؟ قال: كذا وكذا. وأعاد عليه جميع ما قال الغلام.

فقال الإمام عليه السلام لولديه الحسن والحسين: امضيا واتياني بالعبد. فمضيا في طلبه في كندة فقالا له: أجب أمير المؤمنين يا غلام. فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال له: قطعت يمينك وأنت تثني عليّ بما قد بلغني؟! فقال: يا أمير المؤمنين ما قطعتها إلّا بحقّ واجب أوجبه الله ورسوله. فقال الإمام: أعطني الكفّ فأخذ الإمام الكفّ وغطّاه بالرداء، وكبرّ وصلى ركعتين، وتكلّم بكلمات وسمعته يقول في آخر دعائه: آمين رب العالمين. وربّه على الزند وقال لأصحابه: اكشفوا الرداء عن الكفّ. فكشفوا الرداء عن الكفّ وإذا الكفّ على الزند بإذن الله.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم أقل لك يا ابن الكوّاء: إنّ لنا محبّين لو قطعنا الواحد منهم إرباً إرباً ما ازدادوا إلّا حباً، ولنا مبغضين لو

ألحقناهم العسل ما أزدادوا إلا بغضاً، وهكذا من يحبنا ينال شفاعتنا يوم القيامة.

بيان :

الشرى: طريق في [بادية] سلمى كثير الأسد. والحظي: ذو الخطوة وهي المنزلة والمكانة. والأرحي: الواسع الخلق. واللودعي: الظريف الحديد الفؤاد. والبهلول من الرجال: الضحاك.

١٠٠٩- يـج: روي أن خارجياً أختصم في رجل آخر إلى علي عليه السلام فحكم بينهما، فقال الخارجي: لا عدلت في القضية. فقال عليه السلام: إخساً يا عدو الله. فاستحال [الخارجي] كلباً وطار ثيابه في الهواء، فجعل يبصص وتدمع عيناه فرق له ودعا له، فأعاده إلى حال الإنسانية وتراجعت من الهواء ثيابه، فقال علي عليه السلام: إن آصف وصي سليمان قد صنع نحوه فقص الله عنه [بقوله: ﴿وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [٤٠ / النمل: ٢٧] أيما أكرم على الله! نبيكم أم سليمان! قالوا: نبينا.

ف قيل له: ما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار؟ قال: إنها أدعو هؤلاء لثبوت الحجة وكمال المحنة، ولو أذن لي في الدعاء بهلاكه لما تأخر

[الباب الرابع والثلاثون]

باب

فيه ذكر

أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا على الحق ولم يفارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وذكر بعض المخالفين والمنافقين زائداً على ما أوردنا [هـ] في كتاب أحوال النبي صَلَّى الله عليه وآله وكتاب أحوال أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠١٠- ختص : عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانوا شرطة الخميس ستة آلاف رجل أنصاره [عليه السلام].

١١١١- ختص : محمد بن الحسين عن محمد بن جعفر عن أحمد بن أبي عبد الله قال: قال علي بن الحكم: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم تشرطوا فأنا أشارككم على الجنة ولست أشارككم على ذهب ولا فضة،

إِنَّ نَبِيَّنَا فِيْمَا مَضَى قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَشَرُّطُوا فَإِنِّي لَسْتُ أَشَارُكُمْ إِلَّا عَلَى الْجَنَّةِ» [وهم] سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ الغفاري وعِمَار بن ياسر وأبو سنان وأبو عمر والأنصاريان وسهل البدري وعثمان أبنا حنيف الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري.

ومن أصفياء أصحابه عمرو بن الحمق الخزاعي - عربي - وميثم التمار وهو ميثم بن يحيى - مولى - ورشيد الهجري وحبيب بن مظهر الأسدي ومحمد بن أبي بكر.

ومن أوليائه العلم الأزدي وسويد بن غفلة الجعفي والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني وأبو عبد الله الجدلي وأبو يحيى حكيم بن سعد الحنفي. وكان من شرطة الخميس أبو الرضي عبد الله بن يحيى الحضرمي^(١) [و] سليم بن قيس الهلالي [و] عبدة السلماني المرادي عربي.

ومن خواصّه تميم بن حذيم الناجي.

وقد شهد مع عليّ عليه السلام [حروبه] قنبر مولى علي بن أبي طالب [و] أبو فاخنة مولى بني هاشم [و] عبيد الله بن أبي رافع وكان كاتبه.

بيان :

أختلف في تصحيح أسم والد تميم ف قيل: حذيم بالخاء المهملة والذال المعجمة. وقيل: بالخاء المعجمة والزاي. وقيل: بالخاء المهملة المكسورة والذال

(١) كذا في الأصل الحاكي والمحكي عنه، والصواب: «عبد الله بن نجى الحضرمي» وهو من رجال النسائي وأبي داود وابن ماجة مترجم في كتاب تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ٥٥. وفي كامل ابن عدي: ج ٤ ص ١٥٤٨.

المعجزة الساكنة والياء المفتوحة. و [ذكره الجوهري] في الصحاح بالحاء المهملة المفتوحة والذال المعجزة الساكنة واللام المفتوحة وقال: إنّه من التابعين. وكذا صحّحه أكثر العامة في كتبهم.

١٠١٢- ختص : عبید بن نضلة الخزاعي [قال]: روي عن ابن الأعمش أنّه قال لأبيه: على من قرأت القرآن؟ قال: على يحيى بن الوثاب، وقرأ يحيى على عبید بن نضلة كلّ يوم آيةً ففرع من القرآن [في] سبع وأربعين سنة.

١٠١٣- ختص : يحيى بن وثّاب كان مستقيماً.

١٠١٤- ختص : أبو أحيحة وأسمه عمرو بن محصن أصيب بصفين وهو الذي جهز أمير المؤمنين بمائة ألف درهم في مسيره إلى الجمل.

١٠١٥- ختص : جعفر بن الحسين المؤمن عن ابن الوليد عن الصّفار عن ابن عيسى عن ابن فضّال عن ثعلبة عن زرارة:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: خلقت الأرض لسبعة، بهم يرزقون وبهم ينصرون وبهم يمطرون، منهم: سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ وعمار وحذيفة. وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: وأنا إمامهم وهم الذي صلّوا على فاطمة عليها السلام.

١٠١٦- ختص : أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه عن محمد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عن الحارث قال: قال: سمعت عبدالملك بن أعين يسأل

١٠١٢- ١٠١٥- رواها الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث: (٨) وتاليه من كتاب الاختصاص ص ٣.

١٠١٦- رواه وما بعده الشيخ المفيد رضوان الله عليه في الحديث (١٠) وما بعده من كتاب الاختصاص ص ٤.

أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتّى قال: فهلك الناس إذا! فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون؟ قلت: أهل الشرق والغرب! قال: إنّها فتحت على الضلال، إي والله هلكوا إلّا ثلاثة سلمان الفارسي وأبو ذرّ والمقداد ولحقهم عمّار وأبو سنان الأنصاري وحذيفة وأبو عمرة فصاروا سبعة.

١٠١٧- ختص : عدّة من أصحابنا عن ابن الوليد عن الصفّار عن أيّوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن مثنى بن الوليد عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام قال: ارتدّ الناس بعد النبي إلّا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود وأبو ذرّ الغفاري وسلمان الفارسي، ثمّ إنّ الناس عرفوا ولحقوا بعد.

١٠١٨- ختص : [في] ذكر السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه

السلام:

حدّثنا جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدّب [قال:] الأركان الأربعة: سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ وعمّار هؤلاء [من] الصحابة.

ومن التابعين أويس القرني، الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر، وعمر بن الحمق الخزاعي، وذكر جعفر بن الحسين أنّه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله صلى الله عليه وآله [و] رشيد الهجري، [و] ميثم التمار، [و] كميل بن زياد النخعي، [و] قنبر مولى أمير المؤمنين، [و] محمد بن أبي بكر، [و] مزرع مولى أمير المؤمنين، وعبدالله بن نجّي^(١)، قال له أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: «أبشريا ابن نجّي فأنت وأبوك من شرطة الخميس، سمّاكم الله به في السماء. [و] جندب بن زهير العامري، وبنو عامر شيعة علي على الوجه، [و] حبيب بن مظهر الأسدي، [و] الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، [و] مالك بن الحارث الأشتر، [و] العلم الأزدي، [و] أبو عبدالله الجدلي، [و]

١٠١٧- رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث: (١٣) من كتاب الاختصاص ص ٥.

(١) هذا هو الصواب فيه وفي التالي، وفي الأصل الحاكي والمحكي عنه: «عبدالله بن يحيى».

جُويرية بن مسهر العبدي.

١٠١٩- ختص : محمد بن الحسن عن سعد بن عبدالله عن محمد بن عيسى عن النضر بن سويد عن حمّنه من أصحابنا عن أبي عبدالله قال: ما بقي أحد بعدما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وقد جال جولة إلا المقداد، فإن قلبه كان مثل زبر الحديد.

١٠٢٠- ختص : ابن الوليد عن الصفار عن علي بن سليمان الرازي.

وحدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن سعد بن علي بن سليمان عن علي بن أسباط بن سالم عن أبيه قال: قال أبو الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد «أين حواري محمد بن عبدالله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه!» فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.

قال: ثم ينادي [المنادي] «أين حواري علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبدالله رسول الله!» فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد، وأويس القرني.

قال: ثم ينادي المنادي «أين حواري الحسن بن علي [و] ابن فاطمة بنت محمد رسول الله!» فيقوم سفيان بن أبي ليل الهمداني، وحذيفة بن أسيد الغفاري.

قال: ثم ينادي [المنادي] «أين حواري الحسين بن علي!» فيقوم كل من استشهد معه ولم يتخلف عنه.

١٠١٩- رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (٢٠) من كتاب الاختصاص ص ٨ ط النجف.

١٠٢٠- رواه الشيخ المفيد في الحديث: (١٠٤) في عنوان: «حديث موسى بن جعفر» في أوائل كتاب الاختصاص ص ٥٥ ط النجف.

ثم ينادي «أين حوارى علي بن الحسين عليه السلام!» فيقوم جبير بن مطعم، ويحيى بن أم الطويل، وأبو خالد الكابلي، وسعيد بن المسيّب.

ثم ينادي «أين حوارى محمد بن علي وحواريّ جعفر بن محمد» فيقوم عبدالله بن شريك العامري، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية العجلي، ومحمد بن مسلم الثقفي، وليث بن البختری المرادي، وعبدالله بن أبي يعفور، وعامر بن عبدالله بن خزاعة، وحجر بن زائدة، وحران بن أعين.

ثم ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمة صلوات الله عليهم يوم القيامة. فهؤلاء أول الشيعة الذين يدخلون الفردوس وهؤلاء أول السابقين وأول المقرّبين وأول المحبورين.

١٠٢١- ختص : جعفر بن الحسين عن محمد بن جعفر المؤدّب عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي عن أبيه رفعه قال: قال عمرو بن الحقم الخزاعي لأمر المؤمنين عليه السلام: والله ما جئتكم لمال من الدنيا تعطينيها، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري [ما جئتكم] إلا لأنك أبن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو الذرّة التي بقيت لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار. والله لو كلّفتني نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي أبداً حتّى يأتي عليّ يومي، وفي يدي سيفي أهزّ به عدوك وأقوي به وليك، ويعلي به الله كعبك ويفلج به حجّتك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ؟؟

١٠٢١- رواه الشيخ المفيد رفع الله مقامه في الحديث: (٢٨) من كتاب الاختصاص ص ١٥، وفي ط النجف ص ١١.

ورواه أيضاً نصر بن مزاحم في أواسط الجزء الثاني من كتاب صفين ص ١٠٣، ط مصر، وتقدم رواية المصنّف عنه في هذا الكتاب ص ٤٧٥ ط الكمباني.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم نور قلبه وأهده إلى الصراط المستقيم، ليت أن في شيعتي مائة مثلك.

بيان :

طما الماء: ارتفع وملأ النهر. قوله: «أهزّ به» [يقال: هزّزت الشيء هزّاً فاهتزّ: أي حرّكته فتحرك]. وفي بعض النسخ: «أهزم» وهو أظهر. وقال [الفيروزآبادي] في القاموس: الكعب: الشرف والمجد ورجل عالي الكعب: شريف.

١٠٢٢- ختص : أحمد بن هارون وجعفر بن محمد بن قولويه وجماعة عن عليّ بن الحسين عن عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن الحسن عن أحمد بن النضر عن صباح عن الحارث بن الحصريّة عن صخر بن الحكم الفزاري، عمّن حدّثه أنّه سمع عمرو بن الحقم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه سمع رسول الله في المسجد الحرام أو في مسجد المدينة، يقول: يا عمرو! هل لك في أن أريك آية الجنّة يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق! وآية النار يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق؟ فقلت: نعم بأبي أنت وأمّي فأرنيها. فأقبل عليّ عليه السلام يمشي حتّى سلم وجلس،

١٠٢٢- رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الحديث: (٢٩) من كتاب الاختصاص ص ١٥، وفي ط النجف ص ١١.

وقريباً منه رواه الشيخ الطوسي نقلاً عن حذيفة بن اليمان في الحديث (٤١) من الجزء الثالث من أماليه ص ٨٤ ط بيروت.

ورواه أيضاً الطبراني كما في كتاب مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١١٨، وكما في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٦.

ورواه أيضاً ابن عساكر - ولكن من غير ذيل - في ترجمة عمرو بن الحقم من تاريخ دمشق.

وقد علّقنا عليه تفصيلاً في الحديث: (٩٨٩) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٤٥٧ ط ٢.

فقال [النبي]: يا عمرو هذا وقومه آية الجنة. ثم أقبل معاوية حتى سلم فجلس، فقال [النبي]: يا عمرو هذا وقومه آية النار.

[ثم قال] وذكر [عمرو] بدء إسلامه [و] أنه كان في إبل لأهله، وكانوا أهل عهد لرسول الله، وأن أناساً من أصحاب رسول الله مروا به وقد بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله في بعث فقالوا: يا رسول الله ما معنا زاد ولا نهدي الطريق فقال: إنكم ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام، ويسقيكم من الشراب ويهديكم الطريق [و] هو من أهل الجنة.

[قال عمرو]: فأقبلوا حتى انتهوا إلي من آخر النهار، وأمرت فتياي فنحروا جزوراً وحملوا [إلى القوم] من اللبن، فبات القوم يطعمون من اللحم ما شاءوا، ويسقون من اللبن ثم أصبحوا فقلت: ما أنتم بمنطلقين حتى تطعموا وتشربوا فقال رجل منهم وضحك إلى صاحبه فقلت: ومم ضحكت! فقال: أبشر ببشرى الله ورسوله، فقلت: وما ذاك! قال: قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الفج وأخبرناه أنه ليس لنا زاد ولا هداية الطريقة فقال: ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلّكم على الطريق [وهو] من أهل الجنة، فلم نلق من يوافق نعت رسول الله غيرك.

قال [عمرو] فركبت معهم وأرشدتهم إلى الطريق، ثم انصرفت إلى فتياي وأوصيتهم بإبلي ثم سرت كما أنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بايعت وأسلمت، وأخذت لنفسى ولقومي أماناً من رسول الله صلى الله عليه وآله أنا آمنون على أموالنا ودمائنا إذ شهدنا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأقمنا بسهم الله ورسوله قال: فإذا فعلتم ذلك فأنتم آمنون على أموالكم ودمائكم، لكم بذلك ذمة الله ورسوله لا نعتدي عليكم في مال ولا دم.

[ثم قال عمرو] فأقمت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما أقمت، وغزوت معه غزوات وقبض الله ورسوله.

قال: [و] كان عمرو بن الحمق الخزاعي شيعَةً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا صار الأمر إلى معاوية انحاز إلى شهر زور من الموصل.

وكتب إليه معاوية: أمّا بعد فإنّ الله أطفأ النائرة وأخذ الفتنة وجعل العاقبة للمتقين، ولست بأبعد أصحابك همّة ولا أشدّهم في سوء الأثر صنعاً، كلّهم قد أسهل بطاعتي وسارع إلى الدخول في أمري، وقد بطأ بك ما بطأ فادخل فيما دخل فيه [الناس] يُمَحِّعُ عنك سالف ذنوبك ونحي دائر حسناتك، ولعليّ لا أكون لك دون من كان قبلي إن أبقيت واتقيت ووفيت وأحسنيت، فاقدم عليّ آمناً في ذمة الله وذمة رسوله، محفوظاً من حسد القلوب وإحن الصدور وكفى بالله شهيداً.

فلم يقدم عليه عمرو بن الحمق، فبعث إليه من قتله وجاء برأسه [إليه] فبعث به [معاوية] إلى امراته [وهي في سجنه] فوضع في حجرها فقالت: سترتموه عني طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً! فأهلاً وسهلاً من هديّة غير قالية ولا بمقلية، بلغ أيّها الرسول عني معاوية ما أقول: طلب الله بدمه، وعجّل له الويل من نقمه، فقد أتى أمراً فرياً وقتل برّاً تقياً، فأبلغ أيّها الرسول معاوية ما قلت.

فبلغ الرسول [معاوية] ما قالت، فبعث إليها فقال لها: أنت القائلة ما قلت؟ قالت: نعم غير ناكلة عنه ولا معتذرة منه. قال لها: أخرجي من بلادي. قالت: أفعل فوالله ما هو لي بوطن ولا أحنّ فيها إلى سجن، ولقد طال بها سهري وأشهر بها عبري وكثر فيها ديني من غير ما قرّرت به عيني.

فقال عبد الله بن أبي سرح الكاتب: ^(١) يا أمير المؤمنين! إنّها منافقة فالحقها بزوجها. فنظرت إليه فقالت: يا من بين لحييه كجثمان الضفدع! ألا قتلت من أنعمك خلعاً وأصفاك بكساء، إنّما المارق المنافق من قال بغير الصواب، واتخذ العباد كالأرباب، فأنزل كفره في الكتاب.

(١) هذا هو الظاهر الموافق لما في كتاب الاختصاص ط النجف. وفي أصليها هنا تصحيف.

فأوما معاوية إلى الحاجب بإخراجها فقالت: وأعجباه من ابن هند! يشير إليّ بينانه ويمعني نوافذ لسانه، أما والله لأبقرنه بكلام عتيد كنوافذ الحديد، أو ما أنا بآمنة بنت الرشيد [ظ: الشريد].

بيان :

قوله: «أسهل بطاعتي»: أي رفع عن نفسه الشدة، يقال: أسهل القوم أي صاروا إلى السهل. وفي بعض النسخ: «استهل»: أي رفع صوته أو صار إليها فرحاً من قولهم: استهلّ فرحاً.

والجثمان: الجسد. وأصفيته بالشيء: أثرته به. والكساء - بالضم - جمع الكسوة. وفي بعض النسخ: «وأعطاك كيساً»: أي كيس الدراهم. ولعلها أرادت زوجها.

١٠٢٣- ختص : الأصبع بن نباتة كان من شرطة الخميس وكان فاضلاً.

حدّثنا جعفر بن الحسين عند محمد بن جعفر المؤدّب عن البرقي عن صالح بن أبي حماد عن ابن أبي الخطّاب، عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن الأصبع بن نباتة، قال: قلت للأصبع: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟ فقال: ما أدري ما تقول إلا أن سيوفنا [كانت] على عواتقنا، ومن أوما إليه ضربناه.

١٠٢٤- ختص : محمد بن الحسن الشحاذ عن سعد عن محمد بن أحمد

عن محمد بن إسماعيل عن جعفر بن محمد بن الهيثم، عن عليّ بن الحسين الفزاري عن آدم التمار الحضرمي عن ابن طريف عن ابن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام لأسلم عليه فجلست أنتظره، فخرج إليّ فقمت إليه فسلمت عليه، فضرب على كفيّ ثم شبّك أصابعه في أصابعي ثم قال: يا أصبع

بن نبّاتة! قلت: لبيك وسعديك يا أمير المؤمنين. فقال: إنّ وليّنا وليّ الله. فإذا مات وليّ الله كان من الله بالرفيق الأعلى، وسقاه من نهر أبرد من الثلج وأحلى من المشهد وألين من الزّبّد. فقلت: بأبي أنت وأمي وإن كان مذنباً فقال: نعم وإن كان مذنباً، أما تقرأ القرآن ﴿فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [٧٠/ الفرقان: ٢٥].

يا أصبغ إنّ وليّنا لو لقي الله وعليه من الذنوب مثل زبد البحر ومثل عدد الرمل لغفرها الله له إن شاء الله تعالى.

١٠٢٥- كنش : محمد بن قولويه والحسين بن حسن بن بندار القميان، عن سعد عن الخشاب عن اليقطيني عن ابن أسباط عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: كان مع أمير المؤمنين خمسة نفر من قريش، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية

فأمّا الخمسة فمحمد بن أبي بكر رحمة الله عليه، أته النجاة من قبل أمّه أسماء بنت عميس، وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنّنا لك هذه الشدّة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة والخامس سلف أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة، وهو صهر النبي صلى الله عليه وآله [وهو] أبو الربيع.

١٠٢٦- ختص : ابن قولويه عن أبيه عن سعد مثله.

١٠٢٤- رواه الكشي رحمه الله في الحديث الأوّل من ترجمة محمّد بن أبي بكر تحت الرقم: (١٦) من رجاله ص ٦٠ ط النجف.

١٠٢٥- رواه الشيخ المفيد رحمه الله - مع أحاديث أخرى غير مذكور هنا - في عنوان: «محمد بن أبي بكر» في الحديث: (١٢٥) من كتاب الاختصاص ص ٦٥

بيان :

[قال الفيروزآبادي] في القاموس: السلف ككبد، وكبد من الرجال: زوج أخت أمراءه، وبينهما أسلوفة صهر، وقد تسالفا وهما سلفان: أي متزاوجا الأختين. انتهى.

والظاهر أن ضمير «هو» راجع إلى أبي العاص، فإنه كان زوج زينب وأسمه: القاسم بن ربيع وأبو الربيع كنية لابن أبي أبي العاص.

والمراد بسلف إمّا مطلق المصاهرة فإنّ أمانة بنت أبي العاص أخته كانت عند أمير المؤمنين عليه السلام، أو كان عنده أيضاً أخت إحدى زوجاته عليه السلام، أو كان أبن سلف فسقط ألابن من النسخ.

١٠٢٧- كش : حمدويه وإبراهيم أبنا نصير عن أيوب عن صفوان عن معاوية بن عمّار وغير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يُعصى الله عزّ وجلّ.

١٠٢٨- كش : نصر بن الصباح عن إسحاق بن محمد البصري عن أمير بن علي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين يقول: إنّ المحامدة تأبى أن يُعصى عزّ وجلّ. قلت: ومن المحامدة؟ قال: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين ابن الحنفية رحمهم الله.

أمّا محمد بن أبي حذيفة [ف] هو ابن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية.

١٠٢٧- رواه الكشي رحمه الله في الحديث الثاني من ترجمة محمد بن أبي بكر تحت الرقم: (١٦) من رجاله ص ٦٠.

١٠٢٨- رواه الكشي رحمه الله في الحديث الأول من ترجمة محمد بن أبي حذيفة تحت الرقم: (٢٠) من رجاله ص ٦٦ ط النجف.

١٠٢٩- كش : محمد بن مسعود عن علي بن الحسن بن عباس بن عامر عن أبان بن عثمان عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: أن المهدي مولى عثمان أتى فبايع أمير المؤمنين عليّاً ومحمد بن أبي بكر جالس، [ف] قال: أبايك على أن الأمر كان لك أولاً وأبرأ من فلان وفلان، فبايعه.

١٠٣٠- أقول: وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلالي أنه قال أبان بن أبي عيَّاش: أبو الطفيل عامر بن واثلة كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان من خيار أصحاب علي عليه السلام.

١٠٣١- نهج: [و] قال عليه السلام لعبد الله بن العباس - وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه -: لك أن تشير عليّ وأرى فإذا عصيتك فأطعني.
بيان :

قال ابن ميثم: روي أنه أشار عليه عند أنصرافه من مكة حاجّاً، وقد بايعه الناس فقال: يا أمير المؤمنين! إن هذا أمر عظيم يخاف غوائل الناس فيه، فكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية الكوفة، وأكتب إلى معاوية وذكره القرابة والصلة وأقرّه على ولاية الشام حتى يبايعك، فإن بايعك وجرى على سنّتك وطاعة الله فاتركه على حاله، وإن خالفك فادعه إلى المدينة وأبدله بغيره ولا تموج بحار الفتنة. فقال عليه السلام:

معاذ الله أن أفسد ديني بدنيا غيري! ولك يا ابن عباس أن تشير إلى آخر الكلام.

١٠٢٩- رواه الكشي رحمه الله في ترجمة المهدي مولى عثمان تحت الرقم: (٤٣) من رجاله ص ٩٦ طبع النجف.

١٠٣٠- الحديث المذكور في كتاب سليم بن قيس رحمه الله.

١٠٣١- رواه السيّد الرضّي في المختار: (٣٢١) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

١٠٣٢- نهج: [و] قال عليه السلام وقد تُوِّفِي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة مرجعه من صفين - وكان من أحب الناس إليه -: لو أحببني جبل لتهافت.

[قال السيد الرضّي:] ومعنى ذلك أنّ المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلّا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار. وهذا مثل قوله [عليه السلام]: «من أحبنا أهل البيت فليستعدّ للفقر جلباباً». وقد تؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره.

بيان :

التهافت: التساقط قطعة قطعة. والتأويل الآخر الذي ذكره السيد رحمه الله، لعله هو ما ذكره ابن ميثم قال: أبو عبيد: إنّ [عليه السلام] لم يرد الفقر في الدنيا وإنّما أراد الفقر يوم القيامة: أي فليعدّ لذلك ما يجده من الثواب والتقرّب إلى الله تعالى والرّلفة لديه.

١٠٣٣- نهج: [و] من خبر ضرار بن ضمرة الضّبّائي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين قال:

فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرّضت؟! أم إليّ تشوّقت؟! لا حان حينك هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك وقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.

١٠٣٢- رواه السيّد الرضّي في المختار: (١١١) من قصار كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة.
 ١٠٣٣- رواه السيّد الرضّي رفع الله مقامه في المختار: (٧٧) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد وخشونة المضجع!

بيان :

قد مرّ الخبر برواية أخرى.

[و] «هيهات»: أي بعد ما تطلبين مني. وخطر الرجل: قدره ومنزلته. «وأملك حقير» أي ما يؤمل منك وفيك.

١٠٣٤- نهج: وقال عليه السلام في ذكر خبّاب بن الأرت.

يرحم الله خبّاباً، فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً.

بيان :

قال ابن أبي الحديد: خبّاب [كان] من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان في الجاهلية قيناً يعمل السيوف، وهو قديم اسلام. قيل: إنّه كان سادس ستّة. وشهد بداراً وما بعدها من المشاهد، وهو معدود في المعدّين في الله سألّه، عمر في أيّام خلافته: ما لقيت من أهل مكّة! فقال: أنظر إلى ظهري. فنظر فقال: ما رأيت كالיום ظهر رجل!

شهد مع عليّ عليه السلام صفّين ونهروان، وصلىّ عليه السلام عليه^(١).

١٠٣٤- رواه الشريف الرضّي في المختار: (٤٣) من باب قصار كلام أمير المؤمنين عليه في نهج البلاغة.

(١) كذا قال ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٣) من باب قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام من نهج البلاغة، ولكن المستفاد مما رواه نصر بن مزاحم في أواسط الجزء الثامن من كتاب صفّين ص ٥٣٠ - ورواه أيضاً الطبري في قصّة رجوع أمير المؤمنين عن صفّين ودخوله الكوفة من تاريخ الأمم والملوك: ج ٤ ص ٤٥ ط مصر - المستفاد من ذلك أنّه كان مريضاً في أيّام حرب صفّين، ومن أجله لم يتمكّن من حضور حرب صفّين، وأنّه توفّي بالكوفة حينما كان أمير المؤمنين في صفّين أو كان في طريق عودته منها، ولما مرّ في عودته على ظهر الكوفة، رأى قبوراً

وكان سنّه يوم مات ثلاثاً وسبعين سنة، ودفن بظهر الكوفة وهو أول من دفن بظهر الكوفة.

١٠٣٥- نهج: [و] قال عليه السّلام في الذين أعتزلوا القتال معه:

خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل.

بيان :

قال ابن أبي الحديد: هم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة، وأنس بن مالك، وجماعة غيرهم.

[ثم قال:] وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في [كتاب] الغرر: أن أمير المؤمنين لما دعاهم إلى القتال معه وأعتذروا أنّه قال لهم: أتتكرون هذه البيعة! قالوا: لا ولكنّا لا نقاتل. فقال عليه السلام: إذا بايعتم فقد قاتلتهم.

١٠٣٦ - ١٠٦٨ - نهج: [و] قال عليه السلام:

ما كلّ مفتون يعاتب.

بيان :

قال ابن أبي الحديد: قالها لسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، لما امتنعا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل.

فسأل عنها، فقليل له: إنّ خباب بن ارتّ كان مريضاً ومات في غيابك، وكان أوصى أن يدفنه بظهر الكوفة فدفن فيه، فدفن الناس موتاهم عنده. فجاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى وقف على قبره ومدحه ودعا له.

وراجع ما رواه المصنّف في هذا المجلد في ص ٥٠٦ و ٥٣١ ط الكمباني.

١٠٣٥-١٠٣٦- رواها السيّد الرضويّ رفع الله مقامه في المختار: (١٥ و ١٨) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

أقول : هذا غير ثابت، ثم إن الكلام يحتمل وجهين:

الآول: أنه ليس كل مفتون مستحقاً للعتاب، إذ يمكن أن يكون سبب فتنته ما لم يكن باختياره.

والثاني: أن يكون المراد [أن] بعض المفتونين لا يعاتبون لعدم نفع الخطاب فيهم.

و [أيضاً] قال [أبن أبي الحديد:] في موضع آخر من الشرح^(١): روى أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة: الصحابة كلهم عدول، ما عدا رجالاً، ثم عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

قال: وروى عن علي عليه السلام أنه قال: أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي.

قال: وروى أنه يوم وصل إلى مروان رأس الحسين عليه السلام بالمدينة، وهو يومئذ أميرها، صعد المنبر وخطب ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد يوم بيوم بدر!

قال: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين، أن عدّة من الصحابة والتابعين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام، كاتمين لمناقبه حباً للدنيا، منهم أنس بن مالك، ناشد علي عليه السلام في الرحبة، أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها. وأنس بن مالك لم يقم، فقال له [علي]: يا أنس ما يمنعك أن تشهد فلقد حضرتها! فقال: يا أمير المؤمنين! كبرت سني ونسيت! فدعا عليه ببرص لا تغطيه العمامة فابتلى [أنس] به.

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ٤ ص ٧٤ ط الحديث بمصر. وفي ط الحديث ببيروت: ج ١، ص ٧٩٠.

[قال:] وكان ممن أنكر ذلك اليوم زيد بن أرقم، فدعا عليه بالعمى فكفَّ بصره^(١). قالوا: وكان الأشعث بن قيس وجريز بن عبدالله البجلي يبغضانه، وهدم علي دار جريز.

وروى أبو بكر الهذلي عن الزُّهري عن عبيدالله بن عدي [الأكبر] قال: قام الأشعث إلى علي عليه السَّلام فقال: إنّ الناس زعموا أنّ رسول الله [صلى الله عليه وآله] عهد إليك عهداً لم يعهده إلى غيرك.

فقال [علي عليه السَّلام]: إنّ عهد إلي ما في قراب سيفي، لم يعهد إلى غيري ذلك فقال الأشعث: هذه إن قلتها فهي عليك لا لك، دعها ترحل عنك. فقال [علي عليه السَّلام]: وما علمك بما عليّ ممّا لي! منافق بن كافر، حائك بن حائك، أني لأجد منك بنة الغزل^(٢).

وروى يحيى البرمكي عن الأعمش: أنّ جريراً والأشعث خرجا إلى الجبّان بالكوفة، فمرّ بهما ضبّ يعدو وهما في ذمّ عليّ عليه السلام، فنادياه يا أبا حسل! هلّم يدك نبايعك بالخلافة. فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما فقال: إنّهما يحشران يوم القيامة وإمامها ضبّ.

(١) أقول: ورد في هذا المعنى أحاديث من طريق أهل السّنة، وأستند إليها وأفتى بمضمونها بعض المتأخرين من علمائنا، ولكنني سرت سيرة زيد بن أرقم فرأيت المتبينّ منها أنّه كان من البداية إلى النهاية من الملازمين لأهل البيت عليهم السلام، والمتجاهرين بمزيتهم على غيرهم، ومن أجله تحمّل الإهانات والمحروميّة في دولة بني أميّة، فمن مثله يُستبعد جداً أن يكتّم شهادته على حقّ ناشد أمير المؤمنين عليه السلام في أيام شوكنه واقتداره كلّ من له علم بذلك أن يقوم ويؤدّي شهادته، فليُثبت من الأخبار الواردة في الموضوع.

(٢) هذا هو الظاهر الموجود في شرح المختار: (٥٦) من خطب نهج البلاغة وفي طبع الكمباني من أصلي «إني لأخذ منك نبذ الغزل».

وفي ط الحديث بمصر من شرح ابن أبي الحديد: «تبه الغزل».

وكان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عنه.

وكان كعب الأحبار منحرفاً عنه، وكان [عليّ] عليه السلام يقول: إنه الكذاب.

وكان النعمان بن بشير الأنصاري من المنحرفين عنه وكان من أمراء يزيد.

وقد روي أنّ عمران بن الحصين كان من المنحرفين [عنه] وأنّ علياً عليه السلام سيّره إلى المدائن.

ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة.

وكان سمرة بن جندب من شرطة زياد [بن سمية أيام كان زياد عاملاً لمعاوية].

وروى واصل مولى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن آبائه [عليهم السلام] قال: كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الأنصار فيؤذيه، فشكى الأنصاري ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فبعث إلى سمرة ودعاه فقال له: بع نخلك هذا وخذ ثمنه. قال: لا أفعل؟ قال: فخذ نخلًا مكان نخلك. قال: لا أفعله. قال: فاشتر منه بستانه. قال: لا أفعل قال: فاترك لي هذا النخل ولك الجنة. قال: لا أفعل [ف] قال صلى الله عليه وآله للأنصاري: أذهب فاقطع نخله، فإنه لا حقّ له فيه.

قال: وكان سمرة أيام مسير الحسين [عليه السلام] إلى الكوفة على شرطة ابن زياد، وكان يحرّض الناس على الخروج إلى الحسين وقتاله.

ومن المبغضين له عبدالله بن الزبير، وكان عليّ عليه السلام يقول: ما زال الزبير ممّا أهل البيت، حتّى نشأ ابنه عبدالله فأفسده.

وكان يبغض بني هاشم، ويلعن ويسبّ علياً!

وروى [إبراهيم] صاحب كتاب الغارات^(١) عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله قال: ذكر المغيرة بن شعبة عند علي عليه السلام وجدّه مع معاوية فقال: وما المغيرة؟! إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة غدرها بنفر من قومه، فهرب فأتى النبي صلى الله عليه وآله كالعائد بالسلام، والله ما رأى عليه أحد - منذ ادّعى الإسلام - خضوعاً ولا خشوعاً! ألا وإنّه كائنة من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة، يجانبون الحق، ويوقدون نيران الحرب، ويوازرون الظالمين.

ألا إنّ ثقيفاً قوم غدر لا يوفون بالعهد، يبغضون العرب، كأنهم ليسوا منهم، وإنّ الصالح في ثقيف لغريب.

وقال شيخنا أبو القاسم البلخي: من المعلوم أنّ الوليد بن عقبة كان يبغض علياً ويشتمه، وأنّه الذي لاحاه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ونابذه وقال له: أنا أثبت منك جناحاً وأحدّ سنناً! فقال له علي عليه السلام: أسكت يا فاسق فانزل الله تعالى فيهما: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستترون﴾ [١٨/ السجدة: ٣٢] فكان لا يعرف في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالوليد الفاسق، وسماه الله في آية أخرى فاسقاً وهو قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [٦/ الحجرات: ٤٩] وكان يبغض رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوه عقبة بن أبي معيط، هو العدو الأزرق بمكة، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى إبراهيم أنّ من فارق علياً عليه السلام، يزيد بن حُجّة التّيمي، وكان عليه السلام استعمله على الرّيّ فكسر الخراج، واحتجبه لنفسه، فحبسه علي عليه السلام وجعل معه سعداً مولاه، فقرّب يزيد ركائبه وسعد نائم، والتحق بمعاوية، وكتب إلى العراق شعراً يذم فيه علياً عليه السلام، ويخبره أنّه من أعدائه، فدعا [عليه السلام] عليه [و] قال لأصحابه: عقب

(١) رواه الثّقفي رحمه الله في الحديث: (١٩٠) من تلخيص كتاب الغارات ص ١٦ ط ١.

الصّلاة أرفعوا أيديكم فادعوا عليه. [فدعا عليه] وأمّن أصحابه.

قال أبو الصلت التّيميّ: [و] كان دعاؤه عليه: اللّهمّ إنّ يزيد بن حُجّية هرب بهال المسلمين، ولحق بالقوم الفاسقين، فاكفنا مكره وكيده وأجزه جزاء الظالمين.

[قال:] ورفع القوم أيديهم يؤمنون عليه [وكان في المسجد عفاق. بن شرحبيل بن أبي رهم التّيميّ - شيخاً كبيراً - وكان يعدّ من شهد على حجر بن عدّي حتّى قتله معاوية، فقال عفاق: على من يدعو القوم؟ قالوا: على يزيد بن حُجّية. فقال: تربت أيديكم أعلى أشرافنا تدعون! فقاموا إليه فضرّبوه حتّى كاد [أن] يهلك، وقام زياد بن خصفة - وكان من شيعة علي عليه السلام - فقال: دعوا لي أبْن عمّي. فقال عليّ عليه السلام: دعوا للرجل أبْن عمّه. فتركه الناس، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد وجعل يمشي معه [و] يمسح التراب عن وجهه وعفاق يقول: واللّهِ لا أحبّكم ما سعت ومشيت، واللّهِ لا أحبّكم ما اختلفت الذرّة والحرة. وزياد يقول [له]: ذلك أضّرّ لك ذلك شرّ لك^(١).

وأمّن فارقه عبدالله بن عبدالرحمان بن مسعود الثّقفي.

ومنهج النجاشي الشّاعر.

[وسبب مفارقة النجاشي أنّه] شرب الخمر بالكوفة في أوّل يوم من شهر رمضان، فأتي به عليّاً عليه السلام، فأقامه في سراويل فضربه ثمانين ثمّ زاده عشرين، فقال: يا أمير المؤمنين! أمّا الحدّ فقد عرفته فما هذه العلاوة؟ قال: لجرأتك على الله وإفطارك في شهر رمضان، فغضب ولحق بمعاوية وهجا عليّاً.

(١) ما بين المعقوفين مأخوذ من شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة من شرح أبْن أبي الحديد:

وقال صاحب كتاب الغارات: إنّ عليّاً عليه السلام لما حدّ النجاشي غضب البهانية، فدخل طارق بن عبد الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين! ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة، وأهل الفرقة والجماعة عند ولادة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتّى رأينا ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا، وشتّت أمورنا، وحملتنا على الجادة التي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النار. فقال [عليّ عليه السلام]: ﴿وإنّها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾^(١) يا أبا نهد! وهل هو إلّا رجل من المسلمين أنتهك حرمة من حرم الله؟! فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته إنّ الله تعالى يقول: ﴿ولا يجرمّنكم شنان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [٨/ المائدة: ٥] فلما جنّه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية.

قال [إبراهيم]: ومن المفارقين لعلّي عليه السلام أخوه عقيل. قدم [عقيل] على [أخيه] أمير المؤمنين [عليه السلام] بالكوفة يسترفده، فعرض عليه عطاءه فقال [عقيل]: إنّنا أريد من بيت المال. فلما صلّى عليّ عليه السلام الجمعة قال له: [يا عقيل] ما تقول في من خان هؤلاء أجمعين؟ قال: بشس الرجل قال: فإنّك أمرتني أن أخونهم وأعطيك.

فلما خرج [عقيل] من عنده شخص إلى معاوية، فأمر له [معاوية] يوم قدومه بمائة ألف درهم، وقال له: يا أبا يزيد أنا خير لك أم علي؟ قال [عقيل]: وجدت عليّاً أنظر لنفسه منك، ووجدتك أنظر لي منك لنفسك.

وقال معاوية لعقيل: إنّ فيكم يا بني هاشم للينا. قال: أجل إنّ فينا للينا من غير ضعف، وعزّاً من غير عنف، وإنّ لينكم يا معاوية غدر، وسلمكم كفر. فقال معاوية: ولا كلّ هذا يا أبا يزيد. [ف] قال عقيل:

لذي الحلم قبل اليوم مايقرع وما علم الإنسان إلّا ليعلم

إنَّ السفاهة طيش من خلائقكم لا قدّس الله أخلاق الملاعنينا
فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال: مامعنى (طه)؟ قال: نحن أهله وعلينا
نزل، لا على أبيك ولا على أهل بيتك. (طه) بالعبرانية: يا رجل.

وقال له الوليد: غلبك أخوك على الثروة؟ قال: نعم، وسبقني وإياك إلى
الجنة.

وقال معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص - وقد أقبل عقيل -:
لأضحكنك من عقيل. فلما سلّم [عقيل] قال معاوية: مرحباً برجل عمّه أبو
هلب. قال عقيل: وأهلاً بمن عمّته حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد. لأنّ
امراًة أبي هلب أمّ جميل بنت حرب. [فـ] قال معاوية: يا أبا يزيد ما ظنّك بعمّك
أبي هلب؟ قال [عقيل]: إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجد مفترشاً عمّتك
حمالة الحطب، أفناكح في النار خير أم منكوح قال: كلاهما شرّ سواء والله.

ومن فارقه حنظلة الكاتب، ووائل بن حجر الحضرمي.

وروي أنّ ثلاثة من أهل البصرة كانوا يتواصلون على بغض عليّ عليه
السلام، [وهم] مطرف بن عبدالله، والعلاء بن زياد وعبدالله بن شقيق.

وروى صاحب كتاب الغارات بإسناده عن أبي فاختة قال: كنت عند عليّ
فأتاه رجل عليه زيّ السفر، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أتيتك من بلد ما رأيت
لك بها محبباً. قال: من أين أتيت؟ قال: من البصرة. قال: أما إنهم لو أستطاعوا
أن يحبّوني لأحبّوني، وإنّي وشيعتي في ميثاق الله لايزاد فينا رجل ولا ينقص إلى
يوم القيامة.

وروى أبو غسان البصري قال: بنى عبيدالله بن زياد أربعة مساجد
بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب عليه السلام والوقعة فيه، مسجد
بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلافين على وجه البصرة،
ومسجد في الأزد.

وَمَنْ قَالَ فِيهِ أَنَّهُ يَبْغِضُ عَلِيًّا وَيَذْمُهُ: الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ
[أَبُو سَعِيدٍ] رَوَى [عَنْهُ] حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ كَانَ عَلِيٌّ يَأْكُلُ الْحَشَفَ
بِالْمَدِينَةِ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُ مِمَّا دَخَلَ فِيهِ.

وروى أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَخْذِلِينَ عَنْ نَصْرَتِهِ.

وروا عنه أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَاهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَكَانَ ذَا
وَسُوسَةٍ، فَصَبَّ عَلَى أَعْضَائِهِ مَاءً كَثِيرًا، فَقَالَ لَهُ: أَرَقْتَ مَاءً كَثِيرًا يَا حَسَنُ. فَقَالَ
لَهُ: مَا أَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ. قَالَ: أَوْ سَاءَ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ.
قَالَ: فَلَا زِلْتَ مَسُوءًا قَالَ: فَمَا زَالَ عَابِسًا قَاطِبًا مَهْمُومًا إِلَى أَنْ مَاتَ.

[ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ:] فَأَمَّا أَصْحَابُنَا فَإِنَّهُمْ يَدْفَعُونَ ذَلِكَ عَنْهُ
وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ مُحِبِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُعَظَّمِينَ لَهُ.

وروى لَهُ أَبَانُ بْنُ عِيَّاشٍ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فَقَالَ: مَا أَقُولُ فِيهِ، كَانَتْ لَهُ السَّابِقَةُ وَالْفَضْلُ وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْفَقْهُ
وَالرَّأْيُ وَالصَّحْبَةُ وَالْبِلَاءُ وَالنَّجْدَةُ وَالزُّهْدُ وَالْقَضَاءُ وَالْقَرَابَةُ، إِنَّ عَلِيًّا كَانَ فِي أَمْرِهِ
عَلِيًّا فَرَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا وَصَلَّى عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا [أ] بَا سَعِيدُ أَتَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
لِغَيْرِ النَّبِيِّ (ص) فَقَالَ: تَرَحَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذَا ذَكَرُوا، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ،
وَعَلَى خَيْرِ آلِهِ. فَقُلْتُ: أَهُوَ خَيْرٌ مِنْ حَمْزَةٍ وَجَعْفَرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: [هُوَ] خَيْرٌ
مِنْ فَاطِمَةَ وَأَبْنَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ كُلِّهِمْ، وَمَنْ يَشْكُ أَنَّهُ
خَيْرٌ مِنْهُمْ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهَا» وَلَمْ يَجِرْ
عَلَيْهِ أَسْمُ شَرِّكَ وَلَا شَرِبَ خَمْرًا؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِفَاطِمَةَ:
«زَوَّجْتُكَ خَيْرَ أُمَّتِي». فَلَوْ كَانَ فِي أُمَّتِهِ خَيْرٌ مِنْهُ لَاسْتَشْنَاهُ.

ولقد آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَآخَى بَيْنَ عَلِيٍّ
وَنَفْسِهِ، فَرَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ النَّاسِ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ أَخًا.

فَقُلْتُ: يَا [أ] بَا سَعِيدُ! فَمَا هَذَا الَّذِي يَقَالُ عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَهُ فِي عَلِيٍّ؟ فَقَالَ:

يا ابن أخي أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لسال بي الخشب.

وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي - ووجدته أيضاً في كتاب الغارات^(١) :-

وقد كان بالكوفة من فقهاءها من يعادي علياً ويبغضه مع غلبة التشيع على الكوفة.

فمنهم: مرة الهمداني.

فروي أنّه قيل لمرة: كيف تخلفت عن علي؟ [ف]قال: سبقنا بحسناته وأثقلنا بسيئاته.

ومنهم: الأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع.

وروي أنّ مسروقاً رجع عن ذلك.

ومنهم: شريح [القاضي وقد روي أنّه طرد من الكوفة] وبعثه عليه السلام إلى «بانقيا» شهرين يقضي بين اليهود.

ومنهم: أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانياً يقع في عليّ عليه السلام. ويقال: إنّّه كان يرى رأي الخوارج.

ومن المبغضين [لعليّ عليه السلام]: أبو بردة بن أبي موسى الأشعري [فإنّه ورث البغض عن كلاله].

ومن المنحرفين عنه عليه السلام: أبو عبد الرحمن السلمي.

ومنهم: قيس بن أبي حازم، وسعيد بن المسيّب، والزهرري، وعروة بن الزبير^(٢).

(١) ذكره وما بعده في الحديث: (٢١٢) وما بعده من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٥٨ - ٥٦٧.

(٢) أمّا كون عروة بن الزبير من مبغضي علي عليه السلام والمنحرفين عنه، فأمر جليّ، والآثار الواردة عنه في تظاهره ببغض علي وسبّه له متواترة معنيّ. وأمّا الزهرري فالمستفاد من

وكان زيد بن ثابت عثمانياً يحرّض الناس على سبه عليه السلام.

وكان المكحول من المبغضين له عليه السلام، وكذا حمّاد بن زيد.

أقول: قد بسط [الثقفي] الكلام في كتاب الغارات في عدّه هؤلاء الأشقياء وبيان أحوالهم، وروى عن عطاء بن السائب قال: قال رجل لأبي عبد الرحمن السلمي: أنشدك بالله [إلا أن] تخبرني [بما أسألك عنه، فسكت] فلمّا أكّد عليه [قال: نعم] قال: بالله [عليك] هل أبغضت عليّاً إلاّ يوم قسم المال في أهل الكوفة فلم يصلك ولا أهل بيتك منه بشيء؟^(١) قال: أمّا إذ أنشدتني بالله فكان ذلك.

وقال: بعث اسامة بن زيد إلى عليّ عليه السلام: أن أبعث إليّ بعتائي فوالله [إنك] لتعلم أنك لو كنت في فم أسد لدخلت معك.

فكتب إليه [علي عليه السلام]: إنّ هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن هذا مالي بالمدينة فأصب منه ما شئت^(٢).

ثم ذكر رواية تدلّ على أنّ عروة بن الزبير والزهري كانا ينالان من علي عليه السلام فنهاهما عنه علي بن الحسين^(٣).

وعن أبي داود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيّب وأقبل عمر بن عليّ بن أبي طالب فقال له سعيد: يا ابن أخي! ما أراك تكثر غشيان مسجد

الأحاديث الواردة عنه أنّه رجع عن ذلك في أواخر عمر، فليثبت في ذلك. وأمّا سعيد بن المسيّب - صهر أبي هريرة - فعُدّ في بعض الأخبار الواردة من طريقنا، من حوارى الإمام زين العابدين عليه السلام، فليوفّق بين ما هاهنا وبين أحاديث حوارى الأئمة.

(١) الحديث موجود تحت الرقم: (٢١٨) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٦٧ ط ١.

ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٧) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٨٠٨.

(٢) وهذا مذكور في الحديث: (٢٢٧) من منتخب كتاب الغارات ص ٥٧٦ ط ١.

(٣) ذكره الثقفي في الحديث: (٢٢٨) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٧٧ ط ١.

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كما يفعل إخوتك وبنو عمّك؟ فقال عمر: يا ابن المسيّب! أكلّمَا دخلت المسجد فأجيء فأشهدك. فقال سعيد: ما أحبّ أن تغضب، سمعت والدك علياً يقول: والله إنّ لي من الله مقاماً هو خير لبني عبدالمطلب ممّا على الأرض من شيء.

قال عمر: سمعت والدي يقول: ما كلمة حكمة في قلب منافق يخرج من الدنيا حتّى يتكلّم بها. [فقال سعيد: يا ابن أخي جعلتني منافقاً!] فقال [عمر:] ذلك ما أقول لك. قال: ثم أنصرف.

ثم قال ابن أبي الحديد: وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي: كان أهل البصرة كلّهم يبغضونه قاطبةً، وكانت قریش كلّها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بني أمية.

وروى عبدالمكّ بن عمير عن عبدالرحمان بن أبي بكرة قال: سمعت علياً عليه السّلام وهو يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت! ثم بكى عليّ عليه السّلام^(١).

وروى أبو عمرو النهدي قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السّلام يقول: ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا!^(٢)

قال: وروى ابن هلال الثّقفي في كتاب الغارات عن زكريّا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمد بن عليّ قال: لما قال عليّ عليه السّلام:

«سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة وتهدي مائة، إلّا أنبأتكم بناعقها وسائقها».

فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر!

(١) منتخب كتاب الغارات ص ٥٨٣.

(٢) الحديث موجود تحت الرقم: (٢٢٥) من منتخب كتاب الغارات ص ٥٧٣ ط ١.

فقال [عليّ عليه السلام]: وألله لقد حدّثني خليلي، أنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وأنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وأنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله! وكان ابنه قاتل الحسين - عليه السلام - يومئذٍ طفلاً يحبّوه وهو سنان بن أنس النخعي^(١).

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي عن أبي إسحاق السبيعي عن سويد بن غفلة: أنّ علياً عليه السلام خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إنّ مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات فاستغفر له. فقال عليه السلام: والله ما مات ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمّاد [جمّار «خ»].

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد، وإنيّ لك شيعة ومحّب. فقال [عليّ عليه السلام]: أنت حبيب بن حمّاد؟ قال: نعم. قال له ثانية: الله! إنّك لحبيب بن حمّاد [جمّار «خ»]. فقال: إي والله. قال: أما والله إنّك لحاملها ولتحمّلها، ولتدخلنّ بها من هذا الباب. وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فوالله ما مت حتّى رأيت ابن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى [حرب] الحسين عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة [من رجال صحاح أهل السنة] على مقدّمته، وحبيب بن حمّاد صاحب رأيته، فدخل بها من باب الفيل^(٢).

(١) وقريباً منه جداً رواه أيضاً الشيخ المفيد في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيب من كتاب الإرشاد ص ١٧٤، ط النجف.

وهذا وما بعده رواه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٧) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤٧٥ ط الحديثه ببيروت، وفي ط الحديثه بمصر: ج ٢ ص ٢٨٨.

(٢) والحديث رواه الشيخ المفيد رحمه الله مستنداً في عنوان: «جهات علوم الأئمة» في أواسط كتاب الاختصاص ص ٢٧٣.

وروى محمد بن جبلة الحياط عن عكرمة عن يزيد الأحمسي: أن علياً عليه السلام كان جالساً في سجد الكوفة وبين يديه قوم، منهم عمرو بن حريث، إذ أقبلت امرأة محتمرة لا تعرف، فوقفت فقالت لعلي عليه السلام: يا من قتل الرجال وسفك الدماء وأبتم الصبيان وأرمل النساء! فقال علي عليه السلام: وإنها هي هذه السلقلة الجلعة المجعة، وإنها هي هذه شبيهة الرجال والنساء، التي ما رأت دماً قط.

فولّت [المرأة] هاربة منكسة رأسها، فاتّبعتها عمرو بن حريث، فلما صارت بالرحبة قال لها: واللّه لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتّى أهب لك وأكسوك. فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته أن لا يكشفها وقالت: أنا واللّه كما قال، لي ركب الرجال، وانثيان كائني الرجال، وما رأيت دماً قط. فتركها وأخرجها.

ثم جاء [عمرو] إلى علي عليه السلام فأخبره فقال: إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله، أخبرني بالمتمردين علي من الرجال، والتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة^(١).

قال ابن أبي الحديد: السلقلة: السليطة، وهو الذئب. والسلقة: الذئبة. والجلعة المجعة: البذية اللسان. والركب: منبت العانة.

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التيمي عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء قال: قام أعشى باهلة وهو غلام يومئذ حدث إلى علي عليه السلام،

ورواه أيضاً في إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن الغيب من كتاب الإرشاد، ص ١٧٣، ط النجف.

(١) وقریباً منه رواه الشيخ المفيد رحمه الله بأسانيد في أواخر كتاب الاختصاص ص ٢٩٦ - ٣٠٠ ط النجف.

وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال عليّ عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف. ثم سكت.

فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين!

قال: غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك لله حرمةً إلاّ انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه. فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين! قال: عشرين إن بلغها قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يشق سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبدالرحمان بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج، فقرّعه ووبّخه وأستنشد شعره الذي يحرض فيه عبدالرحمان على الحرب، ثم ضرب عنقه في هذا المجلس.

وروى محمد بن علي الصوّاف عن الحسين بن سفيان عن أبيه عن شهير [شمير «خ»] بن سدير الأزدي قال: قال عليّ لعمر بن الحمق الخزاعي: أين نزلت يا عمرو؟ قال: في قومي. قال: لا تنزلنّ فيهم: أفأنزل في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا. قال: أفأنزل في ثقيف؟ قال: فما تصنع بالمعرة والمجرة؟ قال: وما هما؟ قال: عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة، أحدهما على تميم وبكر بن وائل، فقلماً يفلت منه أحد، ويأتي العنق الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، فقلّ من يصيب منهم. إنّنا هو يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين. قال: فأين أنزل؟ قال: في بني عمرو بن عامر من الأزد.

قال: فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلاّ كاهناً يتحدث بحديث الكهنة.

فقال: يا عمرو إنّك لمقتول بعدي، وإنّ رأسك لمنقول، وهو أوّل رأس

ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك، أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برؤمك، إلا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنهم يسلموك ولن يخذلوك.

قال: فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام. وهو أول رأس حمل في الاسلام من بلد إلى بلد!

وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبة العرني قال: كان جويرية بن مسهر العبدى صالحاً، وكان لعلي صديقاً، وكان علي عليه السلام يحبه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناده يا جويرية! إلحق بي فإنني إذا رأيتك هويتك.

قال إسماعيل بن أبان فحدثني الصباح عن مسلم عن حبة العرني قال: سرنا مع علي عليه السلام يوماً، فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناده يا جويرية! إلحق بي - لا أبأ لك - ألا تعلم أنني أهواك وأحبك؟ قال: فركض [جويرية] نحوه فقال له: إنني محدثك بأمور فاحفظها. [قال حبة:] ثم أشرتكا في الحديث سرّاً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين أنا رجل نسي. فقال: أنا أعيد عليك الحديث لتحفظه، ثم قال في آخر ما حدثه إيّاه: يا جويرية! أحب حبيبنا ما أحبنا فإذا أبغضنا فابغضه، وأبغض بغيضنا ما أبغضنا فإذا أحبنا فأحبّه.

قال: فكان ناس ممن يشك في أمر علي عليه السلام يقولون: أترأه جعل جويرية وصيه كما يدّعي هو من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال [حبة]: يقولون ذلك لشدة اختصاصه به حتى دخل على علي عليه السلام يوماً، وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناده جويرية: أيها النائم أستيقظ فلتضربن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك. قال فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال: وأحدثك يا جويرية بأمرك، أما والذي نفسي بيده،

لتعتلن إلى العتل الزنيم فليقطعن يدك ورجلك، ويصلبنك تحت جذع كافر.

قال: فوالله مامضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن بني معكر - وكان جذعاً طويلاً - فصلبه على جذع قصير إلى جانبه.

وروى إبراهيم في كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الهيثمي قال: كان ميثم التمار مولى علي عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه علي عليه السلام وأعتقه فقال له: ما أسمك؟ قال: سالم. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن أسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم. قال: صدق الله ورسوله وصدقت، هو أسمي قال: فأرجع إلى أسمك ودع سالماً فنحن نكنّيك به. فكنّاه أبا سالم.

قال:

وقد كان أطلعته علي عليه السلام على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك فيشك فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون علماً عليه السلام إلى المخرفة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاك والمخلص: يا ميثم إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني أبتدر منخراك وفمك دماً حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث، طعنت بحربة فيقضى عليك، فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض - ولأرنيك النخلة التي تصلب على جذعها، ثم أراها إيّاها بعد ذلك بيومين، فكان ميثم يأتيها فيصلي عندها فيقول: بوركت من نخلة، لك خلقت، ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام حتى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردّد إليه ويبصره.

وكان يلقي عمرو بن حريث فيقول: إني مجاورك فأحسن جوارِي، فلا

يعلم عمرو ما يريد. فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم.

أقول : ثم ذكر قصة شهادته نحوه مما سنذكره في باب أحواله رحمه الله.

ثم قال: قال إبراهيم: [و] حدّثني إبراهيم بن العباس عن مبارك البجلي عن أبي بكر بن عيّاش، عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد وقد أتي برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي عليه السّلام، فقال له زياد: ما قال لك خليلك أنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني. فقال زياد: أما والله لأكذبنّ حديثه، خلّوا سبيله فلمّا أراد أن يخرج قال: ردّوه، لا نجد لك شيئاً أصلح مما قال صاحبك، إنك لن تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، أقطعوا يديه ورجليه فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: أصلبوه خنقاً في عنقه. فقال رشيد: وقد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه. فقال زياد أقطعوا لسانه. فلمّا أخرجوا لسانه [ليقطع] قال: نفّسوا عني حتّى أتكلّم كلمة واحدة. فنّفّسوا عنه فقال: والله هذا تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السّلام، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه.

وروى أبو داود الطيالسي عن سليمان بن زريق عن عبدالعزيز بن صهيب قال: حدّثني أبو العالية قال حدّثني مزرع صاحب علي بن أبي طالب عليه السّلام، إنّه قال: ليقبلنّ جيش حتّى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم.

قال أبو العالية: قلت: فإنك لتحدّثني [بالغيب] فقال [مزرع]: أحفظ ما أقول لك فإنّا حدثني به الثقة علي بن أبي طالب عليه السّلام.

[قال:] وحدّثني أيضاً شيئاً آخر، [قال]: لتؤخذنّ فلتقتلنّ ولتصلبنّ بين شرفتين من شرف المسجد.

[قال أبو العالية:] فقلت له: إنك لتحدّثني بالغيب! فقال: أحفظ ما

أقول لك.

قال أبو العالية: فوالله ما أتت علينا جمعة حتى أخذ مزرع، فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد.

وروى محمد بن موسى العنزي قال: كان مالك بن ضمرة الرواسي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن استبطن من جهته علماً كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذرٍّ فأخذ من علمه، وكان يقول في أيام بني أمية: اللهم لا تجعلني شرّ الثلاثة. فيقال: له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمى به من فوق طمار، ورجل تقطع يده ورجلاه ويصلب، ورجل يموت على فراشه.

فكان من الناس من يهزء به ويقول: هو من أكاذيب أبي تراب. قال: فكان الذي رمي به من طمار هانيء بن عروة، والذي قطع وصلب رُشيد الهجري، ومات مالك على فراشه.

وقال ابن أبي الحديد: وروى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى عن ربيعة بن مالك السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس ليتحدّثون عن عليّ بن أبي طالب ومناقبه فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل. فهل أنت محدّثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال [حذيفة]: يا ربيعة وما الذي تسألني عن عليّ عليه السلام؟ وما الذي أحدثك به عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده، لو وضع جميع أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال عليّ في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلّها.

فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله. فقال حذيفة: يا لكع - وكان لا يحمل -: وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه، فملكهم الهلع والجزع،

ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتّى برز إليه عليّ عليه السلام فقتله؟

والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم الساعة^(١).

توضيح:

[قوله]: «إني لأخذ منك»: لعله أستفهام إنكاري: أي إني لا أحتاج إلى فضول علمك وثمرات رأيك، شبهها بما ينبذ من فضول الغزل عند الحياكة لمناسبة كون الملعون حائكاً.

وقال الجوهري: الهمس: الصوت الخفيّ. وهمس الأقدام: أخفى ما يكون من صوت القدم. وقال: الرمة: قطعة من الحبل بالية ومنه قولهم: «دفع إلي الشيء برمته». وأصله أن رجلاً دفع إلى رجل بغيراً بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته. وقال: عتلت الرجل أعتله وأعتله إذا جذبته جذباً عنيفاً، والعتل: الجافي الغليظ. وقال: الزنيم: المستلحق في قوم ليس منهم [و] لا يحتاج إليه وقيل: هو اللثيم الذي يعرف بلؤمه.

قوله «تحت جذع كافر»: بالإضافة ويحتمل التوصيف، قال [الفيروزآبادي] في القاموس: الكافر من الأرض: ما بعد عن الناس. والكفر: الخشبة الغليظة القصيرة. والأول أظهر.

وقال [الجواهري] في الصحاح: الطّمار: المكان المرتفع. وقال: التّريض: مدح الانسان وهو حيّ. وقيل مدحه بباطل أو حقّ.

(١) وهذا المعنى قد رواه الحافظ الحسكاني بأسانيد في تفسير الآية: (٢٥) من سورة الأحزاب في

الحديث: (٦٣٤) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٥.

ورواه أيضاً عن مصادر العلامة الأميني رحمه الله في الغدير: ج ٧ ص ٢٠٦ ط بيروت.

١٠٦٩- نهج: [و] قال عليه السّلام لعَمَّار بن ياسر - وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً -: دعه يا عَمَّار فَإِنَّهُ لم يأخذ من الدّين إلّا ما قاربته الدّنيا [و] على عمدٍ لبّس على نفسه، ليجعل الشّبهات عاذراً لسقطاته.

بيان :

السقطة: العثرة والزّلة.

١٠٧٠- نهج: [و] قال عليه السّلام للأشعث بن قيس معزّياً: إن صبرت صبر الأكارم، إلّا سلوت سُلوّ البهائم.

بيان

سلاه وسلاه عنه سلواً وسُلوّاً: نسيه فتسلى، والمعنى إن صبرت عند المصيبة ورضيت بقضاء الله، كنت من الأكارم والأفاضل وفزت بالثواب، وإن لم تصبر فلا محالة تنسى المصيبة وتترك الجزع بعد زمان كالبهائم، فإنّها تنسى ما يصيبها بعد ذهاب ألمها ولا ثواب لها.

١٠٧١- كا: أبو عليّ الأشعري عن محمّد بن عبد الجبار، ومحمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السّلام عن أبيه عليه السّلام قال: إنّ الرجل كان في القبيلة من شيعة عليّ عليه السّلام، فيكون زينها أدّاهم للأمانة، وأقضاهم

١٠٦٩- رواه الشريف الرضيّ رفع الله مقامه في المختار: (٤٠٥) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة.

وللكلام مصادر أخر يجد الباحث بعضها في المختار: (٧٨) من كتاب نهج السعادة: ج ١، ص ٢٥٦.

١٠٧٠- رواه السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (٤١٤) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.
١٠٧١- رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله مقامه في ذيل الحديث الأخير من الباب الأوّل من كتاب العشرة من أصول الكافي: ج ٢ ص ٦٣٦.

للمحقوق وأصدقهم، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنه لأدانا للأمانة وأصدقنا للحديث.

١٠٧٢- نهج: [و] قال عليه السلام: يهلك في رجلان: محبّ غال ومبغض قال.

بيان

قلاه: أي كرهه وأبغضه. وهو يشمل المخالفين أيضاً لأنّ تقديم غيره عليه بغض له.

١٠٧٣-١٠٧٤- كتاب الغارات لابراهيم الثقفي عن يوسف بن كليب السعودي عن معاوية بن هشام عن الصباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن أصحابه عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أدعو لي غنياً وباهلة - وحيّاً آخر قد سمّاهم - فليأخذوا عطاياهم، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، وإنّي لشاهد لهم في منزلي عند الحوض وعند المقام المحمود أنّهم أعدائي في الدنيا والآخرة.

ولئن ثبت قدماي لأردنّ قبائل إلى قبائل وقبائل إلى قبائل، ولأبهرجنّ ستين قبيلة ما لهم في الإسلام نصيب.

وعن يوسف بن كليب عن يحيى بن سالم عن عمرو بن عمير عن أبيه

١٠٧٢- رواه السيّد الرضويّ رحمه الله في المختار: (١١٧) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١٠٧٣- رواه مع التالي إبراهيم بن محمّد الثقفي رحمه الله في الحديث: (٥) من كتاب الغارات ص ٢٠.

ورواه عنه شيخ الطائفة بسنده عن الثقفي في أواخر الجزء الرابع من كتاب الأمالي ص ٧٢، وفي ط بيروت ص ١١٦.

وليلاحظ ما تقدم عن المصنف في هذا المجلّد ص ٧٠٤ ط الكمباني.

عنه عليه السلام مثله.

١٠٧٥- نهج: [و] في حديثه عليه السلام:

هذا الخطيب الشَّحْشَح.

قال السيّد [الرضي] رحمه الله: يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكلّ ماضٍ في كلام أو سير فهو شحشَح، والشحشَح في غير هذا الموضع: البخيل المسك.

بيان

قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها [عليه السلام] لصعصعة بن صوحان، وكفى له فخراً أن يثني له علي عليه السلام بالمهارة وفصاحة اللسان، وكان صعصعة من أفصح الناس، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان.

١٠٧٦- نهج: [و] من كلام له عليه السلام كلم به عبدالله بن زمعة وهو من شيعته، وذلك إنّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا فقال عليه السلام: إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّا هو فيء المسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلاّ فجنة أيديهم لا تكون لغير أفواههم.

بيان :

جَلَب أسيافهم - بالتحريك -: ما اجتلبته أسيافهم وساقته إليهم.

١٠٧٧- نهج: [و] هنا بحضرته عليه السلام رجل رجلاً بغلام ولد له

١٠٧٥- رواه الشريف الرضي في المختار الثاني من غريب كلام أمير المؤمنين عليه السلام المذكور بعد المختار: (٢٦٠) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

١٠٧٦- رواه السيّد الرضيّ رضوان الله عليه في المختار: (٢٣٠) من كتاب نهج البلاغة.

١٠٧٧- رواه السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (٣٥٤) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

فقال: ليهنّك الفارس. فقال عليه السلام: لا تقل ذاك ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشدّه، ورزقت برّه.

بيان

«شكرت الواهب»: جملة دعائية: أي رزقك الله شكره. والأشدّ: القوّة وفُسّر بما بين ثنائي عشر إلى ثلاثين.

١٠٧٨- نهج: [و] بنى رجل من عماله عليه السلام بناءً فخماً فقال [علي] عليه السّلام:

أطلعت الورق رؤسها. إنّ البناء ليصف لك الغنى.

بيان

قال الجوهري: رجل فخم: أي عظيم القدر. وقال: الورق: الدراهم المضروبة.

١٠٧٩- نهج: [و] قال عليه السلام: وقد عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له:

يا أشعث! إن تحزن على أبنيك فقد استحققت ذلك منك الرحم، وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبة خلف.

يا أشعث! إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك وأنت مأزور.

١٠٧٨- رواه الشريف الرضيّ رضوان الله عليه في المختار: (٣٥٥) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١٠٧٩- رواه الشريف الرضيّ رضي الله تعالى عنه في المختار: (٢٩١) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

[يا أشعث! إبنك سرّك وهو بلاء وفتنة، وحزنك وهو ثواب ورحمة.

بيان

«إن تحزن»: ظاهره جواز الحزن، ولا ينافي كونه مأزوراً على الجزع، فإن الحزن غير الجزع.

وقال الشيخ الرضي رحمه الله: قولهم: «في الله من كلّ ما فات خلف»: أي في ألطافه.

وقال الجوهري: الوزر: الإثم والثقل قال الأخفش: تقول: منه وزر يوزر، ووزر يزر، ووزر يؤزر، فهو موزور. وإنما قال في الحديث «مأزورات» لمكان «مأجورات»، ولو أفرد لقال موزورات.

[وقوله]: «سرّك»: أي الولد. وكونه فتنة لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [١٥ / التغابن: ٦٤].

١٠٨٠- يسج: روي أنّ علياً عليه السلام قال يوماً: لو وجدت رجلاً ثقةً لبعثت معه بهال إلى المدائن إلى شيعتي. فقال رجل في نفسه: لآتينّه ولأقولنّ أنا أذهب بالمال فهو يثق بي، فإذا أخذه أخذت طريق الشام إلى معاوية، فجاء إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أنا أذهب بالمال، فرفع رأسه إليّ وقال: إليك عني تأخذ طريق الشام إلى معاوية.

١٠٨٠- نهج: [و] قيل: إنّ الحارث بن حوط أتاه عليه السلام فقال:

١٠٨٠- رواه قطب الدين الراوندي رحمه الله في كتاب الخرائج ١/١٩٥ الباب الثاني ح ٣١ من معجزات امير المؤمنين.

١٠٨١- رواه السيد الرضي قدّس الله نفسه في المختار: (٢٦٢) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

وقد تقدم برواية شيخ الطائفة مسنداً تحت الرقم: (١٦٠) في الباب (٤) ص ٤٤١ ط الكمباني.

أتراني [أظنّ أنّ] أصحاب الجمل كانوا على ضلالة! فقال عليه السلام: يا حار إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه.

فقال الحارث: فأنيّ أعتزل مع سعد بن مالك وعبدالله بن عمر، فقال عليه السلام: إنّ سعداً وعبدالله لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل.

بيان :

قال الراوندي: الصحيح «ابن حوط» بالحاء المهملة المفتوحة [ووجدت] بخطّ الرضي بالمعجمة المضمومة. [وقوله:] «يا حار» في بعض النسخ بضمّ الراء وفي بعضها بكسرها.

[قوله عليه السلام:] «نظرت تحتك»: أي إلى الأمر الظاهر الذي يستولي عليه فكرك ونظرك وهو خطّة قتال أهل القبلة، ولم تنظر إلى الأمر العالي الذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبغيهم على الإمام العادل.

وقيل: أي نظرت في أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسكين بظاهر الإسلام الذين هو دونك في المرتبة لبغيهم، فاغتررت بشبهتهم ولم تنظر إلى من هو فوقك وهو إمامك الواجب الطاعة ومن تبعه من المهاجرين والأنصار.

وقيل: نظره تحته كناية عن نظره إلى باطل شبهتهم المكتسبة عن محبة الدنيا التي هي الخيبة، ونظره فوقه كناية عن نظره إلى الحقّ وتلقّيه من الله. وسعد بن مالك هو ابن أبي وقّاص .

[قوله عليه السلام:] «ولم يخذلا الباطل»: أي ما سعيّا في محقّ الباطل، وليس يعني بالخذلان عدم المساعدة.

وقيل: هو من قولهم «خذلت الوحشية»: إذا قامت على ولدها: أي لم

يقيما عليه ولم ينصره.

١٠٨٢-١٠٨٣. كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي بإسناده عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر إلى علي عليه السلام فقال: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيثة. قال: فما هو؟ قال: قم معي فقام فانطلق إلى بيته فإذا باسنة مملوءة جامات من ذهب وفضة فقال: يا أمير المؤمنين إنك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادّخرت هذا لك. قال علي عليه السلام: لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً كثيرة؟ فسل سيفه فضر بها فانتثرت من بين اناء مقطوع نصفه أو ثلثه، ثم قال: أقسموه بالحصص. ففعلوا وجعل [علي] يقول:

هذا جنائي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه
[ثم قال:] يا بيضاء ويا صفراء غريّ غيري!

قال: وفي البيت مساك وإبر فقال: أقسموا هذا فقالوا: لا حاجة لنا فيه: قال: وكان يأخذ من كلّ عامل مما يعمل: والذي نفسي بيده لتأخذنّ شرّه مع خيره^(١).

١٠٨٢- رواه الثقفي رفع الله مقامه في الحديث: (٢٧) و (٣٣) من كتاب تلخيص الغارات ص ٦٥ - ٦٦.

وقد أورده المصنّف أيضاً عن الغارات في المجلد التاسع ص ٥٤٠ ط الكمباني. وللحديث شواهد كثيرة يجدها الباحث في الحديث السابع وما يليه من فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل - تأليف أحمد بن حنبل - ص ١٠، وما بعدها ط ١، وفي الحديث: (١١٨) وما حولها من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ١، ص ٣٢٢، وفي ط ١: ج ٢ ص ١٣٥، وما يليها. ورواها أيضاً مع أحاديث آخر في معناه ابن أبي الحديد - بلا إشارة إلى مصدرها - في شرحه على المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١ ص ٤١٤، ط الحديث ببيروت، وفي ط مصر: ج ٢ ص ٩٩.

(١). كذا في الأصل المطبوع، وفي شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد، ط بيروت «ومسال» ومثله في الغارات ط دار الأضواء ومعناه (المخيطة الكبير) وهو أنسب

وعن حبيب بن أبي ثابت أنّه قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلّي عليه السّلام: يا أمير المؤمنين! لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما عندي [نفقة] إلا أن أبيع بعض علوفي. قال له: لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك.

بيان :

«إذا باسنة»: كذا في نسخ [كتاب] الغارات. و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: الباسنة: جوالق غليظ من مشاقة الكتان. انتهى.

ويحتمل أن يكون «إذا بأشنة» بالشين المعجمة جمع الشنّ [وهي القربة].

وفي رواية ابن أبي الحديد: «إذا بغرارة»: وهي الجوالق. والمساك: جمع مسك - بالتحريك - وهي الأسورة والخلخال من القرون والعاج. وفي رواية ابن أبي الحديد: «[وفي البيت] مسك»^(١) وهو أظهر.

والعلوفة: الناقة أو الشاة تعلفها ولا ترسلها فترعى. وفي بعض النسخ: «علوقي» [بالقاف: وهو ما يعلق به الإنسان كناية عن الثياب، واسم لنوع من الناقة أيضاً. وفي رواية ابن أبي الحديد: «إلا أن أبيع دأبتي».

١٠٨٤- يـج: روي أن الأشعث بن قيس استأذن على عليّ عليه السّلام

للإبر.

(١) هذا هو الصواب فيه وما قبله، وفي أصلي في الموردين «قال».

١٠٨٤- رواه قطب الدين الراوندي في كتاب الخرائج ج ١ ص ١٩٩ ح ٣٨ باب معجزات أمير المؤمنين.

ورواه أيضاً الطبراني في ترجمة الأشعث بن قيس من كتاب المعجم الكبير: ج ١ الورق ٦١، وفي ط بغداد: ج ١. ورواه بسنده عنه ابن عساكر في ترجمة الأشعث من تاريخ دمشق. وروياه بسند أبي الفرج الأصبهاني في المختار: (٣٧٠) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص

فردّه قنبر، فأدّى أنفه فخرج علي عليه السلام وقال:

ما ذاك يا أشعث! أما والله لو بعبد ثقيف مررت لأقشعرت شعيرات أستك! قال: ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقى بيت من العرب إلّا أدخلهم الذلّ. قال: كم يلي؟ قال: عشرين إن بلغها.

[ثم] قال الراوي: ولي الحجاج سنة خمس وسبعين ومات سنة خمس وتسعين.

١٠٨٥- يـج: وروى جميع بن عمير قال:

اتّهم عليّ عليه السلام رجلاً يقال له العيزار برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك وجحد فقال: لتحلف بالله أنك ما فعلت! قال: نعم، وبدر يحلف. فقال [له علي]: إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك.

[قال]: فما دارت الجمعة حتّى أخرج أعمى يقاد، قد أعمى الله بصره.

١٠٨٦- ما: جماعة عن أبي المفضل عن محمد بن القاسم بن زكريا عن عبّاد بن يعقوب، عن مطر بن أرقم عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن صفوان بن قبيصة، عن الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال:

قرأت على النبيّ صلى الله عليه وآله سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، وزيد [بن ثابت] ذو ذؤابتين يلعب مع الغلمان، وقرأت سائر - أو قال:

٧٠٥ ط١

١٠٨٥- رواه قطب الدين الراوندي رحمه الله في كتاب الخرائج ج١ ص٢٠٧ ح٤٨ من باب معجزات أمير المؤمنين.

١٠٨٦- رواه الشيخ الطوسي رفع الله مقامه في أواخر الجزء (١٣) من أماليه: ج١، ص٣٩٧ ط بيروت.

وللاحظ الحديث: (١٠٥٧) وتواليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق:

ج٣ ص٣٢ ط٢.

بقية - القرآن على خير هذه الأمة، وأقضاهم بعد نبيهم صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب.

١٠٨٧- ما: جماعة عن أبي الفضل عن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز عن شريح بن يونس، عن هيثم بن بشير عن يعلى بن عطاء عن عبدالله بن نافع:

أنّ أبا موسى [الأشعري] عاد الحسن بن علي عليه السلام، فقال علي عليه السلام:

أما إنّه لا يمنعنا ما في أنفسنا عليك أن نحدّثك بما سمعنا [سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّه من عاد مريضاً شيعة سبعون ألف ملك، كلّهم يستغفر له إن كان مصباحاً حتّى يمسي، وإن كان ممسياً حتّى يصبح، وكان له خريف في الجنة].

١٠٨٨-١٠٩٣- كتاب الغارات عن قدم الضبي قال:

بعث علي عليه السلام إلى ليبيد بن عطار التميمي ليُجاء به، فمرّ [الذي أخذه إلى أمير المؤمنين] بمجلس من مجالس بني أسد وفيه نعيم بن

١٠٨٧- رواه شيخ الطائفة في الحديث (١٤) من المجلس: (١٣) من المجلد الثاني من أماليه ص ٦٤٦، ورواه بسند آخر في الحديث: (٥٠) من الجزء (١٤) من أماليه: ج ١ ص ٤١٥. ورواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسند أمير المؤمنين عليه السلام تحت الرقم: (٦١٢ و ٧٠٢ و ٧٥٤) في أوائل مسند أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب المسند: ج ١، ص ٨١ و ٩١ و ٩٧ ط، وذكره محققه في ط ٢ عن أبي داود، والترمذي وأبن ماجة وأبن حبان، والحاكم والترغيب والترهيب: ج ٤ ص ١٦٢ - ١٦٣

ورواه أيضاً أبو يعلى تحت الرقم ٢ و ٢٩ من مسند أمير المؤمنين من مسنده ج ١، ص ٢٢٧ و ٢٤٨ ط بيروت. وقد رواه باختصار جماعة، منهم السيّد. ١٠٨٨- رواه الثقيفي رحمه الله مع التوالي في الحديث: (٧١ - ٧٥) و (١٨٠ - ١٨٢) من كتاب الغارات ص ١١٩ - ١٢٤، و ص ٤٩٨ - ٥٠٠.

دجاجة، فقام نعيم فخلّص الرجل، فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: أخذنا الرجل فمررنا به على نعيم بن دجاجة فخلّصه - وكان نعيم من شرطة الخميس - فقال: عليّ بنعيم. [فأتى به] فأمر به أن يضرب ضرباً مبرحاً، فلما ولّوا به [إلى السجن] قال: يا أمير المؤمنين! إن المقام معك لذّ وإن فراقك كفر. قال: إنّه لكذاك؟ قال: نعم. قال: خلّوا سبيله.

وعن الفضل بن دكين عن الحسن بن حيّ عن ابن أبي ليلى قال: إنّ عليّاً عليه السلام رزق شريحاً القاضي خمس مائة^(١).

وعن إسماعيل بن أبان عن عمرو بن شمر عن سالم الجعفري عن الشعبي قال: وجد علي عليه السلام درعاً له عند نصراني فجاء به إلى شريح يخاصمه إليه، [فلما نظر إليه] ذهب يتنحّى، فقال: مكانك. وجلس إلى جنبه وقال: يا شريح أما لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلّا معه، ولكنه نصراني، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كنتم وإيّاهم في طريق فألجؤهم إلى مضائقه، وصغّروا بهم كما صغّر الله بهم في غير أن تظلموا.

ثمّ قال عليّ عليه السلام: إنّ هذه درعي لم أبع ولم أهب. فقال النصراني: ما الدرع إلّا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت شريح إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ قال: لا. ففضى بها [شريح] للنصراني.

[فأخذها النصراني] فمشى هنيئاً ثمّ أقبل، فقال: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام النبيين، [أمير المؤمنين] يمشي إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين. قال: أمّا إذا أسلمت فهي لك وحمله على فرس.

(١) وانظر ترجمة شريح القاضي من الطبقات الكبرى لابن سعد. ج ٦ ص ١٣٨، ط بيروت.

قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل مع علي عليه السلام الخوارج بالنهر^(١)

وعن أبي عمرو الكندي قال: كنّا ذات يوم عند عليّ فوافق الناس منه طيب نفس ومزاج، فقالوا: يا أمير المؤمنين حدّثنا عن أصحابك. قال: عن أيّ أصحابي تسألونني؟ قالوا: عن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله. قال: كلّ أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أصحابي، فعن أيّهم تسألونني؟ قالوا: عن الذين رأيناك تلطفهم بذكرك وبالصلاة عليهم دون القوم. قال: عن أيّهم؟ قالوا: حدّثنا عن عبد الله بن مسعود قال: قرأ القرآن وعلم السنّة - وكفى بذلك - . قالوا: فوالله ما درينا بقوله: «وكفى بذلك» كفى بقراءة القرآن وعلم السنّة؟ أم كفى بعبد الله؟.

قال: فقلنا: حدّثنا عن أبي ذرّ. قال: كان يكثر السؤال فيعطي ويمنع، وكان شحيحاً حريصاً على دينه، حريصاً على العلم الجزم، قد ملئ في وعاء له حتى امتلأ وعاءه علماً عجز فيه. قال: فوالله ما درينا بقوله: «عجز فيه» أعجز عن كشفه ما كان عنده؟ أو عجز عن مسألته؟.

قلنا: حدّثنا عن حذيفة بن اليمان قال: علم أسماء المنافقين، وسأل عن العضلات حين غفل [غيره] عنها، ولو سألوه لوجدوه بها عالماً.

قالوا: فحدّثنا عن سلمان الفارسي قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم؟! وذلك أمرٌ منّا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأوّل وأدرك العلم الآخر، وقرأ

(١) وهذا هو الحديث: (٧٥) من كتاب منتخب الغارات ص ١٢٤، وقد رواه أيضاً المصنف في ج ٢٤ من البحار، ص ١٣.

ورواه أيضاً المحدث النوري رحمه الله في «نوادير ما يتعلّق بأدب القاضي» من كتاب مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١٩٧.

وللحديث مصادر كثيرة جداً يجد الطالب أكثرها في تعليق الحديث: (١٢٦٢) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٤٤ ط ٢.

الكتاب الأول وقرأ الكتاب الآخر بحر لا ينزف.

قلنا: فحدثنا عن عمار بن ياسر قال: ذلك أمرٌ خالط الله الإيمان بلحمه ودمه وشعره وبشره حيث زال [الحق] زال معه، ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

قلنا: فحدثنا عن نفسك قال: مهلاً، نهانا الله عن التزكية. [ف] قال له رجل: فإن الله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [١١/ الضحى: ٩٣] قال: فإني أحدث بنعمة ربي.

كنت والله إذا سألت أعطيت، وإذا سكتت أبتديت، وإن تحت الجوانح مني علماً جماً فأسألوني.

فقام إليه ابن الكواء. فسأله عن مسائل أوردناها في محالها [من هذا الكتاب] ^(١).

وعن النعمان بن سعد قال: رأيت علياً عليه السلام على المنبر يقول: أين الثمودي؟ فطلع الأشعث فأخذ كفاً من الحصا وضرب وجهه فأدماه، وانجفل وانجفل الناس معه ويقول: ترحاً لهذا الوجه ترحاً لهذا الوجه.

بيان :

الترح: ضدّ الفرح. والهلاك والانقطاع.

(١) ولهذا الحديث أيضاً مصادر كثيرة وقد ذكرنا صورة منه في المختار: (٣٤٢) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٣٠ ط ١.

وأيضاً ذكرنا وجهاً آخر منه عن مصدر آخر مسنداً في المختار: (١١١) من القسم الثاني من الباب الأول من نهج السعادة: ج ٣ ص ٤١٩ ط ١.

وقد رواه أيضاً المصنف العلامة في باب فضائل سلمان من هذا الكتاب: ج ٦ ص ٩٧١. وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة حذيفة بن اليمان من تاريخ دمشق. ورواه أيضاً الذهبي في كتاب أعلام النبلاء: ج ١، ص ٢٧٨ وج ٢ ص ٣٩٣.

وفي [كتاب] الغارات عن عبّاد بن عبد الله الأسدي، قال: كنت جالساً يوم الجمعة وعليّ عليه السلام يخطب على منبر من آجر، وأبن ضوحان جالس فجاء الأشعث فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك! فغضب [عليّ عليه السلام] فقال: [صعصعة] لبيّن اليوم من أمر العرب ما كان يخفى فقال عليّ عليه السلام: من يعذرني عن هؤلاء الضيافة، يقبل أحدهم يتقلّب على حشاياه، ويهجر قوم لذكر الله، فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين. والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لقد سمعت محمّداً صلى الله عليه وآله يقول: ليضربنكم والله على الذين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

قال مغيرة: كان علي عليه السلام أميل إلى الموالي وألطف بهم، [و] كان عمر أشدّ تباعداً منهم.

بيان :

قال الجزري في [مادة «حمر» من كتاب النهاية]: حديث عليّ عليه السلام^(١): «غلبتنا عليك هذه الحمراء». يعنون العجم والروم. والعرب تسمي الموالي الحمراء.

و [أيضاً] قال [الجزري] في [مادة «حشى» و «ضيطة»]: وفي حديث عليّ: «من يعذرني من هؤلاء الضيافة يتخلّف أحدهم يتقلّب على حشاياه» الضيافة: هم الضخام الذين لا غناء عندهم. الواحد: ضيطار، والياء زائدة. والحشاياء: الفرش واحداً حشيةً بالتشديد. انتهى.

أقول : «يهجر» على التفعيل: بمعنى السير في الهاجرة، قال [أبن الأثير] في النهاية: [و] منه حديث زيد بن عروة «هل مهجر كمن قال؟» أي

(١) هكذا في الأصل والأظهر أن يكون: في حديث الأشعث لعليّ - عليه السلام - لأنّ القائل: «غلبتنا هذه الحمراء على وجهك» هو الأشعث.

هل من سار في الهاجرة كمن نام في القائلة؟

١٠٩٤- نهج: [و] قال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: ألق دواتك، وأطل جلفه قلمك، وفرّج بين السطور، وقرمط بين الحروف، فإن ذلك أجدر بصباحة الخطّ.

بيان :

قال الجوهرى: لاقت الدواة تليق: أي لصقت. ولقتها أنا يتعدى ولا يتعدى فهي مليقة إذا أصلحت مدادها، وألقتها إلّا قة لغة فيه. وقال: الجلف: القشر يقال: جلفت الطين عن رأس الدن أجلفه بالضمّ. وجلفت الشيء قطعته وأستأصلته.

وقال ابن أبي الحديد: الجلفة: هيئة فتحة القلم، وأصله: القشر.

١٠٩٥- نهج: [و] قال أمير المؤمنين عليه السلام:

يأتي على الناس زمان، لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة. يردّون من شدّ عنها فيها، ويسوقون من تأخّر عنها إليها، يقول الله سبحانه: «فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة أترك الحكيم فيها حيران». وقد فعل، ونحن نستقيل الله عشرة الغفلة.

١٠٩٤- رواه السيّد الرضوي رفع الله مقامه في المختار (٣١٥) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

١٠٩٥- رواه الشريف الرضوي رحمه الله في المختار: (٣٦٩) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

بيان :

[قوله عليه السلام:] «إلا رسمه»: أي كتابته دون العمل به وتلاوته كما ينبغي. وقيل: رسم القرآن: تلاوته وهو أثره.

[قوله عليه السلام:] «والإلهم تأوي»: كناية عن شدّة ملازمتهم لها، أو عن رجوع آثامها إليهم، لكونهم سبب شيوعها في الناس والضائر المؤثثة إمّا راجعة إلى الفتنة أو الخطيئة.

وقيل: ينبغي أن يكون [عليه السلام] قد قال هذا الكلام في أيام خلافته؛ لأنها كانت أيام السيف المسلّط على أهل الضلال من المسلمين، وكذلك ما بعثه الله عزّ وجلّ على بني أميّة وأتباعهم من سيوف بني هاشم، بعد أنتقاله عليه السلام [إلى الله]، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام: «وقد فعل» على دنوّ وقوع الفعل، أو أنّه قضى في علم الله وقدر حتبًا.

أو يكون قوله عليه السلام: «يأتي على الناس زمان»: بمعنى أن مثل ذلك من الأمور الممكنة التي تجري على الخلق، وإن كان قد وقع.

ويمكن أن يكون إخباراً عن وقوع الأمور في آخر الزمان، ويحمل قوله: «وقد فعل» على أحد الوجهين، ويكون الحكم بدنوه مثل قوله تعالى: «أقربت الساعة» [١/ القمر: ٥٤].

١٠٩٦- [نهج:] وقال عليه السّلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق

- في كلام دار بينها :-

ما فعلت إيلك الكثيرة؟ فقال: ذعذعتها الحقوق يا أمير المؤمنين. فقال عليه السّلام: ذاك أحمد سبلها.

بيان :

«ما فعلت إيلك؟»: أي كيف تلفت؟ [أو ما شأنها هل هي على حالها، أم طرأت عليها الزيادة والنقيصة؟]. [و] «ذدعتها الحقوق»: أي فرقته المصارف الضرورية من الزكاة والجهاد ونوائب القبيلة وأمثالها. و [قوله عليه السلام: «أحمد [سبلها]»: من المبنى للمفعول.

١٠٩٧- ١١١٧- كتاب الغارات بإسناده عن علي بن النعمان قال: قال علي عليه السلام:

لئن ملكت لأرمينه بالحجارة. يعني المغيرة [بن شعبة] وكان ينتقص علياً عليه السلام.

وعن جندب بن عبد الله قال: ذكر المغيرة بن شعبة عند علي عليه السلام فقال: وما المغيرة؟ إنما كان سبب إسلامه لفجرة وغدره لمطمئنين إليها ركبها منهم فهرب، فأتى النبي صلى الله عليه وآله كالعائد بالإسلام والله ما رأى [أحد] عليه من أدعاء الإسلام خضوع ولا خشوع.

ألا وإنه كان من ثقيف فراعته يجانبون الحق ويسعون نيران الحرب ويوازرون الظالمين.

ألا لأن ثقيفاً قوم غدر لا يوفون بعهده، يبغضون العرب، كأنهم ليسوا منهم ولرب صالح قد كان فيهم منهم عروة بن مسعود وأبو عبيد بن مسعود. وأمّا الوليد^(١) بن عقبة فهو الذي سمّاه الله في كتابه فاسقاً، وهو أحد الصبية الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وآله بالنار و [قد] قال شعراً يردّ على النبي

١٠٩٨- رواه وما بعده الثقيفي رحمه الله في الحديث: (١٨٩) وما يليه من كتاب الغارات ص ٥١٨

- ٥٨١ ط ١. وقد تقدّم الثاني تحت الرقم ٨٨٢.

(١) وهذا من كلام الثقيفي صاحب الغارات.

صلى الله عليه وآله قوله حيث قال في عليّ عليه السلام: «إن تولّوه تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم» فقال [الوليد في ردّ هذا القول]:

فإن يك قد ضل البعير بحمله فلم يك مهدياً ولا كان هادياً فهو من مبغضي عليّ عليه السلام وأعدائه وأعداء النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّ أباه قتله النبي صلى الله عليه وآله بيد عليّ صبراً يوم بدر بالصفراء.

وعن مغيرة الضبيّ قال: مرّ ناس بالحسن بن عليّ عليه السلام وهم يريدون عبادة الوليد بن عقبة، وهو في علة شديدة، فأثاه الحسن عليه السلام معهم عائداً، فقال للحسن عليه السلام: «أتوب إلى الله مما كان بيني وبين جميع الناس، إلّا ما كان بيني وبين أبيك!» يقول: أي لا أتوب منه^(١).

قال إبراهيم: ولحق بمعاوية يزيد بن حُجّة، ووائل بن حجر الحضرمي، ومصقلة بن هبيرة الشيباني، والققعاق بن شور، وطارق بن عبد الله، والنجاشي الشاعر.

وكان أصحابه لما نزل بقلوبهم من الفتنة والبلاء والركون إلى الدنيا، يغدرون ويختانون مال الخراج ويهربون إلى معاوية.

وعن الأعمش قال: كان عليّ عليه السلام يولّيههم الولاية والأعمال فيأخذون [ما يقدرّون عليه من الأموال] ويهربون إلى معاوية، منهم المنذر بن الجارود العبدي.

قال: كان علي عليه السّلام ولّى المنذر بن الجارود فارساً فاحتاز مالا من الخراج. قال: [و] كان المال أربع مائة ألف درهم، فحبسه عليّ عليه السّلام فشفع فيه صعصعة بن صوحان إليه عليه السلام، وقام بأمره وخلّصه، وكان صعصعة من مناصحيه عليه السلام.

(١) ولتراجع ترجمة الإمام الحسن من تاريخ اليعقوبي.

قال الأسود بن قيس: جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام عائداً صرصعة فدخل عليه فقال له: يا صرصعة لا تجعلنّ عيادتي إليك أبهةً على قومك. فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن نعمة وشكراً. فقال له علي عليه السلام: إن كنت ما علمت لحفيف المؤنة عظيم المعونة. فقال صرصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمت بكتاب الله لعليم، وإن الله في صدرك لعظيم، وإنك بالمؤمنين لرؤف رحيم^(١).

ومنها يزيد بن حجة.

أقول: وذكر أحواله وأحوال جماعة من الفارّين الخاذلين، أوردنا [سابقاً] أحوالهم برواية ابن أبي الحديد عنه وعن غيره^(٢).

ثم قال [صاحب الغارات] ومنها الهجّج عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود الثقفي شهد مع علي عليه السلام صفين، وكان في أول أمره مع معاوية ثم صار إلى علي ثم رجع بعد إلى معاوية سبّاه علي عليه السلام الهجّج. والهجّج: الطويل.

ومنها القعقاع بن شور، حدّثنا جرير بن عبد الحميد عن [أبي] إسحاق الشيباني قال: قال علي عليه السلام: تسألوني المال وقد استعملت القعقاع بن شور على كسكر، فأصدق امرأته بمائة ألف؟! وأيم الله لو كان كفواً [ها] ما أصدقها ذلك!

وعن ميسرة قال: قال علي عليه السلام: قاتلوا أهل الشام مع كلّ إمام بعدي.

(١) ورواه أيضاً البلاذري في الحديث: (١٨٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ١، ص ٣٢٩، وفي ط: ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) فانظر الحديث ٨٨٢ وما حوله.

وعن الواقدي قال: إنَّ عمرو بن ثابت الذي روى عن أبي أيوب حديث «سنة أيام من شوال» كان يركب بالشام في القرى، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول: أيها الناس إنَّ علي بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً، أراد أن ينفر برسول الله صلى الله عليه ليلة العقبة فلعنوه. قال فيلعنه أهل تلك القرى ثم يسير إلى الأخرى، فيأمرهم بمثل ذلك.

وعن الحسن بن الحرّ قال: لقيت مكحولاً فإذا هو مملوء بغضاً لعلي عليه السلام، فلم أزل به حتى لان أو سكن.

وعن محمد بن عبد الله بن قارب قال: إنني عند معاوية لجالس إذ جاء أبو موسى فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال [معاوية]: وعليك السلام. فلما تولى قال: والله لا يلي على اثنين حتى يموت.

وكان أبو بكر [نفيح بن الحارث] لما قدم علي عليه السلام البصرة لقي الحسن بن أبي الحسن، وهو متوجّه نحو علي عليه السلام فقال [له]: إلى أين؟ قال: إلى علي عليه السلام. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون بعدي فتنة النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم.

[قال الحسن]: فلزمت بيتي، فلما كان بعد لقيت جابر بن عبد الله وأبا سعيد^(١) فقالوا: أين كنت. فحدّثتهم بما قال أبو بكر فقالوا: لعن الله أبا بكر إنَّما قال النبي صلى الله عليه وآله [ذلك] لأبي موسى: «تكون بعدي فتنة أنت فيها نائم خير منك قاعد، وأنت فيها قاعد خير منك ساع».

وقال: لما دخل معاوية الكوفة دخل أبو هريرة المسجد، فكان يحدث

(١) هذا هو الظاهر، وفي أصلي من طبع الكمباني: «جارية بن عبد الله». ومثله في الغارات. ثم إنَّه لو صحَّ الحديث دلَّ على حسن نيّة الحسن البصري وذمَّ أبي بكر. وقد تقدّم عن مصدر آخر أنَّ الحسن خرج من منزله عازماً على اللّحوق بأمّ المؤمنين عائشة فسمع هاتفاً يقول: «إلى أين تذهب يا حسن؟ إنَّ القاتل والمقتول في النار...».

ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وقال أبو القاسم وقال خليلي.

فجاءه شاب من الأنصار يتخطأ الناس حتى دنا منه، فقال: يا أبا هريرة حديث أسألك عنه فإن كنت سمعته من النبي صلى الله عليه وآله حدّثنيه، أنشدك بالله [أ] سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال أبو هريرة: نعم والذي لا إله إلا هو لسمعته من النبي صلى الله عليه يقول لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فقال له الفتى: لقد والله واليت عدوّه وعاديت وليّه!

[قال:] فتناول بعض الناس الشاب بالحصى، وخرج أبو هريرة فلم يعد إلى المسجد حتى خرج من الكوفة

[الباب الخامس والثلاثون]

باب النّوادر

١١١٨- كنز الفوائد للكراچكي [قال:] حدّثني الشريف أبو الحسن طاهر بن موسى الحسيني عن ميمون بن حمزة الحسيني قال: رأيت المعمر المغربي، وقد أتى به إلى الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل سنة عشر وثلاثمائة وأدخل إلى داره ومعه خمسة رجال أغلقت الدار وازدحم الناس، وحرصت في الوصول إلى الباب فما قدرت لكثرة الزحام فرأيت بعض غلمان الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل وهما قنبر وفرّخ وعرفتهما أنّي أشتهي أن أنظره فقالا لي: در إلى باب الحمام بحيث لا يدرى بك. فصرت إليه ففتحا لي سرّاً ودخلت وأغلقت الباب، وحصلت في مسلخ الحمام فإذا قد فرش له ليدخل الحمام فجلست يسيراً فإذا به قد دخل، وهو رجل نجيف الجسم، ربع من الرجال، خفيف العارضين، آدم اللون، إلى القصر [أقرب] ما هو، أسود الشعر يقدر الإنسان أن له نحواً من الأربعين سنة، وفي صُدغيه أثر كأنه [أثر]

ضربة، فلما تمكّن من الجلوس والنفر معه وأراد خلع ثيابه قلت له: ما هذه الضربة؟ فقال: أردت أن أناول مولاي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام السوط يوم النهر وانفق الفرس رأسه فضر بني باللجام - وكان حديثاً فشجّني.

فقلت له: أدخلت هذه البلدة قديماً؟ فقال: نعم وكان موضع جامعكم السفلائي مبصلاً وفيه بئر. فقلت هؤلاء أصحابك؟ فقال: [هم] ولدي وولد ولدي. ثم دخل الحمام فجلست حتى خرج ولبس ثيابه، فرأيت عنقه قد أبيضت، فقلت له: [أ] كان بها صباغ؟ قال: لا ولكن إذا جعت أبيضت وإذا شبعت اسودّت! فقلت: قم [و] أدخل الدار حتى تأكل. فدخل الباب.

١١١٩- وروى الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه حجّ في تلك السنة وفيها حجّ نصر القشوري صاحب المقتدر قال: فدخلت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وأصبت فيها قافلة البصريين وفيها أبو بكر محمد بن علي البادراني، ومعه رجل من أهل المغرب يذكر أنه رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأزدهم عليه الناس وجعلوا يتمسّحون به وكادوا يقتلونه. قال: فأمر عمّي أبو القاسم طاهر بن يحيى فتياهه وغلماهه أن يفرّجوا عنه ففعلوا، ودخلوا به إلى دار ابن سهل اللطفي، وكان طاهر يسكنها، وأذن للناس فدخلوا، وكان معه خمسة رجال ذكر أنهم أولاده وأولاده، فيهم شيخ له نيف وثمانون سنة، فسألناه عنه؟ فقال: هذا أبني. و [كان فيهم] أثنان [آخران] لكل واحد منهما ستون سنة أو خمسون سنة، وآخر له سبعون سنة فقال: هذا ابن أبيني. و [فيهم] آخر له ستّة عشر سنة فقال: هذا ابن أبيني، ولم يكن له أصغر منه، وكان إذا رأيته قلت هذا ابن ثلاثين أو أربعين سنة، أسود الرأس واللحية، شابّ نحيف الجسم، آدم، ربع القامة وخفيف العارضين، هو إلى القصر أقرب، وأسمه علي بن عثمان بن الخطّاب.

فمما سمعت من حديثه الذي حدّث الناس به أنّه قال: خرجت من بلدي أنا وأبي وعمّي نريد الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنا مشاة في قافلة، فانقطعنا عن الناس، واشتدّ بنا العطش وعدمنا الماء، وزاد بأبي وعمّي الضعف فاقعدتهما إلى جانب شجرة ومضيت ألتمس لهما ماءً فوجدت عيناً حسنة وفيها ماء صاف في غاية البرد والطيبة، فشربت حتّى أرتويت، ثم نهضت لآتي بأبي وعمي إلى العين فوجدت أحدهما قد مات فتركته بحاله، وأخذت الآخر ومضيت في طلب العين، فاجتهدت إلى أن أراها فلم أراها ولا عرفت موضعها، وزاد العطش به حتّى مات، فحرصت في أمره حتّى واريته، وعدت إلى الآخر فواريته أيضاً. وسرت وحدي إلى أن أنتهيت إلى الطريق ولحقت بالناس ودخلت المدينة، وكان دخولي إليها في اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فرأيت الناس منصرفين من دفنه فكانت أعظم الحسرات دخلت بقلبي، ووافي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحدّثته حديثي فأخذني وأقمت معه مدّة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وفي أيّام خلافته حتّى قتله عبدالرحمان بن ملجم بالكوفة.

قال: ولما حوَّصر عثمان بن عفّان في داره، دعاني ودفع إلي كتاباً ونجيباً وأمرني بالخروج إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان عليّ عليه السلام غائباً بـ«ينبع» في ضياعه وأمواله، فأخذت الكتاب وركبت النجيب وسرت حتّى إذا كنت بموضع يقال له: جنان أبي عباية، سمعت قرآناً فإذا أمير المؤمنين [عليه السلام] يقرأ: ﴿أفحسبتم أنّنا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [١١٥/ المؤمنون: ٢٣] قال: فلمّا نظر إليّ قال: يا أبا الدنيا ما وراءك؟ قلت: هذا كتاب عثمان فقرأه فإذا فيه:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلاّ فأدركني ولما أمزق فلمّا قرأه قال: سرسر. فدخلنا المدينة ساعة قتل عثمان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إلى حديقة بنى النّجار، وعلم الناس بمكانه فجاءوا إليه

ركضاً وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحة، فلما نظروا إليه أرفضوا من طلحة أرفضاض الغنم يشدّ عليها السبع. فبايعه طلحة والزبير فتابع المهاجرون الأنصار يبايعونه، فأقمت معه أخدمه.

وحضرت معه صفين - أو قال: النهروان - فكنت عن يمينه إذ سقط السوط من يده، فانكبت لآخذه وأرفعه إليه، وكان لجام دابته حديداً مدججاً فشجني هذه الشجة فدعاني أمير المؤمنين عليه السلام فتفل فيها وأخذ حفنة من تراب فتركها عليها، فوالله ما وجدت الماء ولا وجعاً، ثم أقمت معه حتى قتل عليه السلام.

وصحبت الحسن [بن عليّ عليه السلام] حتى ضرب بالسباط وحمل إلى المدائن، ولم أزل معه بالمدينة حتى مات مسموماً، سمته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي (لعنة الله عليهما).

ثم خرجت مع الحسين عليه السلام بكر بلاء، وقتل عليه السلام فهربت بديني، وأنا مقيم بالمغرب أنتظر خروج المهدي، وظهور عيسى بن مريم عليهما السلام.

قال الشريف أبو محمد حسن بن محمد الحسيني: وما رأيت من هذا الشيخ علي بن عثمان، وهو إذ ذاك في دار عمّي طاهر بن يحيى ويحدث أحاديثه، وبدء خروجه إذ نظرت إلى عنفقه فرأيتها قد أحمرت ثم ابيضّت، فجعلت أنظر إلى ذلك لأنه لم يكن في لحيته ولا رأسه ولا عنفقه بياض، فنظر إليّ [وأنا] أنظر إليه فقال: ما ترون؟ إن هذا يصيبني إذا جعت فإذا شبع رجعت إلى سوادها، فدعا عمّي بطعام فأخرج من داره ثلاث موائد فوضعت بين يديه، وكنت أنا ممن جلس معه عليها وجلس عمي معه، فكان يأكل ويلقمه فأكل أكل شاب وعمّي يحلف عليه، وأنا أنظر إلى عنفقه تسودّ حتى عادت إلى سوادها وشبع.

١١٢٠ - ١١٣٤. ثم قال [الكراجكي]: وحَدَّثني القاضي أسد بن إبراهيم السلمي والحسين بن محمد الصيرفي، جميعاً عن محمد بن محمد المعروف بالمفيد عن علي بن عثمان المعروف بأبي الدنيا الأشجَّ المعمر قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول: كلمة الحق ضالة المؤمن، حيث رَجدها فهو أحقَّ بها.

وهذا الإسناد قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول: أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: طوبى لمن رآني أو رأى من رآني أو رأى من رأى من رآني.

وبالإسناد إلى أمير المؤمنين قال: عهد إلي النبي الأمي أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

وبالإسناد قال: قال علي [عليه السلام]: في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة.

فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء.

وأما اللواتي في الآخرة ففضب الرب عز وجل، وسوء الحساب، والدخول في النار.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وبالإسناد قال: قال عليه السلام: لما نزلت ﴿وتعيها أذن واعية﴾ [١٢/الحاقة: ٦٩] قال النبي صَلَّى الله عليه وآله: سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك

يا علي^(١).

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا قبوركم مساجد، ولا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ حيث كنتم فإنّ صلاتكم تبلغني وتسليمكم يبلغني.

وبالإسناد عن عليّ عليه السلام قال ما رمدت ولا صدعت منذ يوم دفع إلي رسول الله صلى الله عليه وآله الراية يوم خيبر.

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من جلس في مجلسه ينتظر الصلاة فهو في صلاة، وصلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم أغفر له اللهم أرحمه.

وبالإسناد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحجبه ولا يحجزه عن قراءة القرآن إلّا الجنابة.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحرب خدعة.

وبالإسناد قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وآله في الدين قبل الوصية، وأنتم تقرؤون ﴿من بعد وصية يوصون بها أو دين﴾ [١٢/ النساء: ٤].

وإنّ أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه.

قال أبو بكر المعروف بالمفيد: رأيت أثر الشجّة في وجهه [حينما لقيناه] وقال: أخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بحديثي وقصتي في سفري وموت أبي

(١) وللحديث أسانيد ومصادر كثيرة جداً وقد رواه بهذا السند أبو نعيم الإصبهاني كما في الباب:

(٤٠) من السمط الأوّل من كتاب فرائد السمطين: ج ١، ص ١٩٨.

ورواه أيضاً الحافظ الحسكاني بما يشترك مع هذا السند وبأسانيد أخر كثيرة في تفسير الآية:

(١٢) من سورة الحاقة من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٧١ ط ١.

وعمي والعين التي شربتها منها وحدي فقال: هذه عين لم يشرب منها أحد إلا عمراً طويلاً، فأبشر، ما كنت لتجدها بعد شربك منها.

قال أبو بكر: وسألت عن الأشجّ أقواماً من أهل بلده فقالوا: هو مشهور عندنا بطول العمر، يحدثنا بذلك عن آبائهم عن أجدادهم.

فأمّا الأحاديث التي رواها عن الأشجّ أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني مما لم يروه أبو بكر محمد بن أحمد الجرجرائي فهي:

قال الشريف أبو محمد: حدّثني علي بن عثمان المعروف بالأشجّ [قال: حدّثني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني ومن أبغضهم فقد أبغضني.

قال: وحدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وأنت يا عليّ أبوا هذا الخلق، فمن عقّنا فعليه لعنة الله، أمّن يا عليّ: فقلت: آمين يا رسول الله.

وقال: يا علي أنا وأنت أجيرا هذا الخلق، فمن منعنا أجرنا فعليه لعنة الله، أمّن يا علي. [قلت: آمين يا رسول الله].

[وقال: يا علي أنا وأنت موليا هذا الخلق، فمن جحدنا ولأئنا وأنكرنا حقّنا فعليه لعنة الله، أمّن يا عليّ. فقلت: آمين يا رسول الله.

بيان :

قوله: «مدججاً»: أي دخل بعضه في بعض. وفي بعض النسخ: «مزججاً». يقال: أزججت الرمح: أي جعلت له زجاً. وزجّجت المرأة حاجبيها: دقّته وطوّلته.

قوله [صلى الله عليه وآله]: «لا تتخذوا قبوري عيداً»: أي عادة بكثرة الزيارة أو مجمعاً للأمور. وفي سائر الروايات: «مسجداً» وهو الظاهر.

١١٣٥-١١٥٦ - وقال ابن أبي الحديد: ففي شرح النهج: روى جعفر بن سليمان عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لعل عليه السلام ما يلقي بعده من ألعت فأطال، فقال له علي عليه السلام: أنشدك الله والرحم يا رسول الله لما دعوت الله أن يقبضني إليه قبلك! فقال: كيف أسأله في أجل مؤجل. قال: يا رسول الله! فعلام أقاتل من أمرتني بقتاله؟ قال: على الحدث في الدين.

وروى الأعمش عن عمار الدهني عن أبي صالح الحنفي عن علي عليه السلام قال: قال لنا يوماً: لقد رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فشكوت إليه ما لقيت حتى بكيت، فقال لي: أنظر. [فنظرت] فإذا جلاميد، وإذا رجلان مصفدان - قال الأعمش: هما معاوية وعمرو بن العاص - قال: فجعلت أرضخ رؤسهما ثم تعود، ثم أرضخ رؤسهما ثم تعود حتى انتهت^(١).

وروى قيس بن الربيع عن يحيى بن هانئ المرادي عن رجل من قومه يقال له: زياد بن فلان قال: كنا في بيت مع علي عليه السلام ونحن شيعته وخواصه، فالتفت [علي] فلم ينكر منا أحداً فقال:

إن هؤلاء سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم. فقال رجل منا: وأنت حي يا أمير المؤمنين! قال: أعاذني الله من ذلك. فالتفت فإذا واحد يبكي فقال له: يا ابن الحمقاء أتريد باللذات في الدنيا الدرجات في الآخرة؟ إنما وعد الله الصابرين.

١١٣٥- رواه وما بعده ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٥٦) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٨١٤ ط الحديث ببيروت.

(١) ثم قال ابن أبي الحديد: وروى نحو هذا الحديث عمرو بن مرة، عن أبي عبد الله بن سلمة عن علي عليه السلام قال: رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوت إليه فقال: هذه جهنم فانظر فيها [قال: فنظرت] فإذا معاوية وعمرو بن العاص معلقين بأرجلها منكسين ترضخ رؤوسهما بالحجارة - أو قال: تشدخ -.

وروى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت أجمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلمهم الفقه والقرآن. وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوماً فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر - قال ولم يسمه محمد بن علي - فرجع عوده على بدئه حتى صعد المنبر، وأمر فنودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إنّه ليس شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه.

ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ.

ألا وإنّه من أنصف من نفسه، لم يزد الله إلا عزّاً.

ألا وإنّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعرّز في معصيته.

ثم قال: أين المتكلّم آنفاً. فلم يستطع الإنكار فقال: هاأنا ذا يا أمير المؤمنين. فقال: أما إنني لو أشاء لقلت. فقال: أوتعفو وتصفح فأنت أهل ذلك. فقال: عفوت وصفححت.

ف قيل لمحمد بن علي عليه السلام: ما أراد أن يقول؟. قال: أراد أن ينسبه.

وروى زرارة أيضاً قال: قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إن قوماً هائناً ينتقصون علياً عليه السلام. فقال: بم ينتقصونه لا أبأ لهم؟! وهل فيه موضع نقیصة؟ والله ما عرض لعلي عليه السلام أمران قطّ كلاهما لله طاعة إلاّ عمل بأشدّها وأشقّها عليه!

ولقد كان يعمل العمل كأنّه قائم بين الجنة والنار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، وينظر إلى عقاب هؤلاء فينتهي له، وإن كان ليقوم إلى الصلاة فإذا

قال ﴿وَجَّهَتْ وَجْهِي﴾ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ حَتَّى [كَانَ] يَعْرِفُ ذَلِكَ فِي لَوْنِهِ.

ولقد أعتق ألف عبد من كَدِّ يده، يعرق فيه جبينه ويحفى فيه كَفَّهُ. ولقد بَشَّرَ بعين نبعت في ماله مثل عنق الجزور فقال: بَشَّرَ الوارث، ثُمَّ جعلها صدقة على الفقراء والمساكين وأَبَنَ السبيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليصرف الله النار عن وجهه.

وروى القنَاد عن أبي مريم الأنصاري عن علي عليه السلام قال: لا يَحْبِنِي كافر ولا ولد زنا.

قال: وروى أبو غَسَّان النهدي قال: دخل قوم من الشيعة على علي في الرَّحْبَةِ وهو على حصير خلق فقال [لهم]: ما جاء بكم؟ قالوا: حَبَّكَ يا أمير المؤمنين. قال: أما إِنَّهُ من أَحَبَّنِي رَأَيْتِي حيث يَحِبُّ أن يراني، ومن أَبْغَضَنِي رَأَيْتِي حيث يكره أن يراني.

ثُمَّ قال: ما عبد الله أحد قبلي إِلَّا نَبِيَّه، ولقد هجم أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان فقال: أو فعلتموها؟ ثُمَّ قال لي: وأنا غلام: ويحك، أنصر ابن عمك، ويحك لا تحذله. وجعل يَحْتَنِي على موازرتة ومكانفته.

وروى جابر الجعفي عن علي عليه السلام قال: من أَحَبَّنَا أهل البيت فليستعدَّ عِدَّةً للبلَاء.

وروى أبو الأحوص عن أبي حَيَّان عن علي عليه السلام [أَنَّهُ] قال: يهلك فيَّ رجلان: محبَّ غَال، ومبغض قال.

وروى حماد بن صالح، عن أيوب عن أبي كهمس عن علي عليه السلام قال:

يهلك فيَّ ثلاثة: اللَّاعِن، والمستمع المقرِّ، وحامل الوزر، وهو الملك المترف الذي يتقرَّب إليه بلعني، ويبرأ عنه من ديني، وينتقص عنه حسبي، وإنَّا

حسبي حسب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وديني دينه.

وينجو في ثلاثة: من أحبني، ومن أحب محبي، ومن عادى عدوي.

فمن أشرب قلبه بغضي، أو ألب عليّ، أو تنقّصني، فليعلم أنّ الله عدوه وجبرئيل، وأنّ الله عدوّ للكافرين.

وروى أبو صادق عن ربيعة بن ناجد عن عليّ عليه السلام قال:

قال لي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: إنّ فيك لشبهاً من عيسى بن مريم، أحبّته النصارى حتّى أنزلته بالمنزلة التي ليست له، وأبغضته اليهود حتّى بهت أمّه^(١).

قال [ابن أبي الحديد]: وروى شيخنا أبو القاسم البلخي عن سلمة بن كهيل عن المسيّب بن نجبة قال بينا عليّ عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي فصاح: وامظلمتاه! فاستدناه علي عليه السلام فلمّا دنا [منه] قال [له]: إنّنا لك مظلمة واحدة، وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر!

قال: وفي رواية عبّاد بن يعقوب أنّه دعاه فقال له: ويحك وأنا والله مظلوم، هات فلندع على من ظلمنا.

وروى سدير الصيرفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: اشتكى علي شكايّة فعاده أبو بكر وعمر، وخرجا من عنده فأتيا النبيّ صَلَّى

(١) وللحديث أسانيد ومصادر كثيرة جداً، فقد رواه النسائي في الحديث: (١٠٣) من كتاب خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٩٦، ط بيروت.

ورواه الحاكم الحسكاني بأسانيد في الحديث: (٨٦٠) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٩، ط ١.

ورواه أيضاً بطرق كثيرة الحافظ ابن عساكر في الحديث: (٧٤٧) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٢٣٤ ط ٢.

وقد أوردت الحديث عن مصادر كثيرة في تعليق المصادر المتقدمة فراجعها.

اللَّهُ عليه وآله فسألها من أين جئتما؟ قالا: عدنا علياً. قال: كيف رايتماه؟ قالا: رأيناه لما به. فقال: كلاً إنه لن يموت حتى يوسع غدراً وبغياً، وليكونن في هذه الأمة عبرةً يعتبر به الناس من بعدي.

وروى عثمان بن سعيد عن عبدالله الغنوي، أن علياً عليه السلام خطب بالرحبة فقال:

أيها الناس إنكم قد أبيتم إلا أن أقولها: فربّ الساء والأرض إن من عهد النبي الأمي [إليّ] «أن الأمة ستغدر بك بعدي».

وروى هشيم بن بشير عن إبراهيم بن سالم مثله.

وروى أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه^(١).

وروى أبو جعفر الإسكافي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فوجد علياً نائماً فذهبت تنبّه فقال: دعيه فربّ سهر له بعدي طويل، وربّ جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة. فبكت [فاطمة] فقال لا تبكي فإنكما معي وفي موقف الكرامة عندي.

وروى الناس كافة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: هذا وليي وأنا وليّه، عاديت من عاداه وسالمت من سالمه، أو نحو هذا اللفظ.

وروى محمد بن عبدالله بن أبي رافع عن زيد بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لعلي عليه السلام: عدوك عدوي، وعدوي عدو الله عز وجلّ.

وروى يونس بن خباب عن أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقة فقال علي: يا

(١) ولذيل هذا الحديث أيضاً أسانيد ومصادر، وقد رواه الشيخ الطوسي في الحديث: (٨ و ٩) من الجزء (١٧) من أماليه ص ٤٨٨.

رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة! فقال: إن حديقتك في الجنة أحسن منها. حتى مررنا بسبع حدائق يقول علي عليه السلام ما قاله، ويحبيه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقفنا [حوله]، ووضع رأسه على رأس علي عليه السلام وبكى. فقال: ما يبكيك يا رسول الله قال: ضغائن في صدور قوم لا يريدونها لك حتى يفقدوني فقال: يا رسول الله أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟ قال: بل تصبر. قال: فإن صبرت؟ قال: تلاقي جهداً. قال أفي سلامة من ديني؟ قال: نعم قال: فإذا لا أبالي^(١).

وروى جابر الجعفي عن محمد بن علي عليه السلام قال: قال علي عليه السلام:

ما رأيت مذ بعث الله محمداً رضاءً، لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت الطامة الكبرى، والله المستعان على ما تصفون.

١١٥٧-١١٥٨- ومن كتاب الغارات قال:

روى محمد بن إسماعيل البجلي عن عمرو بن موسى عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: قال علي عليه السلام على المنبر:

ما أحد جرت عليه المواسي إلا وقد أنزل الله فيه قرآناً. فقام إليه رجل

(١) ولهذا الحديث أيضاً أسانيد ومصادر كثيرة وقد رواه الحافظ ابن عساكر بأسانيد تحت الرقم: (٨٣٤) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٣٢١ ط ٢.
ورواه أيضاً الحموي في الباب: (٣٠) من السمط الأول من كتاب فرائد السمطين: ج ١، ص ١٥٢.

وقد رواه البحراني في الباب: (٦٥) من المقصد من كتاب غاية المرام ص ٥٧٣، وقد رواه أيضاً آية الله المرعشي عن مصادر في إحقاق الحق: ج ٦ ص ١٨١.

من مبغضيه فقال له: فما أنزل الله تعالى فيك؟ فقام الناس إليه يضربونه فقال: دعوه، أقرأ سورة هود؟ قال: نعم. فقرأ علي عليه السلام: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ [١٧/ هود: ١١] ثم قال: «الذي كان على بينة من ربه» محمد صلى الله عليه وآله، الشاهد الذي يتلوه أنا^(١).

وروى عثمان بن سعيد عن عبدالله بن بكير عن حكيم بن جبير قال: خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته:

أنا عبدالله وأخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدي إلا كذاب. ورثت نبي الرحمة، ونكحت سيّدة نساء هذه الأمّة، وأنا خاتم الوصيّين.

فقال رجل من عبس: من لا يحسن أن يقول مثل هذا!!! فلم يرجع إلى أهله حتّى جنّ وصرع. فسألوه هل رأيتم به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: وما رأينا به قبل هذا عرضاً^(٢).

وروى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبدالله قال: لما بلغ علياً عليه السلام النّاس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النّبيّ صلى الله عليه وآله [إياه] وتفضيله على النّاس قال:

(١) وهذا رواه أيضاً عن الغارات ابن أبي الحديد في آخر شرحه على المختار: (٧٠) من نهج البلاغة: ج ٢ ص ٣٥٤ الطبعة الحديثة ببيروت.

وللحديث - عدا بعض خصوصياته - أسانيد ومصادر يجد الباحث أكثرها في تفسير الآية الكريمة في الحديث: (٣٧٢) وما بعده من كتاب شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٧٥ ط ١.

(٢) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في أوائل شرحه على المختار: (٣٦) من نهج البلاغة ج ١، ص ٤٧٣ ط الحديثة ببيروت.

وقريباً منه رواه النسائي في الحديث (٦٧) من كتاب خصائص أمير المؤمنين ص ١٣٥، وقد رواه أيضاً الشيخ المفيد في آخر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإرشاد، ص ١٨٥، ط النجف. وليلاحظ عنوان: «من غير الله ما لهم» من مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٦٦، ط النجف.

أنشد الله من بقي ممن لقي رسول الله صلى الله عليه وآله، وسمع مقالته في يوم غدِير خَمٍّ إلّا قام فشهد بها سمع.

فقام ستة ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله [وشهدوا] أنهم سمعوه يقول ذلك اليوم - وهو رافع بيد علي -: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه.

١١٥٩- نهج: [و] قال أمير المؤمنين عليه السلام:

نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي.

بان :

النمرقة: وسادة صغيرة، وربما سمّوا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة.

قال ابن أبي الحديد: والمعنى إن آل محمد صلى الله عليه وآله هم الأمر الأوسط بين الطرفين المذمومين، فكل من جاوزهم فالواجب أن [يرجع إليهم، وكل من قصر عنهم فالواجب أن] يلحق بهم.

واستعار لفظ النمرقة لهذا المعنى من قولهم: ركب فلان من الأمر منكراً، وقد ارتكب الرأي الفلاني، فكأن ما يراه الإنسان مذهباً يرجع إليه، يكون كالراكب والجالس عليه.

ويجوز أن يكون لفظ «الوسطى» يراد به الفضلى، يقال: هذه هي الطريقة الوسطى، والخليفة الوسطى: أي الفضلى، ومنه قوله تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾ [٢٨/ القلم]: ومنه: ﴿جعلناكم أمةً وسطاً﴾ [١٤٣/ البقرة: ٢].

وقال ابن ميثم: وجه الاستعارة، أنَّ أئمة الحقّ مستند للخلق في تدبير معاشهم ومعادهم. انتهى.

ويمكن أن يقال: لما كان الصدر في النهارق المصفوفة هي الوسطى، فلذا وصفها بها.

١١٦٠-١١٦١- نهج: [و] قال علي عليه السلام:

ما شككت في الحقّ مذ أريته.

وقال عليه السلام: ما كَذِبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ولا ضللت ولا ضُلَّ بي.

١١٦٢- نهج: [و] قال علي عليه السلام:

لا يعاب المرء بتأخير حقّه، إنّما يعاب من أخذ ما ليس له.

بيان :

قال ابن أبي الحديد: لعلّ هذه الكلمة قالها في جواب سائل سأله: لم أخرت المطالبة لحقك من الإمامة؟ فقال عليه السلام: لا يعاب المرء بتأخير استيفاء حقّه. ولما كان حقّ الإمامة غير مختصّ به؛ لأنّ مصالح المسلمين كانت منوطة بها فلا بدّ من إضمار في الكلام: أي إذا كان هناك مانع من طلبه، انتهى.

ويمكن حمله على الحقوق الخالصة كالإنتقام ونحوه واسترداد فذك ومثله.

١١٦٣- نهج: [و] سئل عليه السلام عن قريش فقال:

١١٦٠-١١٦١- رواه مع التالي السيّد الرضّي في المختار: (١٨٤ - ١٨٥) من باب قصار كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة.

١١٦٢- رواه الشّريف الرضي في المختار: (١٦٦) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١١٦٣- رواه السيّد الرضي رحمه الله في المختار: (١٢٠) من الباب الثالث من نهج البلاغة.

أما بنو مخزوم فريحانة قريش، تحبّ حديث رجالهم والنكاح في نسائهم،
وأما بنو عبد شمس فأبعدها رأياً وأمنعها لما وراء ظهورها، وأما نحن فأبذل لما
في أيدينا، وأسمح عند الموت بنفوسنا، وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح
وأنصح وأصبح.

بيان :

قال ابن ميثم: فلان بعيد الرأي، إذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوة
رأيه. و [قوله عليه السلام:] و «أمنعها لما وراء ظهورها» كناية عن حميتهم.

و [قال ابن الأثير] في النهاية: النكر - بالضم -: الدهاء والأمر المنكر.
[قوله عليه السلام:] «وأصبح»: أي أحسن وجوهاً وأجمل، وألقى للناس
بالطلاقة والبشر.

١١٦٤- نهج: [و] قال عليه السلام - وقد رُئي عليه إزار خلق مرفوع
فقيل له في ذلك فقال:

يخشع له القلب، وتذلّ به النفس، وتذلّ به النفس ويقتدي به المؤمنون.

١١٦٥- [نهج:] ومدحه قوم في وجهه فقال:

اللّهم إنّك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللّهمّ أجعلنا
خيراً مما يظنون، وأغفر لنا ما لا يعلمون.

١١٦٦- وقال [عليه السلام] لرجل أفرط في الثناء عليه - وكان له

١١٦٤- رواه مع التالين - الشريف الرضي رحمه الله في المختار: (٨٣ و ١٠٠ و ١٠٣) من باب
قصار كلام أمير المؤمنين ونهج البلاغة.

١١٦٥- رواه - مع ذيله - السيّد الرضي رحمه الله في المختار: (٤٦٩) من الباب الثالث من نهج
البلاغة.

١١٦٦- رواه الشريف الرضي رفع الله مقامه في المختار: (٤٥) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه

متَّهماً :-

أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

١١٦٧- وقال عليه السلام: يهلك فيّ رجلان: محبّ مطر، وباهت مفتر.

[قال السيّد الرضي رحمه الله:] وهذا مثل قوله عليه السلام: يهلك فيّ أثنان: محبّ غالٍ، ومبغض قالٍ.

١١٦٨- نهج: وقال عليه السلام:

لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صبيت الدنيا بجماّتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني، وذلك إنّه قضى فانقضى على لسان النبيّ الأمّيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق.

بيان :

الخيشوم: أقصى الأنف. والجمّة: المكان الذي يجتمع فيه الماء.

١١٦٩- دعوات الرّاوندي: عن ربيعة بن كعب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالتزموا عليّ أبن أبي طالب عليه السلام.

ومنه في كلام أبي جعفر عليه السلام وقد سأله حمران عمّا أصيب به أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم

السلام في نهج البلاغة.

وقريباً منه رواه الشيخ الطوسي مسنداً في الحديث: (٣) من الجزء (٨) من أماليه ص

٢٩.

١١٦٩- غير موجودة في النسخة المطبوعة من الدعوات، وقد جعلها المحقّق من المستدركات على النسخة أخذاً من البحار.

حتى قتلوا وغلبوا؟ وقال عليه السلام: ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله وإظهار الطواغيت عليهم سألو الله دفع ذلك عنهم لدفع [الله ذلك عنهم] ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد وما كان الذي أصابهم يا حمران لذنوب اقترفوه ولا لعقوبة من معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة أراد [الله] أن يبلغهم إيّاها فلا يذهب بك المذاهب فيهم.

ومنه قال: لما نزل أمير المؤمنين الثهروان سأل عن جميل بن بصير كاتب [أ] نوشيروان فقيل: إنه بعد حيّ يرزق فأمر بإحضاره فلما حضر وجد حواسه كلّها سالمة إلّا البصر، و [وجد] ذهنه صافياً وقريحته تامة فسأله كيف ينبغي للإنسان يا جميل أن يكون! قال: يجب أن يكون قليل الصديق كثير العدو. قال: أبدعت يا جميل فقد أجمع الناس على أن كثرة الأصدقاء أولى. فقال ليس الأمر على ما ظنّوا فإنّ الأصدقاء إذا كلّفوا السعي في حاجة الإنسان لم ينهضوا بها كما يجب وينبغي والمثل فيه [هو قولهم] «من كثرة الملاحين غرقت السفينة» فقال أمير المؤمنين: قد امتحنت هذا فوجدته صواباً فما منفعة كثرة الأعداء! فقال: إنّ الأعداء إذا كثروا يكون الإنسان أبداً متحرّزاً متحفّظاً أن ينطق بما يؤخذ عليه أو تبدر منه زلة يؤخذ عليها فيكون أبداً على هذه الحالة سليماً من الخطايا والزلل. فاستحسن ذلك [منه] أمير المؤمنين عليه السلام.

١١٧٠- نهج: [و] سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أشعر الشعراء! فقال: إنّ القوم لم يجرؤوا في حلبة تعرف الغاية عن قصبتها؟ فإن كان ولا بدّ فالملك الضليل.

قال السيّد [الرّضّي]: رحمه الله: يريد [عليه السلام] من قوله: «الملك

الضليل» [امرء القيس].

١١٧١- أقول: قال ابن أبي الحديد: [قرأت] في أمالي ابن دريد قال: أخبرني الجرهمزي عن ابن المهلب عن ابن الكلبي عن شداد بن إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبري^(١) عن ابن عرادة قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعشي الناس في شهر رمضان اللحم ولا يتعشى معهم فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم فلما فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته: اعلموا أن ملاك أمركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الأدب وحصون أعراضكم الحلم.

ثم قال: قل يا أبا الأسود فيما كنتم تفيضون فيه أي الشعراء أشعر! فقال: يا أمير المؤمنين [أشعر الشعراء] الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافع ركني أعوجي ذو ميعة إضريح
مخلط مزبل معن مفن منفع مطرح سبوح خروج
يعني أبا دؤاد الأيادي. فقال عليه السلام: ليس به. قالوا: فمن يا أمير المؤمنين! فقال: لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منهم ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين! قال: هو الملك الضليل ذو القروح. قيل: امرء القيس يا أمير المؤمنين! قال: هو.

قيل: فأخبرنا عن ليلة القدر! قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فاستر علمها ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظراً لكم لأنه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتهم غيرها وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله. [ثم قال:] وقال ابن دريد لما فرغ من الخبر: إضريح: ينبثق في عدوه.

١١٧١- رواه ابن أبي في شرح المختار: (٤٦١) من نهج البلاغة من شرحه: ج ٥ ص ٨٣٨ ط الحديث ببيروت، وفي ط مصر، ج ٢٠ ص ١٥٣.

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد، وفي أصلي من ط الكمباني: «الضهري».

وقيل: واسع الصدر. ومنفح: يُخرج الصيد من مواضعه. ومطرح: يطرح ببصره. وخروج سابق. [والغاية: - بالغين المعجمة -: الراية] والميعة: أول جري الفرس. [وقيل: الجري بعد الجري] انتهى.

أقول: الحلبة - بالفتح -: الخيل تجمع للسباق من كل أوب ولا تخرج من وجه واحد. وقصة السبق هي التي تنصب ليحرزها السابق من القوم في الرهان. والضليل - كقنديل -: مبالغ في الضلال. ولعلّ المعنى أنهم لم ينشدوا في أمر واحد وزمان واحد حتى يعرف أيهما أسبق وأكمل.

أو أن الشعر ليس مقصوراً على فنّ واحد ولا لطائفة [ولا] منحصرة في نوع حتى يكون للفضيل حدّ معين.

١١٧٢- نهج: وقال عليه السلام: أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار.

قال السيّد رحمه الله: ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما يتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها.

١١٧٣- نهج: [و] قيل له عليه السلام: بأيّ شيء غلبت الأقران! فقال: ما لقيت أحداً إلا أعاني على نفسه.

قال السيّد [الرضي]: رحمه الله: يومئ عليه السلام إلى تمكّن هيئته في القلوب.

١١٧٢- رواه السيّد الرضيّ في المختار: (٣١٦) من الباب الثالث من نهج البلاغة. ورواه السيوطي - مع حديثين آخرين في معناه - في الحديث: من مسند علي من جمع الجوامع ص ٣١.

وقريباً منه رواه شيخ الطائفة مسنداً في الحديث: (٧٣) من الجزء (١٢) من أماليه ج ١، ص ٣٦٣ ط بيروت.

١١٧٣- رواه السيّد الرضيّ رحمه الله في المختار: (٣١٨) من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

١١٧٤- [نهج:] وقال عليه السلام لابنه محمد: يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعد بالله منه فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت.

١١٧٥- كتاب الغارات لابراهيم الثقفي: بإسناده عن الضحّاك بن مزاحم عن عليّ عليه السلام قال:

كان خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحبس شيئاً لغد، وكان أبو بكر يفعل [كذلك]، وقد رأى عمر في ذلك أن دوّن الدواوين، وأخر المال إلى السنة.

وأما أنا، فأصنع كما صنع خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: وكان عليّ عليه السلام يعطيهم من الجمعة إلى الجمعة، وكان [عندما يعطيهم] يقول:.

هذا جنائي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه
وبأسانيد عن مجمع التّيمي: أنّ عليّاً عليه السلام كان ينزح بيت المال

١١٧٤- رواه الشريف الرضي في المختار: (٣١٩) من قصار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

١١٧٥- رواه مع ما بعده الثقفي رحمه الله في الحديث: (٢٠) وما بعده من كتاب الغارات. وأكثر هذه الأحاديث رواها أحمد بن حنبل في الحديث الأوّل وما يليه من باب فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل ص ٥ - ٣٣.

ورواها أيضاً البلاذري في الحديث: (١٠٠) وما يليه من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٢٨ - ١٤٢، ط ١.
ورواها أيضاً ابن عساكر في الحديث: (١٢٣٠) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٢٧ ط ٢.

وقد ذكر في تعليق كلّ واحد من الكتب الثلاثة مصادر آخر للأحاديث المذكورة فراجع.
ورواها أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٤ ط الحديثة ببروت.

ثمَّ ينتفلّ فيه، ويقول: أشهد لي يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين.

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال: أتى علياً عليه السلام مال من إصبهان فقسّمه، فوجد فيه رغيّفاً، فكسره سبع كسر، ثمَّ جعل على كلّ جزء منه كسرةً ثمَّ دعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم أيّهم يعطيه أولاً. وكانت [قبائل] الكوفة يومئذٍ أسباعاً^(١)

وعن عبدالرحمان بن عجلان، عن حدّثه قال: كان عليّ عليه السلام يقسم فينا الأبرار، يصرّه صرّاً: الحرف والكمون وكذا وكذا^(٢)

وعن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه: أنّ دهقاناً بعث إلى عليّ عليه السلام بثوب ديباج منسوج بالذهب، فابتاعه منه عمرو بن حريث بأربعة آلاف درهم إلى العطاء.

وعن يزيد بن محجن التميمي^(٣) قال: أخرج عليّ عليه السلام سيفاً له

(١) وهذا رواه ابن عساكر في الحديث: (١٢٣٠) من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٢٧ ط ٢.

وقريباً منه رواه أحمد بن حنبل في الحديث: (٣٦) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل ص ٢٦ ط ١.

ورواه أيضاً أبو عمر بن عبد البر في ترجمة أمير المؤمنين من كتاب الاستيعاب ص ١١١٣.

(٢) وهذا رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٤ ط الحديث بيروت.

(٣) ترجم له ابن سعد في الطبقات ج ٦ ص ١٦٥، وروى بسنده عنه الحديث التالي. وهذا الحديث مع التالي رواه عبدالله بن أحمد بسنده عن يزيد بن محجن في كتاب الزهد، ص ١٣١، ورواه أيضاً في الحديث: (٢٠ و ٤٨) من فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل ص ١٧ و ٣١ ط ١.

ورواهما أيضاً بسنده عن أبي رجاء يزيد بن محجن أبو نعيم في عنوان: «زهده وتعبّده [أي عليّ عليه السلام]» من ترجمته من حلية الأولياء: ج ١، ص ٨٣.

فقال:

من يشتري سيفي هذا مني؟ فوالذي نفسي بيده لو أن معي ثمن إزار لما بعته.

وعن أبي رجاء: أن علياً عليه السلام أخرج سيفاً له إلى السوق فقال:
من يشتري مني هذا؟ فلو كان معي ثمن إزار لما بعته.

قال أبو رجاء: فقلت له: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك إزاراً وأنسك ثمنه إلى عطائك، فبعته إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه أعطاني حقي.

وعن أبي إسحاق الهمداني: أن امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة، إحداها من العرب، والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكرأ من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إنني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم!

فقال عليه السلام: والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً عن بني إسحاق^(١).

وعن يوسف بن كليب عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، عن معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد قال: ما أعتلج على علي عليه السلام أمران

ورواهما أيضاً ابن عساكر في الحديث: (١٢٥٠) وتاليه من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٣٧ ط ٢.

والحديث الثاني رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٥ ط الحديث بيروت.

(١) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٥ ط الحديث بيروت.

ورواه البلاذري بسياق أحسن في الحديث: (١٣٦) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٤١، ط ١.

قَطَّ إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا، وَمَا زَالَ عِنْدَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا عَمَلْتَ يَدُهُ، يُؤْتِي بِهِ [إِلَيْهِ] مِنَ الْمَدِينَةِ، وَإِنْ كَانَ لِيَأْخُذَ السُّوَيْقَ فَيَجْعَلُهُ فِي الْجِرَابِ ثُمَّ يَخْتَمُ عَلَيْهِ، مَخَافَةَ أَنْ يَزَادَ فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ.

وَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١)؟!

وَعَنْ أَبِي سُوَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: أَمَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمَّالًا مِنْ عَمَّالِهِ فَصَنَعُوا لِلنَّاسِ طَعَامًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ صَنَعُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ جَفَنَةً.

وَعَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمِ الْبَجَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أُعْطِيَ عَلِيٌّ النَّاسَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَةَ أَعْطِيَةٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ خَرَّاجُ إِصْفَهَانَ فَقَالَ:
أَيُّهَا النَّاسُ! أَغْدُوا فَخُذُوا، فَوَإِلَّهِ مَا أَنَا لَكُمْ بِخَازِنٍ.

ثُمَّ أَمَرَ بَيْتَ الْمَالِ فَكُنْسَ وَنَضَحَ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: يَا دُنْيَا غَرِّيْ غَيْرِي.

ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِحِبَالٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْحِبَالُ؟ فَقِيلَ: جِيءَ بِهَا مِنْ أَرْضِ كَسْرَى. فَقَالَ: أَقْسَمُوهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. فَكَأَنَّهُمْ أَزْدَرَوْهَا فَنَقَضُوهَا بَعْضُهُمْ فَإِذَا هِيَ كَتَّانٌ يَعْمَلُ، فَتَأْسَفُوا [فَتَنَافَسُوا «خ ل»] فِيهَا فَبَلَغَ الْحَبْلُ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ دِرَاهِمًا^(٢).

(١) ورواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٦ ط بيروت.

(٢) وهذا رواه أيضاً عبد الله بن أحمد في الحديث: (٥) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل ص ٨ ط ١.

وقريباً منه رواه ابن عساكر في الحديث: (١٢٣٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٣ ص ٢٢٨ ط ٢.

وليلاحظ ما رواه أحمد في مسند أمير المؤمنين تحت الرقم: (٦٨٧ و ١١٣٥) من كتاب المسند:

وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عَمَّار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: فرض عليّ عليه السلام لمن قرأ القرآن ألفين ألفين قال: وكان أبي ممن قرأ القرآن.

وعن إبراهيم بن يحيى الثوري عن أبي إسحاق بن مهران عن سابق البر بري قال: رأيت علياً عليه السلام أسس مسجد الكوفة إلى قريب من طاق الزياتين قدر شبر شبر.

قال: ورأيت المخيس وهو [من] خصّ^(١) وكان الناس يفرجونهم ويخرجون منه فبناه عليّ عليه السلام بالخصّ والأجر قال: فسمعتة وهو يقول:

ألا تراني كَيْساً مَكَيْساً بنيت بعد نافع مخلصاً
وعن الحسين بن هاشم عن أبي عثمان الدوري عن أبي إسحاق السبيعي قال: كنت على عنق أبي يوم الجمعة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب وهو يتروّج بكمه فقلت: يا أبة أمير المؤمنين يجد الحرّ؟ فقال: لا يجد حرّاً ولا برداً، ولكنّه غسل قميصه وهو رطب ولا له غيره فهو يتروّج به^(٢).

وعن إبراهيم بن ميمون عن عليّ بن عابس عن أبي إسحاق قال: رفعني أبي فرأيت علياً عليه السلام، أبيض الرأس واللحية، عريض ما بين المنكبين^(٣).

ج ١.

وليراجع أيضاً الحديث: (٣٤٧) من فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل.

(١) كذا في الحديث: (٦٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١١٦، ط ١. وفي أصلي: المخلص، ومثله في البيت التالي.

(٢) وقریباً منه رواه أبو الفرج في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب مقاتل الطالبیین ص ٢٧.

(٣) وهذا هو الحديث: (٥٧) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل ص ٣٥ ط ١.

وقد رواه المحقق عن عبدالرزاق بسند آخر في كتاب المصنّف: ج ٣ ص ١٧٩.

وبإسناده عن عباد بن عبد الله قال: كان عليّ يخطب على منبر من آجر.
وعن عدي بن ثابت قال: أتى علي عليه السلام بفالودج فأبى أن يأكله^(١)

وعن صالح: أن جدته أتت علياً عليه السلام ومعه تمر يحمله، فسلمت [عليه] وقالت: أعطني هذا التمر أحمله. قال: أبو العيال أحقّ بحمله. قالت: وقال لي: ألا تأكلين منه؟ قلت: لا أريده. قالت: فانطلق به إلى منزله، ثم رجع وهو مرتد بتلك الملحفة. وفيها قشور التمر، فصلّى بالناس فيها الجمعة^(٢).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام بخبيص فأبى أن يأكله، قالوا: [أ] تحرّمه؟ قال: لا، ولكنني أخشى أن تتوق إليه نفسي، ثم تلا ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ [٢٠ / الأحقاف: ٤٦]^(٣).

وعن بعض أصحاب عليّ عليه السلام: أنه قيل له: كم تصدّق، ألا تمسك؟ قال:

وقريباً منه رواه البلاذري بأسانيد في الحديث: (٦٤) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١١٦، ط ١.
(١) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد ص ١٣١، وفي الحديث (١٧) من باب فضائل علي من كتاب الفضائل ص ١٥، ط ١.
ورواه أيضاً أبو نعيم في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب حلية الأولياء: ج ١، ص ٨١.

(٢) وقريباً منه رواه عبد الله بن أحمد في الحديث: (٣٩) من فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل ص ٢٧، ط ١.
(٣) وانظر الحديث (١٨) و (٣٣) من فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل ص ١٦، و ٢٤ و ترجمته عليه السلام من حلية الأولياء: ج ١، ص ٨١.
ورواه المفيد في الأمالي، المجلس السادس عشر عن صاحب الغارات عن أحمد بن شمر عن عبد الله بن ميمون المكي عن جعفر...

إي والله، لو أعلم أن الله قبل مني فرضاً واحداً لأمسكت، ولكني والله ما أدري أقبل الله مني شيئاً أم لا^(١).

وعن عبدالله بن الحسن قال: أعتق علي عليه السلام ألف أهل بيت بها مجلت فيه يداه وعرقت [فيه] جبينه^(٢).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: أعتق علي عليه السلام ألف مملوك مما عملت يداه، وإن كان عندكم إنها حلواه التمر واللبن وثيابه الكرايس.

وتزوج عليه السلام ليلي، فجعل له حجلة فهتكها وقال: أحب أهلي إلي ما هم فيه^(٣).

وعن قدامة بن عتاب قال: كان علي عليه السلام ضخم البطن، ضخم مشاشة المنكين، ضخم عضلة الذراع، دقيق مستدقها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقها.

ورأيته يخطبنا في يوم من أيام الشتاء، عليه قميص قهز، وإزار، فأثاء آت فقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك بني تميم قد ضربتها بكر بن وائل بالكناسة. فقال: ها! ثم أقبل في خطبته، ثم أقبل آخر فقال مثل ذلك. فقال: ها! ثم أثاء الثالث والرابع، ثم قال: أدرك بكر بن وائل قد ضربتها بنو تميم بالكناسة. فقال:

(١) لا ريب أن علياً عليه السلام كان قائد المخلصين لله في أعماهم، وكان أول عالم بالله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان هو المدار في الحقائق الدينية وقوانين الشريعة، وكان لا يعزب عن علمه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ومنه تعلم الناس الإخلاص والتقوى، فعليه لا يمكن تصديق هذا النمط من الأحاديث.

(٢) ورواه مع التالي ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١ ص ٤١٦ ط الحديث ببيروت.

(٣) وفي الغارات: حسب أهل علي ما هم فيه. وفي البحار: أحب أهلي على ما هم فيه.

الآن صدقتني عن بكرك، يا شداد! أدرك بكر بن وائل وبني تميم [فذهب] فأفرع بينهم^(١).

بيان :

قال [الفيروزآبادي] في القاموس: الجرف: يبيس الحماط [وهو الشجر والعشب]. وقال: الكمّون - كتّنور-: حبّ معروف. وقال: القهز- [بفتح القاف] ويكسر-: ثياب من صوف أحمر كالمرعزي وربما يخالطه الحرير. وقال: فرع بين القوم: حجز وكفّ وأصلح.

ثم قال الثقفى: [و] روى جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: أبتاع عليّ عليه السلام قميصاً سنيلانياً بأربعة دراهم، ثم دعا الخياط فمدّم القميص فقطع ما جاوز الأصابع^(٢).

وعن عبدالله بن أبي الهذيل قال: رأيت عليّاً وعليه قميص له إذا مدّه بلغ أطراف أصابعه، وإذا تقبض، تقبض حتى تكون إلى نصف ساعده^(٣).

وعن أبي الأشعث العنزي عن أبيه قال: رأيت عليّاً وقد اغتسل في الفرات يوم الجمعة، ثم أبتاع قميص كرايس بثلاثة دراهم، فصلّى بالناس فيه الجمعة وما حنط جرّبانه بعد^(٤).

(١) وقریباً منه رواه البلاذري في الحديث: (١٩٥) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٦٨، ط ١.

(٢) وهذا هو الحديث: (٥٦) من منتخب الغارات ص ٩٥ ط ١.

وليلاحظ عنوان: «لباس عليّ» من ترجمته عليه السلام من كتاب الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٩.

(٣) وهذا هو الحديث: (٥٧) من تلخيص كتاب الغارات ص ٩٦ ط ١.

وليراجع عنوان: «لباس عليّ» من الطبقات الكبرى: ج ٣...

ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا القرشي كما رواه بسنده عنه الخوارزمي في الفصل العاشر من مناقبه ص ٦٦.

(٤) وهذا هو الحديث: (٥٨) من كتاب تلخيص الغارات ص ٩٧.

وعن بكر بن عيسى قال: كان علي عليه السلام يقول:

يا أهل الكوفة! إذا أنا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلي وغلامي فأنا خائن.

وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة. من «ينبع»، وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل من الثريد بالزيت^(١) ويكللها بالتمر من العجوة، وكان ذلك طعامه.

وزعموا أنه كان يقسم ما في بيت المال، فلا يأتي الجمعة وفي بيت المال شيء، و [كان] يأمر ببيت المال في كلّ عشية خميس فينضح بالماء ثم يصلي فيه ركعتين.

وزعموا أنه كان يقول ويضع يده على بطنه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا تنطوي ثميلي على قلة من خيانة، ولأخرجنّ منها خميصاً.

بيان

قال [الفيروزآبادي] في القاموس: الثميلة - كسفينة -: البقية من الطعام والشراب في البطن. والثميلة: ما يكون فيه الطعام والشراب في الجوف.

و [قال ابن الأنير] في النهاية: في حديث الحجاج: «فسر إليها منطوي الثميلة» المعنى سر إليها مخففاً.

١١٧٦ - ١١٩٥ - كتاب الغارات بإسناده عن سعيد بن المسيّب أن رجلاً بالشام يقال له أبْن الخيبري، وجد مع امرأته رجلاً فقتله، فرُفِع ذلك إلى معاوية،

(١) إلى هنا رواه أبْن أبي الحديد في شرح المختار: (٣٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١٥ ط الحديث ببيروت.

وهذا هو الحديث: (٣٥) من كتاب الغارات - أو تلخيصه - ص ٦٨، وليلاحظ الحديث: (٤٥) منه ص ٨٥.

فكتب إلى بعض أصحاب علي عليه السلام يسأله [فسأله] فقال علي عليه السلام:

إن هذا شيء ما كان قبلنا. فأخبره أن معاوية كتب إليه. فقال عليه السلام: إن لم يجئ بأربعة شهداء يشهدون به أقيد به^(١).

وعن أبي حمزة قال: بينما علي ذات يوم إذ أقبل [إليه] رجل فقال: من أين أقبل الرجل؟ قال: من أهل العراق. قال: من أي العراق؟ قال: من البصرة. قال: أما إنها أول القرى خراباً، إما غرقاً وإما حرقاً، حتى يبقى بيت ماها ومسجدها كجؤجو سفينة، فأين منزلك منها؟ فقال الرجل: مكان كذا. قال: عليك بصواحبها عليك بصواحبها^(٢).

وعن شرحبيل عن علي عليه السلام قال:

كيف بكم وإمارة الصبيان من قريش؟ قوم يكونون في آخر الزمان، يتخذون المال دولة، ويقتلون الرجال. فقال الأوس بن حجر الثمالي: إذا نقاتلهم وكتاب الله. قال: كذبت وكتاب الله^(٣).

وعن الحسن بن بكر البجلي عن أبيه قال: كنا عند علي عليه السلام في الرحبة، فأقبل رهط فسلموا فلما رآهم علي عليه السلام أنكرهم فقال: أمن أهل الشام أنتم، أم من أهل الجزيرة؟ قالوا: بل من أهل الشام، مات أبونا وترك مالا كثيراً وترك أولاداً رجالاً ونساءً، وترك فينا خنثى له حياء كحياء المرأة،

(١) وهذا هو الحديث: (٩٤) من كتاب الغارات ص ١٩٠، ط، وقد أورده المصنف أيضاً نقلاً عن الغارات في هذا الكتاب في ج ٢٤ ص ٤٣.
ورواه أيضاً النوري رحمه الله في باب القصص من كتاب مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٥٩.

(٢) وهذا هو الحديث: (٩٥) من كتاب الغارات ص ١٩٠. وفيه: بصواحبها.

(٣) وهذا هو الحديث: (٩٦) من كتاب الغارات ص ١٩٠.

وذكر كذكر الرجل، فأراد الميراث كرجل فأبيناه عليه.

فقال عليه السلام: فأين كنتم عن معاوية؟ فقالوا: قد أتينا فلم يدر ما يقضي بيننا

فنظر علي عليه السلام يميناً وشمالاً وقال: لعن الله قوماً يرضون بقضائنا ويطعنون علينا في ديننا، أنطلقوا بصاحبه فانظروا إلى مسبل البول، فإن خرج من ذكره فله ميراث الرجل، وإن خرج من غير ذلك فورثوه مع النساء.

[قال: فبال من ذكره، فورثه كميراث الرجل منهم^(١).

وعن ابن عباس [عن علي عليه السلام] قال: أول هلاك أهل الأرض قريش وربيعه.

قالوا وكيف؟

قال: أما قريش فيهلكها الملك، وأما ربيعة فتهلكها الحمية^(٢)

وبحذف الإسناد قال: قال علي عليه السلام: أما والله ما قاتلت إلا مخافة أن ينزوف فيها تيس من بني أمية فيتلاعب بدين الله^(٣)

وعن زب بن حبيش قال: سمعت علياً عليه السلام يقول:

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد إلي النبي صلى الله عليه وآله، أنه لا يجبك إلا مؤمن، ولا ييفضك إلا منافق^(٤).

(١) وهذا هو الحديث: (٩٧) من كتاب الغارات ص ١٩٢.

(٢) وهذا هو الحديث: (٩٨) من كتاب الغارات ص ١٩٤.

(٣) وهذا هو الحديث: (٩٩) من كتاب الغارات ص ١٩٤.

ورواه البلاذري مسنداً في الحديث: (٣٧) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٠٣، ط ١.

(٤). وهذا مع تاليه هما الحديثان: (١٩٣ - ١٩٤) من كتاب الغارات ص ٥٢٠ ط ١.

وعن حبة العربي عن علي عليه السلام قال:

إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ كُلِّ مُؤْمِنٍ عَلَى حَبِّي، وَأَخَذَ مِيثَاقَ كُلِّ مُنَافِقٍ عَلَى بُغْضِي، فَلَوْ ضَرَبْتَ وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالسَّيْفِ مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتَ الدُّنْيَا عَلَى الْمُنَافِقِ مَا أَحْبَبَنِي!

وعن فرات بن أحمد قال: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خُطِبَ فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، أَنَا أَنْفُ الْهُدَى وَعَيْنَاهُ - وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ -.

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ [قَدْ] اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ، شَبَعَهَا قَصِيرٌ، وَجَوَعَهَا طَوِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، أَلَا وَإِنَّمَا عَقَرُ نَاقَةٍ ثَمُودَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَصَابَهُمُ الْعَذَابُ بِرِضَاهُمْ بِعَقْرِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [٢٩/ القمر: ٥٤] فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ وَسَقِيهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [١٤/ الشمس].

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! أَلَا فَمَنْ سَتَلَ عَنْ قَاتِلِي فَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَقَدْ قَتَلَنِي.
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ وَرَدَ الْمَاءَ.

والحديث الأول متواتر عنه عليه السلام وله أسانيد ومصادر كثيرة جداً، ويكفي للباحث الوقوف على الحديث: (١٠٠ - ١٠٤) وما علقنا عليه من كتاب خصائص أمير المؤمنين عليه السلام تأليف النسائي ص ١٨٧ - ١٩٦.

أو مراجعة الحديث: (٦٨٢ - ٧١٣) وما علقنا عليها من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١٩٠ - ٢١١ ط ٢.

وللحديث الثاني أيضاً أسانيد ومصادر وتقدم بعضها في الحديث: (١٠٠٤) ص ٧٣٨ ط الكمباني.

وصدره رواه الشيخ الطوسي بسند آخر في الحديث: (٦٨) من الجزء: (١١) من أماليه ص

يا معشر الناس ! ألا أخبركم بحاجبي الضلالة، تبدو مخازنها في آخر الزمان^(١)

وعن أبي عقيل عن علي عليه السلام قال: اختلفت النصارى على كذا وكذا، واختلفت اليهود على كذا وكذا، ولا أراكم آيتها الأئمة إلا ستختلفون كما اختلفوا، وتزيدون عليهم فرقة، ألا وإن الفرق كلها ضالة إلا أنا ومن تبغي^(٢).

وعن الحسن بن علي عن أبيه عليها السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يرد علي أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي هكذا - وقرن بين السبائتين - ليس بينهما فضل^(٣).

وعن أبي الجحّاف عن رجل - قد سمّاه - قال: دخلوا على علي عليه السلام وهو في الرحبة وهو على سرير قصير [فـ] قال: ما جاء بكم؟ قالوا: حبّك وحديثك يا أمير المؤمنين. قال: واللّه؟ قالوا: واللّه. قال: أما إنّه من أحبّني يراني حيث يحبّ أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يبغض أن يراني.

ثم قال: ما عبد الله أحد قبلي مع نبيّه، إنّ أبا طالب هجم عليّ وعلى النبي صلى الله عليه وآله وأنا وهو ساجدان ثم قال: أفعلمتموها؟ فأخذ يحثني

(١) وهذا هو الحديث: (٢٣٥) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٨٤ ط ١.

وقريباً منه رويناه مسنداً عن مصدر آخر في المختار: (٣٦٢) من كتاب نهج السعادة: ج ٢ ص ٦٨٨ ط ١.

ورواه أيضاً السيّد الرضّي في المختار: (١٩٨) من الباب الأوّل من كتاب نهج البلاغة.

(٢) وهذا هو الحديث: (٢٣٨) من كتاب الغارات أو منتخبه ص ٥٨٦ ط ١.

وللحديث شواهد كثيرة يجد الباحث بعضها في المختار: (١١٣) وتاليه وتعليقهما من القسم

الثاني من باب الخطب من كتاب نهج السعادة: ج ٣ ص ٤٢٧ ط ١.

(٣) وهذا هو الحديث: (٢٣٩) من تلخيص كتاب الغارات ص ٥٨٧ ط ١.

وقد ذكرناه عن مصدر آخر أو مصادر آخر - في ما اخترناه من كلام الإمام الحسن عليه السلام.

على نصرته وعلى معونته^(١).

وعن حبة عن علي عليه السلام قال: لو صمت الدهر كله وقمت الليل كله، وقتلت بين الركن والمقام، بعثك الله مع هواك بالغاً ما بلغ، إن في جنة ففي جنة، وإن في نار ففي نار^(٢).

وقال [عليه السلام]: من أحب أهل البيت فليستعدّ عدّة للبلاء.

وقال [عليه السلام]: يهلك في محب مفراط، ومبغض مفتر.

وقال [عليه السلام]: يهلك في ثلاثة وينجو في ثلاثة: يهلك اللاعن، والمستمع المقر، والحامل للوزر، وأهوا الملك المترف [الذي] يتقرب إليه بلعني، ويبرء عنده من ديني، وينتقص عنده حسبي، وإنها حسبي حسب النبي صلى الله عليه وآله وديني دينه.

وينجو في ثلاثة: المحب الموالى، والمعادي من عاداني، والمحب من أحبني، فإذا أحبني عبد أحب محبي وأبغض مبغضي وشايعني، فليمتحن الرجل قلبه، إن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحب بهذا ويبغض بهذا، فمن أشرب قلبه حب غيرنا فألب علينا فليعلم أن الله عدوه وجبريل وميكال، فإن الله عدو للكافرين^(٣).

وعن ربيعة بن ناجد عن علي عليه السلام قال: دعاني النبي صلى الله

(١) وهذا هو الحديث: (٢٤٠) من كتاب الغارات - أو منتخبه - ص ٥٨٨ ط ١.

وقريباً من صدر الحديث ذكره مع ذيل آخر الشيخ الطوسي في أواسط الجزء الثاني من أماليه ص ٤٧. وأيضاً روى صدر الحديث في الحديث الثالث من الجزء: (٧) من أماليه ص ١٨٣.

(٢) هذا الحديث مع التوالي رواها الثقفى رحمه الله في الحديث: (٢٤١ - ٢٤٥) من كتاب الغارات ص ٥٨٨ - ٥٩٠. وللأحاديث مصادر أخر.

(٣) اقتباس من الآية: (٩٨) من سورة البقرة: ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾.

عليه وآله فقال لي: يا علي إن فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له^(١).

وقال علي عليه السلام: إنه يهلك في محبٍ مطرٍ يقرظني بها ليس في، ومبغضٍ مفترٍ يحمله شتائي على أن يبهتني.

ألا وإني لست نبياً ولا يوحى إلي، ولكن أعمل بكتاب الله ما أستطعت، فما أمرتكم به من طاعة فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وفيما كرهتكم، وما أمرتكم به أو غيري من معصية الله فلا طاعة في المعصية، الطاعة في المعروف الطاعة في المعروف [قالها] ثلاثاً^(٢).

١١٩٦ - ١١٩٨ - ما: المفيد عن إبراهيم بن الحسن بن الجمهور عن أبي بكر المفيد الجرجرائي عن أبي الدنيا المعمر المغربي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عهد إلي مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لا يحبني إلا

(١) وهذا هو الحديث (٢٤٤) من كتاب الغارات ص ٥٨٩ ط ١. وللحديث أسانيد ومصادر كثيرة من طريق أهل السنة، وقد رواه النسائي في الحديث: (١٠٣) من كتاب خصائص أمير المؤمنين ص ١٩٦، ط بيروت. ورواه الحافظ الحسكافي بأسانيد تحت الرقم: (٨٦٠ - ٨٧١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٧، ط ١.

وقد رواه أيضاً بطرق الحافظ ابن عساكر في الحديث: (٧٤٧) وما بعده من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٢٣٤ ط ٢.

وقد أوردناه أيضاً عن مصادر في تعليقات الكتب الثلاثة فراجع.

(٢) وهذا هو الحديث: (٢٤٥) من كتاب الغارات ص ٥٩٠ ط ١.

وهذا الحديث أيضاً له مصادر وأسانيد، والأكثر رواه بسند الحديث المتقدم وفي ذيله فراجع شواهد التنزيل وترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق وما علقنا عليها.

١٠٦١ - ١٠٦٣ - ما وجدت الأحاديث الثلاثة فيما عندي من أمالي الشيخ، ولكن لها أسانيد ومصادر آخر كثيرة.

مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق زنديق^(١).

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما نزلت ﴿وتعيبها أذن واعية﴾ [١٢/ الحاقة] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سألت ربي أن يجعلها أذنك يا علي^(٢).

وبالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما رمدت عيني ولا صدعت منذ سلم رسول الله صلى الله عليه وآله إلي راية خير^(٣).

فائدة مهمة شافية وافية في دفع شبه الفرقة الطاغية الغاوية

إعلم [أنه] قد اختلف المسلمون في أنه هل كان يسوع للنبي صلى الله عليه وآله الإجتهد فيما لا نص فيه أم لا؟

ثم على تقدير الجواز هل كان مقصوداً على أمور الدنيا وما لا تعلّق لها بالدين؟ أم يتعدّى إلى غيرها؟ وعلى تقدير التعدي، هل يخصّ الحروب أم يتجاوزها؟

ثم القائلون بالجواز اختلفوا في الوقوع، فأثبتته طائفة ومنعه آخرون وتوقف قوم.

ثم القائلون بالوقوع، اختلفوا في أنه هل كان يجوز عليه الخطأ في

(١) هذا الحديث - ما عدا لفظة «زنديق» - متواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وأيضاً رواه الشيخ الطوسي بسند آخر في الحديث: (٣) من الجزء العاشر من أماليه ص ٢٦٤.

(٢) وللحديث مصادر وأسانيد كثيرة جداً يجد الباحث أكثرها في تفسير الآية الكريمة من كتاب شواهد التنزيل.

(٣) ورواه أيضاً ابن عساكر بأسانيد في الحديث: (٢٦٦) وما حوله من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق: ج ١، ص ٢٢٢ ط ٢.

الإجتهد أم لا؟ وعلى الجواز هل يقرّ على خطئه أم يردّ عنه؟

فذهب إلى كلّ فريق إلّا إقراره على الخطأ، فإنّ الظاهر من كلامهم أنّه لم يقل به أحد وجعلوا ردّه عن الخطأ وجه الفرق بينه وبين سائر المجتهدين.

وقد ادّعى العلامة في شرحه لمختصر أبن الحاجب الإجماع على أنّه لا يقرّ على الخطأ، ويظهر من كلام الآمدي وبعض شراح صحيح مسلم أيضاً ذلك.

فاختار الجبائي وأبو هاشم أنّه [صلّى الله عليه وآله] لم يتعبّد في الشرعيّات بالإجتهد، ولم يقع منه فيها، وكان متعبّداً به في الحروب.

وحكي عن الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي يوسف تعبّده به مطلقاً.

وذهبت طائفة - ومنهم القاضي عبد الجبار وأبو الحسين البصري - إلى أنّه يجوز ذلك من غير قطع به.!

ونفاه أصحابنا قاطبةً رضوان الله عليهم رأساً، ولم يجوزوه في أمور الدين والدنيا أصلاً.

ثمّ لا يخفى أنّ جواز الاجتهاد ووقوعه منه صلّى الله عليه وآله لا يستلزم جواز مخالفته، إذ يجوز أن يكون في أحكامه ما أدّى إليه اجتهداه، ومع ذلك لا يجوز لأحد خلافة لإيجاب الله تعالى طاعته مطلقاً.

ونظير ذلك أن الأمة يجوز أن تجتمع على حكم بالإجتهد، ومع ذلك لا يسع أحد مخالفتها أصلاً عندهم، والمجتهد في فروع الأحكام يحكم باجتهداه ولا يسوغ لمقلّده مخالفته، وإن جاز عليه الخطأ في حكمه.

ولما كان المعقل الحصين للمخالفين في دفع المطاعن عن أنتمهم المضلين التمسك بجواز مخالفة الرسول الأمين عليه السلام، كما فعلوا ذلك في مخالفتهم له في تجهيز جيش أسامة وغيرها، أردنا أن نختم هذا المجلّد المشتمل على

مطاعنهم بما يدلّ على فساد أحد الأمرين: أعني جواز الاجتهاد عليه صلّى الله عليه وآله، أو وقوعه منه، وجواز مخالفته في شيء من أحكامه وإن كان عن اجتهد، لاستلزام كلّ منها ما هو المقصود، والتوكّل في جميع الأمور على الربّ الودود.

فنقول: يدلّ على ذلك وجوه:

الأوّل قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى﴾ [٣/ النجم: ٥٣] نفى سبحانه كون نطقه صلّى الله عليه وآله عن الهوى، وحصره في كونه وحياً، ولو كان بعض أقواله عن اجتهد لما صحّ الحصر.

ولو قلنا بكون الهوى متناولاً للاجتهد بقرينة المقابلة، لاقتضاها كون المراد بالهوى ما ليس بوحى والاجتهاد ليس بوحى لدلّ الجزء الأوّل على المدعى أيضاً.

وأورد عليه بأنّ المراد بالآية نفى ما كانوا يقولونه في القرآن أنّه افتراه، فانتفى العموم، ولئن سلّمنا فلا نسلم أنّه ينفي الاجتهاد؛ لأنّه إذا كان متعبداً بالاجتهاد بالوحي، لم يكن نطقه عن الهوى، بل كان قولاً عن الوحي.

والجواب عن الأوّل: إنّ الآية غير معلوم نزولها في ردّ قولهم المذكور، فلا يجوز تخصيص القرآن به، وإنّما يجوز [التخصيص] بالمعلوم وما في حكمه، ولو سلّم فخصوص السبب لا يخصّص العموم كما هو المشهور، ولا دليل من الخارج على التخصيص.

وعن الثاني من وجوه.

منها: أنهم يقابلون الوحي بالاجتهاد في كثير من كلامهم.

ومنها: أنّ الوحي هو الكلام الذي يسمع بسرعة، وليس الاجتهاد كذلك، وإنّما يُستند حُجّيته إلى الوحي، والمستند إلى الوحي في أمر غير الوحي،

والدليل عليه صحة التقسيم بأن يقال: أهو وحي أم مستنبط من الوحي ومستند إليه؟ وقد قال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى﴾ [٤/ النجم: ٥٣] وقد أعترف البيضاوي بما ذكرنا حيث قال بعد نقل الجواب: وفيه نظر؛ لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي.

ومنها: أنا نخصص الكلام باجتهاد يجوز فيه الخطأ، ولا ننازع الآن في اجتهاد يؤمن معه الخطأ ولا يجوز مخالفته، ويكون من قبيل القاطع، ولا يتعلق غرضنا في هذا المقام بأن النبي صلى الله عليه وآله هل يقول ما يقوله عن الوحي النازل بخصوص كل قول؟ أو يقول من طريق عام ويأخذه عن ضابطة كلية لا يأتيها الباطل من بين يديها ومن خلفها؟

فنقول: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّٰ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى﴾ وقد اتفق المفسرون على أن الآية مسوقة لنفي الضلال وإثبات الوحي، إنما هو لنفي الضلال المذكور في الآية، والضلال لا يختص بالأصول، بل يكون في الفروع في جميع أقسام الأحكام، وإلا لم يكن لاستدلال القوم على حجبة الإجماع في الفروع حتى الحروب والولايات بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: «لا تجتمع أمّتي على الضلالة». وما يحذو حذوه معنى.

فقد ثبت إذن أن الوحي لا يتناول اجتهاداً يجوز الخطأ فيه، وإلا لم يلزم من كونه وحياً نفي الضلال عنه كما هو المقصود، وهذا القدر يكفيننا، ويدل عليه ما روي أنه صلى الله عليه وآله نزل منزلاً فقيلاً [له]: إن كان ذلك عن وحي فالسمع والطاعة، وإن كان عن رأي فليس ذلك بمنزل مكيدة، والمشهور أن المنزل كان بـ «بدر»، والقائل [هو] حباب بن المنذر. فدل ذلك على أن الوحي لا يجوز فيه الخطأ، وقد قرره النبي صلى الله عليه وآله، ولم يُسمع بأحد يطعن على قائل هذا القول ويقول: تقسيمه هذا باطل.

وأبي ملازمة بين كونه وحياً، ووجوب السمع والطاعة، لا في زمن

الصحابة ولا في زمن التابعين إلى عصرنا هذا، مع تكرّر ذلك النقل في كتب السير والتواريخ، وفي كتب الأصول في مقام الاستدلال على مسائل من الاجتهاد المتعلقة بالنبي صَلَّى الله عليه وآله؟

ولولا أنّ الوحي لا يجوز فيه الخطأ ولا يطلق شرعاً على ما لا يؤمن معه الغلط، ويجوز مخالفته، لاستحال عادةً أن لا ينكر أحد على هذا القول، ولا يقدح فيه، مع توفر الدواعي على القدح والردّ عليه، حيث استدلّ به على محلّ النزاع في مسائل كثيرة قد طال الخصام فيها، وذلك مما يقطع به في عادات الناس، خصوصاً الممارسين لمباحث الحجاج والنظر ومسائل الخلاف، وقد رأيناهم يرتكبون تأويلات بعيدة وتكلفات باردة. فأين كانوا عن القدح المذكور؟

وبالجملة، ما ذكرناه دليل على أنّهم علموا صحّة ذلك التقسيم، إمّا بتقرير النّبّي صَلَّى الله عليه وآله، أو بدليل آخر، فلا يتوهم أنّ ما ذكرناه ثانياً راجع إلى الأول.

[الوجه] الثاني: قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ [٦٣/ الأحزاب: ٣٣].

والمراد، قضاء رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، ونسبته إليه تعالى للتنبيه على أنّ قضاءه صَلَّى الله عليه وآله قضاء الله كما ذكره المفسرون، وكلّ ما قاله النّبّي صَلَّى الله عليه وآله ولو بالاجتهاد، فمّا قضى به، فلا يجوز العدول عنه ومخالفته، وتخصيص الخيرة بما يكون بمجرد التشهّي لا عن اجتهاد، وكذا المعصية لا وجه له، وإنّا هو مجرد تشهّي التأويل، والانصراف عن الظاهر، ومعصية لسنة الأخذ بظواهر الكتاب والسنة بلا قرينة تقتضيه وشاهد يشهد له.

[الوجه] الثالث: قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما

شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴿٦٥﴾ [النساء: ٤] تقريره أن المسألة الخلافية بين الأئمة يصدق عليها أنها مما شجر بينهم فيجب في كل مسألة خلافية أن يحكموه صلى الله عليه وآله، ويرجع إلى قوله ويسلموا ويركنوا إليه، ومخالفته صلى الله عليه وآله بالاجتهاد ضد ذلك.

نظهر أن المسألة الخلافية، لا يجوز مخالفة ما يظهر من قوله صلى الله عليه وآله فيها، سواء كان بالاجتهاد أو غيره، والمسائل الاجماعية وما لم يسبق إليه أحد بنفي أو إثبات أولى من ذلك.

أما الاجماعية فظاهر، وأما ما لم يسبق إليه أحد؛ فلأن أتباعه إذا وجب فيها تحقق قوله طائفة من المسلمين وشبهة شرعية بخلافه، ولم يمنع ذلك من وجوب أتباعه، ففيها لا يتحقق فيه ذلك الذي يتوهم مانعاً أولى.

وأيضاً لا قائل بالفصل، فإن الأئمة بين قائل بجواز مخالفته في الخلافات وغيرها، وبين ناف له فيها جميعاً.

وهذا يندفع توهم أن قوله صلى الله عليه وآله، ربما كان مما أجمع على خلافه على أنه قبل الاجماع على خلافه، كان مما لم يسبق إليه قول بنفي ولا إثبات، أو كان مما وقع فيه الخلاف.

فإن قلت: هاهنا احتمال آخر ذهب إليه جماعة، وهو أن يُخطئ صلى الله عليه وآله وينبئه بالوحي على خطئه وما ذكرت لا ينفيه.

قلنا: هذا لا ينفع فيما نحن فيه، فإن الغرض أنه صلى الله عليه وآله لا يجوز مخالفته والعدول عن قوله بالاجتهاد، وأما أن ينبئه بالوحي عليه، فكلام لا يسمن ولا يغني من جوع في جواز إبطال قوله صلى الله عليه وآله، وتخطئة رأيه وتصحيح ما صنعه جماعة من أصحابه خلافاً لأمره، ورداً عليه حكمه فيما لا وحي يدل على خطئه، بل قرره الله تعالى وأمضاه على رأيه.

[الوجه الرابع: قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

اللَّهُ ويغفر لكم ذنوبكم ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣] مفهوم الشرط إن لا تتبّعوني لا يحبكم الله ولا يغفر لكم ذنوبكم، وما كان موجباً لعدم محبة الله وعدم مغفرة الذنوب، كان حراماً.

فإن قلت: كل ما هو مستحب كان موجباً لمحبة الله، وربّما كان سبباً للمغفرة أيضاً، ويصحّ استعمال الشرط فيه ويكون مفهومه حينئذٍ: إن لا تفعلوه تفوت المحبة المترتبة عليه، والمغفرة المسببة منه، فلا يدل على الوجوب.

قلنا: أولاً: إن رجحان الاتّباع كاف لنا، فإن من لا يجوز الاجتهاد عليه صلى الله عليه وآله، يجعل أمره واجباً ما دام لم يدل دليل آخر على خلافه أقوى منه، ومن يجوزّه يجعل تركه ومخالفته واجباً أو مندوباً أو مباحاً حسب ما أدى إليه اجتهاده، ولا يجعل اتّباع أمره مندوباً أيضاً في أكثر الأمر.

فالقول بأن اتّباع أمره مندوب لا محالة، خلاف الإجماع المركّب.

وثانياً: إن مفهوم الشرط يقتضي انتفاء الجزاء مطلقاً، لا الجزاء المقيد بالشرط المقارن له، وإلا لم يصح الاستدلال بمفهوم الشرط في شيء من المواضع.

ولا يتوهم أن الأمر بالاتّباع مطلق لا عام، فيصير حينئذٍ حاصل المفهوم: إن لا تتبّعوني في شيء لا يحبكم الله أصلاً، لا [أن المفهوم] إن لا تتبّعوني ولو في أمر واحد لا يحبكم الله؛ لأن الاتفاق منّا ومن الخصم حاصل على أن المراد به الأمر بالاتّباع في جميع الأوامر، ولهذا استدّلوا به في مسألة التّأسي. فتدبر.

[الوجه] الخامس: قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وآتوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [٧/ الحشر]: وجه الدلالة أمور:

أحدها: أمره تعالى بالأخذ بما أمر به الرسول صلى الله عليه وآله.

وثانيها: أمره [تعالى] بالإنتهاء عما نهى عنه، فإن كان نهى عن خلاف ما أمر به فذاك، وإلا فالأمر بالشيء، نهى عن ضده عند أكثر علماء الأصول، وفي النهي بعكس الأمر.

وثالثها: تعقيبه الكلام بالوعيد الشديد والعقاب العظيم.

وأيضاً: [في] أمره بالتقوى بعد ذلك، إشعار بأن الأخذ والانتهاز المذكورين هما التقوى، وأن تاركه مسلوب عنه أسم التقوى مع [أن] النصوص الدالة على الأمر به وحرمة تركه أدلة على الوجوب.

السادس: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [١/ الحجرات: ٤٩] وجه الدلالة أنه متى كان قول الرسول صلى الله عليه وآله موجوداً، ثم قدّمنا اجتهدنا عليه لزم التقدّم بين يدي الله ورسوله.

وقد دلّت صحاح أخبارهم على أن الآية نزلت في ممارسة أبي بكر وعمر، في تأمير الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد، وقد كان ما تنازعا فيه من الأمور المتعلقة بالحروف، ولم يكن سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه أمر، وإنّا أشار كلّ واحد من الرجلين لما رأى في تأميره من المصلحة بزعمه، وإذا كان مثل ذلك من التقديم المنهي عنه الموجب للتوبيخ الظاهر من سياق الآية، فالأمر في الاجتهاد فيما سبق فيه أمر منه صلى الله عليه وآله، وكان أشدّ تعلّقاً بالدين أولى وأظهر.

[الوجه السابع: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول] ﴿٥٩/ المائدة: ٤﴾ والرّدّ إلى الله ورسوله معناه إمّا التوقّف إلى أن يعلم حكمه بنصّ الكتاب والسنة على ما هو الحقّ، أو المراد به القياس على الحكم الذي في الكتاب والسنة. وعلى التقدير الأوّل يدلّ على بطلان القياس مطلقاً، وعلى الثاني يدلّ

على بطلان القياس فيما وجد فيه نص من الكتاب والسنة على ما شرح في التفاسير. وعلى التقديرين يبطل القياس في مقابلة النص وإذا بطل القياس في مقابلة النص ولم يجوز العمل به فيما وجد فيه نص من الرسول صلى الله عليه وآله، لم يجوز الاجتهاد والعمل به مخالفة لقول الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأن كل من قال بعدم جوازه بالقياس، قال بعدم جوازه مطلقاً.

على أن الآية عامة في كل متنازع فيه، سواء كان مما يؤخذ حكم طرفي النزاع، أو أحدهما من الكتاب والسنة، أولاً. وقد حكم [فيها] بأنه يجب أن يرجع فيه إلى قول الله ورسوله ولا يحكم بأحد الطرفين، فعند مخالفة النبي صلى الله عليه وآله بالاجتهاد ولو بالاستنباط الظني من النص، يصدق أنه مما يجب الرجوع فيه إلى النص، فلا يجوز الاجتهاد على خلافه.

بقي الكلام في أنه ربما كانت المسألة إجماعية فلا يصدق أنها متنازع فيها، أو كانت مما لم يسبق إليه قول.

والجواب عنها قد سبق في تقرير الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ الآية.

الثامن: قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً﴾ [٦١/ النساء] ذمهم على صدّهم عن الرسول صلى الله عليه وآله مطلقاً، فدلّ على أن هذا الفعل ممن كان وبأي طريق كان مذموماً غير سائغ، فلا يجوز مخالفته في شيء؛ لأنه نوع من الصدّ.

التاسع: قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ قالوا: تقريره أن إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع، كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته، ومن كان كذلك كان كافراً مستوجباً للقتل.

وهذا الكلام منهم يدلّ على أنهم فهموا منه عموم الإطاعة في جميع الأوامر، بمعنى أن الإرسال للإطاعة في جميع الأوامر والنواهي لا يجوز أن يخالف في

شيء منها؛ لأنَّ المقصود من إعلام أنَّ الغرض من الإرسال هو الإطاعة، إيجاب الإطاعة على المرسل إليهم، لا مجرد أنَّ الغرض هو الإطاعة.

وقال الفخر الرَّازي: إنَّ ظاهر اللفظ يوهم العموم، ولعلَّهم إنَّما فهموا ذلك؛ لأنَّ المضارعة تفيد الاستمرار الزماني، ولا قائل بأنَّ إطاعة النَّبيِّ في كلِّ زمان واجب وإن لم يجب في جميع الأوامر، لكن ذلك لا يوجب أن يكون ظاهر اللفظ ذلك، وإنَّما يستلزم وجوب الإطاعة على وجه العموم في الواقع.

أو يقال: نزل الأوامر الجزئية منزله في أجزاء الزمان. فأريد بها يدلُّ على عموم الثاني عموم الأوَّل، كما أنَّه يراد بالدوام والأبدية عموم الأفراد وبما يدلُّ على تبعية الأوقات تبعية الأفراد.

وفيه أنَّ ذلك مجاز غير ظاهر، ودعوى ظهوره بعيد. والتحقيق أنَّ الطاعة ضدَّ المعصية، والمعصية المضافة إلى الأمر تصدق بمخالفته ولو من وجه، والمضافة إلى الشخص الأمر تصدق بمخالفة أمر واحد من أوامره، فالطاعة للأمر هو عدم مخالفته بوجه من الوجوه، وللشخص الأمر هو عدم مخالفته في شيء من أوامره، ولهذا كانوا يكتفون في إعطاء القيادة للأمرء والتسليم لهم بأنَّا سامعون لك مطيعون من غير تعميم لمطلق الطاعة. وقولهم: أطعناه في الأمر الفلاني دون غيره، مجاز خلاف الظاهر.

ويؤيِّده أنَّهم استدلُّوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [٥٩/ المائدة: ٥]. وبقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [٣١/ آل عمران: ٣] على مسألة التَّأْسِّي، ولولا العموم لم يصحَّ هذا الاستدلال.

العاشر: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْذِلَهُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَع إِلَّا مَا يَوْحِي إِلَيَّ﴾ [١٥/ يونس: ١٥] وتقرير الاستدلال به على نمط الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَى﴾ [٣/ النجم: ٥٣]. كما سبق [في الوجه الأوَّل].

الحادي عشر: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرِّسْلِ وَمَا أُدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [٩/ الأحقاف: ٤٦] وتقريره ما علم سابقاً.

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ﴾ [٦٩/ النساء: ٤] دلَّ على أنَّ طاعة الرسول في أيِّ أمر كان سبب للكون مع النبيين والصَّدِّيقين، ولو كان النبي صلى الله عليه وآله مخطئاً في اجتِهاده وعُلم ذلك، لم يكن طاعته في ذلك الأمر سبباً لما ذكر، فدلَّ على عدم الخطأ في الاجتِهاده.

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُونِي يَكْتَابَ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةً مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٤/ الأحقاف: ٤٦] دلَّ على أنَّ المأثور عن الأنبياء الأولين لا يحتمل الخطأ، وإلاَّ لم يكن بين إتيانهم بالاثارة وعدمه فرق.

ويمكن المناقشة [فيه] بوجهين:

الأوَّل: أنا لا نسلم أنَّه يدلُّ على عدم الخطأ في الاثارة، وإنَّما يدلُّ على عدم الصدق بدونها: يعنى أنَّهم لا يقدرُون على الإتيان بالاثارة الدالَّة على الشرك، وما لم يأتوا بها لا يكونون صادقين في دعواهم؛ لأنَّ ذلك ليس مما يعلم بالعقل المحض، فإنَّ علم، فإنَّما يعلم بالنقل، ولا نقل هاهنا، ولا ينافي هذا أن لا يكفي النقل المذكور في الشرك.

والثاني: إنَّ ذلك من الأصول، ونحن لا نخالف في عدم جواز مخالفة النبي صلى الله عليه وآله فيما قاله في أصول الدين، وإنَّما نجوز مخالفته في الفروع.

وكلتاها خلاف الظاهر فلا ينافي التمسك بظاهره.

الرابع عشر: الآيات الدالَّة على النهي عن اتِّباع الظنِّ والاقتصار على

العلم، وقول النبي صلى الله عليه وآله معلوم أنه حكم الله ولو ظاهراً، ويجوز أتباعه بل يجب، واجتهاد الأمة إذا كان مخالفاً له، ليس بمعلوم أنه يجوز أتباعه لتحقق الخلاف في ذلك، فمخالفته ترك للمعلوم الواجب المأمور، باتباعه بالمظنون المنهي عن أتباعه.

الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ [٨٠/ النساء: ٤] وجه الاستدلال أن من عرف اللسان لا يرتاب في أن مفاد الآية هو أن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ليس إلا طاعة الله عز وجل، فكما أن من خالف نص الله سبحانه بالاجتهاد ضالّ غاوٍ، فكذلك من خالفه صلى الله عليه وآله بالاجتهاد، ومن جوز مخالفته؛ لأنه يقول عن اجتهاد لزمه القول باجتهاده تعالى وجواز مخالفته.

وقد فسر الله تعالى ضد الطاعة في الآية التالية لهذه الآية بإضمار غير ما يقوله صلى الله عليه وآله، قال سبحانه: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ [٨١/ النساء: ٤] وقد استدل الفخر الرازي في التفسير بهذه الآية على عصمته صلى الله عليه وآله في جميع أقواله وأفعاله ثم قال:

[و] قال الشافعي: في باب فرض طاعة الرسول صلى الله عليه وآله: إن قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [٨٠/ النساء: ٤] يدل على أن كل تكليف كلف الله عباده في باب الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحجّ وسائر الأبواب في القرآن، ولم يكن ذلك التكليف مبيّناً في القرآن، فحينئذ لا سبيل إلى القيام بتلك التكالييف إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وآله، وإذا كان الأمر كذلك لزم القول بأن طاعة الرسول عين طاعة الله، هذا كلام الشافعي. انتهى.

ولا يخفى أن في هذه الكلمات اعترافاً بأن الاجتهاد بخلاف أمره صلى الله عليه وآله قطعي البطلان، واجتهاد بخلاف أمر الله عز وجل، فلو فرضنا تبعده صلى الله عليه وآله بالاجتهاد، لم يجوز مخالفته على حال من الأحوال.

السادس عشر: قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرِّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَئِذَا فَلِيَحْذَرُ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦٣/ النور: ٢٤].

جعل عامة المفسرين الضمير راجعاً إلى الرسول صلى الله عليه وآله. وقول أبي بكر الرازي إنه راجع إلى الله سبحانه، لا عبرة به، على أنه لو صح لكان بناء الكلام على ادعاء أن مخالفة أمره مخالفته سبحانه، حتى تتلاءم أجزاء الآية، وحينئذ يتم المقصود بوجه أتم.

وإذا كان مخالفة أمره صلى الله عليه وآله موضعاً للحدز عن الفتنة والعذاب الأليم، ظهر فساد الاجتهاد في خلافه. أما إذا جعل موافقة الأمر عبارة عن الاعتراف بكون ذلك الأمر حقاً واجب القبول على ما زعمه البعض، فظاهر.

وأما إذا جعل بمعنى الاتيان بما أمر به على وجهه، فلائنه إذا كان مخالفة أمره بهذا المعنى مظنة للعذاب والفتنة، كان الاجتهاد بخلاف ما أمر به باطلاً، وهو المدعى.

[الوجه] السابع عشر: الأوامر المطلقة في إيجاب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله مفردة ومقرونة بإيجاب طاعة الله سبحانه كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرِّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [١٣٢/ آل عمران: ٣] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرِّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرِّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [٥٤/ النور: ٢٤] وهي في الكتاب الكريم أكثر من عشرين موضعاً، والاجتهاد

بخلاف أمره صلى الله عليه وآله تصويب لمخالفة أمر الله عز وجل في إيجاب طاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وبطلانه واضح، وإفادة أمثال تلك الأوامر للعموم قد تبين في الأدلة السابقة.

الثامن عشر: مما يدل على بطلان الاجتهاد على الوجه الذي يجوز مخالفته، أن أبا بكر وعمر كانا يقولان بأن حكمهما ربما كان خطأ، وربما كان صواباً، ويلتزمان من الصحابة وسائر من حضرهما أن ينبهوهما على الخطأ، ولا يقرروا ولا يداهنوا، ولقد كانت المداهنة من القوم في شأنها والإغضاء على خطئها أقل بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله، والاحتشام منهم لها دون الاحتشام له صلى الله عليه وآله، وتوهم تحتم الصواب ووجوب الصحة في قوله تعالى وفعله صلى الله عليه وآله أكثر، لاسيما بعد ما تقرر وتكرر أنه صلى الله عليه وآله لا يفعل عن شهوة، ولا يقول عن هوى، وإنما كلامه صلى الله عليه وآله حكم، ونطقه فصل، وقوله عدل، وشهدت له بذلك الآيات المنزلة والسور المتلوّة، ولم يكن التوهم في شأنها بهذه المثابة ولا لها هذه الأسباب والدواعي، كيف وفي حقه صلى الله عليه وآله نزل ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [٧/ الحشر: ٥٩] ونهى عن معصيته وأوعد على مشاقته ومحاqqته، ولا شيء من ذلك فيهما ولا لها، فكان النبي صلى الله عليه وآله أحق وأحرى بأن ينبّه على أن قوله ربما يباين الصواب، ويخطيء من إصابة الحق، وكيف أهمل صلى الله عليه وآله طول هذه المدة المديدة وأضاع في تلك الأزمنة المتطاولة أن يجنب أمته اتباع الباطل، ويحذرهم الاقتداء بغير الحق، ويصونهم عن الإصرار على ما لا ينبغي وبخالف حكم الله، وقد وفق له أبو بكر وعمر وأهتديا إليه السبيل.

ولو قال قائل: إن هذا التنبيه والإيحاء كان أولى ولم يكن واجباً، كان الدليل قائماً والحجة مستقيمة أيضاً، لأن ترك النبي صلى الله عليه وآله هذا الأولى والأليق والشفقة على الأمة والنظر لها، واختصاصها بهذه المنزلة

وأنفراهما بهذه الفضيلة وإصرارهما على هذا القول الذي يرويه الناس في معرض مدحها ويعدونه من فضائلها، مما تأباه القرينة السليمة، أفلا قال صلى الله عليه وآله: إنما أنا مثلكم أخطيء وأصيب، كما أكل وأشرب وأمشي في الأسواق؟

ومن علم عاداته وتتبع سيرته صلى الله عليه وآله لم يشنه ريب ولم يختلجه شك في أنه لو كان ما قالوا مما له مساغ في طريق الصدق، لم يهمل النبي صلى الله عليه وآله أمره، ولا أغفل عن أن يهدي الناس إليه، لكن الإنصاف أرتحل من البين، والعصبية أرخت سدول الغشاوة على العين.

[الوجه] التاسع عشر: مما يدل على ذلك احتجاج أبي بكر على الأنصار يوم السقيفة كما رواه بقوله: «الأئمة من قريش». وتسليم الأنصار الأمر إليه، وأنكسارهم بذلك عن سورتهم، فما بالهم لم يقابلوا حجته بأن يقولوا: أي دليل في هذا لك وقد علمت أنه صلى الله عليه وآله ربما يقول القول عن رأي وأجتهاد وطالما أخطأ ورجع فلا حجة في ذلك ولا يصلح؟! خصوصاً فيما يتعلق بالولاية والزعامة، فإنه قلماً يكون عن وحي ساهوي وتنزيل إلهي، مع شدتهم في أمرهم ووصيتهم فيما بينهم بأن شدوا على أيديكم ولا تملكوا أمركم أحداً. حتى أن حباً كان قد قبض على قبضة سيفه، وكان سعد طول حياته يعترض ويصرح ببطلان أمرها ويلمح بالتغلب والعدوان إليهما ويتلظى كبده عليهما، وجميع الأنصار كان شأنهم ذلك وحالهم هذا إلا قليلاً منهم، وما قالوا في هذا الباب وحفظ عنهم من النظم والنثر مشهور، وفي السير والتواريخ مذكور. وكيف غفلوا عن هذا التوهين القوي لحجّتهم؟ هب أنهم عن آخرهم أخذتهم الغرة، وغشيتهم الغفلة في أول الوهلة وبادي الأمر، فهلاً استدرکوا ثانياً واحتجّوا مرةً أخرى؟

العشرون: قول أبي بكر: «أقول في الكلالة برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريتان». فإن

كان رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة أبي بكر في جواز الخطأ عليه، لم يكن لهذه التبرئة والتنزيه وجه.

الحادي والعشرون: ما روي عن ابن مسعود أنه قال: في المفوضة: «أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان».

وهذا التفصيل قاطع للشركة، وهاتان الروايتان مشهورتان، أوردهما العلماء في كتب الأصول وأستدلوا بهما على مسائل من أحكام الاجتهاد، ومن جعلتها كتاب الأحكام للآمدي.

الثاني والعشرون: قول عمر بن الخطاب: «أيكم يرضى أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله» أو ما في معناه كما سبق. وقوله [الآخر]: «رضيك لأمر ديننا أفلا نرضاك لأمر دينانا».

ولا يخفى أن الصلاة إما من الأحكام والأمور التي يجوز فيها الاجتهاد ويحتمل الخطأ، أو مما يكون بوحى إلهي لا بد منه.

فعلى الأول لا وجه للاستدلال به؛ لأن لهم حينئذ أن يقولوا: نحن قد اجتهدنا ورأينا أن الصواب في ضد ما فعله صلى الله عليه وآله، وأن الأوفق بالمصلحة خلاف ما رآه، ولا يمتنع ذلك عليه ولا نرضى بذلك، وأي استبعاد في هذا الرضا؟ وإنما يصح هذا الاستبعاد فيما لا يجوز فيه الخطأ ولا يتطرق إليه البطلان.

ولئن قيل: إن الغالب عليه الصواب وإن جاز الخطأ أحياناً، وما يغلب عليه الصواب ينبغي أن يحترز ويجتنب تركه، والمركوز في العقول التباعد عن مخالفة مثله؛ لأن الخطأ مظنون فيها.

قلنا: إما أن يكون الأنصار نازعت أبا بكر وأدعت الإمامة لنفسها بدون متمسك واجتهاد، أو رآته كذلك وقالت ما قالت عن شبهة تعتقدها دليلاً

أو تظنّها حجّةً، والأوّل مما لا يقدم عليه مثل الأنصار الذين آووا ونصروا، وهم كبار الصحابة وأعلام المسلمين وخيار الناس وأعيان أهل الدين، [و] كيف يقدم مثلهم على هذا الفسق الواضح؟! أفلا كان في الأمّة من يطعن عليهم بالفسق والغصيان؟ ولو كان، لنقل إلينا وهذا النوع من الاستدلال قد شاع بين القوم التمسك به.

وأيضاً أجمعت الأمّة إجماعاً مركّباً على أن كل من قال في الإمامة بالرأي، ودان فيها بالإجتهاد فاسق، أو أنّهم أتوا بأفضل عبادة وأثبّوا وإن لم يصيبوا.

وإما أن بعضهم أصاب الحقّ واليقين وآخرون فسقوا عن الدين، فمنفّي إجماعاً، فتعيّن أن يكون الأنصار ومن يحذو حذوها قالت ما قالت عن شبهة، فكان الواجب على عمر أن يتمسك برجحان أجهاده صلى الله عليه وآله على أجهادهم بواحد من الوجوه التي تصلح للترجيح من الأمور المقرّرة في الأصول.

وعلى الثاني، كان عليه أن يثبت بدليل أنّه صادر عن الوحي لا عن الإجهاد، ويأتي بحجّة تعيّن كونه من أحد القسمين دون الآخر.

وأيضاً لا معنى لقياس ما يجوز فيه الإجهاد ويسوغ عليه الخطأ، كأمر الإمامة والرئاسة على ما يجب أستناده إلى الوحي والتوقيف، وكيف شبّه أحدهما بالآخر مع هذا الفارق الجلي الواضح!؟.

الثالث والعشرون: قول عمر حين قال بعض المرتابين في جيش أسامة لرسول الله صلى الله عليه وآله: «أتؤمّر علينا هذا الشابّ الحدث ونحن جلة مشيخة قريش!؟»: دعني يارسول الله أضرب عنقه فقد نافق.

وهذا يدلّ على أنّه يلزم بمجرد مخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله النفاق والكفر، ولا يجوز مخالفته صلى الله عليه وآله، سواء كان قوله عن أجهاد أو لا،

وسواء كان في الولايات والحروب أو غيرهما، وإلا فمن أين يلزم نفاقه وكفره ويحلّ ضرب عنقه؟!

وكيف قرّره صلى الله عليه وآله على هذا الرأي الفاسد والزعم الباطل؟! ولم ينكر هو عليه ولا أحد من الصحابة والتابعين؟ وأين كان أعداؤه المتبّعون لعثراته وزلاته، الطالبون لخطاياهم وأغلاطهم عن هذا الخطأ الظاهر؟! وكيف لم يطعن الفقهاء عليه طول هذه المدة ولم يعترض عليه؟ حتى أنّ الذين كانوا على رأي الروافض في الصدر الأوّل عطشى الأكباد لأدنى هفوة من هفواته، كهشام بن الحكم، ومحمد بن النعمان الأحول، وغيرهم ممن عُرفوا بهذه الخصلة وعدّوا من أصحاب المقالات والنحل، لم يطعنوا عليه هذا الطعن مع حرصهم على الإزراء به، ولولعهم على تشهير مساويه ومثالبه؟! ولولا أنّ هذا كان في الزمن السالف إجماعياً غير مختلف فيه ما أغمضوا عليه و [لا] تغافلوا عنه.

وإنّ ما ذكرناه أقوى في باب العادات، والمعلوم من أحوال الناس من جميع ما يذكرونه في هذا النمط ويستدلّون عليه بها، وإنّما هذا القول البديع والإفك المفترى، شهادة زور وأمانى غرور اختلقها جماعة من المتأخّرين، ترويحاً لبعض ما ينتحلونه، وترميماً لأفعال شيوخهم وأئمتّهم، وهيهات هيهات! وأنّى لهم بذلك وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون؟

الرابع والعشرون: قول عمر أيضاً يوم بدر - حين قال أبو حذيفة في بعض ما كلّم به النّبىّ صلى الله عليه وآله، وقد كان صلى الله عليه وآله يوصي أن لا يقتل أحد من بني هاشم؛ لأنّهم استكروها ولم يخرجوا طائعين [فقال أبو حذيفة]: «أنقتل آباءنا وإخواننا ونترك بني هاشم؟ فلو أنّي لقيت عمّ النّبىّ صلى الله عليه وآله لأضربنّ خياشمه بالسيف - حيث قال [عمر]: «إنّ أبا حذيفة قد نافق». وأستثاره النّبىّ صلى الله عليه وآله بقوله: «دعني أضرب عنق هذا المنافق». ولم ينكر النّبىّ صلى الله عليه وآله على عمر قوله، ولو كان الأمر على

ما زعموه لكان الحري بالهادي المهدي الراشد المرشد المبعوث للدلالة والهداية أن يقول له: أيّ رابطة زعمت بين إنكار قولي وبين النفاق. بل هو طاعة لله، فإن كان صواباً فله أجران، وإلا فأجر واحد، خصوصاً في الحروب وتدبير أمر الجيوش والمغازي، سيّما يوم بدر الذي كان المسلمون فيه في غاية القلّة ونهاية الضعف، ولم يشتدّ مساعد الإسلام بعد، وكانت إثارة الإحن مجلبة للمحن، فلولا أن عمر كان مصيباً في ذلك لما تغافل عنه النّبّي صَلَّى الله عليه وآله ولم يعتذر بأنّه يحبّ الله ورسوله، ولم يذهب في إصلاح ما بدا منه في الظاهر إلى أمر الباطن، ومن المعلوم أن الظاهر إذا لم يفسد، لم يجوز العدول في جواب قدح القادح فيه إلى أن باطنه على خلاف ما يوهمه ظاهره، فإنّ ذلك كلام من يسلم من خصمه صحة مقدّماته التي أدّعاها، ولكنّ ذلك القدر لا يكفي في المطلوب، بل العمدة أمر الباطن وهو ملاك الأمر.

ولو كان الأمر كما زعمه القوم لكان النّبّي صَلَّى الله عليه وآله يقول صادعاً بالحقّ: أن لا غائلة في قول أبي حذيفة ولا قدح، وإنّا ذلك أسوة سائر الكلمات التي يسوغ لكلّ أحد أن يكلمني، ولو لم يكن عبادة فلا أقلّ من أن يكون مباحاً، ولم يكن يعرض بأمر باطنه وصحة عقيدته، ولا يحيل على أمر غير ظاهر للناس خفيّ عن الأبصار.

الخامس والعشرون: أنّ الناس اجتمعوا على عثمان زارين عليه طاعين فيه بمخالفته رسول الله صَلَّى الله عليه وآله والعدول عن سنته، وعدّدوا عليه أموراً، فلو جاز لأحد أن يخالفه بالإجتهد لكان لعثمان أن يجيب خصمه بذلك وينظرهم عليه، أو يرشدهم إليه، وما رأيناه فعل ذلك مع كثرة المواقف التي واقفوه فيها كما مرّ بعضها، ولو فعل لنقل إلينا، ولقد كان كثير من الصحابة الذين طعنوا عليه واجهوه بما يسوءه، وعابوه حين غابوا، وزجروه إذ حضروا عنده، ولم يعتل هو بأنّي اجتهدت ورأيت أن الصواب في خلاف ما قاله وفعله، وقد علمتم أنّه كثيراً ما كان يقول شيئاً ويخالفه الناس لخطأ في رأيه،

[وما قال] أنا اليوم إمام القوم أولى منهم بذلك، ولو ساغ ما قلت، استحال أن يتغافل عنه عثمان أو غفل هو وأتباعه والمصححون لما فعله في عصره، ولو احتج واعتل بذلك، استحال في العادة أن لا ينقل إلينا ولم ينقل.

[الوجه] السادس والعشرون: أنه لما كلم عثمان أبا بكر وعمر في ردّ الحكم، أغلظا له القول وزبراه وقال له عمر: يخرجك رسول الله صلى الله عليه وتأمرنى أن أدخله؟! والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل: غير عهد رسول الله صلى الله عليه، والله لئن أشقّ باثنتين كما تشقّ الابلّة - وهو خوص المقل - أحبّ إليّ من أن أخالف لرسول الله صلى الله عليه أمراً، وإياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم.

ولو جاز مخالفته صلى الله عليه وآله بالاجتهاد، لم يكن لعمر أن يرّد قول عثمان ويدفعه بأنّه مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله، وأنّ شقّه باثنتين أحبّ إليه منها، بل كان ينبغي أن يناظره ويحجّه بطريق الاجتهاد وسنة النظر ومراعاة المصالح والمفاسد، ويرى عثمان وجه خطئه، وأنّه في أيّ موضع من مقدّمات الاجتهاد وقعت له الغفلة وحصل منه الإهمال، وما نراه فعل هو ذلك ولا أبو بكر.

السابع والعشرون: قول عمر بعدما سمع الخبر في دية الجنين: «لو لم نسمع لقضينا فيه بغير هذا».

وروي أنّه قال: «نقضي فيه برأينا». فدلّ على أنّه كان يترك الرأي بخبر الواحد، ولم ينكر على عمر أحد قوله وكان يرى التفاوت في دية الأصابع، فرجع عن رأيه بخبر عمرو بن حزم، أن في كلّ إصبع عشرة.

الثامن والعشرون: حديث أبي الدرداء حيث روى نهي رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع أواني الذهب والفضّة بأكثر من وزنها. فقال معاوية: لا أرى بذلك بأساً.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية! أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويخبرني عن رأيه؟ لا أسألك بأرض أبداً.

دلّ كلام [أبي الدرداء هذا] على أن مقابلة النص بالرأي غير مشروع، ولم يخصص في إنكاره بالأحكام، بل أطلقه بحيث يتناول الحروب وغيرها، ولو كان هناك فرق بين خبر وخبر ورأي ورأي، لما صح له الإطلاق.

التاسع والعشرون: أن عمر كان يرى أن الدية للورثة ولم يملكها الزوج فلا ترث الزوجة منها، فأخبر أن الرسول صلى الله عليه وآله أمر بتوريثه منها، وهو خبر الضحّاك بن سفيان بأنه كتب النّبي بتوريثها من الدية.

قال الآمدي: ترك [عمر] أجهاده في منع ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الواحد وقال: أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضّلوا وأضّلوا كثيراً.

وهذا، وإن كان مورده الميراث إلا أن فحوى الكلام هجر الرأي بخبر الواحد مطلقاً، وهذه الأخبار مما أستدل به العلماء في كتب الأصول على أحكام خبر الواحد.

الثلاثون: ما روي أن عمر جاء رسولاً إلى أبي بكر من قبل أعيان الجيش، فاستأذنه في رجوع أسامة متعللاً بأن معه من وجوه الناس، ولا نأمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة المسلمين أن يتخطّفهم المشركون حول المدينة. فقال أبو بكر: لو تخطفني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاءً قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما أدّى إليه [عمر] رسالة الأنصار وسؤالهم أن يولي عليهم أحداً أقدم سنأ من أسامة وثب من مكانه - وكان جالساً - وأخذ بلحية عمر بن الخطاب فجرّها وقال: ثكلتك أمك يا أبن الخطاب! استعمله رسول الله وتأمّرني أن أنزعه!؟

وقد كان وجه المصلحة فيما رأوه باجتهادهم ظاهراً، فلولا أن مخالفة النبيّ بالاجتهاد غير سائغ لما ساغ لأي بكر أن يجيبه بالردّ من عرض الخلافة عليه أولاً، وأفضى بها إليه أخيراً وأن يزري بقدره ويستخفّ به ويستهزئ ذلك الاستهزاء الذي لا يفعله الجلف الجافي بسوقي ساقط المحلّ.

وكيف ساغ له أن يأخذ بلحيته الكثيفة ويخاطبه بالثكل والويل وهو غير مستحقّ لذلك، سوى أنّه تحمّل رسالة كلّها أجر وثواب، وجلّها صدق وصواب بزعمهم، وقد صدرت عن أجتهاد جماعة من المسلمين هم ذروة الأمر وسنامه وأساس الاسلام وقوامه؟

وهل يغضب ذو الدين على الحاكي طاعة جماعة من المسلمين وعبادتهم، ويفعل فعل من لا صبر له، واستشاط غيظاً وتلهّب غضباً، فلولا أنّ الأمر بمخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله - ولو كان عن أجتهاد - كان فظيماً شنيعاً لما ظهر منه ذلك الصنيع مع اتفاق كان بينهما في النفاذ وإتّحادهما في الإلحام واجتماعهما على ترويح الباطن؟

وهذا آخر ما أردنا إيراده من الأدلّة في هذا الباب وفيها كفاية لأولي الألباب.

ولنشر إلى بعض شبه المخالفين:

الأولى: قوله سبحانه: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتّى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ [٣/ التوبة: ٩] قالوا: عاتبه على الإذن [لمن أراد أن يتخلّف عنه] والعتاب لا يكون إلّا عن خطأ والخطأ لا يكون في الوحي بل في الاجتهاد؟ وقال: ﴿عفا الله عنك﴾ والعفو لا يكون إلّا عن ذنب.

والجواب عنه: أمّا أولاً فبأننا قد رويناه عن أهل بيت العصمة عليهم السلام - كما مرّ مراراً - أنّ القرآن نزل بـ [طريقة قولهم]: «إياك أعني وأسمعي يا

جارة»، وهي مروية في كتبهم أيضاً عن ابن عباس، [و] في معناه عن طرقتنا أخبار كثيرة، فلعل ذلك كان بإشارة الأصحاب الذين تقول فيهم ما تقول، ونزلت الآية عتاباً لهم ورداً عليهم لقلّة نصحتهم وسوء صنيعهم.

وقد مرّ في هذا الكتاب أشباهها من قوله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾ [٦٥/ الزمر: ٣٩] وقوله سبحانه مخاطباً لعيسى عليه السلام: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [١١٦/ المائدة: ٥] وللتعريض باب عريض، فلا يستبعد كون المراد بالآية المذكورة تعريضاً وتوبيخاً لمن حمله عليه السلام على الإذن وألجأه إليه وصنع ما انقلبت معه المصلحة عن وجهها وانعكس أمرها وأنحصرت في الإذن إلى غير ذلك.

ثم نقول لهؤلاء القوم: لا يخلو النبيّ صلى الله عليه وآله في إذنه لهم من جهة الخطأ في الاجتهاد من أن يكون آثماً أو تاركاً للأولى، أو لا هذا ولا هذا، بل إما مثاباً مأجوراً أو فاعلاً مباحاً والأول خلاف الإجماع، ولم يظهر قائل بالثاني أيضاً بل المشهور هو الثالث.

فإن كان استعمال لفظ العفو والمعابة معه صلى الله عليه وآله، من جهة أنه ترك الأولى، فقد خرجنا وهؤلاء الخصوم رأساً برأس، فإن المشهور عند أصحابنا الإمامية حمل هذه الآية وأمثالها على ترك الأولى بدون أن يكون خطأ في الاجتهاد، بل يكون تعمداً لترك الأولى عندهم، كما يحملون خطيئة آدم عليه السلام مع ما وقع عليها من المعاتبات وغيرها على ترك الأولى، فلا ترجيح معهم.

وإن كان من جهة الخطأ في الاجتهاد بدون أن يكون هناك ترك للأولى، بل إما أن يكون فعل فعلاً مباحاً أو أتى بنافلة وعمل بمندوب واطاع الله فيما أمره به وأقام وظيفة عبادته، فلينصفوا حينئذٍ من أنفسهم، ولينظر اللبيب في أنه هل يكون استعمال لفظ العفو وإيقاع المعاتبة في صورة ترك الأولى عمداً أحسن موقعاً أم استعماله في خطأ وقع أثناء الاجتهاد؟ مع أنه لم يفعل فعلاً

مرجوحاً بل إمّا مباحاً، ولعلّ من له أدنى حظّ من الإدراك لا يرتاب في أن تأويل الإمامة أقرب بمراتب وأولى بدرجات كثرة.

ومما ينبغي أن يعلم أن قوله صلى الله عليه وآله وإذنه لهم من حيث إنه قول وحكم لا يوصف بأنه ترك الأولى؛ لأنّ الحكم من حيث أنّه حكم كان أمراً مطابقاً للواقع من جملة أحكامه عليه السلام، فكان القعود لهم جائزاً بحسب الواقع، وإنّما كان ترك الأولى في إظهاره لهم وعدم منعهم من القعود.

ويحتمل أن يقال: لم يكن قعودهم جائزاً في الواقع، بل كان الواجب عليهم أن يخرجوا إلى الجهاد، لكن كان الأولى له أن يمنعهم ولا يأذن لهم.

ولا استبعاد في أن يكون قعودهم محرماً وإذنه عليه السلام بحسب ما يظهر منه من الأعذار ويتعلّلون بالعلل جائزاً، فربّ أمر كان في الواقع حراماً والإذن فيه من حيث الظاهر جائزاً، كما سيأتي أن أمير المؤمنين عليه السلام، سلّم من شهد عليه شاهدان بالسرقة إليها ليقطعاه فأرسلاه وفرّاً، مع أن قطعه كان محرماً عليها، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أذن لأهل الذمّة أن يقرّوا على مذهبهم ويستمرّوا على دينهم مع أنّه محرّم عليهم.

وأذن لعثمان في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، مع أنّه كان على عثمان أن لا يستأذنه صلى الله عليه وآله وأن لا يؤمّنه.

وأذن أمير المؤمنين عليها السلام [ل]طلحة والزبير في الخروج إلى العمرة، مع أنّه كان يعلم أنّه محرّم عليها وكان يتظاهر بذلك.

غاية ما في الباب، أن يكون عدم الإذن فيما نحن فيه أولى، وإذنه تركاً للأولى، فإذا جاز أن يكون الإذن في المحرّم جائزاً مباحاً فأولى أن يكون تركاً للأولى.

[الشبهة] الثانية: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حكيم* لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴿٦٧﴾ -
٦٨ / الأنفال: ٨].

قالوا: لولا أنه أخطأ في أخذ الفدية لما عوتب على ذلك.

وقد يقال إن مدلول هذه الآية نهى عن الأسر وقد وقع الأسر بلا شبهة. وأيضاً قد أمر بالقتل والأسر ضده، وقد روي أن عمر بن الخطاب دخل على رسول الله فإذا هو وأبو بكر يبيكان فقال: يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاءً بكيت. فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة [وأشار] بشجرة قريبة منه. والبكاء ونزول العذاب قريباً دليلاً على الخطأ.

وهذا أقصى ما قالوه في تقرير هذه الشبهة فنقول [في جواب هذه الشبهة]:

أما الأسر فلعله كان منهيّاً عنه ولم يأسر رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً، وإنّا أمر بالقتل فخالفوه على ما ذكره السيّد [المرتضى] رضي الله عنه في كتاب تنزيه الأنبياء.

ويرد على ذلك أن أمير المؤمنين أسر عمرو بن أبي سفيان أخا معاوية على ما جاءت به الرواية، وأشار عليه السلام إليه في كتابه إلى معاوية، فلو كان الأسر منهيّاً عنه لم يفعله علي عليه السلام.

ويمكن أن يكون الأسر [في الواقع كان] منهيّاً عنه بالنسبة إلى كلّ أحد مقيّداً بالغاية المذكورة في الآية، وإذا أنتهى الرجل إلى الغاية صحّ منه الأسر، وقد كان علي عليه السلام أثخن في الأرض حتّى أنّه قتل ما يقرب من نصف عدد القتلى، وغيره ما كان بلغ معشار ما بلغ صلوات الله عليه.

أو يقال: لعلّ الإثخان كان حاصلًا حين أسر علي عليه السلام من أسر ولم يكن حاصلًا حين أسر غيره.

وقد قال السيّد المرتضى: [المرتضى]: قدّس سرّه: إنهم لما تباعدوا عن العريش وعن مرآته صلى الله عليه وآله، أسروا من أسروا من المشركين بغير علمه صلى الله عليه وآله ولا يبعد أن يكون هو عليه السلام لم يأسر حتّى في الكفّار وأنهمزوا وتباعدوا وانتهى الأمر إلى آخره ووضعت الحرب أوزارها، فحينئذٍ أسر من أسر.

ويمكن أن يكون هذا الأسر مستثنى من العام لحكمة تعلّقت به، وقد افتكوا به رجلاً من الأنصار، وكان حبسه أبو سفيان بابنه وكان الغرض من الأسر هو هذا، والقرينة على أن مثله مخصوص من العام أن التوبيخ في الآية تعلّق بإرادة الدنيا وحطامها وأعراضها، ولو لم يكن المقصود من الأسر العرض الأدنى والنصيب الأخسّ والمطلب الأركس لم يكن داخلاً في النهي.

وأعلم أن حديث الأسر وكونه منهياً عنه ساقط فيما نحن فيه من الإجتهد وكونه واقعاً على وجه الخطأ، وإنّا يتّجه التمسّك به في نفي العصمة، فإنّ القائل بأنّ الإجتهد وقع خطأ، لا يقول بأنّه وقع مخالفة للنصّ وعلى وجه المعصية حتّى يكون مما يستحقّ عليه العذاب العظيم والذي يتمسّك به في معصية النّبىّ صلى الله عليه وآله لا يقول بأنّه وقع على سبيل الخطأ في الاجتهاد.

ويمكن أن يوجّه بأنّ النهي إنّما حصل بهذه الآية ولم يكن نهى صريح سابقاً كيف والاتّفاق حاصل على أنّه لم يكن هناك نهى ونصّ.

وأما الأمر بالقتل في قوله تعالى: ﴿فأضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾ [١٢/ الأنفال: ٨] فالمراد به الكثرة لا محالة، لا عموم [ضرب] أعناق الكفّار بلا خلاف، فالقتل المدول عليه بالآية لا ينافي الأسر.

ومما يدلّ على أن المراد به الكثرة، هذه الآية، فإنّها كالمفسّرة لتلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتّى إذا

أثخنتموهم فشدوا الوثاق ﴿٤﴾ [٤/ محمد: ٤٧].

فلعله عليه السلام علم المراد قبل نزول هاتين الآيتين أو بواحدة منها أو بغيرهما، فقد ظهر أن القتل المأمور به هو الإثخان فيه والإكثار منه وهذا غير صريح في النهي عن الأسر.

ولما دلّ الدليل على عدم صدور المعصية منه عليه السلام، تعيّن الحمل على ذلك. وقد حصل التوبيخ له صلى الله عليه وآله والعتاب في هذه الآية ولا وجه له حينئذٍ سوى أنه اجتهد وأخطأ في الاجتهاد.

وهذا تقريره على وجه ينطبق على ما نحن فيه.

وأنت خير بأن الخطأ في الاجتهاد إما أن يكون ناشئاً عن تفريط وتقصير يعدّ ذنباً ومعصيةً، أولاً، بل يقع موجباً للثواب ومقتضياً للأجر الجميل، وعلى الأول فقد بطل استدلاله، إذ لو كان ذنب لا محالة لازماً فأبى دلالة في الآية على الاجتهاد والخطأ فيه.

وعلى الثاني، لم يصحّ ترتّب العقاب على الفعل المندوب لا محالة، الموجب للأجر والثواب، ولا قائل بأن المخطئ في الاجتهاد تارك للأولى غير مستحق للثواب، ولا بأنه مع عدم تفريطه مستحق للعقاب إلاّ شذمة قليلة لا يعبوّ بهم، ولم يبق أحد منهم على أن الكلام معهم هو الكلام على الاحتمال الأول.

وقول الفخر الرازي: إن الخطأ في الاجتهاد وإن كان حسنة، إلاّ أن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، فلذلك حسن ترتّب العقاب عليه، فيه نظر لأنّه بعد تسليم صحة ترتّب العقاب على الحسنة بناءً على أن هاهنا ما هو أحسن منها، فلم لا يجوز أن لا يكون هاهنا خطأ في الاجتهاد؟ بل أصاب في اجتهد وعلم الحسن والأحسن، واختار الحسن على علم منه. أفترى أنه يمتنع من النبيّ صلى الله عليه وآله ترك الأحسن والعمل بالحسن، إذا كان علمهما

وميز بينهما؟ وإنما لا يمتنع إذا لم يعلمهما وحسبهما متساويين، فلا توجب الأصلح والأحسن على الله سبحانه وتوجهه على النبي صلى الله عليه وآله.

وقد زعمت أن ترك الأحسن. والعمل بالحسن مما تكرر منه صلى الله عليه وآله، فقد رويتم أنه صلى الله عليه وآله عبس في وجه ابن أم مكتوم فعاتبه الله على ذلك، كما مر، وعندكم أنه محمول على ترك الأفضل أو الصغيرة.

و [رويتم أيضاً أنه صلى الله عليه وآله] حرّم مارية [القطيعة] على نفسه، وعند أصحاب هذا القائل أنه صلى الله عليه وآله أذن وأَنّ قوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ إبقاء على العفو عن هذه الزلة، وأَنّ قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ [١١٧/ التوبة: ٩] وأمره بالاستغفار في قوله: ﴿واستغفر لذنبي﴾^(١) وما روي أنه صلى الله عليه وآله كان يستغفر في اليوم والليلة سبعين مرة، محمول على الذنب. أو على ترك الأفضل والأولى.

ونظائر ذلك كثيراً، فما الذي كان باعثاً على أن الله تعالى خالف عادته في ترك التكثير عليه، وبهذا يعلم أن هذا العتاب والإنكار ليس مبنياً على ترك الأحسن، سواء أنشئ عن اجتهد أو غيره.

وبما ذكرنا، يعلم جواب عن قولهم إنه صلى الله عليه وآله كان مأموراً بالقتل والأسر ضده وليس لأحد أن يقول: إن الأمر تناول حال الحرب وما بعده، ولو كان بغير اختيار النبي صلى الله عليه وآله، فلا ريب في أن إبقاءهم بعد الحرب كان باختياره، وهو مناف للأمر بالقتل لأننا نقول: الأمر بالقتل كان مقيداً بحال المحاربة كما هو المتبادر من قوله [تعالى]: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا

(١) في الآية: (٥٥) من سورة غافر: (٤٠) ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبيك وسبح بحمد ربك﴾.

وفي الآية: (١٩) من سورة محمد: (٤٧): ﴿فاعلم أنه لا إله إلا هو واستغفر لذنبيك وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

فضرب الرقاب ﴿٤﴾ [٤/ محمد: ٤٧] فَإِنَّ الظَّاهِرَ مِنَ الْأَمْرِ بِضَرْبِ الرِّقَابِ وَقَتَ
اللقاء وهو حال الحرب، ولا يسمّى ما بعد الحرب وحصول الأسرى مكتوفين
بأيدي الخصوم وتبدّد شملهم وزوال فتنتهم عن مراكزهم، لقاء.

وأيضاً المتبادر من مثل هذه العبارة حدثان ذلك الفعل وفواتحه، لا
أواخره، وإن دام على أَنْ ضَرَبَ الْأَطْرَافَ الَّذِي فَسَّرَ بِهِ ضَرْبُ الْبَنَانِ غَيْرَ
معهود من صاحب الشرع في الأسير، فإنه يجري مجرى المثلة، وإنها يجوز وقت
التحام الحرب وحين المسابقة.

وربما قيل: إِنَّ الْأَسْرَ أَضِيفَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَيْثُ قَالَ
عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾
[٦٧/ الأنفال: ٨] ولولا أَنَّ الْأَسْرَ وَقَعَ بِأَمْرِهِ وَإِذْنِهِ، مَا كَانَ يُضَافُ إِلَيْهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وأجاب عنه السيّد [المرتضى] رضي الله عنه بأنّ الأصحاب إنّما
أسروهم ليكونوا في يده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فهم أسراؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
ومضافون إليه وإن كان لم يأمرهم بأسرهم. انتهى.

ونظيره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾
[١/ الطلاق: ٦٥] مع أَنَّ الْمَطْلُوقَ لَغَيْرِ الْعِدَّةِ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَلَمْ يَأْمُرْهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ الطَّلَاقِ، وَقَدْ أَضِيفَ إِلَيْهِ الطَّلَاقُ وَخَصَّ بِالْخَطَابِ.

ومّا يدلّ على أَنَّ إِبْقَاءَ الْأَسْرَى لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، مَا رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَلِيٍّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَحْدِّثُ وَيَقُولُ: أَتَى جَبْرِئِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ
بَدْرٍ فَخَيَّرَهُ فِي الْأَسْرَى بَيْنَ أَنْ يَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، أَوْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ وَيَسْتَشْهَدُ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قَابِلِ عَدَّتِهِمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصْحَابَهُ
وَقَالَ: هَذَا جَبْرِئِيلُ يَخَيِّرُكُمْ فِي الْأَسْرَى بَيْنَ أَنْ يَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، أَوْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ
الْفِدْيَةَ وَيَسْتَشْهَدَ مِنْكُمْ قَابِلًا عَدَّتَهُمْ بِأَحَدٍ.

قالوا: بل نأخذ الفدية ونستعين بها ويستشهد منا من يدخل الجنة، فقبل منهم الفداء، وقتل من المسلمين قابلاً عدتهم.

وطعن من طعن في هذا الحديث بأنه ينافي العتاب على أخذ الفداء من باب الطعن بالمجهول على المعلوم.

مع أن ابن حجر ذكر في شرحه لصحيح البخاري أن الترمذي والنسائي وأبن حبان والحاكم روه عن علي عليه السلام بإسناد صحيح.

ويدل عليه أيضاً، أن إبقاء الأسرى قد كان بإذنه وما كان يسع الرؤوس، إذا أذن الرئيس وأمر أن يخالف ويختار، [لا] سيما في مثل هذا الخطب الجليل والشأن العظيم، خصوصاً بعد ما أبرم مرائر أمر أتباعه وطاعته، وأوعد على معصيته في الكتاب الكريم، فكانت التبعة على الآذن المطاع والآمر الواجب الإتياع، وكان هو المستحق لتوجه العتاب والتقريع ولم يقع الأمر كذلك، بل خصوا بالعتاب والتهديد دونه صلى الله عليه وآله، وغاية الأمر أن يعمه صلى الله عليه وآله معهم، وكذلك استشارة النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في أمر الأسارى وأخذ الفداء منهم، دليل على أنه لم يكن النص تناوله، ولو كان خاصاً أو عاماً تناوله، فكيف غفل النبي صلى الله عليه وآله عنه مع طول مدة المشورة والبحث عن أمرهم؟ حتى روي أن أبا بكر وعمر كلماه متناوبين متعاقبين مراراً عديدة، وأن النبي صلى الله عليه وآله دخل خيمته ثم بعد أمة خرج واستأنف أمر المشورة، وكان الناس يخوضون في كلامهما ويقول قائل: القول ما قال أبو بكر. وقائل: القول ما قال عمر.

وروا أنه تمثّل لها بالملائكة وحالهم وحال عدة من الأنبياء عليه السلام، وتلا عدّة من الآيات أفلم يخطر بباله تلك الآية النازلة في الواقعة التي هو بصدددها. وتذكر الآيات النازلة في شأن الأنبياء عليهم السلام ووقائعهم. حتى تمثّل بها لأبي بكر وعمر.

وكيف لم يذكر أبو بكر هذه الآية حتى يتوقف مما كان فيه ويرتدع من استبقاء الأسارى؟ وما الذي دهم الخائضين في كلامها، حتى ضربوا صفحاً عن ذكر الآية التي أهمهم أمر ما نزلت فيه؟

ثم هلم إلى عمر وذهوله عن الآية، مع أن له فيها غرضاً عظيماً وحظاً جسيماً لشدة ولوعه بقتل الأسرى، خصوصاً بني هاشم، لا سيّما عباساً وعقيلاً حتى صرح باسمها وعين القاتل لها.

وبعد اللتيا والتي، لو كان استبقاؤهم باجتهاد غفلة عن النص، وذهولاً عن أمر الله تعالى، كان المجتهد فيه مثاباً ومأجوراً، ولم يتوجه العتاب، إلى آخر ما علمت.

وأما أخذ الفداء، فلا يتم الكلام فيه إلا بأن يثبت أن العتاب والتهديد وقع عليه وهو ممنوع، بل إننا وقع على الأسر الذي فعله المحاربون بدون إذن النبي صلى الله عليه وآله، وكان غرضهم من الأسر عرض الدنيا وكسب المال على ما دلّ عليه القرآن.

وأيضاً أخذ الفداء، كان للتقوي على الجهاد. على ما دلّت عليه الرواية وهو مما يتعلق بأمر الآخرة والذم والعتاب، إننا توجه بالآية إلى من كان يريد عرض الدنيا، فظهر أنه على غير هذا الأخذ وقع، وبها سواه تعلّق كما قلنا أن الذم وقع على فعل الأصحاب المحاربين، ولعلّ غرضهم كان متعلّقاً بالحطام الديني.

ومما يدلّ على أن هذا الوعيد والعتاب لم يكن على أخذ الفداء ثانياً، الرواية التي ذكرنا في دخول عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن العذاب أضيف فيها إلى الأصحاب، والبكاء كان عليهم، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه في البكاء والعذاب، مع أنه هو الآذن الأمر لهم، ولا خيرة لهم مع أمره فما للعذاب ولهم؟!

نعم لو كان ينزل على أبي بكر خاصة لكان له وجه؛ لأنه هو المشير على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الرأي والمزني له.

ومفهوم الاستثناء المذكور في روايتهم الأخرى، حيث قال: «لو نزل العذاب لما نجا منه إلاّ عمر». يدلّ على أنّه كان يتناوله صلى الله عليه وآله، فبين الروایتين نوع من التنافي.

ومن ذلك ظهر أنّ الرواية بأن تكون دليلاً على نقبض مدّعاهم، أولى منها بأن تكون دليلاً لهم، ولو صحّ البكاء، لكان رحمةً عليهم لما ذكرنا من الأسر الواقع منهم.

ومنه هاهنا ظهر أنّ بين ما تضمنته الرواية من تخصيص البكاء في العذاب بهم وجعله بازاء أخذ الفداء تنافياً.

وقول الفخر الرّازي: «أنّ بكاءه صلى الله عليه وآله كان لخطأ في الاجتهاد، وحسنات الأبرار سيئات المقرّبين» فيه نظر من وجهين.

الأوّل: إنّ لا معنى للبكاء على فعل الطاعة وما يوجب الثواب.

والثاني: إنّ لا وجه لبكائه صلى الله عليه وآله على الأصحاب لخطأ نفسه، وهل رأيت أحداً يبكي على غيره لذنب نفسه؟! فهذا في غاية الظرافة.

ولا يتوهم أنّ العذاب علّق في الآية على الأخذ لا على الأسر؛ لأنّ الأخذ يستعمل في كلّ فعل ولا يختصّ بهال يؤخذ، إلاّ إذا وصل بكلمة «من» الجارّة، ولا صلة في الآية [الكريمة].

ولنكتف من ردّ شبههم بما تعلّق بهاتين الآيتين الشريفتين، فإنّها عمدة تمسّكوا به.

وأما ما تمسّكوا به من الأخبار، فجوابها أظهر من أن يتعرّض له، مع أن أكثرها مما لم يثبت عندنا، ونحن في فسحة من ردها ومنع صحتها.

[الباب السادس والثلاثون]

باب آخر نادر

في ذكر ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من الأشعار

المناسبة لهذا المجلد^(١) وقد مر بعضها في الأبواب السابقة:

١- منها في الشكاية [من أهل الزمان ومعاصريه]:

تغيّرت المودّة والإخاء	وقلّ الصّدق وأنقطع الرّجاء
وأسلمني الزّمان إلى صديق	كثير الغدر ليس له رعاء
سيغنيه الذي أغناه عني	فلا فقر يدوم ولا ثراء
وليس بدائم أبداً نعيم	كذاك البؤس ليس له بقاء
وكلّ مودّة لله تصفو	ولا يصفو من الفسق الإخاء ^(٢)
إذا أنكرت عهداً من حميم	وفي النّفس التّكرّم والحياء
وكلّ جراحة فلها دواء	وسوء الخلق ليس له دواء
وربّ أخ وفيت له وفّي	ولكن لا يدوم له الوفاء

(١) ولتحقيق صدور تلك الأبيات عن أمير المؤمنين عليه السلام أو عدم ثبوت الصدور، وأنّ أيّاً منها من إنشائه عليه السلام، وأيّاً منها مما تمثّل به عليه السلام يراجع الباب السادس من كتاب نهج السعادة، وسيمثّل للطبع إن شاء الله تعالى.

(٢) كذا في طبع الكمباني من البحار، وفي الديوان: «سَيُغْنِينِي الذي أغناه عني».

يديمون المودة ما رأوني وبقى الودّ ما يبقى اللقاء
أخلاء إذا استغنيت عنهم وأعداء إذا نزل البلاء
وإن غيّبت عن أحد قلاني وعاقبني بما فيه اكتفاء
إذا ما رأس أهل البيت ولّى بدا لهم من الناس الجفاء

بيان :

الرعاء: الحفظ والرعاية. والثراء: كثرة المال والولد وغيرهما. وإنكار العهد: عدم معرفته أي تغييره. والحميم: القريب نسباً. وقوله: «وفي» بالجرّ صفة لأخ. والقلّ: البغض. [و] قوله: «بما فيه اكتفاء»: أي في العقوبة.

والمراد بـ «رأس أهل البيت»: نفسه عليه السلام، أو النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٢- ومنها في بيان شجاعته عليه السلام في غزاة بدر:

ضربنا غواة الناس عنه تكرّماً ولما رأوا قصد السبيل ولا الهدى
ولما أتانا بالهدى كان كلنا على طاعة الرحمان والحقّ والتقى
نصرنا رسول الله لما تدابروا وثاب إليه المسلمون ذوو الحجى

بيان :

[لفظة: «ولما» في الأوّل حرف نفي وفيما بعده للشرط. وإضافة «القصد» إلى «السبيل» من قبيل إضافة الصّفة إلى الموصوف، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا أدّاك إلى المطلوب. وثاب الرّجل: رجع وثاب الناس: اجتمعوا وجاءوا .

أقول: [ذكر] في الدّيوان أنّها لغزوة بدر، ولعلّها بغزوة أحد وحُنين أنسب كما لا يخفى.

٣- ومنها يومئ إلى الشكوى:

فلو كانت الدنيا تنال بفطنة وفضل وعقل نلت أعلى المراتب
ولكنّما الأرزاق حظّ وقسمة بفضل ملك لا بحيلة طالب

٤- ومنها في مثله:

ليس البليّة في أيّامنا عجباً بل السّلامة فيها أعجب العجب

٥- ومنها في نحوه:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب والناس ابن مختل وموارب
يفشون بينهم المودّة والصفاء وقلوبهم محشوة بعقارب

بيان :

ختله وخاتله: أي خدعه. والمواربة - وقد يهمز - : المخادعة.

٦- ومنها في شبهه:

علمي غزير وأخلاقي مهذّبة ومن تهذّب يشقى في تهذّبه
لو رمت ألف عدوّ كنت واجدهم ولو طلبت صديقاً ما ظفرت به

بيان :

الغزارة: الكثرة. وتهذيب الأخلاق: تصفيتها وتخليصها عمّا يضيّعها.
[ومعنى] قوله عليه السّلام: «يشقى»: أي يتعب. والرّوم: الطلب.

٧- ومنها في تعيير الوليد بن المغيرة:

يهدّني بالعظيم الوليد فقلت: أنا ابن أبي طالب
أنا ابن المبجل بالأبطحين وبالبيت من سلفي غالب

فلا تحسبني أخاف الوليد ولا أنني منه بالهائب
 فيابن المغيرة إنني أمرؤ سموح الأنامل بالقاضب
 طويل اللسان على الشائنين قصير اللسان على الصاحب
 خسرتم بتكذيكم للرسول تعيينون ما ليس بالعائب
 وكذبتموه بوحي السماء فلعنة الله على الكاذب

بيان :

الأبطح: مسيل واسع فيه حصى صغار.

وقيل: أريد بالأبطحين أبطح مكة وأبطح المدينة الذي يقال له: وادي العقيق. ووجه تبجيل أبي طالب بالمدينة، أن سلمى أم عبدالمطلب كانت منها. وإنا خص من أسلافه وأجداده غالباً نقولاً بالغلبة. والقاضب: السيف القاطع: أي تجود أنامله بأعمال السيوف القاطعة. والشائنون: المبغضون. [وقوله] «ما ليس بالعائب»: أي خلقاً لا يصير سبباً لعيب صاحبه.

٨ - ومنها خطاباً لأبي لهب:

أبا لهب تبّت يداك أبا لهب وصخرة بنت الحرب حمالة الحطب
 خذلت نبي الله قاطع رحمه فكنت كمن باع السلامة بالعطب
 لخوف أبي جهل فأصبحت تابعاً له وكذاك الرأس يتبعه الذنب
 فأصبح ذاك الأمر عاراً يهيله عليك حجيج البيت في موسم العرب
 ولو لان بعض الأعداء محمد لحانى ذووه بالرماح وبالقضب
 ولن تشملوه أو يصرّع حوله رجال ملاء بالحروب ذوو حسب

بيان :

التباب: خسران يؤدّي إلى الهلاك. واليدان إمّا بمعناها أو كناية عن

النفس كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [١٩٥/ البقرة: ٢]. أو عن النفس والبدن أو عن الدّنيا والآخرة. و«صخرة»، عطف على «يداك»، ويحتمل العطف على محلّ الضمير أيضاً. و«قاطع» حال عن ضمير الخطاب. والعطب - بالتحريك -: الهلاك. و«ذاك» إشارة إلى تبعة لأبي جهل. ويقال: هلت الدقيق في الجراب: أي صببته من غير كيل، وكلّ شيء أرسلته إرسالاً من رمل أو تراب أو طعام أو نحوه. قلت: هلته أهيله هيلاً فانها: أي جرى وأنصب. ولعلّه إشارة إلى رمي الحاجّ إليه بالأحجار عند مرورهم عليه، أو قراءتهم هذه السورة في المواسم. و«عن بعض» متعلّق بـ «لان» بتضمين معنى الإعراض، أو «عن» للتعليل. ولحوت العصا ألحواها لحواً: قشرتها. وكذلك لحيت العصا ألحيتها لحياً ولحيت الرجل ألحاه لحياً: لمته.

وقال الجوهري: سيف قاض وقضيب: أي قطاع والجمع قواضب وقضب، وكأنّ الضمير في «ذووه» راجع إلى البعض ويحتمل إرجاعه إلى محمد صلى الله عليه وآله. أو «يصرع» أو بمعننى إلا أن أو إلى أن. والصرع: السقوط على الأرض. والملاء: جمع المليء وهو الثقة المعتمد عليه في الأمر.

٩- ومنها خطاباً لمعاوية:

سيكفيني الملك وحدّ سيفي	لدى الهيجاء تحسبه شهابا
وأسمر من رماح الخطّ لدن	شدت غرابه أن لا يعابا
أذود به الكتيبة كلّ يوم	إذا ما الحرب أضمرت التهابا
وحولي معشر كرموا وطابوا	يرجون الغنيمة والنّهابا
ولا ينحون من حذر المنايا	سؤال المال فيها والإبابا
فدع عنك التّهّد وأصل ناراً	إذا خمدت صليت لها شهابا

بيان :

الأسمر: الرمح. والخط: موضع باليمامة تنسب إليه الرماح؛ لأنها تحمل من بلاد الهند. فتقوم به. واللدن: اللين من كل شيء، وغراب الفأس - بالكسر -: حدّها.

قوله عليه السلام: «أن لا يعابا»: أي لثلاً: يعاب. والنهاب: جمع النهب. «ولا ينحون» بالحاء المهملة: أي لا يقصدون. والتهدد: التخويف. وصلى الكافر النار: قاسى حرّها. وصلى النار: دخل فيها. وصليت الرجل ناراً: إذا أدخلته النار.

١٠- ومنها: مخاطباً له أيضاً:

أنا علي وأعلى الناس في النسب بعد النبي الهاشمي المصطفى العربي
قل للذي غره مني ملاطفة من ذا يخلص أوراقاً من الذهب
هبت عليك رياح الموت ساقية فاستبقني بعدها للويل والحرب

بيان :

روي أنه عليه السلام أنشد تلك الأبيات بعد أنقضاء المحرم [من العام: ٣٧] وإرادة الشروع ثانياً في القتال.

قوله عليه السلام: «قل للذي»: أي قل للذي يحبني للطفي: لا تتوقع من أهل الزمان أن يعرفوا فضلي، فإن الناس لا يميزون بين أوراق الفضة ودنانير الذهب.

أو المعنى قل لمعاوية الذي غره مني ملاطفة بتأخير الحرب في المحرم، إنّي لا أترك الحرب حتى أميز بين المؤمن والمنافق.

وسفت الريح التراب: ذرّته. وحربه حرباً - كطلبه طلباً - سلب ماله.

١١- فيما أجاب به بعض الأعادي في صفين:

إيَّاي تدعو في الوغا يابن الإرب وفي يميني صارم يبدي اللمه
من يحظه منه الحمام ينسرب لقد علمت والعليم ذو أدب
أن لست في الحرب العوان بالأدب وعن قليل غير شك أنقلب

بيان :

الوغا: الحرب. والأرب - بالتحريك وبالكسر -: الحاجة ويستعمل في الإحتيال. والخطو - بوزن العلو -: تحريك الشيء من الأول.

والحمام - بالكسر -: الموت. والإنسراب: الجريان. والعوان من الحروب: ما قوتل فيها مرّة بعد أخرى.

«وعن قليل»: أي بعد زمان قليل. و [قوله]: «غير شك»: صفة لمقدّر وهو يقيناً.

١٢- ومنها تهديداً لمعاوية وجنوده:

أبى الله إلا أن صفّين دارنا وداركم ما لاح في الأفق كوكب
إلى أن تموتوا أو نموت وما لنا وما لكم عن حومة الحرب مهرب

بيان :

بالضمّ والسكون أيضاً: طرف السماء. و [قال الجوهري] في الصحاح: حومة القتال: معظمه.

١٣- ومنها في مدح أصحابه في تلك المحاربة:

يا أيّها السائل عن أصحابي إن كنت تبغي خبر الصواب

أنبئك عنهم غير ما تكذاب بأنهم أوعية الكتاب
صبر لدى الهيجاء والضراب فسل بذاك معشر الأحزاب

بيان :

«غير ما تكذاب» [لفظة] «ما» زائدة والتكذاب - بالفتح -: الكذب.

١٤- ومنها في مثله:

أجابوا وإن أغضب على القوم يفضبوا ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم
لقومي أجزي مثلها إن تغيبوا هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً
وآبأؤهم آباء صدق فأنجبوا بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم

بيان :

حفظ الغيب للشخص : أن لا تفعل في غيبته ما يكرهه. وضمير «مثلها»
راجع إلى المحافظة.

قوله عليه السلام: «لم تقعد» قال الشارح: [هذا] دعاء [لهم]: أي لا
تقعد أمهاتهم بآئتهم.

أقول: ويحتمل أن يكون من المقاعد من النساء، وهي التي قعدت عن
الولد والحيض. ذكره الجوهرى.

والأظهر أنه خبر وليس بدعاء والباء للتعدي، والمعنى لم تصر أمهاتهم
سبباً لعودهم عن الحرب لدناءتهن، فيناسب المصراع الثاني.

و [أيضاً] قال [الجوهرى]: أنجب: ولد نجياً. وأمرأة منجبة ومنجاب:
تلد النجباء.

١٥- ومنها في مدح قبائل من عسكره:

وسيف أحمد من دانت له العرب
لا يمحون ولا يدرون ما الهرب
بيض رقاق وداودية سلبوا
وفي الأنامل سمر الخطّ والقضب
والسمر ترعف والأرواح تنتهب
فيه من الفعل ما من دونه العجب
فضلاً وأعلاهم قدراً إذا ركبوا

الأزد سيفي على الأعداء كلهم
قوم إذا فاجأوا أوفوا وإن غلبوا
قوم لبؤسهم في كلّ معترك
البيض فوق رؤوس تحتها اليلب
البيض تضحك والآجال تنتحب
وأي يوم من الأيام ليس لهم
الأزد أزيد من يمشي على قدم

آوا فأعطوا فوق ما وهبوا
لا تضعفون إذا ما اشتدّت الحقب
ولم يخال قديماً صدقكم كذب
وقد يهون عليكم منكم الغضب
وأنتم رؤوس الأمر لا الذنب
والله يكلؤكم من حيث ما ذهبوا
والشوك لا يجتنى من فرعه العنب

والأوس والخزرج القوم الذين هم
يا معشر الأزد أنتم معشر أنف
وفيتهم ووفاء العهد شيمتكم
إذا غضبتهم يهاب الخلق سطوتكم
يا معشر الأزد إنّي من جميعكم راض
لن تياس الأزد من روح ومغفرة
طبتهم حديثاً كما قد طاب أولكم

أو فوخروا فخروا أو غولبوا غلبوا
أو سوهمو سهموا أو سولبوا سلبوا
فلم يشب صفوهم هو ولا لعب
لا الجهل يعرفهم فيها ولا الصخب
والأسد يرهبهم يوماً إذا غضبوا
وأربط الناس جأشاً إن هم ندبوا
إذا تدانت لهم غسان والندب
به الرسول وما من صالح كسبوا

والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا
أو كوثروا كثروا أو صوبروا صبروا
صَفَوْا فأصفاهم المولى ولايته
هينون لينون خُلِقاً في مجالسهم
الغيث إمّا رضوا من دون نائلهم
أندى الأنام أكفاً حين تسألهم
وأيّ جمع كثير لا تفرقه
والله يجزيهم عما أتوا وحبوا

بيان :

الأزد: أبو حيّ من اليمن. والإيفاء: الوفاء بالعهد، والإشراف على الشيء، وإعطاء الحقّ وافيّاً.

وقال الجوهري: جمع الفرس: أعتزّ فارسه وغلبه. وجمحت المرأة زوجها: وهو خروجها من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها. وجمع: أسرع. والمعترك: معركة الحرب. والبيض الرقاق: السيوف الرقيقة. والداوودية: الدروع المنسوبة إليه عليه السلام.

قوله: «سلبوا» أي أخذوها في الحرب من الأعادي. وقال الجوهري: اليلب: الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود بعضها إلى بعض. ويقال: اليلب: كلّ ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد. وقال: يقال: رماح رواعف لما يقطر منها الدم أو لتقدّمها في الطعن.

[وقوله:] «ما وهبوا» على المجهول كما صحّحه الشارح أو على المعلوم: أي أعطوا أزيد مما عهدوا ووعدوا من الإيثار والإفضال.

و [قال الزمخشري:] في الأساس: هو أنف قومه وهم أنف الناس [أي سادتهم] قال الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم

[وقال الجوهري:] في الصحاح: روضة أنف - بالضم -: أي لم يرعها أحد، وكأس أنف: إذا لم يشرب بها قبل ذلك. وأنف من الشيء يأنف أنفاً وأنفة: أستنكف. يقال: ما رأيت أحماً أنفاً ولا أنف من فلان.

والحقب: جمع الحقة بالكسر وهي السنون. و«قديماً» مفعول فيه: أي زماناً قديماً. [و] «طبتم حديثاً»: أي جديداً. والجرثومة - بالضم -: الأصل. ذكره الجوهري وقال: ساهمته: قارعته فسهمت أسهمه بالفتح صفواً: أي من الغش والباطل.

[قوله]: «فأصفاهم المولى ولايته»: أي أعطاهم الله محبته أو أخلص لهم كلَّ محبٍ محبته، أو أخلص الله لهم محبته إياهم أو محبتهم له. قال الجوهري: أصفيته الودّ: أخلصته له وأصفيته بالشيء: أثرته به. وقال: شيء هين - على فيعل -: أي سهل. و«هين» مخفف، وقوم هينون لينون. وقال: عراني هذا الأمر وأعتراني إذا غشيك. وقال: الصخب: الصباح والجلبة.

و [لفظة] «ما» في [قوله]: «إن ما [رضوا]» زائدة كما في قوله تعالى: ﴿فإِذَا نَذِهْنُ بِكَ﴾ [٤١ / الزخرف: ٤٣].

والنائل: العطاء، والمعنى أنهم إن رضوا فجودهم بحيث يعدّ الغيث أدون وأقلّ من عطائهم. و«يوماً» مفعول فيه لقوله: «غضبوا». والنّدى: الجود وفلان أندى من فلان إذا كان أكثر خيراً منه. ويقال: فلان رابط الجأش: أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

ونديوا على بناء المفعول من قولهم: ندبه لأمر فانتدب له: أي دعاه له فأجاب. ذكره الجوهري وقال [أيضاً]: الندب - بالتحريك -: الخطر. وتقول: رمينا ندباً: أي رشقاً. والندب، أيضاً الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد.

وقال الفيروزآبادي: الندب - بالتحريك - الرشق والخطر، وقبيلة منها بشر بن حرب ومحمد بن عبدالرحمان. وقال: غسان أبو قبيلة باليمن منهم ملوك غسان، وماء بين رمع وزبيدة من نزل من الأزد فشرب منه سمي غسان ومن لم يشرب فلا انتهى إليه.

وقال الشارح: الواو في «والندب» بمعنى مع. وفيه نظر. وقوله: «من صالح» بيان لـ «ما»: أي وما كسبوا من صالح وما عطف على ما.

١٦- ومنها مخاطباً لعثمان^(١):

(١) الأبيات لا تنطبق على قصّة عثمان، بل هي تمام الإنطباق على قصّة أبي بكر، حيث كان يزعم

وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشiron غيب
وإن كنت بالقربى حجبت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب

بيان :

قال الشارح: قوله عليه السلام: «والمشiron غيب»: إشارة إلى ما قاله
الحافظ إسماعيل من أن طلحة كان غائباً، ولما دفن عمر قعد عثمان وعلي
والزبير وعبدالرحمان وسعد يتشاورون، فأشار عثمان على عبدالرحمان بالدخول
في الأمر فأبى وقال: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، فإن شئتم اخترت
لكم منكم واحداً. فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمان، فأقبل الناس كلهم إليه فأخذ
يتشاور حتى جاء في الليلة الثالثة إلى باب المسور بن مخرمة بعد هوى من
الليل، فضرب الباب وقال: أدع لي الزبير وسعداً. فجاءا وشاورهما، ثم أرسل
إلى عثمان فدعاه فناجاه حتى فرّق بينهما المؤذن، فلما صلوا الصبح اجتمعوا
وأرسل عبدالرحمان إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد فبايع
عثمان وبايعوه.

هو ومن على نزعتيه وخطواته أن تصديه للخلافة كان بمشورة من المهاجرين والأنصار
وتصويبها، ومن أجل أنه من شجرة النبي وأقربائه.

وأمر المؤمنين عليه السلام في هذه الأبيات يردّ عليه ويفند كلتي حجّتيه ويقول له: كيف
تدعي أن خلافتك كانت بمشورة والحال أن كافة بني هاشم والأنصار كانوا غائبين عن أمرك
ومعارضين لك، وأنه لم يكن معك في بداية بيعتك إلا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح؟
ويردّ على ثاني حجّتيه بأنّه إن كان القرب إلى النبي صلى الله عليه وآله من جهات الأولوية
بالخلافة، فلازم هذا أن يكون الأقرب إلى النبي وألصق به أولى بالخلافة من غيره فما بالك
تقمصت قميص الخلافة مع حضور الأقرب، واحتججت على خصيمك بحجة غيرك؟!

ومما يدلّ على أن الكلام في هذه الأبيات مع أبي بكر دون عثمان، ما ورد عن أمير المؤمنين
عليه السلام في منشور الكلام، ورواه عنه جماعة منهم السيّد الرضّي في المختار: (١٨٥) أو ما
حوله من الباب الثالث من كتاب نهج البلاغة.

وأقول : هذا إن ثبت أنَّ الخطاب كان لعثمان كما ذكره الشارح، وإلَّا فيمكن أن يكون الخطاب لأبي بكر، فالمراد بالمشيرين بنو هاشم وأتباعهم.
وقوله: «وإن كنت بالقربى» الخ بهذا أنسب، لما عرفت أنهم احتجوا على الأنصار بالقراءة وقد مرَّ مثل هذا الكلام منه عليه السلام في النثر

١٧- ومنها في تهديد من أجترأ عليه في الوغا:

يا جامعاً لشملة ساعاته ودنت منيَّته وحان وفاته
ارجع فإنني عند مختلف القنا ليث يكرّ على العدى جرّاته
بيان :

«ودنت» معطوف على «جامعاً» كقوله تعالى: ﴿فالتق الاصباح وجعل الليل سكناً﴾ [٩٦/ الأنعام: ٦].

١٨- ومنها في استئذان القتال من النبيّ صلى الله عليه وآله:

هل يدفع الدرع الحصين منيَّةً يوماً إذا حضرت لوقت مماتي
إنّي لأعلم أنّ كلّ مجمّع يوماً يؤول لفرقة وشتات
يا أيّها الداعي النذير ومن به كشف الإله رواكد الظلمات
أطلق فديتك لابن عمك أمره وأرم عداتك عنه بالجمرات
فالموت حقّ والمنية شربة تأتي إليه فبادر الزكوات
بيان :

«الرواكد»: الثوابت «فبادر الزكوات»: أي بادر أبن عمك ما يوجب زكاة النفوس وطهارتها من الذنوب وذمائم الأخلاق.

١٩- ومنها خطاباً لفاطمة عند توجّهه إلى قتال المشركين:

قَرَّبِي ذَا الْفَقَارِ فَاطْمَ مِنِّي فَأَخِي السَّيْفَ كُلَّ يَوْمٍ هَيَّاجَ
قَرَّبِي الصَّارِمَ الْحَسَامَ فَإِنِّي رَاكِبٌ فِي الرِّجَالِ نَحْوَ الْهَيَّاجِ
وَرَدَ الْيَوْمَ نَاصِحاً يَنْذِرُ النَّاسَ جِيُوشَ كَالْبَحْرِ ذِي الْأَمْوَاجِ
وَرَدُوا مُسْرِعِينَ يَبْغُونَ قَتْلِي وَأَبِيكَ الْمَحْبُوءَ بِالْمَعْرَاجِ
وُخْرَابَ الْأَوْطَانِ وَقَتْلَ النَّاسِ وَكُلَّ إِذَا أَصْبَحَ لَاجِي
سَوْفَ أَرْضِي الْمَلِيكَ بِالضَّرْبِ مَا عَشْتُ إِلَى أَنْ أَنْالَ مَا أَنَا رَاجِ
مَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامَ أَوْ يَأْتِي الْمَوْتَ شَهِيداً مِنْ شَاخِبِ الْأَوْدَاجِ

بيان :

يوم الهياج - بالكسر :- يوم القتال. والصارم بكسر الراء والحسام
- بالضم :- السيف القاطع.

وقال الشارح: الهياج: جمع الهائج، وهو الفحل يشتهي الضراب.
[قوله:] «ناصحاً» مفعول [لقوله:] «ورد» والواو في قوله: «وأبيك» للقسمة أو
عطف على ضمير المتكلم في [قوله:] «قتلي» على مذهب من جوزه. و«خراب»
معطوف على «قتلي» [قوله:] «أصبح لاج»: أي ملتجئاً إلي. والشخب: السيلان.
والودجان: عرقان في العنق. و«من» بيانية أو ابتدائية ولا يخفى توجيهها على
الليب.

٢٠- ومنها في الشكوى [من يتظاهر بالخلة ويبطن الخلاف:]

كُلَّ خَلِيلٍ لِي خَالَتَهُ لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَةً
فَكُلَّهُمْ أَرْوَغَ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

بيان :

الواضحة: الأسنان التي تبدو عن الضحك.

٢١- ومنها [ما أنشده] عند بناء مسجد المدينة:

لا يستوي من يعمر المساجدا ومن يبني راعياً وساجداً
يدأب فيها قائماً وقاعداً ومن يكرّ هكذا معانداً
ومن يرى عن الغبار حائداً

٢٢- ومنها في عرض الإيوان على سيّد الأنام:

يا شاهد [اللّه] عليّ فاشهد إنّي على دين النّبي أحمد
من شكّ في الدين فإنّي مهتدي يا ربّ فاجعل في الجنان موردي

٢٣- ومنها في الاعتذار من قتل من قتلهم من قريش:

قريش بدتنا بالعداوة أولاً وجاءت لتطفئ نور ربّ محمد
بأفواههم والبيض بالبيض تلتقي بأيديهم من كلّ غضب مهنّد
وخطيّة قد سقّفت سمهرية أسنّتها قد حودثت بمحدّد
فقلنا لهم: لا تبعثوا الحرب وأسلموا وفيئوا إلى دين المبارك أحمد
فقالوا: كفرنا بالذي قال إنّه يوعدنا بالحكم والحشر في غد
فقتلتهم واللّه أفضل قرينة إلى ربّنا البرّ العظيم المجد

بيان :

«بدت»: من البدو، أو من المهموز. والغضب: السيف القاطع. والمهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. وتثقيف الرماح: تسويتها. ذكره الجوهري وقال: الإسمهراز: الصلابة والشدّة. والسمهرية: القناة الصلبة. ويقال: [هي] منسوبة إلى سمهر إسم رجل كان يقوم الرماح يقال: رمح سمهري ورمح سمهرية. ومحادثة السيف: جلاؤه. والسلم - بالتحريك -: الخلوص. والأظهر أنّه من السلامة أو السلام بمعنى الصلح. والفيء: الرجوع. والقتلة

- بالكسر :- القتل.

٢٤- ومنها خطاباً لسعيد بن سلمة المخزومي:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّيَاءَ بِقُدْرَةٍ
بَعَثَ الَّذِي لَا مِثْلَهُ فِيْمَا مَضَى
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمَحَاسِبٌ
أَقْبَلَ إِلَى الْإِسْلَامِ إِنَّكَ جَاهِلٌ
وَاللَّاتِ وَالْهَجَرَاتِ فَاهْجُرْ إِنِّي
حَتَّى عَلَا فِي عَرْشِهِ فَتَوَحَّدا
يَدْعَى بِرَأْفَتِهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا
فَالِإِ مَتَى تَبْغِي الضَّلَالَةَ وَالرَّدَى
وَتَجَنَّبُ الْعُزَى وَرَبِّكَ فَاعْبُدَا
أَخْشَى عَلَيْكَ عَذَابَ يَوْمِ سَرْمَدَا

بيان :

الهجرات: الهذيانات.

٢٥- ومنها في المفاخرة:

أَنَا، أَخُو الْمُصْطَفَى لَا شَكَّ فِي نَسْبِي
جَدِّي وَجَدَّ رَسُولِ اللَّهِ مَتَّحِدٌ
صَدَّقْتَهُ وَجَمِيعَ النَّاسِ فِي ظِلْمٍ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَرْدًا لَا شَرِيكَ لَهُ
مَعَهُ رُبِّيْتُ وَسَبَّطَاهُ هُمَا وَلَدِي
وَفَاطِمٌ زَوْجَتِي لَا قَوْلَ ذِي فَئِدٍ
مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْإِشْرَاقِ وَالنَّكَدِ
الْبَرِّ بِالْعَبْدِ وَالْبَاقِي بِلَا أَمَدٍ

بيان :

الفند: ضعف الرأي من هرم. والنكد - بالتحريك -: أيضاً الشدة.

٢٦- ومنها [ما] قاله عليه السلام عند قربهِ من البصرة:

وَإِنِّي قَدْ حَلَلْتُ بَدَارَ قَوْمٍ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سَوْدُ
هُمْ إِنْ يَظْفَرُوا بِي يَقْتُلُونِي وَإِنْ قَتَلُوا فَلَيْسَ لَهُمْ خُلُودُ

٢٧- ومنها مخاطباً لابنه محمد [أبن الحنفية] في حرب الجمل:

اطعن بها طعن أبيك محمد لا خير في حرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد

بيان :

الضمير في [قوله:] «توقد» راجع إلى الحرب قال تعالى: ﴿كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا
لِلْحَرْبِ﴾ [٦٤/ المائدة: ٤] والمشرقي - بالفتح -: السيف المنسوب إلى مشارف
الشام.

٢٨- ومنها مخاطباً للأشعث [بن قيس الكندي] في صفين:

اصبر على تعب الإدلاج والسهر وبالرّواح على الحاجات والبر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها فالنّجح يتلف بين العجز والضر
إنّي وجدت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودّة الأثر
وقلّ من جدّ في أمر يطالبه فاستصحب الصّبر إلّا فاز بالظفر

بيان :

روي أنّ الأشعث بن قيس دخل عليه بصفين وهو قائم يصليّ ظهره فقال:
قلت: يا أمير المؤمنين أدؤب بالليل [و] دؤب بالنهار؟ [قال:] فأنسلّ من صلاته
وهو يقول هذه الأبيات. والإدلاج: السير بالليل. والبر: جمع البكرة.

٢٩- ومنها في الشكاية عن أهل الزّمان:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكلّ أمر منكر
وبقيت في خلف يزيّن بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور
سلكوا بُنيّات الطريق فأصبحوا متنكبّين عن الطّريق الأكبر

بيان :

الإعوار: الريبة. ومكان معور: [أي] يخاف فيه القطع. والعورة: كلها يُستحى منه. وبنيات الطريق: الطرق الصغيرة المنشعبة من الجادة .

٣٠- ومنها في [بيان] حسن خلقه عليه السلام:

أريد بذاكم أن يهشّوا لطلعتي وأن يكثرُوا بعدي الدّعاء على قبري
وأن يمنحوني في المجالس ودّهم وإن كنت عنهم غائباً أحسنوا ذكري

بيان :

بذاكم: أي بالمزاح. والهشاشة: الإرتياح والخفة للمعروف. والطلعة: الرؤية.

٣١- ومنها في ذمّ بعض أهل زمانه عليه السلام:

ما فيك خير ولا مير يعدّله قضيت منك لباناتي وأوطاري
فإن بقيت فلا ترجى لمكرمة وإن هلكت فمذموماً إلى النار

بيان :

قال الجوهري: الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. وقد مار أهله يميّهم
ميراً. ومنه قولهم: ما عندهم خير ولا مير. واللبانة والوطر: الحاجة.

٣٢- ومنها مخاطباً لبعض أزواجه عليه السلام:

إلى كم يكون العذل في كلّ ليلة لما لا تملّين القطيعة والهجرة
رؤيدك إنّ الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البيت فانتظري الدهر

بيان :

العذل: الملامة. وقال شارح [الديوان]: التملية: إيقاد النار بلا حطب. ولم أره فيما عندنا من كتب اللغة، ويمكن أن يكون من الإِملاء بمعنى الإِمهال والتأخير، أو من الملال والأخير أظهر. ورؤيدك أسم فعل بمعنى أمهل.

٣٣- ومنها في ذكر هجرة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ ومببته عليه السَّلام على فراشه، رواه أبو جعفر الطوسي وغيره^(١):

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصا ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق إذ مكروا به فنَجَّاه ذو الطول الكريم من المكر
وبتُّ أراعيهم متى ينشرونني وقد وطَّنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً موقى وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثم ذمَّت قلائص قلائص يفرين الحصا أينما تفري
أردت به نصر الإله تبتلاً وأضرته حتى أوسد في قبري

بيان :

نشرت الخشبة أنشرها إذا قطعتها بالمنشار. والنشر: البسط والتفريق. والقلوص: الناقة الشَّابة، وجمعه قلص [على زنة عنق] وجمعه قلائص. والفري: ألقطع. و«تفري» يحتمل الخطاب، والشارح حمّله على الغيبة وأرجع الضمير إلى «القلائص». والتبتل: الإنقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى.

وروى [الميبذی] في [شرح] الديوان عن عبدالله بن شريك عن أبيه

(١) رواه الشيخ الطوسي في أوّل الجزء (١٦) من أماليه: ج ١، ص ٤٥٨ ط بيروت.

ورواه أيضاً الحاكم النيسابوري في كتاب الهجرة من كتاب المستدرک: ج ٣ ص ٤.

ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني في الحديث: (١٤١) من كتاب شواهد التنزيل: ج ١، ص

أَنَّهُ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّكَ رَبُّهُمْ! فَدَعَاهُمْ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ مِثْلَكُمْ أَكَلِ الطَّعَامَ وَأَشْرَبِ الشَّرَابَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا.

فَأَتَوْهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثَ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ إِنْ تَبْتِمُ وَإِلَّا قَتَلْتُكُمْ أَخْبَثَ قَتْلَةٍ. فَدَعَا قَنْبَرًا وَأَتَى بِقُدُومٍ فَحَفَرَ لَهُمْ أَخْدُوداً بَيْنَ بَابِ الْمَسْجِدِ وَالْقَصْرِ، فَدَعَا بِالْحَطْبِ فَطَرَحَهُ وَالنَّارَ فِيهِ وَقَالَ: إِنِّي طَارِحُكُمْ فِيهَا أَوْ تَرْجِعُوا. فَأَبَوْا فَقَذَفَ بِهِمْ فِيهَا حَتَّى أَحْتَرَقُوا.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: لَمْ يَحْرِقْهُمْ وَإِنَّمَا إِدْخَنَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَمَّا رَأَيْتَ الْأَمْرَ أَمْرًا مَنَكْرًا أَوْقَدْتَ نَارِي وَدَعَوْتَ قَنْبَرًا
ثُمَّ أَحْتَفَرْتَ حُفْرًا وَحَفَرًا وَقَنْبَرٌ يَحْطُمُ حَطًّا مَنَكْرًا

٣٤- ومنها في مدح أهل البيت عليهم السلام:

قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّنَا خَيْرُهُمْ نَسَبًا وَنَحْنُ أَفْخَرُهُمْ بَيْتًا إِذَا فَخَرُوا
رَهْطَ النَّبِيِّ وَهُمْ مَأْوَى كِرَامَتِهِ وَنَاصَرُوا الدِّينَ وَالْمَنْصُورَ مِنْ نَصَرُوا
وَالْأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّنَا خَيْرُ سَاكِنِهَا كَمَا بِهِ تَشْهَدُ الْبَطْحَاءُ وَالْمَدَرُ
وَالْبَيْتُ ذُو السِّتْرِ لَوْ شَاءُوا يَجِدُثُهُمْ نَادَى بِذَلِكَ رُكْنَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرُ

بيان :

لَعَلَّ [المراد من] علم الأرض: علمها على تقدير الحياة، أو المراد أهل الأرض. وشهادة البطحاء وأمثالها أيضاً بلسان الحال أو أهلها.

٣٥- ومنها في الفخر وإظهار المكارم:

إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيَا مَعَدٌّ وَمَذْحَجٌ بِمَعْرَكَةٍ يَوْمًا فَإِنِّي أَمِيرُهَا
مُسَلِّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي فِي الْوَعَا وَمَكْلُومَةٌ لِبَاتِهَا وَنَحُورُهَا

حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندقّ منها في الصدور صدورها

بيان :

معد - بالفتح -: أبو العرب. ومذحج - بفتح الميم والذال المعجمة وتقدير الحاء على الجيم -: أبو قبيلة. والأكفال: جمع الكفل. والغرض أنا لا نفرّ في الحرب ولا نتبع المدبر.

٣٦- ومنه في مثله، وروي أنّه قالها لما بويع من قبله بالخلافة:

أغمّض عيني عن أمور كثيرة وإني على ترك الغموض قدير
وما من عمى أغضي ولكنّ ربّما تعامى وأغضى المرء وهو بصير
وأمسكت عن أشياء لو شئت قلته وليس علينا في المقال أمير
أصبر نفسي في اجتهادي وطاقتي وإني بأخلاق الجميع خير

٣٧- ومنه في الشكاية بمنّ خانه وخالفه من قريش وغيرهم:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربك ما بزّوا ولا ظفروا
فإن بقيت فرهن ذمّتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر
وإن هلكت فإني سوف أورثهم ذلّ الحياة فقد خانوا وقد غدروا
إمّا بقيت فإني لست متخذاً أهلاً ولا شيعة في الدين إذ فجروا
قد بايعوني ولم يوفوا ببيعتهنّ وما كروني في الأعداء إذ مكروا
وناصبوني في حربٍ مضرّة ما لم يلاق أبو بكر ولا عمر

بيان :

في بعض النسخ: رواه أبو عمرو بن العلاء، وأبن درستويه، وقال بعد البيتين الأولين: «قال أبو عثمان المازني لم يصحّ عندنا [أنّه] تكلم بشيء من

الشعر إلا هذين البيتين».

قلت: هذا القول منه لا يدل على أنه لم يصح أصلاً [حتى عند غيره]، وقد يصح عند غيره أشياء لا تحصى.

[ثم قال:] وزاد غيرها. ثم ذكر باقي الأبيات.

و «تَمَنَّى»: أصله تَمَنَّى. [وقوله:] «ما بَزَّوا»: ما غلبوا. وفي بعض النسخ [ذكرت اللفظة] بالراء المهملة. والرهن بمعنى المفعول [: أي المرهون]. والذمة: ما يذم الرجل على إضاعته من عهد. والودق: المطر.

وفي [كتاب] الأساس: «حرب ذات ودقين»: شُبَّهت بسحابة ذات مطرتين شديديتين.

وقال الجوهري: ذات ودقين: الداهية: أي [الداهية] ذات وجهتين كأنها جاءت من وجهين. وأصل «إِما» إن ما.

٣٨- ومنه بعد قتل طلحة والزبير:

أشكوا إليك عَجري وَبَجري ومعشراً أعشوا علي بصري
إني قتلت مضري بمضري جدعت أنفي وقتلت معشري

بيان :

قال [أبن الأثير - نقلاً عن الهروي -] في [مأدّة «بجر» من كتاب] النهاية: في حديث علي عليه السلام: «أشكوا إلى الله عَجري وَبَجري»: أي همومي وأحزاني. وأصل العجرة: نفخة في الظهر، فإذا كانت في السرة فهي بجرة.

وقيل: العجر: العروق المتعقدة في الظهر، والبجر: العروق المتعقدة في البطن، ثم نقلاً إلى الهموم والأحزان، أراد أنه يشكو إلى الله أموره كلها ما ظهر

منها وما بطن.

والإغشاء: السّتر. ومُضِر: قبيلة أبوهم مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
والجدع - بالبدال المهملة -: قطع الأنف.

٣٩- ومنه خطاباً لابن العاص في [معركة] صِفّين:

يا عجباً لقد رأيت منكراً كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرى
ما كان يرضى أحمد لو خيراً أن تعدلوا وصيّه والأبتر
شاني النبيّ واللعين الأخرزا كلاهما بجنده قد عسكرا
قد باع هذا دينه إذ فجّرا بملك مصر إن أصابا ظفرا
من ذا بدنيا يبيعه قد خسرا
يا ذا الذي يطلب منّي الوترا إن كنت تبغي أن تزور القبرا
حقاً وتُصلي بعد ذاك الجمرا أسعطك اليوم ذعائاً صبرا
لا تحسبني يا ابن عاص عسرا سل بي بدرأ ثم سل بي خيبرا
كانت قريش يوم بدر جزراً
إنّي إذا ما الحرب يوماً حضرا أضربت ناري ودعوت قنبرا
قدّم لوائي لا تؤخّر حذرا لن ينفع الحاذر ما قد حذرا
ولا أخا الحيلة عمّا قدّرا إنّ الحذار لا يردّ القدرا
لما رأيت الموت موتاً أحمر دعوت همدان وادعوا حميرا^(١)
لو أن عندي يوم حربي جعفرا أو حمزة الليث الهمام الأزهرا^(٢)
رأت قريش نجم ليل ظهرها^(٣)

(١) كذا في أصلي من طبع الكمباني من البحار، وفي كتاب صِفّين: «عبأت همدان وعبّوا حميرا».

(٢) كذا في طبع الكمباني من البحار، وفي كتاب صِفّين:

لو أن عندي يا ابن هند جعفرا أو حمزة القرمّ الهمام الأزهرا

أقول: روى الأبيات نصر بن مزاحم في كتاب صفين وزاد بعد قوله: «وادعوا حميرا»:

حيّ يمان يعظمون الخطرا قرن إذا ناطح قرنأ كسرا
قل لابن حرب لا تدبّ الخمرأ أرود قليلاً أبد منك الضجرا
لا تحسبني يا ابن حرب غمرأ وسل بنا بدرأ معاً وخيبرأ
كانت قريش يوم بدر جزرا إذ وردوا الأمر فذموا الصدرا

بيان :

«الأبتر الشامي»: هو عمرو بن العاص. «واللعين الأخزر» معاوية. والأخزر: الضيق العين. أو الذي ينظر بمؤخر العين.

وقال الشارح: الأبتر معاوية، والأخزر [هو] عمرو.

وهو ينافي ما ذكره الخاص والعام أن قوله [تعالى]: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [١/ الكوثر: ٨، ١٠]. نزل في عمرو. والوتر: الجناية. والاسعاط: صبّ الدواء في الأنف. والذعاف: السم. وموت ذعاف: أي سريع. والصبر: المرء.

وقال الجوهري: جزر السباع: اللحم الذي تأكله يقال: تركوهم جزراً - بالتحريك - إذا قتلوهم. [قوله عليه السلام: «أضمرت ناري»]: أي نار الغضب. و [قال الجوهري] في الصحاح: موت أحمر يوصف بالشدة.

قوله عليه السلام: «رأت قريش»: أي يصير عليهم اليوم ليلاً لشدة الأمر.

٤٠- ومنه في الشكوى:

(٣) الأبيات المذكورة في وسط الجزء الأول من كتاب صفين ص ٤٣ ط مصر. بمغايرة في بعض الألفاظ.

صبرت على مرَّ الأمور كراهةً وأبقيت في ذاك الصَّباب من الأمر
الصَّابة - بالضم -: البقية من الماء والجمع صباب [أو صُبابات] وهو
كناية عن الخلافة وما أصابه منها.

وفي بعض النسخ: [الضباب] بالضاد المعجمة وهي سحابة تغشي
الأرض كالدَّخان، فتكون كناية عما لحقه وبقي عليه من الشدائد والمحن.

٤١- ومنه خطاباً لأصحابه في صفين:

دَبَّوا دبيب النمل قد آن الظفر لا تنكروا فالحرب ترمي بالشر
إنا جميعاً أهل صبر لا خور

بيان :

الخور - بالتحريك -: الضعف.

٤٢- ومنه شكاية عن حيلة [عمر] بن العاص في التحكيم:

لقد عجزت عجز من لا يقتدر سوف أكيس بعدها وأستمرّ
أرفع من ذيلي ما كان يجرّ قد يجمع الأمر الشَّتيت المنتشر

٤٣- ومنه في الشكاية عن قلة الأنيس الموافق:

الحمد لله حمداً لا شريك له دأبي في صبحه وفي غلسه
لم يبق لي مونس فيؤنسني إلا أنيس أخاف من أنسه
فاعتزل الناس ما أستطعت ولا تركن إلى من تخاف من دنسه
فالعبد يرجو ما ليس يدركه والموت أدنى إليه من نفسه

بيان :

الغلس: ظلمة آخر الليل.

٤٤- ومنه في المفاخرة:

أتحسب أولاد الجهالة أننا على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم بقتلي ذوي الأقران يوم التماس
وإنّا أناس لا نرى الحرب سبةً ولا ننثني عند الرماح المداعس
وهذا رسول الله كالبدّر بيننا به كشف الله العدا بالتناكس
فما قيل فينا بعدها من مقالة فما غادرت منّا جديداً للابس

بيان :

«بنو البدر»: من حضرها. وتمارسوا في الحرب: تضاربوا. والسبة
- بالضم -: عار يسبّ به. والمدعاس: الرمح الذي لا ينثني. والمدعس: الرمح
يدعس به. «بالتناكس»: أي بانقلاب رأيهم أو بانهمزام.

قوله عليه السلام: «فما غادرت»: يحتمل أن يكون المراد عدم رضاه بما
ذكره فيه الغالون: أي ما ذكره أبلى ثيابنا وأذهب عزنا.

أو يكون إشارة إلى ما ذكره القالون المبغضون ولعله أظهر.

ويحتمل أن يكون خبر الموصول محذوفاً: أي لا حاجة لنا فيها و[يكون]
ضمير «غادرت» راجعاً إلى ما ذكره عليه السلام من المناقب: أي لم تترك جديداً
لم تأت به إلينا.

أو المعنى أن بعد تحقّق تلك المناقب لا ينفع غاصبينا وأعداءنا ما قالوا
فينا من المثالب؛ لأنّ يلبسوا بسبنا ثوباً جديداً من الخلافة.

٤٥- ومنه في المفاخرة وإظهار الشجاعة:

السيف والخنجر ریحاننا أفّ على النرجس والآس
شرابنا من دم أعدائنا وكأسنا جمجمة الراس

٤٦- ومنه في مثله:

إني أنا الليث الهزبر الأشوش والأسد المستأسد المعرّس
إذ الحروب أقبلت تضرّس وأختلفت عند النزال الأنفس
ماهاب من وقع الرماح الأشرس

بيان :

قال الأصمعي: الليث: دابة مثل الحرباء يتعرّض للراكب وينسب إلى بلدة «عفرين» بكسر العين وتشديد الراء، وفي المثل: هو أشجع من ليث عفرين. ويحتمل أن يكون هو المراد هنا فإنّ التأسيس أولى. والهزبر: الأسد. والشوش - بالتحريك -: النظر بمؤخر العين تكبراً وتغيّظاً. ذكره الجوهري وقال: استأسد: أجترأ عليه. وقال: التعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل يقفون فيه وقفة للإستراحة ثمّ يرتحلون. والعريس والعريسة: مأوى الأسد. وضرّسته الحرب تضرّساً: أي جرّبه وأحكمته. ووقع الحديد: صوته. ورجل أشرس: أي عسر شديد الخلاف أو جريء على القتال. والأشرس: الأسد.

٤٧- ومنه في بناء سجن بالقصب:

ألا تراني كيّساً مكيساً بنيت بعد نافع مخيّساً
حصناً حصيناً وأميناً كيّساً

بيان :

المكيس [بكسر الياء]: من يجعل غيره كيّساً. و[قال الفيروزآبادي] في القاموس المخيّس - كمعظم ومحدّث -: السّجن، وسجن بناه عليّ عليه السلام، وكان أولاً جعله من قصب وسماه نافعاً فنقبه اللصوص. ثم ذكر الأبيات وفيه:

«باباً حصيناً»^(١).

و [قال الجوهري] في الصحاح: خَيْسَه تَخْيِيساً: أي ذُلَّه. ومنه المَخْيِيس وهو أَسَم سَجَن كان بالعراق: أي موضع التذليل.

٤٨- ومنه رسالة إلى [عمرو] بن العاص:

لأَصْبَحَنَّ العاصي أَبَن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقِّين حلق الدلاص قد جَنَبُوا الخيل مع القلاص
آساد غيل حين لا مناص

بيان:

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(٢): «لما بلغ عمرو بن العاص مسيره عليه السلام إلى الشام قال:

لا تحسبني يا عليّ غافلاً لأوردنَّ الكوفة القبائل»^(٣)
بجمعي العام وجمعي قابلاً
فأجابه [عليّ عليه السلام] بهذه الأبيات.

ويقال صَبَّحتهم: أي أتيتهم به صباحاً. وعقد النواصي كناية عن الإهتمام في الحرب. وأستحقِّبه: أي أحتمله. والحلق - بالفتح -: جمع الحلقة. وقال الجوهري: الدليص والدلاص: اللين البراق يقال: درع دلاص وأدرع دلاص. وقال: الغيل - بالكسر -: الأجمة وموضع الأسد قيل: [هو] مثل «خيس». وقال:

(١) هذا هو الصواب الموافق للقاموس، وفي طبع الكمباني من البحار: «باب حصينة».

(٢) رواه نصر بن مزاحم في أوائل الجزء الثالث من كتاب صفين ص ٦٣١ ط مصر.

(٣) كذا في أصلي، وفي طبع مصر من كتاب صفين: «القنابلا». وهي جمع «قَنْبَل و قَنْبَلَة»: جماعة الناس أو الخيل.

المناص: الملجأ والمفرّ.

٤٩- ومنه في الاحتجاج على الخصوم:

لنا ما تدّعون بغير حقّ إذا ميز الصّحاح من المراض
عرفتم حقّنا فجحدتموه كما عُرف السّواد من البياض
كتاب الله شاهدنا عليكم وقاضينا الإله فنعم قاض

٥٠- وفيه [ومنه ل] أنه كتب معاوية إليه عليه السلام:

لا تفسدنّ سابق إحسان مضى والله لا تغلب فيما قد قضى
فأجابه [عليّ] عليه السلام:
إن كنت ذا علم بما الله قضى فأثبت اصادفك وسيفي منتضى
والله لا يرجع شيء قد مضى والله لا يبرم شيئاً نقضا

٥١- ومنه في المفاخرة:

نحن نوّم النمط الأوسطا لسنا كمن قصر أو أفرطاً

٥٢- ومنه في الشكوى:

مات الوفاء فلا رفسد ولا طمع في الناس لم ييسق إلّا اليأس والجزع
فاصبر على ثقة بالله وارض به فالله أكرم من يرجى ويتبع

٥٣ - ومنه في التذلل [إلى الله تعالى]:

ذنوبي إن فكّرت فيها كثيرة ورحمة ربّي من ذنوبي أوسع
فما طمعي في صالح قد عملته ولكنني في رحمة الله أطمع
فإن يك غفران فذاك برحمة وإن تكن الأخرى فما كنت أصنع

مليكي ومعبودي وربّي وحافظي وإني له عبد أقرّ وأخضع

٥٤ - ومنه في وصف قتل الأغشم:

أودى بأغشم دهر كان يأمله فخرّ منجداً في الأرض مصروعاً
قد كان يكثر في الكلام تسميعاً حتى سما بحسامه ترويعاً
فعلوته مني بضربة فاتك ما كان يوماً في الحروب جزوعاً
من كان ينكر فضلنا وسناءنا فأنا عليّ للإله مطيعاً

بيان :

أودى: هلك. والباء للتعدية. والتسميع: التشيع. والترويع: التخويف.
والفاتك: الجري الشجاع. والسّناء: الرفعة.

٥٥ - ومنه في إظهار الشوكة والقوة:

هل يقرع الصخر من ماء ومن مطر هل يلحق الريح بالآمال والطمع
أنا عليّ أبو السبطين مقتدر على العداة غداة الروع والزمع

بيان :

«هل يقرع الصخر»: أي لا يؤثر الماء والمطر في الحجر الصلب. والغرض
النهي عن الطمع فيما لا يتيسر ولا تقدر عليه. والريح: الغلبة والقوة. ويحتمل
معناه المعروف. والزمع - بالتحريك -: الدهش.

٥٦ - ومنه في التلّّف عن قتل أنصاره:

يا لهف نفسي قتلت ربيعة ربيعة السامعة المطيعة
سمعتها كانت بها الواقعة بين محاني سوقها المبيعة

فما بها نقص ولا وضیعة ولا الأمور الرّثة الشنیعة
كانت قديماً عصبة منیعة ترجو ثواب الله بالصنیعة
ومرّة أنسابها ولیعة قالعة أصواتها رفیعة
ليست كأصوات بني الخضيعة
دعا حكيم دعوةً سمیعة من غير ما بطل ولا خديعة
نال بها المنزلة الرفیعة في الشرف العالي من الدّسیعة
بيان :

ربيعة أبو قبيلة. والمحاني: المعاطف. وسوق الحرب: حومة القتال.
والمبيعة: موضع البيع والرّثة - بالكسر -: السقط من متاع البيت. ومرّة: أبو
قبيلة من قيس. وهو مفعول «دعا».

والولع: الكذب. والقلع - بالفتح -: كون القدم غير ثابت عند
المصارعة. ورقعه: أي هجاه. والخضيعة: صوت بطن لذاته. وحكيم هو ابن جبلة
الذي [قتل في محاربته طلحة والزبير] قتل بـ «المربد»^(١)

قوله [عليه السلام]: «سمیعة»: أي مستمعة. والبطل - بالضم -:
البطلان. والدسیعة: العطیة.

٥٧- ومنه في الرضا:

ما لي على فوت فائت أسف ولا تراني عليه ألتهف
ما قدّر الله لي فليس له عنيّ إلى من سواي منصرف
فالحمد لله لا شريك له ما لي قوت وهمتي الشرف
أنا راض بالعسر واليسار فما تدخلني ذلة ولا صلف

(١) هذا هو الصواب وفي أصلي: «الرّبذة» والمربد هو موضع بالبصرة قتل فيه حكيم بن جبلة في
محاربته مع جند طلحة والزبير.

بيان :

الصلف: مجاوزة قدر الظرف و الإدعاء فوق ذلك تكبراً.

٥٨- ومنه في [قصة] قتل كعب بن الأشرف وإجلاء بني النضير:

عرفت ومن يعتدل يعرف
عن الكلم الصدق يأتي بها
رسائل يدرسن في المؤمنين
فأصبح أحمد فينا عزيزاً
فيا أيها الموعوده سفاهاً
ألستم تخافون أدنى العذاب
فإن تصرعوا تحت أسيافنا
غداة رأى الله طغيانه
فأنزل جبريل في قتله
فدسّ الرسول رسولاً له
فباتت عيون له معولات
فقالوا لأحمد ذرنا قليلاً
فخلّاهم ثم قال: اظعنوا
وأجلى النضير إلى غربة
إلى أذرعات رادفاً هم

وأيقنت حقاً ولم أصدف
من الله ذي الرأفة الأرف
بهنّ اصطفى أحمد المصطفى
عزيز المقامة والموقف
ولم يأت جوراً ولم يعنف
وما آمن الله كالأخوف
كمصرع كعب أبي الأشرف
وأعرض كالجمل الأخيف
بوحى إلى عبده المल्पف
بأبيض ذي ظبة مرهف
متى ينع كعب لها تذرف
فإننا من النوح لم نششف
دحوراً على رغبة الانف
وكانوا بدارة ذي زخرف
على كل ذي دبر أعجف

بيان :

«يأتى بها»: أي النبي صلى الله عليه وآله. و «سفاهاً»: تمييز أو حال.
والجنف: الميل: أي الجمل الكثير الميل عن القصد.

قوله: «فإن تصرعوا»: جزاء الشرط محذوف: أي لانتقمنا منكم ولم يكن

بعيداً. و«غداة» بفتح التاء مضاف إلى الجملة. وقيل: [المراد من] الوحي [هو] قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [١٢/آل عمران].

والدسّ: الإرسال خفية. والرسول [هو] محمد بن مسلمة الذي بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لقتل كعب غيلةً، وقد مرّت القصة في المجلد السادس.

«متى ينع» على بناء المجهول من النعي: وهو خبر الموت. وضمير «لها» راجع إلى العيون والإسناد فيه وفي «المعولات» على المجاز. وذرفت عينه: سال منها الدمع. و«الأنف»: جمع الأنف. و«الأذرع»: - بفتح الهزمة وكسر الراء - موضع بالشام. والرداف: جمع الرديف. والدبر: جراحة تحدث في ظهر البعير وجنبه. والأعجف: المهزول.

٥٩- ومنه في هرب غطريف بن جشم:

يا لهف نفسي على الغطريف المدّعي البأس وبذل الريف
أفلت من ضرب له خفيف غير كريم الجدد أو طريف
بيان :

البأس: الشدّة في الحرب. والريف - بالكسر -: أرض فيها زرع وخصب: أي كان مدّعياً لغاية الشجاعة والكرم. والطريف في النسب: الكثير الآباء إلى الجدّ الأكبر.

وقال الشارح: أي ما جدّه غير كريم أو بينه وبين جدّه الكريم آباء كثيرة.

٦٠- ومنه في إظهار الشوق إلى الكوفة:

يا حَبْذا سيف بأرض الكوفة^(١) أرض لنا مألوفة معروفة
يطلقها جمالنا المعلوفة عمي صباحاً واسلمي مألوفة
بيان :

السيف - بالكسر -: ساحل البحر.

و [قال ابن الأثير] في [مادة «عرف» من كتاب] النهاية: العَرَف: الريح
الطيبة ومنه حديث علي عليه السلام: «حَبْذا أرض الكوفة أرض سواء سهلة
معروفة» أي طيبة العرف. وقولهم: «عم صباحاً»: كلمة تحية كأنه محذوف [منه
حرف]، من «نعم ينعم» بالكسر كما يقال: كل من «أكل يأكل» فحذف النون
والألّف تخفيفاً.

٦١- ومنه في الرضى [بما قسم الله وقدره له]:

رضيت بما قسم الله لي وفوّضت أمري إلى خالقي
لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي

٦٢- ومنه في الفخر بالعلم:

علمي معي أينما قد كنت يتبعني قلبي وعاء له لا جوف صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

٦٣- ومنه في الشكاية عن الرفقاء:

تفرّبت أسأل من عنّ لي من الناس هل من صديق صندوق

(١) كذا في أصلي، والأبيات ذكرناها عن مصدر آخر في حرف الفاء مما جمعنا من أبيات أمير
المؤمنين عليه السلام في الباب السادس من نهج السعادة وفيه:
يا حَبْذا السير بأرض الكوفة تعرفها جمالنا المعلوفة

فقالوا: عزيزان لا يوجدان صديق صدوق وبيض الأنوق
بيان :

الأنوق [كصبور]: الرخمة وفي المثل: «أعزّ من بيض الأنوق»؛ لأنّه
يحرزها فلا يكاد يظفر بها لأنّ أوكارها في رؤس الجبال والأماكن الصعبة
البعيدة.

٦٤- ومنه في مثله:

تراب على رأس الزمان فإنّه زمان عقوق لا زمان حقوق
فكلّ رفيق فيه غير موافق وكلّ صديق فيه غير صدوق

٦٥- ومنه في سبب بغض الأعداء:

ما تركت بدر لنا صديقاً ولا لنا من خلفنا طريقاً

٦٦- ومنه خطاباً لموسى بن حازم العكّي في الحرب:

دونكها مترعة دهاقاً كأساً زعافاً مزجت زعاقاً
إنّا لقوم ما ترى ما لاقا أقدّ هاماً وأقط ساقا

بيان :

دونكها أي خذها والضمير راجع إلى الكأس لأنّه مؤنث سماعي.
وأترعه: ملأه. والدهاق: المثلثة. وزعفه زعفاً: قتله مكانه وسّم زعاف بالضم
[أي مهلك من ساعته]. الزعاف - بالضم - الماء الممزوج بالملح الشديد
الملوحة. والقّد: القطع طويلاً. والقطّ: القطع عرضاً.

٦٧- ومنه في إخباره [عليه السلام] بالأمر الخفيّ:

أرى حرباً مغيّةً وسلماً وعهداً ليس بالعهد الوثيق
بيان :

قال الشارح: أمّر أمير المؤمنين عليه السلام حريث بن راشد قبل [وقعة] صفّين على الأهواز^(١) ولما رجع عليه السلام [من صفّين] بغى وتمرد، فبعث عليه السلام إليه معقل بن قيس، فقتله وأسر جماعة من بني ناجية خرجوا معه، ففدّاهم مصقلة بن هُبيرة بخمس مائة ألف درهم فلمّا عجز [من أدائه] هرب إلى معاوية، فأمر [أمير المؤمنين] عليه السلام بتخريب بيته فظهرت فيه أسلحة فأنشد عليه السلام هذا البيت.

٦٨- ومنه في مثله:

أرى أمراً تنقّص عروتاه وحبلاً ليس بالحبّل الوثيق

٦٩- ومنه [في] تعيير معاوية في بناء مسجد بناه بدمشق:

سمعتك تبني مسجداً من خيانة^(٢) وأنت بحمد الله غير موفق

(١) كذا في أصلي من طبع الكمباني من البحار، والصواب «خرّيت بن راشد» وقصّته مذكورة بالتفصيل في الحديث: (٤٧٢) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٤١١ ط ١، وفي حوادث سنة (٣٨) من تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٨٦ وفي ج ٥ ص ١١٣ ورواها أيضاً الثقفى في الحديث: (١٣٩) من كتاب الغارات ص ٣٣٨ ط ١، ورواها عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار: (٤٤) من نهج البلاغة: ج ١، ص ٥٩٠ ط الحديث ببيروت، وفي ط الحديث بمصر: ج ٣ ص ١٢٨، ورواها أيضاً عنها المصنّف في أوّل الباب: (٢٤) في الحديث: (٦٢٨) من هذا الكتاب ص ٦١٥ ط الكمباني.

وجميع هذه المصادر خال عن تأمير أمير المؤمنين خريّناً على مدينة الأهواز، فما ذكره شارح الديوان لم يعلم من أين أخذه .

(٢) وربما يقرء (جباية).

كمطعمة الرِّمان مما زنت به جرت مثلاً للخائن المتصدِّق
فقال لها أهل البصيرة والتقى: لك الويل لا تزني ولا تتصدّقي

٧٠- ومنه في مدح أصحابه:

قومي إذا اشتبك القنا جعلوا الصدور لها مسالك
اللابسون دروعهم فوق القلوب لأجل ذلك

٧١- ومنه [في الرضا بما رزقه الله من العلم]:

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال
فإنّ المال يفنى عن قريب وإنّ العلم باق لا يزال

٧٢- ومنه في إظهار الكرم:

وداري مناخ لمن قد نزل وزادي مباح لمن قد أكل
أقدّم ما عندنا حاضر وإن لم يكن غير خبز وخلّ
فأمّا الكريم فراض به وأمّا اللّثيم فذاك الوبل

بيان :

الوبل - بالتحريك -: الوبال وهو أمر يخاف ضرره.

٧٣- ومنه في إظهار المكارم:

إنّي امرؤ باللّه عزّي كلّه ورث المكارم آخري من أوّلي
فإذا اصطنعت صنيعاً أتبعتهَا بصنيعة أخرى وإن لم أسأل
وإذا يصاحبني رفيق مرمّل أثرته بالزاد حتّى يمّتلّي
وإذا دُعيت لكربة فرجّتها وإذا دُعيت لفدرة لم أفعل

وإذا يصيح بي الصريخ لحادث وافيته مثل الشهاب المشعل
وأعدّ جاري من عيالي إنّه اختار من بين المنازل منزلي
وحفظته في أهله وعياله بتعاهد مني ولما أسعل

بيان :

أرمل القوم: نفذ زادهم. والصريخ: المستغيث والمغيث، وأريد به هنا الأول. والسعال هنا: كناية عن الكراهة يقال: أغصك السعال فأخذك السعال.

٧٤- ومنه في [بيان] فضائله عليه السلام مخاطباً للحارث الهمداني: (١)

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قُبلا
يعرفني طرفه وأعرفه بنعته وأسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط معترضي فلا تخف عشرة ولا زلا
أقول للنار حين توقف للذ عرض: ذريه لا تقربي الرجل
ذريه لا تقريه إن له حبلاً بحبل الوصي متصلاً
أسقيك من بارد على ظمإٍ تخاله في الحلاوة العسلاً
قول علي لحارث عجب كم ثم أعجوبة له جملاً

بيان :

«حار»: مرخم حارث. ورأيته قبلاً - بالفتح أو الضم -: أي مقابلةً وعياناً.
«جملاً»: أي مجملات أو جملة جملة.

(١) والصواب أن معنى ومضمون هذه الأبيات لأمر المؤمنين عليه السلام قاله للحارث الهمداني رفع الله مقامه، وأما النظم فهو للسيد اسماعيل الحميري رحمه الله، نظم ما قاله أمير المؤمنين نثراً للحارث الأعور تغمده الله برحمته.

٧٥- ومنه في ردّ منجّم أراد إرشاده عليه السلام:

خَوَّفَنِي مَنْجَّمٌ أَخُو خَبْلٍ تَرَجَعَ الْمَرِيخُ فِي بَيْتِ حَمَلٍ
فَقُلْتُ: دَعْنِي مِنْ أَكَاذِيبِ الْحَيْلِ الْمُشْتَرِي عِنْدِي سَوَاءٌ وَزَحْلٍ
أَرْفَعُ عَنْ نَفْسِي أَفَانِينَ الدُّوَلِ بِخَالِقِي وَرَازِقِي عَزٌّ وَجَلٌّ

بيان:

الخبيل: فساد العقل.

٧٦- ومنه في إظهار أنّ الخلافة حقّه مخاطباً لأبي بكر:

رَوَى أَبُو الْجَيْشِ الْمُظْفَرُ الْبَلْخِي بِإِسْنَادِهِ قَالَ: جَاءَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تَعَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَلَا تَكْ جَاهِلًا بَأَنَّ عَلِيًّا خَيْرٌ حَافٍ وَنَاعِلٍ
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَى بِحَقِّهِ وَأَكْثَدُ فِيهِ قَوْلُهُ بِالْفَضَائِلِ
وَلَا تَبْخُسْنَهُ حَقَّهُ وَأَرْدَدِ الْوَرَى إِلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَصْدَقُ قَائِلٍ

٧٧- ومنه في إظهار الشجاعة:

أَنَا الصَّقَرُ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ عِتَاقُ الطَّيْرِ تَنْجُذِلُ أَنْجِذَالًا
وَقَاسَيْتُ الْحُرُوبَ أَنَا ابْنُ سَبْعٍ فَلَمَّا شَبَتِ أَفْنَيْتُ الرِّجَالَا
فَلَمْ تَدْعِ السِّيُوفُ لَنَا عَدُوًّا وَلَمْ يَدْعِ السَّخَاءُ لَدَيَّ مَالَا

بيان:

قال الجوهري: عِتَاقُ الطَّيْرِ [بكسر العين]: الجوارح منها. والإِنْجِذَالُ: السقوط من طعنة أو ضربة.

وقوله [عليه السلام]: «عنه» متعلق بـ [قوله]: «حدثت» و«الإنجذال»

معاً أو بأحدهما ويقدر للآخر. [وفي قوله]: «أنا ابن سبع» الواو مقدر للحال.
وأحتمل الشارح أن يكون السبع مصدر [قولهم] «سبع الذئب الغنم»
[من باب «منع» و «نصر»]: أي افترسها.
ولعله لقراءته «شتت» بالهمزة كما صرح به، والأظهر أنه «شبت» [بالباء
كما في بعض النسخ من الشيب.

٧٨- ومنه في مثله:

صيد الملوك أرانب وثعالب وإذا ركبت فصيدي الأبطال
صيدي الفوارس في اللقاء وإنني عند الوغا لغضنفر قتال

بيان :

الغضنفر: الأسد.

٧٩- ومنه في إظهار حب النبي ونصره وذم أعدائه:

إنَّ عبداً أطاع ربّاً جليلاً وقفى الداعي النبي الرسولاً
فصلاة الإله تترى عليه في دُجى الليل بكرةً وأصيلاً
إنَّ ضرب العداة بالسيف يرضي سيّداً قادراً ويشفي غليلاً
ليس من كان قاصداً مستقيماً مثل من كان هاوياً وذليلاً
حسبي الله عصمةً لأُموري وحببي محمد لي خليلاً

بيان :

قوله [عليه السلام]: «هاوياً»: أي ساقطاً في الآخرة في النار. وفي بعض
النسخ: «هادياً ودليلاً» بالمهملة: أي ليس الهادي والمكمل كالمهتدي والمسترشد.

٨٠- ومنه في مثله:

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله اخا بين أصحابه وترك علياً عليه السلام [لم يؤاخ بينه وبين أحد] فقال له في ذلك فقال: أنا اخترتك لنفسى، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة. فبكى على عليه السلام وقال:

أقبك بنفسى أيها المصطفى الذي هدا بنا به الرحمان من غمة الجهل
وتفديك حوبائي وما قدر مهجتي لمن أنتمي معه إلى الفرع والأصل
ومن كان لي مذ كنت طفلاً ويافعاً وأنعشني بالعل منه وبالنهل
ومن جدّه جدّي ومن عمّه أبي ومن نجله نجلي ومن بنته أهلي
ومن حين آخا بين من كان حاضراً دعاني وآخاني وبين من فضلي
لك الفضل إنّي ما حييت لشاكر لأحسان ما أوليت يا خاتم الرسل

بيان :

الحوباء - بالفتح -: النفس. والفرع: الأولاد والأحفاد. والأصل: الآباء والأجداد: أي أولادي أولاده وآبائي آباؤه. وأيفع [الغلام]: ارتفع فهو يافع والعلّ: الشرب الثّاني. والنهل: الشرب الأوّل فإنّ الإبل تسقى في أوّل الورد فتدّ إلى العطن ثمّ تسقى الثانية فتدّ إلى المرعى. والنجل: النسل.

٨١ - ومنه عند قرب حرب الجمل:

قد طال ليلى والحزين موكل لحذار يوم عاجل ومؤجل
والناس تعرفهم أمور جمّة مرّ مذاقتها كطعم الحنظل
فتن تحلّ بهم وهنّ سوارع تسقي أواخرها بكأس الأوّل
فتن إذا نزلت بساحة أمة حيقت بعدل بينهم متبهل

بيان :

٨٢ - ومنه في الشكاية عن طلحة والزبير:

إِنَّ يَوْمِي مِنَ الزَّبِيرِ وَمَنْ طَلَحَ فِيهَا يَسُوءُنِي لَطْوِيلِ
ظِلْمَانِي وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُ اللَّهِ إِلَى الظُّلْمِ لِي لَخْلُقِ سَبِيلِ
بَيَان:

قال الشارح: [قوله عليه السلام: «علم الله» قسم والتقدير: لم يكن لي
سبيل إلى الظلم لخلق].

أقول: ويحتمل أن يكون المعنى أنه لم يكن حينئذٍ لأحد [من الخلق]
سبيل إلى ظلمي [و] هما أسسا للناس ذلك.

٨٣ - ومنه مخاطباً لمعاوية:

أَلَا مَنْ ذَا يَبْلُغُ مَا أَقُولُ فَإِنَّ الْقَوْلَ يَبْلُغُهُ الرَّسُولُ
أَلَا أَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ لَقَدْ حَاوَلْتُ لَوْ نَفَعَ الْحَوِيلُ
وَنَاطَحْتُ الْأَكَارِمَ مِنْ رِجَالِ هُمْ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَهُمْ أَجَابُوا
رَسُولَ اللَّهِ إِذْ خَذَلَ الرَّسُولُ نَبِيًّا جَالِدَ الْأَصْحَابِ عَنْهُ
فَدَنْتُ لَهُ وَدَانَ أَبُوكَ كَرِهًا سَبِيلَ الْغِيِّ عِنْدَكُمَا سَبِيلُ
مَضَى فَنَكَصْتُمَا لَمَّا تَوَارَى عَلَى الْأَعْقَابِ غَيِّكُمَا طَوِيلُ
إِذَا مَا الْحَرْبُ أَهْدَبَ عَارِضَاهَا وَأَبْرَقَ عَارِضُ مِنْهَا مَخِيلُ
فَيُوشِكُ أَنْ يَجُولَ الْخَيْلُ يَوْمًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ مَنْجَدَلٌ قَتِيلُ

بَيَان:

قال الجوهرى: حاولت الشيء: أي أردته. والأسم: الحويل. وهامة
القوم: رئيسهم. والأصل: الحسب. والفلول: الكسور.

وقال الفيروزآبادي: الهيدب: السحاب المتدلي، أو ذيله. وهذب الشجر

- كفرح :- طال أغصانه وتدلت كأهدبت. وقال العارض: السحاب المعترض
في الأفق. وأبرق السّحاب: ظهر منه البرق. والسّحابة المخيلة - بفتح الميم
وكسر الخاء :- التي تحسبها ماطرة. والمنجدل: الصريع.

[ثم] قال [شارح الديوان]: فأجاب معاوية:

لا تحسبني يا علي غافلاً لأوردن الكوفة القنابلاً
والمشمخرً والقنا الذوابلاً في عامنا هذا وعاماً قابلاً
فأجابه: [علي عليه السلام]:

أصبحت ذا حق تمنيّ الباطلاً لأوردن شامك الصواهِلاً
أصبحت أنت يا ابن هند جاهلاً لأرمين منكم الكواهِلاً
تسعين ألفاً راحاً ونابلاً يزدهمون الحزن والسواهِلاً
بالحقّ والحقّ يزيع الباطلاً هذا لك العام وذري قابلاً

بيان :

القبيلة: طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. واشمخرً
[الشيء]: طال، والمشمخر: الجبل العالي. و «تمنيّ» ماض أو مضارع بحذف
التاء. والصاهل: الفرس الذي له سهيل.

و [قال الزمخشري] في [كتاب] الأساس: هو كافل أهله وكاهلهم: [أي]
هو الذي يعتمدونه، شُبّه بالكاهل واحد الكواهل. والنابل من النبل وهو
السهم.

٨٤ - ومنه في وصف أصحابه صلوات الله عليه:

كآساد غيل وأشبال خيس غداة الخميس ببيض صقال
تحيد الضراب وحزّ الرقاب أمام العقاب غداة النزال
تكيد الكذوب وتخزي الهيوب وتروي كعوب دماء القذال

بيان :

الغيل والخيس - بكسرهما :- موضع الأسد. والشبل - بالكسر :- ولده.
والحرز: القطع. والعقاب العلم الضخم. واسم راية رسول الله صلى الله عليه وآله.
والقذال: جماع مؤخر الرأس.

٨٥ - ومنه في مدح عبدالعزيز بن الحارث:

شريت بامر لا يطاق حفيظةً حباءً وإخوان الحفيظ قليل
جزاك إله الناس خيراً فقد وفيت يداك بفضل ما هناك جزيل

بيان :

رُوي أنه قالها حين أحاط عسكر الشام بطائفة من أصحابه فنأدى
[عليه السلام]: «ألا هل من رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته!»
فأجابه عبدالعزيز ودخل في غمار الناس وحارب حتى وصل إلى أصحابه
عليه السلام وقال لهم: يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: كبروا وهللوا فيها
نحن قد وافيناكم إن شاء الله. وصار ذلك سبب الفتح والظفر كما مر^(١).
والحفيظة: الغضب والحمية وهي مفعول «شريت» أو المفعول مقدر أي
نفسك.

٨٦ - ومنه في الضجر والشكوى [من تحامل الطغاة على أهل التقوى]:

وروي أنه أنشدهما يوم استشهد عمار [بن ياسر] رضي الله عنه:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني فقد أفنيت كل خليل

(١) وانظر تفصيل القضية في أواسط الجزء الخامس من كتاب صفين ص ٣٠٨ ط مصر، وتقدم في
هذا الكتاب في ص ٣٩٠ ط الكمباني.

أراك مصرّاً بالذين أحبهم كأنك تنحو نحوهم بدليل

٨٧ - ومنه في كثرة قتلى أهل الشام:

كأين تركنا في دمشق وأهلها من اشمط موتور وشمطاء ثاكل
وغانية صاد الرماح خليلها وأضحت بعيد اليوم إحدى الأرامل
تبكي على بعل لها راح غازياً وليس إلى يوم الحساب بقافل
ونحن أناس لا تصيد رماحنا إذا ما طعنا القوم غير المقاتل

أقول: روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين^(١) عن عمرو بن شمر قال:
لما صدر [علي] عليه السلام من صفين أنشأ يقول: [...] وذكر الأبيات.

بيان :

الشمط: بياض لشعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط والمرأة
شمطاء. والموتور: الذي قُتل له قتيل ولم يدرك بدمه. والغانية: الجارية التي غنيت
بزوجها أو التي غنيت بحسنها وجماها عن الزينة. والقفول: الرجوع عن
السفر.

٨٨ - وقال في الديوان ومنه في الشكوى عن اندراس معالم الإسلام:

ليبك على الإسلام من كان باكياً فقد تركت أركانه ومعالمه
لقد ذهب الإسلام إلّا بقية قليل من الناس الذي هو لازمه

٨٩ - ومنه قال: جاءت إليه عليه السلام امرأة تشكو زوجها فقالت:

زوجي كريم يبغيض المحارماً يقطع ليلاً قاعداً وقائماً
ويصبح الدهر لدينا صائماً وقد خشيت أن يكون آثماً

(١) رواه نصر في أواسط الجزء الثامن - وهو الجزء الأخير - من كتاب صفين ص ٥٣٢.

لأنّه يصبح لي مراغماً

أجابها زوجها:

لا أصبح الدهر بهنّ هائماً ولا أكون بالنساء ناعماً
لا بل أصليّ قاعداً وقائماً فقد أكون للذنوب لازماً
يا ليتني نجوت منها سالماً

فأجابها عليه السلام حاكماً بينهما:

مهلاً فقد أصبحت فيها آثماً لك الصلاة قاعداً وقائماً
ثلاثة تصبح فيها صائماً ورابع تصبح فيه طاعماً
وليلة تخلو لديها ناعماً مالك أن تمسكها مراغماً

توضيح:.

المرامة: المغاصبة. والهيام كالجنون من العشق. ومهلاً أي أمهل.

٩٠- ومنه في الشكوى:

أصبحت بين الهموم والهمم عموم عجز وهمه الكرم
طوبى لمن نال قدر همته أو نال عزّ القنوع بالقسم

٩١- ومنه في المفاخرة وإظهار الفضائل:

قال [شارح الديوان]: ذكر الإمام علي بن أحمد الواحدي^(١) عن أبي

(١) رواه المبيدّي الشافعيّ عنه في شرح الديوان ص ٤٠٥ - ٤٠٧ ورواه أيضاً القندوزي الحنفيّ في كتاب ينابيع المودة ص ٦٨.

هريرة قال: أجمع عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والفضل بن العباس، وعمار، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو ذرّ، والمقداد، وسلمان، وعبد الله بن مسعود، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم، فدخل عليهم عليّ عليه السلام فسألهم فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: عليّ عليه السلام: أسمعوا مني ثم أنشأ يقول هذه الأبيات:

لقد علم الأناس بأنّ سهمي	من الاسلام يفضل كلّ سهم
وأحمد النبي أخي وصهري	عليه الله صلى وابن عمي
وإني قائد للناس طراً	إلى الاسلام من عرب وعجم
وقاتل كلّ صنيدي رئيس	وجبار من الكفار ضخم
وفي القرآن ألزمهم ولائي	وأوجب طاعتي فرضاً بعزم
كما هارون من موسى أخوه	كذاك أنا أخوه وذاك اسمي

ورواه عنها العلامة الأميني في غديرية أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الغدير: ج ٢ ص ٣٢ ط بيروت.

فإنّه عليه السلام كان أحاط خبراً بعظمة موهبة الله ومنّه على البشر بإيجاد الله تعالى إياه من العدم إلى الوجود، وتسخير الموجودات له كي يتمتع بها ويستفيد منها معجلاً وموَجَّلاً، وتمكينه إياه من الرقيّ إلى سعادة الدنيا والآخرة والتقرّب إلى الله من شتى النواحي. وكان عليه السلام أوّل عامل لله تعالى مخلصاً له في أعماله وحركاته وسكناته، وكان قائد الموحدين ورئيس المتقين، ولم يك يغيب آنأ ما عن علمه وخواطره قوله تعالى: ﴿إِنَّا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فمن كان شأنه هكذا فالملائم لشخصيته أن يتمنّى دوام وجوده كي يتقرّب إلى الله تعالى أكثر فأكثر.

والأبيات معارضة أيضاً لمحكّمات ما ورد عنه عليه السلام من كونه قسيم الجنة والنار، وإنّه يشفع لمن ارتضى الله تعالى الشفاعة له، إلى غير ذلك من خصائصه عليه السلام الدالة على عظمته عند الله تعالى وعلو مقامه وشموخ منزلته عنده في الدنيا والآخرة.

ثم إنّ الأبيات مرسلّة ولم نجد لها بسند موثوق يدلّ على صدورها منه عليه السلام، فأصل صدورها منه مشكوك فيه فهي غير واجدة لشرائط الحجّية، فلا مورد لتطويل الكلام حولها.

لذلك أقامني لهم إماماً
فمن منكم يعادلني بسهمي
فويل ثمَّ ويل ثمَّ ويل
وويل ثمَّ ويل ثمَّ ويل
وويل للذي يشقى سفاهاً
وأخبرهم به بفدير خَمٍّ
واسلامي وسابقتي ورحمي
لمن يلقي الإله غداً بظلمي
لجاحد طاعتي ومريد هضمي
يريد عداوتي من غير جرمي

٩٢- ومنه في الشكاية:

أطلب العذر من قومي وإن جهلوا
حبل الإمامة لي من بعد أحمدنا
لا في نبوته كانوا ذوي ورع
لو كان لي جائزاً سرحان أمرهم
فرض الكتاب ونالوا كل ما حرماً
كالدلو علقت التكريب والوذما
ولا رعوا بعده إلا ولا ذمماً
خلفت قومي وكانوا أمة أمماً

بيان :

قال الفيروزآبادي [في «مادة «كرب» من القاموس]: الكرب
- بالتحريك -: الحبل يشدُّ في وسط العراقي ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير،
وقد كرب الدلو وأكربها وكربها.

وقال [أيضاً]: الودم - محرَّكة -: السيور بين آذان الدلو. والإلّ
- بالكسر -: العهد. و «سرحان»: مصدر من [قولهم]: سرح الماشية. وهو
إرسالها للرعي. وتسريح المرأة: تطليقها. والأُمم - بالتحريك -: الشيء اليسير.
وأخذت ذلك من أمم: أي من قرب وداره أمم داري: أي مقابلتها. وقرء [أمماً]
بضمّ الهمزة أيضاً: أي فرقاً مختلفة.

٩٣ - وروي أنه قال غطريف بن جشم: «إني غطريف نعم وابن جشم»
إلى آخر الأبيات فأجابه عليه السلام:

أنا على المرتجى دون العلم مرتهن للحين موفٍ بالذمم

أنصر خير الناس مجدداً وكرم
 إنِّي سأشفي صدره وأنتقم
 فاثبت لحاك الله يا شرّ قدم فسوف تلقى حرّاً نار تضطرم
 تحلّ فيها ثم توهي كالحمم

بيان:

العلم: الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش. والحين
 - بالفتح -: اهلاك.

وقال الجوهري: قولهم: لحاه الله: أي قبّحه ولعنه. ورجل قدم - بكسر
 الدال -: أي يتقدم. وقدم - بالتحريك -: أي شجاع. وكعب: الرجل له مرتبة
 في الخير. والحمم - بالضم -: الفحم وكلّ ما أحترق من النار.

٩٤- ومنه مخاطباً للزبير في [حرب] الجمل:

لا تعجلنّ واسمعن كلامي
 إذ المنايا أقبلت خيامي
 حملت حمل الأسد الضرغام
 عود قطع اللحم والعظام
 مؤلّل حُسام
 بيان:

[قال الجوهري] في الصحاح: ألّت الشيء تأليلاً: حدّدت طرفه.

٩٥- ومنه خطاباً لمعاوية:

أما والله إنّ الظلم شوم
 إلى ديّان يوم الدين نمضي
 ستعلم في الحساب إذا التقينا
 ستنقطع اللذاذة عن أناس
 لأمر ما تصرفت الليالي
 ولا زال المسيء هو الظلوم
 وعند الله تجتمع الخصوم
 غداً عند المليك من الغشوم
 من الدنيا وتنقطع الهموم
 لأمر ما تحرّكت النجوم

سل الأيام عن أمم تقصّت ستخبرك المعالم والرسوم
 تروم الخلد في دار المنايا فكم قد رام مثلك ماتروم
 تنام ولم تتم عنك المنايا تنبّه للمنيّة يا نؤم
 لهوت عن الفناء وأنت تفنى فما شيء من الدنيا يدوم
 تموت غداً وأنت قرير عين من العضلات في لجج تعوم

بيان :

العضلة - بالضم - : الداهية. والعم: السباحة.

٩٦- ومنه حاكياً قتله بعض المنافقين:

ضربته بالسيف وسط الهامة بشفرة ضاربة هدامة
 فبتكت من جسمه عظامه وبينت من أنفه أرغامه
 أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة
 أخو نبيّ الله ذو العلامة قد قال إذ عمّني العمامة
 أنت أخي ومعدن الكرامة ومن له من بعدي الإمامة

بيان :

قال الجوهري: الشفرة - بالفتح -: السكين العظيم. وشفرة السيف أيضاً
 حده. والهضم: القطع. والتبتيك: التقطيع. والصمصامة: السيف القاطع الذي لا
 ينثني. و [المراد من] العلامة [هنا] خاتم النبوة.

٩٧- ومنه في مراثية أكارم أصحابه:

جزى الله خيراً عُصبة أيّ عصبة حسان الوجوه صرّعوا حول هاشم
 شقيق وعبد الله منهم ومعبد ونبهان وابنا هاشم ذي المكارم
 وعروة لا ينأى فقد كان فارساً إذا الحرب هاجت بالقنا والصوارم

إذا اختلف الأبطال واشتبك القنا وكان حديث القوم ضرب المهاجم
بيان :

هاشم هو أبن عتبة [الزهري الصحابي] المرقال. وشقيق [هو] ابن ثور
العبدى. وعبدالله [هو] ابن بديل بن ورقاء [الصحابي] الخزاعي.

٩٨- ومنه مرتجزاً في صفين:

ما علّتي وأنا جلد حازم وفي يميني ذو غرار صارم
وعن يميني مذحج القماقم وعن يساري وائل الخضارم
القلب حولي مضر المهاجم وأقبلت همدان والأكارم
والأزد من بعد لنا دعائم والحق في الناس قديم دائم
بيان :

قال الجوهرى: العلة: حدث يشغل صاحبه عن وجهه. وقال [أيضاً]:
الغراران: شفتا السيف وكلّ شيء له حدّ فحدّه غراره. والقماقم: السيّد. والعدد
الكثير. ووائل اسم قبيلة. وخضرم: الكثير العطاء. والقلب: وسط الجيش.
ومهاجم العرب: القبائل التي تجمع البطون فينسب إليها دونهم.

٩٩- ومنه في ذمّ بعض القبائل:

وأبعد من حلم وأقرب من خنا وأخذ نيراناً وأخل أنجماً
موالى أيادٍ شرّ من وطأ الحصا موالى قيس لا أنوف ولا فها
فما سبقوا قوماً بوتر ولا دم ولا نقضوا وترأ ولا أدركوا دما
ولا قام منهم قائم في جماعة ليحمل ضيماً أو ليدفع مغرماً
بيان :

الحنا: الفحش. وقوله عليه السلام: «لا أنوف ولا فها»: أي ليس فيهم

الرياسة والفصاحة. والمغرم: ما يلزم أداؤه.

١٠٠- ومنه تحسراً على قتل أعيان قبيلة شِهام:

وصحت على شِهام فلم تجبني يعزّ عليّ ما لقيت شِهام

١٠١- ومنه في الشكاية والتّصبر:

تنكّر لي دهري ولم يدر أنّي أعزّ وروعات الخطوب تهون
فظلّ يريني الخطب كيف اعتداؤه وبِتّ أريه الصبر كيف يكون

بيان :

التنكّر: التغيّر.

١٠٢- ومنه في التأدّب عن أحوال الزمان وتحصيل التجارب:

الدهر أدّبنى واليأس أغناني والقوت أقنعي والصبر ربّاني
وأحكمتني من الأيام تجربة حتّى نهيت الذي قد كان ينهاني

١٠٣- ومنه في الشكاية عن أهل النفاق:

هذا زمان ليس إخوانه يا أيّها المرء ياخوان
إخوانه كلّهم ظالم لهم لسانان ووجهان
يلقّاك بالبشر وفي قلبه داء يواريه بكتمان
حتّى إذا ما غبت عن عينه رماك بالزور و بهتان
هذا زمان هكذا أهله بالودّ لا يصدقك اثنان
يا أيّها المرء كن منفرداً دهرك لا تأنس بإنسان

١٠٤- ومنه [ما] روي أنّه عزّى [به] عمر بن الخطاب بابن له تُوفّي

فقال:

إنّا نعزّيك لا أنا على ثقة من الحياة ولكن سنّة الدين
فلا المعزّي بباق بعد ميّته ولا المعزّي ولو عاشا إلى حين

بيان :

[قوله:] «لا أنا» - بالفتح - أي لا نعزّيك لكوننا على ثقة من حياتنا

بعده.

١٠٥- ومنه في الشكاية عن منافقي زمانه صلوات الله عليه:

لولا الذين لهم ورد يقومونا وآخرين لهم سرد يصومونا
تكدكت أرضكم من تحتكم سحرا لأنكم قوم سوء لا تطيعونا

بيان :

قال الجوهري: سردت الصوم: تابعته. وقال: تكدكت الجبال أي صارت
دكاوات وهي رواب من طين.

١٠٦- ومنه في نفي تأثير النجوم:

أتاني يهدّني بالنجوم وما هو من شرّه كائن
ذنوبي أخاف فأما النجوم فإنّي من شرّها آمن

١٠٧- ومنه في المفاخرة:

نحن الكرام بنو الكرام وطفلنا في المهدي كني
إنّا إذا قعد اللئام على بساط العزّ قمنا

بيان :

التكنية في المهد علامة الشرف أو بيان لاستحبابها. والمراد بالقيام التهيؤ للجهاد وسائر العبادات.

١٠٨- وقال عبد الله بن وهب الراسبي [رئيس الخوارج] في النهروان:

أضربكم ولا أرى أبا الحسن ذاك الذي ضلّ إلى الدنيا ركن
فأجابه [عليّ] صلوات الله عليه:

يا أيّها المشرك يا من افتتن والمتمنيّ أن يرى أبا الحسن
إليّ فانظر أينما يلقي الغبن

بيان :

الغبن - بالفتح [فسكون الباء -: المخذوعة] في البيع [أو الشراء].
وبالتحريك: [الضعف] في الرأي.

١٠٩- ومنه خطاباً للنبي صلّى الله عليه وآله وإظهاراً للإخلاص له:

يا أكرم الخلق على الله	والمصطفى بالشرف الباهي
محمد المختار مهما أتى	من محدث مستفطع ناهي
فاندب له حيدر لا غيره	فليس بالغمر ولا اللاهي
ترى عماد الكفر من سيفه	منكساً باطله واهي
هل العدا إلاّ ذئاب عوت	مع كلّ ناس نفسه ساهي
سيهزم الجمع على عقبه	بحيدر والنصر لله

بيان :

الباهي [مأخوذ] من البهاء وهو الحسن. واستفطع الأمر: وجده فطيعاً.

والغمر - بالضمّ وبضمّتين -: الذي لم يجرب الأمور. والعقب - بالتسكين - لغة في العقب [بالتحريك].

١١١٠- ومنه افتخاراً بالمناقب والفضائل:

أنا للفخر أليها وبنفسي أتقيها نعمة من سامك السبع بما قد خصنيها
 لن ترى في حومة الهيجاء لي فيها شبيها ولي السبقة في الاسلام طفلاً ووجيها
 ولي القربة إن قام شريف ينتميها رقي بالعلم رقاء فيه قد صرت فقيها
 ولي الفخر على الناس بعربي وبنيتها ثم فخري برسول الله إذ زوجنيها
 لي مقامات ببدر حين حار الناس فيها وبأحد وحنين لي صولات تليها
 وأنا الحامل للراية حقاً أحتويها وأنا القاتل عمراً حين حار الناس تيتها
 وإذا ضرم حرباً أحمد قدمنيها وإذا نادا رسول الله نحوي قلت ايها
 وأنا المسقي كأساً لذة الأنفس فيها هبة الله فمن مثلي في الدنيا شبيها

بيان :

ضمير «أليها» مبهم يفسره «نعمة» وهي النبي صلى الله عليه وآله.

[قوله]: «وبنفسي أتقيها» أي أجعل نفسي وقايةً لتلك النعمة. و«سامك السبع» [أي] رافع سبع سماوات. وزق الطائر الفرخ يزقه [على زنة «مد» وبابه] أي أطعمه بفيه. و«إيها» كلمة استزادة .

١١١- ومنه إظهاراً للشجاعة:

أنا مذ كنت صبيّاً ثابت القلب جرياً أبطل الأبطال قهراً ثم لا أفزع شيئاً
 يا سباع البرّ ريفي وكلّي ذا اللحم نيّاً

بيان :

[قال الجوهري] في الصحاح: راقت الماشية: رعت الريف وهي أرض

فيها زرع وخصب.

١١٢- وقال بعض الأعادي خطاباً لعسكره عليه السلام:

أضربكم ولو أرى علياً ألبسه أبيض مشرفياً
فأجابه صلوات الله عليه:

يا أيّها المبتغي علياً إنّي أراك جاهلاً غيباً
قد كنت عن لقائه غنياً هلمّ فادن هاهنا اليا

١١٣- ومنه في تخويف بعض الكفار:

سيف رسول الله في يميني وفي يساري قاطع الوتين
وكلّ من بارزني يميني أضربه بالسيف عن قريني
محمد وعن سبيل الديني هذا قليل عن طلاب عين

بيان :

الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

و [قوله:] «يجبني» أمر غائب، قال [الشيخ] الرضّي رحمه الله جاز في
النظم حذف لام الأمر في فعل غير الفاعل نحو «محمد تفد نفسك كلّ نفس».

وأجاز الفرّاء حذفها في النثر نحو قل له يفعل قال تعالى: ﴿قل لعبادي
الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ [٣١/ إبراهيم: ١٤] والقرين: المصاحب. وطلاب
- بالكسر -: جمع طالب مثل جياح وجائع. كذا قال الشارح، والمعروف في جمعه
[أي جمع طالب] طلاب بالضمّ والتشديد فيمكن أن يكون التخفيف [هاهنا]
للضرورة أو يكون [طلاب] بالكسر مصدر «طالبه مطالبةً وطلاباً» إذا طالبه
بحقّ. والعين - بالكسر - جمع الأعين أي الواسع العين.

١١٤- ومنه في تهديد بعض الأشرار:

اليوم أبلو حسبي وديني بصارم تحمله يميني
عند اللقاء أحمي به عريني

بيان :

العرين مأوى الأسد.

١١٥- وكان نقش سيفه عليه السلام:

أسد على أسد يطول بصارم غضب يمان في يمين يمان

بيان :

قال الشارح: [قوله: «في يمين يمان»]: يدلّ على أنّ البيت من غيره عليه السلام، ولعلّ السيف أنتقل إليه عليه السلام من رجل من أهل اليمن وكان هذا البيت مكتوباً عليه.

ويحتمل أن يكون عليه السلام نقش هذا البيت على سيفه في عاشر الهجرة، حين بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى اليمن فعل ذلك تودّداً إليهم.

أو يقرأ «يمان» بضمّ الياء: أي صاحب اليمن كعظام وعقام بمعنى عظيم وعقيم انتهى.

وأقول: يمكن أن يكون النسبة إلى اليمن بإعتبار كمال الإيمان كما ورد في الخبر أنّ الإيمان يمان والحكمة يمانية.

وقال الجزري [في مادّة «يمن»] في شرح هذا الخبر [في كتاب النهاية]: إنّها قال ذلك لأنّ الإيمان بدء من مكة وهي من تهامة من أرض اليمن ولهذا يقال: الكعبة اليمانية انتهى.

[قال المصنف:] ويظهر منه [أي من كلام الجزري] توجيه آخر أيضاً
كما لا يخفى.

١١٦- ومنه [ما أنشده] في [وقعة] الجمل مخاطباً لابن الحنفية [محمد
ابنه] رضي الله عنه:

اقحم فلن تنالك الأسنة وإن للموت عليك جنة

١١٧- ومنه تمنياً للعدم خوفاً من عذاب الله تعالى وتذلاً له:

ليت أمي لم تلدني ليتني مت صبيّاً
ليتني كنت حشياً أكلتني البهم نياً^(١)
بيان :

البهم: جمع بهمة وهي أولاد الضأن.

١١٨- ومنه في الشكوى عن [أهل] الزمان:

عجباً للزمان في حالتيه وبلاء دفعت منه 'إليه
ربّ يوم بكيت منه فلماً صرت في غيره بكيت عليه

١١٩- ومنه ترغيباً في التهجّد:

يانفس قومي فقد قام الورى إن ينم الناس فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عني الكرى عند الصباح يحمد القوم السرى

(١) النّيّ - بكسر النون - من الطعام: الذي لم ينضج أو لم تمسه النار.

ثم إن هذه الأبيات غير ملائمة لمقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن على منهاجه علماً وعملاً.

بيان :

الكرى: النعاس. والسرى - بالضم -: السير بالليل، والمثل معروف.

قد وفقَ الله تعالى للفراغ من هذا المجلد من كتاب بحار الأنوار، الموسوم بكتاب الفتن، على يدي مؤلفه الفقير الخاسر القاصر ابن محمد تقّي محمد باقر ختم الله له بالحسنى، في سلخ شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف الهجرية.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيّد المرسلين محمد وعترته الأكرمين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين^(١).

(١) قال الشيخ محمد باقر المحمودي: وحيث إنّ مقدّمنا لهذا الكتاب قد أجل نشرها، فلا بدّ لنا ها هنا من الإشارة إلى بعض ما قاسينا عندما تصدّينا لتحقيق هذا القسم منه فنقول: قد أنهينا تمام القسم الثاني من هذه الترجمة، ومجلّد من القسم الأوّل منها، في يوم الجمعة المطابق للثاني عشر من شهر ربيع الأوّل من العام: (١٤٠٥) الهجري، ولكن كنّا في أيّام التحقيق في مدينة بيروت، والحرب قائمة بين اللبنانيين على قدم وساق، وفي أكثر تلك الأيام كنّا نترقّب وداع الدنيا والرحيل إلى دار الآخرة لهطول الصواريخ والقذائف علينا من جميع الجوانب، ولم يك بمتناولي جميع مصادر البحار، والموجود منها عندي أيضاً لم يكن ميسور التناول دائماً للأسباب التي ذكرتها، ولهذا بقي منها من مبهمات الكتاب مواضع على حالها بلا تصحيح، وعسى الله أن يمنّ علينا بالتصحيح الكامل في الطبعة الثانية.